

سوره المائدہ

التعريف بالسوره

أن عدد آيات هذه السوره (١٢٠) آيه وهي مدينة بالإجماع

وقد ذهب البعض للقول انها نزلت بعد الفتح وقال البعض انها نزلت بعد الحديبيه وبالرجوع الي المواضيع التي تناولتها السوره نجد أن فيها آيات نزلت بعد الفتح مثل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم.. الخ

اولا

ارتباط السوره بما قبلها أن من ضمن الأغراض التي تهدف إليه السوره هو بيان كيفية اجتناب الإفراط والتفريط والابتعاد عن كل أسباب الانحراف عن الطريق المستقيم حيث أن اسماء السوره المائدہ نسبه الي المائدہ التي طلبها الحوريون من الله والتي تضمنت التهديد لهم بالعذاب الموعود الذي لم يعذب به أحد أن هم خالفوا أو نقضوا عهد الله معهم

وسوره العقود والمنقذه للقول الرسول صلى الله عليه وسلم (سوره المائدہ تدعي في ملكوت الله المنقذه تنقذ صاحبها من ايدي ملائكه العذاب)

ولهذا كان مناسباً أن تأتي بعد سوره النساء التي اختتمت بقوله (كذلك يبين لكم إن تضلوا والله بكل شيء عليم)

فقد تناولت سوره النساء احكام العديد من العقود من عقود النكاح والحلف والمعاهدہ والأمان والوصيه والوديعه والاجازه والوكاله ومهدت لتحريم الخمر فجاءت سوره المائدہ مشتمله علي بيان احكام العقود والذبايح والصيد والاحرام ونكاح الكتابات والطهاره والرده والسرقة والبعي والافساد في الأرض وتحريم الخمر والميسر وكفاره اليمين وقتل الصيد اثناء الاحرام والبيحيره والسائبه وحكم من ترك العمل بشريعه الله والوصيه عند الموت وكذلك اشتملت علي قصه بني إسرائيل ونقضهم العهود كنموذج لمن ينقض عهد الله وميثاقه وقصه موسي معهم في مساله رفضهم دخول الأرض المقدسة وكيف أنهم نقضوا العهد برفضهم الدخول لنتيجه جنهم ثم ذكر نقض العهد من قبل ابن آدم بقتل أخيه نتيجته الحسد والتسرع ثم بين وسائل يستعان بها للوفاء بالعهد وهو تقوي الله والجهاد في سبيله (بايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا... الخ والنهي عن مولاہ اليهود والنصاري والمستهزين بالدين وعقاب المرتد والاعتداء علي سلطه الالوهيه في التشريع بتحليل الاطعمه أو تحريمها وكأنها متممه للنساء ولأن سوره النساء قد ذكرت انحراف أهل الكتاب وأشارت الي داء الغلو بالا فراط والتفريط وبين الله أن النجاه هو بالايمان بالإسلام فهو منهج الله الذي فيه النجاه فالاعتدال بالسير علي منهج الصراط المستقيم اي القران فيه النجاه وان من ابتعد عن منهج القران وقع في تيبه الضالين ولعنه المغضوب عليهم

ولهذا نجد تركيز السوره علي الصراع مع اليهود حيث يفهم من سياق الآيات التي وردت للتحذير من المغالاة والافراط والتفريط فذلك هو سبب هلاك اليهود والنصاري وإلا فما الحاجه لهذا الاعتناء اذا كان نزولها بعد إجلاء اليهود من المدينه ولم يعد لهم قوه تذكر فإن هذا يعود إلي أنها تهدف إلي تفصيل المسائل والقضايا الكليه التي تحدثت عنها سوره النساء بشأن الغلو في الدين بالافراط والتفريط وبيان البواعث والأسباب التي تؤدي الي الغلو وتربط ذلك باصلها العقائدي التوحيد فهي اجمع سور القران لفروع الشرائع من التحليل و التحريم والأوامر والنواهي وقد تضمنت ثمانية عشر حكماً لم يذكر في غيرها منها سبع احكام في الايه الثالثه (والمخنقه والموقوده و المترديه والنطيحه ومااكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب) وقوله (وما علمتم من الجوراح مكلبين .. الخ وقوله (وطعام الذين أوتوا الكتاب.... والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وتام الطهور (واذا قمتم الي الصلاه... الخ اي تمام احكام الضوء التي لم تذكر في سوره النساء ..وقوله السارق والسارقه والنهي عن قتل الصيد في الحرم وقوله (ماجعل الله من بغيره... الخ وقوله (شهاده بينكم) وقوله (اذا حضر أحدكم الموت) وقوله (واذا ناديتم للصلاه... الخ فليس في القران ذكر الاذان للصلاه الا في هذه الايه

ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله هي اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرمها

فأراد بهذا الحث علي الاهتمام بها بشكل خاص مثل ما قال تعالى (أن عدہ الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيها أنفسكم)

فلا يعني هذا أن الظلم في غير الأشهر الحرام مباح وانما خص بالنهي عن الظلم فيها زياده الاعتناء بها وكذلك خص الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السوره بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرمها... لغرض طلب زياده الاعتناء بها لأن فيها تفاصيل تبين طريق الوسيطيه والا عدال ويمنع الوقوع بما وقع فيه اليهود والنصاري من الغلو في الدين بالافراط والتفريط ولهذا افتتحت بقوله تعالى (بايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

والعقود هي العهود وذكر فيها من التحليل والتحرير والايجاب مالم يذكر في غيرها كما اشارنا من احتواءها علي ثمانيه عشر حكما لم يذكر في غيرها

فاهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم وتخصيص هذه السوره باعثناء ه بها في قوله فاحلوا حلالها وحرموا حرما مرتبط مع هذه المقدمه واغراض السوره فهي تهدف بهذه الافتتاحيه الي الاتي:-

اولا

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يربي المومنين علي أسس عقيدة الاسلام التي فيها الوسيطيه والاعتدال من خلال بيان الطريق الذي يتجنبون فيه الضلال والانحراف والتيه فجاء الأمر بالوفاء بالعقود بعد عرض صور نهايه الغلو في الأديان أنها تنتهي الي ما انتهت إليه اليهود والنصاري من الانحراف والافساد في الأرض فصار وا اشد انحرافا ووثنيه من أصحاب الفكر الوثني ولهذا بعد أن بين لهم مهمه القران والايات التي ينزلها الله فقال تعالى في اختتام سوره النساء (كذلك يبين لكم إن تضلوا والله بكل شي عليم)

بأنه ينزله علي رسوله الكريم الذي امره بالرد علي سवालهم عن مساله الكلاله المتعلقة بشأن من يتوفي وله اخوان اشقياء أو لأب وليس ولد ولا اب هل حكمها مثل ماذكر في اول سوره النساء بشأن الكلاله الذي يتوفي وله اخوه لام وليس له ولد ولا اب ولا ام فقال تعالى (قل الله يفتيكم في الكلاله... الخ)

ثم بين أنه انزل القران لإنشاء امه الاسلام أفرادا وجماعات ودوله فهذه التشريعات والأحكام تلبيه احتياجات المسلمين لتربيتهم وإعدادهم وتأهيلهم لحمل امانه الخلافه والاضطلاع بالمهمه في قياده العالم فالمسؤوليه كبيره ومناسبه سؤالهم بعد التحذير من الغلو هو أن الجماعه المسلمه التي أنشأها الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينه المنوره ورباها بالقران الكريم كانت قد أدركت حقيقه ذاتها ودورها وطبيعه طريقها وأن هنالك أعداء يقطعون الطريق عليها فهم يدركون الازمات والتحديات التي سوف تقف عائقا أمام حركتهم وعملهم ولهذا كانوا يطلبون معرفه الأحكام الشرعيه لمواجهه التحديات كانوا يريدون أن يفهموا الاحكام من جميع جوانبها المختلفه يريدون الاحاطه بها ولهذا تأتي النصوص مبينه أن يكون عرض الاسلام في الأذهان بصورة ترتبط الجزئيات مع الكلبيات وترتبط باصلها العقائدي التوحيد ولهذا قال تعالى (ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمه الانعام الا مايتلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرام أن الله يحكم مايريد)

الأمر الأول

افتحت الايه بالنداء الإلهي للمومنين بالصله التي تربطهم بالله تعالى أنها صلح الايمان وهذا الابتداء بالخطاب لابد أن يغرس في النفوس الشوق لمعرفة ما بعده من الأوامر أو النواهي فيه حث رابطه الايمان التي تربطهم بالله للحضور والانصات والاستماع فهم المعنيون بالنداء أنهم التنظيم الذي يعول عليه النهوض بتكاليف المنهج الرباني وحمل أعباء مسؤوليه الانتماء إلى الإيمان فهم الحريصون علي إنجاح المشروع الرباني في الأرض وهم اللبنة الاساسيه التي كلفت بحمل امانه العلم وأمانه الخلافه وقياده البشريه ولاشك أن الأوامر التي خصهم الله بها في هذا النداء تحمل في طياتها تزويدهم بالقدرات والمهارات والخبرات اللازمه للاضطلاع بمهمه الخلافه قياده البشريه خاصه وان هذه السوره هي اخر ما أنزل الله من القرآن الكريم وهذا النداء (ياايها الذين آمنوا) ورد في القرآن الكريم (٨٨)مره منها (١٦)مره في هذه السوره وسر هذا الاهتمام أنها اخر سوره نزلت في القران وبالتالي فإن هذا النداء المتكرر في هذه السوره وفي كل سوره مرتبط بأهداف عليا فيها أما التحذير من مسالك المغضوب عليهم والضالين أو بيان الطريق المستقيم الذي يمنع الوقوع بالضلال

الأمر الثاني

جاء الأمر في النداء الاول بالوفاء بالعقود بمقتضي الايمان فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

والعقود تشمل عقد الايمان الذي ارتبط به المومنون بالله سبحانه وتعالى من التزام العبوديه لله فأنت عبدا لله وهذا العقد يثبت عنه سائر العقود فعقد الايمان يلحق به لزوم طاعه الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه فالإيمان بالله يعني معرفته ومحبه وعبادته وتوحيده والله أخبرنا أن نيل محبه تكون باتباع الرسول فقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

ومن ذلك أيضا فإن عقد الايمان يوجب الوفاء بحق الله بالتعظيم لأمره وطاعته وعبادته والوفاء بحق العباد بالاحسان إليهم وحسن استخدام ملكات العدل والإحسان واتياء الحقوق للآخرين فالانسان له عقود مع ربه وعقود مع نفسه وعقود مع الآخرين المحيطين به من بني جنسه سواء كانوا أقارب أو اصدقاء أو أعداء والوفاء أن يأتي بها علي اكمل وجه دون نقصان علي ماعقد عليه دون غدر أو خيانه

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

أن اللازم عليك ايه المومن وانت تقرا هذه الآيات إن كنت مومنا حقا مصدقا بالله وبالرسول صلي الله عليه وسلم وبالقران والكتب السماوية واليوم الآخر والجنه والنار والملائكه .. أن تعلم انك انت المعنى بالخطاب عليك أن تشعر ان الله يناجيك بهذا النداء فتعيش مع الآيات بكل احساسك وتحس بنعمه الحديث مع الله الذي يخصك بهذا النداء دون سائر الناس تحس انك محل رعاية الله وعنايته وعطفه وانعامه بهذا النداء كانك انت الذي ينزل عليه الوحي لتذوق حلاوه العيش مع القران وانت تستمع توجيهات الله التي يخصك بها بكل جوراحك واحساسك وعقلك وملكاتك كلها تقبل عليها بشوق ورغبه واستعداد وصفاء الذهن فمن المعيب أن يغيب ذهنك كلياً أو جزئياً بالانشغال بأي شأن من الشؤون وانت في حضره الله وهو يدعوك للاقبال الي مائدة فهل ترضي انت من خادمك أو ابنك أو احد العاملين لديك ان يكون شارد الذهن وانت تلقي عليه المواعظ والنصائح والتوجيهات اللازمه للقيام بالمهام التي تكلفهم بها فأنت عندما تخاطب ابنك فتقول ياابني لابد أن هذه الرابطة التي تربطه بك تجعله يرد فيقول كلي اذان صاغية فكيف إذا جلس امامك وهو شارد الذهن الا يغضبك ذلك وتلجأ الي اسلوب تزجره به فتقول له انتبه ياغلام تحقيراً لشانه كما يفعل المدرس أثناء إلقاء الدرس فهو يقول للتلميذ المهذب يا تلميذي يخصه بهذا النداء فإذا لاحظ منه أنه غير مقبول عليه بذهنه فإنه يغضب ويقول له ايه التلميذ أو ينهره وينظر له نظره تنقص من شأنه غير النظره الاولي فهل تراضي أن ينظر اليك الله نظره يراك فيها أقل من المنزل التي خصك بها فعليك الإنتباه عندما تسمع هذا النداء ثم إن الابن البار بابيه والتلميذ الناجح الذي يريد أن يحصل علي المرتبه الاولي أن يفرح عندما يسمع أبيه يناديه ويكلفه بمهمه ويعلمه السبل الكفيلة بتحقيق الفوز والنجاح وهذا الفرح يجعله حاضراً بقلبه ليفهم ويعقله ليستوعب الخطوات التي يجب عليه أن يقوم بها ليصل إلي الهدف وماذا عليه أن يحذر ليتجنب الفشل وأسبابه ولهذا عليك ايه المومن أن تكون حريصاً علي حضور قلبك وعقلك وملكاتك كلها وانت تقف في حضره محبوبك الحق سبحانه وتعالى وتستوعب ما يلقي عليك من توجيهات

المفهوم الثاني

يقول الحق أن الوفاء بالعقود أمر يحتاج الي رجال قادرين علي أداءها بكاملها واتمامها وعدم النكوث أو النقص منها أو نقضها

ولهذا فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال

(علموا رجالكم سوره المائده لما فيها من أحكام وما جاء فيها من الوفاء بالعهود والمواثيق)

فخص هنا تعاليم الرجال لايعني إعفاء النساء وانما أراد بيان حاجه الوفاء بالعهود الي خبرات ومهارات وقدرات للوفاء بها وهي أمور فنيه مرتبطه غالباً بمساله الادراه التي تجعل الإنسان متصفاً بالرجوله فأنت تقول لمن يكون وفيها فلان رجل لبيان انه عند كلمته كما قال تعالي (من المومنين رجال)

فليس المراد بها الذكوره فضلاً عن أن القوامه من العقود التي اختص بها الرجال ...

فاداره الرجل لأسرته يعود إلي عقد النكاح ولهذا فعلي الزواج أن يشعر بمسؤوليته عن قياده الاسره وان عقد الزواج يوجب عليه أن يعامل زوجته بالمعاشره بالمعروف والتسريح بإحسان وعلي المراه الحفاظ علي اسرار الزوج والحفاظ علي بيتها وعرضها فلا تخون بأفشاء اسرار زوجها فنحن نعلم أن خيانه امراه لوط أنها نقلت لقومها وجود الضيوف عند لوط وكذلك خانتها بأنها كانت مشركه مثل حال زوجه نوح وليس خيانتها في العرض

وكذلك فإن الوفاء بحق الاخوه بين المومنين الذين ارتبطوا مع بعضهم برابطه الايمان هو أن تنصره وتاورزه وترفع عنه الظلم وان تنصحه إذا ارتكب منكراً

وكذلك فإن من الوفاء بعقود الاجتماع التعاون علي البر والتقوى والوفاء بعقود البيع والشراء والوكاله والشركات وغيرها من العقود ترك المضار والوفاء بشروط العقود دون انتقاص منها وهكذا سائر الاتفاقات طالما أنها لم تحرم حلالاً ولم تحل حراماً حتي تلك المعاهدات مع الأعداء يجب الوفاء بها

المفهوم الثالث

أن الآيات جاءت لبيان ان الحياه لابد لها من ضوابط لتنظيم حياه الانسان مع ربه ومع بني جنسه ومع الكون من حوله لابد من ضوابط تنظم حياه الفرد والمجتمع والدوله والعلاقات التي بينهم والعقود فيها الضابط الذي يضبط مركز الإنسان ودوره في الحياه لمنع الفوضى والعشوائية والاضطراب في الحركه لأن الفوضى والعشوائية هو سلوك أهل الشر واتباع الشيطان ولما كانت سوره النساء قد اختتمت بذكر نعمه الله في انزال الأحكام الشرعية التي تبين لك كيف تتعامل مع الحياه فقال تعالي (كذلك يبين الله لكم إن تزلوا والله بكل شي عليم)

فمنهج الله هو الذي يضمن الحصول علي النور الذي يضي لك الطريق في مسيره العمل الايماني فلا تنحرف عن الطريق المستقيم لتكون حركتك منضبطه بخط مستقيم تصل الي أهدافك ولهذا جاءت هذه السوره متضمنه هذا العدد من النداء (ياايها الذين آمنوا) لسته عشره

مره من اصل ٨٨ جملة ما ذكر فيه النداء بالقران تضع المعالم في طريق حركة المسلمين في كافة التعاملات في الحياه فالقران هو دليل العمل والتعامل فالمسلم يحتاجها في تعامله مع نفسه ومع الآخرين وزملائه في الوظيفة ومع الحكام وتنظم العلاقات بين الحاكم و المحكوم وكذلك فإن الدولة تحتاج الي قواعد تضبط تعاملها مع الرعية ومع الدول الأخرى ومع الكون وحتى مع الحيوانات وترتبط تلك الضوابط ب الله وحده لاشريك ولما كان الكون منتظم في حركاته فكذلك الإنسان فلا بد له أن يكون منظم في حركته وفق منهج ثابت ولهذا يقيم الاسلام هذه الضوابط في حياه الناس من خلال غرسها في الضمائر والعقول ويصوغها في قوالب ويحددها بدقه ووضوح لمنع الالتباس فلا غموض فيها ولا لبس فهي ضوابط منزله من الحق سبحانه وتعالى الذي أخبرنا أنه (والله بكل شي عليم) في نهايه سوره النساء

فعليك أن تعلم أن أحكام الله فيها الضابط المانع من الفوضى والعشوائية والاضطراب فالله يعلم أحوالنا وظروفنا وما يناسب الإنسان وبما يحقق الانسجام في حركته مع حركة الكون فربط هذه الضوابط بعلم الله تغرس في النفس انها فيها المصلحة للفرد والجماعه و الدوله وغايتها تعني ضياع المصلحة وانتشار الفوضى والعشوائية والمضره ولهذا فإن المسلم عندما يسمع النداء يدرك أن ما يأمره الله به فيه المنفعه والمصلحة له ولهذا يقمع شهواته ورغباته ويقدم أمر الله علي كل رغباته ويقدم المصلحة العامة علي المصلحة الذاتية فلا يتجرأ أحد علي تحطيم هذه الضوابط التي تمثل قيود تضبط الأهواء والشهوات وتخلص الإنسان من الانانيه وحب الذات لأن قياده الإ نسان خاضعه لمنهج الله تعالي فلا يستهزا بها ولا ينتهكها ويحترم هذه القيم والمبادئ ولهذا سميت هذه السوره بسوره العقود وبالرجوع الي مضمون النداء المتكرر في السوره يايها الذين آمنوا نجد أنها تضمنت كما ذكر صاحب تفسير التيسير بالآتي

النداء الاول

(يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ...)

وهذا له معني واسع لمدلول العقود حيث أن العقود هنا بمعني العهود وأول هذه العقود هو عقد الايمان الذي اثبتت عنه سائر العقود وهذا العقد يعني انطلاق المسلم في حركته من التوحيد لا اله الا الله..يعني تخلص الإنسان من كافة القبول التي تستعبد الإنسان و الضغوطات التي تمنع الوفاء بالالتزامات ويمثل هذا العقد أساس الوجود الإنساني علي الارض وشرف الإنسان وكرامته وترتبط به سائر العقود باعتبار أن لفظ العقود بجمع عقد واصل العقد من عقد الشي بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل بالحبل اذا وصل به أي عقده وشده بغيره فيقال عقد فلان بينه وبين فلان عقد يشده إليه أي وجود يشي يربط بينهما وهو يستعمل في المعاني والإجسام

فأمر الله بالوفاء بالعقود لأنها مرتبطة بعقد الدين الايمان فجميع العقود من المناكحه والحكم والاقتصاد والبيع والشراء وماعقد ه علي نفسه من الطاعات جميعها مربوطه بعقد الايمان فمتي استقرت هذه الحقيقه في النفس يكون عرض الاسلام وتطبيقه يكون فيه ربط الجزئيات بالكليات وباساسها الاعتقادي التوحيد والوفاء بها يكون بالتزام منهج الله وعدم الخروج عن منهج الله فأنت تربط كل حركه بشرع الله في كافة مجالات الحياه

دون أي اعتراض علي أوامر الله ونواهييه فلا مجال لأعمال العقل فالله يحكم مايريد لامعقب لحكمه فكل مومن يجب عليه أن يفي بما عقده وارتبط به من قول أو فعل كما أمر الله في كتابه

النداء الثاني

يايها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله...الخ

فالايه تحت تعظيم أوامر الله فهذا هو حق الله ثم انتقلت اليه الي الحث علي أداء حقوق العباد باحترام مبادئ الانسانيه والعدل ووحدته المجتمع واحترام حصانه المقرره للمكان والزمان التي يجب فيها احترام حقوق الإنسان والحيوان فكل مخلوق لابد أن يامن علي نفسه في منطقته الامان وكذلك في الأزمان التي لها حصانه كالا شهر الحرام التي يحرم فيها القتال ومكه باعتبارها منطقته امانة

النداء الثالث

(يايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه فاغسلوا...الخ

احكام الوضوء بعد ذكر الطيبات من الاطعمه والمناكح وهي أمور متعلقه باحتياجات البدن فناسب ذكر ماهو متعلق بالارواح أن يحظي ب الطهاره وايضا فيها اهميه أن يكون هنالك ترتيب في أحوال الإنسان وتقرر بضروره الوفاء بالعهود والمواثيق فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي وثقكم به ..الخ

النداء الرابع

تحت علي احترام حقوق الإنسان في اقامه العدل في حياته بغض عن دياناته فحكم المسلم يقوم علي العدل فقال تعالي (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسطالي قوله ولايجرمكم شأن قوم علي الاعتدلو اعدلو ..الخ

النداء الخامس

يذكرهم بنعمه الله للاشاره الي واجب هذا العهد بالشكر وتعظيم المنعم (يايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا ..الخ

النداء السادس

بيان وسيله تعين علي الوفاء بالعهود فقال تعالي (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله)

النداء السابع

(يايها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصاري أولياء)

النداء الثامن

(يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه)

النداء التاسع

النهي عن مولاة الذين يستهزون بالدين (يايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا)

النداء العاشر

النهي عن تحريم ما أحل الله (يايها الذين آمنوا لاتحرموا ..الخ

النداء الحادي عشر

النهي عن الخمر (يايها الذين آمنوا انما الخمر ..الخ

فهي أيضا من العهود

النداء الثاني عشر

احكام الصيد (يايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد)

النداء الثالث عشر

من رحمه الله بنا أن جعل لنا ضوابط في الاسئله فلانسال عما لايعيننا (يايها الذين آمنوا لاتسالوا عن أشياء)

النداء الرابع عشر

يضع الحق لنا ضبط أن علينا الاهتمام بأنفسنا ولا يضرنا من حولنا فعلينا أن نحفظ العهود مهما كانت (يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم

النداء الخامس عشر

حكم الوصيه والشهادة (يايها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت شاهده بينكم)

فالسوره ابتدأت بالحث علي الوفاء بالعقود (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

وفي وسطها (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ...الخ

ونهايتها (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ...الخ

واخرها مرتبط باولها بأن الذين يصدقون هم الذين يوفون بالعهود وهم الموفون

ولهذا فإن هذه السوره تحفظ المقاصد الخمسه (الدين_والمال_والعرض_والنفس_والعقل)

تضع الضوابط الشرعية لها بما يحفظها حيث نجد

حفظ الدين قال تعالي (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه...الخ

وحفظ العقل (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر)

حفظ المال قال تعالي (السارق والسارقه فاقتعوا أيديهما)

حفظ النفس قال تعالي (من أجل ذلك كتبنا علي بني اسرائيل...من قتل نفس بغير نفس..الخ

وحفظ العرض (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

ثانيا

التحذير من الغلو في الدين الذي وقع فيه اليهود والنصاري حيث أن السوره تضمنت ذكر العقود التي وهي العهود لأن من صفات اهل الكتاب نقض العهود ولهذا ابتدأت النصوص بالتحذير من ذلك السلوك فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود)

وهذا فيه تحذير من سلوك اليهود الذين أخبرنا الله أنهم ينقضون بالعهود فقال في البقره (اوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل...الخ

ثم بين نقضهم وبين اللعنه فقال تعالي (فيما نقضهم ميثاقهم) وقال ايضا هنا (ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم) فذكر لنا هنا قصه بني إسرائيل كنموذج الذين ينقضون العهود ففصل التفريط والافراط منهم يعود إلي التهاون بالعهود والمواثيق وعدم احترام العهود نتيجة ثقافه فكريه فاسده فذكر قولهم المبين عن ذلك وادعاءتهم الباطله بأنهم أبناء الله واحبائه ثم ذكر قصه بني إسرائيل مع موسي عندما أمرهم أن يدخلوا الارض المقدسه نتيجة الجبن وعطف علي ذلك قصه ابني ادم بالاشاره الي اول جريمه قتل في الأرض نتيجة الحسد فكان نقض العهد فكان متناسبا النهي عن مخالفه حكم الله فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون)

ثم ذكر الحق قوله (ياايها الذين امنوا لاتحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولاتعبدوا أن الله لا يحب المعتدين)

وقد ذكر أن أسباب نزولها ما كان من عثمان بن مظعون والذين معه حيث قال أحدهم أما أنا فاصوم ولا افطر وقال الثاني أما أنا فاقوم و لا اناام وقال الثالث أما أنا فلا اتزوج النساء وقال الرابع أما أنا فلا اكل اللحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني اصوم وافطر واتزوج النساء واكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيشبهه والله اعلم أن يكون قوله (لاتحرموا طبيبات ما أحل الله لكم)

فيمن حرم الحلال علي نفسه بقول أو عزم علي تركه مثل الذي قال لا اتزوج النساء ولا اكل اللحم وهي الرهبانيه المتبعه فإن الراهب لا ينكح ولايذبح

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله وقوله (ولاتتعبدوا) فيمن قال اقوم ولا اناام وقال اصوم ولا افطر لأن الاعتداء مجاوزه الحد فهذا مجاوز للحد في العباده المشروعه كالعدوان في الدعاء في قوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه أنه لا يحب المعتدين) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور فالاعتداء في العبادات وفي الورع كالذين تخرجوا من أشياء ترخص فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفي الزهد كالذين حرّموا الطبيبات وهذان القسمان ترك فقوله (ولاتتعبدوا) أما أن يكون مختصا بجانب الأفعال العباديه واما ان يكون العدوان يشمل العدوان في العباده والتحريم وهذان النوعان هما اللذان ذم الله المشركين بهما في غير موضع حيث عبدوا عباده لم يأذن الله بها وحرّموا ما لم يأذن الله به فقوله (ولاتحرموا) (ولاتتعبدوا) يتناول القسمين

والعدوان هنا كالعدوان في قوله (ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان)

أما يكون أعم من الإثم وأما أن يكون نوعا آخر وأما أن يكون العدوان في مجاوزاه حدود المامورات واجبها ومستحبها ومجازواه حد المباح وأما أن يكون في ذلك مجاوزاه حد التحريم أيضا

فناسب هذا البيان بعد تناول سوره النساء في المقطع الاخير النهي عن الغلو في الدين ولهذا نجد اتساع نطاق المجادله فيها مع النصاري

واختصار مع اليهود ولهذا سميت السوره المنقذه ولهذا بالوقوف علي ماورد في المقطع من مفاهيم اضافه الي ماسبق نجد الاتي
(يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمه الانعام الا مايتلي عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم أن الله يحكم مايريد)

أشتملت الايه علي مسائل الاول النداء للمومنين والثاني الأمر بالوفاء بالعقود والثالث تحليل بهيمه الانعام والرابع استثناء مايتلي بعد ذلك والخامس تحريم الصيد حال الإحرام أو في الحرام بأسلوب استثناء بعد استثناء والسادس أخير الله عن قدرته وحكمته والملاحظ في هذه الايه انها فيها

الأمر الأول

الأمر بالوفاء بالعقود والعقود جاءت بال التعريف جنس العقود للاستغراق يشمل مطلق العقود والتي اصلها عقد الايمان الذي ينبغي الوفاء به والتي قطعوها مع ربهم أن لايشركوا به شيئاً ومنها ايضاً عقد البيعه مع الرسول صلى الله عليه وسلم علي السمع والطاعة ومنها العقود المبرمة مع المشركين في الحديبيه مثل قوله (فسيحوا في الأرض اربعة اشهر) وقوله هنا (ولا امين البيت الحرام)

ويدخل في ذلك قواعد الحرب والسلام واحترام الحصانه المقرره للمكان والزمان أثناء الحرب ومعامله الأسري والعلاقات الانسانيه بين الناس في المجتمع المسلم ومع الآخرين من الذين لايعتقدون الاسلام والقوانين في المعاملات الدوليه والقواعد الماليه العامه والخاصه وحقوق الإنسان وكافه المعاملات علي جميع المستويات

فلماذا جاء الحث عليها وذكر هذه التفاصيل وتحديدًا بعد صلح الحديبية وفتح مكه ؟

المساله الاولى

أن هذا له ارتباط بوصول التشريع الي مرحله اكتماله ومع مرحله التي انتقل فيها المسلمون من مرحله التحرير الي مرحله التطور فقد مثل فتح مكه أمرين الأول اكتمال مرحله التشريع وكمال الدوله بتحرير مكه وجزيره العرب

من الشرك حيث صارت مكه خاضعه للإسلام وفي ذلك اشاره الي تحقيق الشق الأول لمهمه رساله الاسلام كما قال تعالي (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته) والاميون هم العرب قاطبه فهم شعبا لم يحظي باي نصيب من الشرائع بعد أن تم فصل اسماعيل عليه السلام عن بني إسرائيل والذي فصلهم ابراهيم نفسه فكان ظهور هذا النور الاخير في بلاد العرب الاكثر بلدان العالم تخلفا فهي تجهل تعاليم الأديان وتجهل الانظمه والقانون فلم يكن فيها دوله وانما كانت تخضع لحكم القبيله ولهذا فإن سر اختيارهم واختيار مكه نقطه الانطلاق في هذه الفتره الزمنيه تحديدا هو لأجل أن تنال دورها بعد الجميع فالأمور تعرف بخواتمها فقد كانت نبوتها عامه لتشمل العالم أجمع فقد كان مهمه القران تربيته العربي المتوحش وتعليمه الاداب الانسانيه ليكون قادرا علي حمل هذا المشروع للعالم أجمع فخص ابتداء قريشا والعرب ثم يعم سائر البشر فقال تعالي (وأخريين منهم لما يلحقوا بهم) تكمله الايه (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته وأخريين منهم لما يلحقوا بهم)

وهذا يتناول ضروره حمل رساله الاسلام للعالم أجمع ليكون الانتساب للدين الإسلامي الذي يجمع بين الناس فقد ورد في الصحيح انه لما نزلت الايه سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان معلقا في الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس ولهذا الخصوص بأن الرسول صلى الله عليه وسلم من الأميين يوجب قيام الحجه علي العرب لأن الرسول جاء بلسان عربي مبين ولا يوجب الفضل الا بالإيمان والتقوي لقوله تعالي (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

فنظره الاسلام تقوم علي احترام كرامه الانسان والمساواة بين أفراد المجتمع المسلم في الحقوق والواجبات وكذلك تقوم فلسفه الاسلام ونظيرته للإنسان علي اساس التكريم بغض النظر عن ديانتته فلا يجوز احتقاره أو هضم حقوقه أو الانتقاص من كرامته وحرية

ولهذا فقد مثل فتح مكه اتساع دور المسلمين للانطلاق في حمل المشروع الإسلامي ومافيه من قيم وعرضها علي العالم أصبح مهمه المسلمين السعي لتأسيس نظام عالمي جديد يقوم علي احترام حقوق الإنسان وكرامته وصيانته حرية ومعتقده وضبط العلاقه بين الحاكم والمحكوم علي اساس عقد الشوري في اختيار الحاكم والعدل والمساواة وسياده القانون ومنع الظلم للإنسان أو انتهاك حقوقه و السعي الي تحقيق الاستقرار علي الارض بازاله كل المشاريع التي تهدم وتفسد فيها وضبط المعاملات والعلاقات بميزان وضابط ثابت هو ميزان العدل وازاله كل أشكال الفوراق والامتيازات التي تشكل اركان الوثنيه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه فهي نوع من أنواع الشرك وصنم لايقبل شأنا من الأصنام التي عبدتها قريش ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول بعد فتح مكه بشأن ازاله الشرك ورمزه من الجزيره العربيه بأن الغرض من ذلك (حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله) بينما تحدث بشأن القتال لرفع الظلم عن الناس وضمن حريه ممارسه المعتقد في إطار تناول اماكن الحصانه (حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله) بدون كل لأن المراد بهذا يختلف عن ذلك

المهم هنا أن الأمر بالوفاء بالعقود ورد بالتزامن مع إعلان انطلاق قياده المسلمون للعالم كله بحضارته الانسانيه لتغيير شكل العالم وانظمتها من خلال اقامه نظام منضبط في كافة المجالات الاقتصاد والسياسة والحرب والسلم ومبادئ الشوري والحريه والعداله و المساواة واحترام المعاهدات

المساله الثانيه

ولهذا فإن تكرر النداء يياها الذين آمنوا ١٦مره في هذه السوره وتفرد هذه السوره بالاحكام التي لم ترد في غيرها لانتقال المسلمين من مرحله التحرير الي مرحله التطور فكان التكرار متناسبا مع الحاجه للاهتمام بالطلعيه (المومنون) لتلبيه احتياجات المرحله المقبله بناءا علي الظروف الجديده التي حدثت في كيان الحضاره الاسلاميه وأهدافها المستقبلية ليكون قادرا علي التعامل مع مرحله التحول في دوله وحضاره الاسلام بعد الحديبيه وبعد فتح مكه كان القضاء علي بؤر الشرك في جزيره العرب فبدأت مرحله تشكيل اتساع دور المسلمين في نقل حضاره الاسلام للعالم كله فيها الخير للعالم في مضمونها وشكلها لإخراج البشريه من الظلمات بما تقدمه من قيم للا نسانيه فيها الرقي والتقدم في مسيرتها والمقصود منها اعاده خلق الانسان والأنظمة البشريه في الأرض علي الصوره التي يريدنا الله تعالى ويرضاها

فالمقصود التحول الجذري في العالم أفرادا وجماعات ودول في حياتهم وفي مضمون الحكم وفي أسلوبه وصولا الى استقرار أوضاع العالم من خلال ضمان حريه المعتقد وحريه اختيار الحاكم والعداله الاجتماعيه والمساواة بما يضمن صيانه عقل الإنسان ونفسه وماله وعرضه ودينه من خلال ازاله كافة اشكال الظلم والديكتاتوريه والهجميه والفراعنه السياسيه التي كانت سائدة قبل الاسلام في تلك العصور الظلاميه

ولهذا كان الحث للمومنين بالوفاء بالعقود في هذا الوقت تحديدا مرتبط بهذا التحول في دور المومنين فالمسؤوليه الكبيره عن نقل حضاره الاسلام الانسانيه للعالم تتحملها الطليعه باعتباره قاعده الحكم في المستقبل القريب والنموذج الذي يقدمه الاسلام للتعبير عن حضارته الانسانيه للبشريه كلها حتي يكون القبول لهذه الحضاره وإدراك مافيه من خير في مضمونها وشكلها وتطبيقها فكان توجيه الخطاب للمومنين

المساله الثالثه

ولأن مرحله تحول قيادات التحرير الي قياده تطور يجعل

من السهل أن يظهر بينهم منظرون في السياسة والاقتصاد يفرضون امزجتهم علي المجتمعات تحت ذرائع حمايه اهداف الثوره وايضا فإن غياب الضوابط ينتج عنها غوص هذه القيادات في دوامه المفاجآت السياسيه والاقتصاديه في التعامل مع الدول الأخرى أو حتي في ادراه الدوله نفسها باعتبار أن ذلك يقوم علي شروط اختيار الحاكم فهي من ضمن العقود ولهذا ربط الاسلام مساله تنفيذ أي هدف ان يكون مسبوqa بدراسه تكلفه تنفيذه من حيث الكلفه الماديه والقيميه معا فلا يجوز التفريط بالوفاء بالعهد وعدم الغدر لأن هذا فيه التزام قيمي يعود بالنفع علي المكاسب المادية لوجود ارتباط بين المصالح جميعها حسب الرؤيه التكاملية في الإسلام

ولهذا نجد الأمر جاء بصيغه (اوفوا بالعقود)

والوفاء ضابط قيمي متعلق بعدم جواز الغدر فالعقود التي بين المسلم وربّه أو بين المسلمين بعضهم البعض أو مع المسلمين وغيرهم ممن ليس علي الاسلام يجب الايفاء به غير منقوص ولما كان تحقق ترك النقص لا يحصل الا بالزياده ثم علي قدر الواجب صار الايفاء مراد منه عرف العدل الذي يلزم ايفاء المتعاقد ضروريا لحق عليه فالعقود شرعت لسد حاجه الناس فهي من القسم المتناسب الحاجي أيضا فيكون إتمامها حاجيا ولان مكمل كل قسم من اقسام المناسبات الثلاثه يلحق بمكمله أن ضروريا أو حاجيا أو تحسينا فالخلل الذي يصيب الضروري يصيب الحاجي والتحسيني قطعاً ولهذا فإن المحافظه علي الوفاء بالعقود من الأمور الضرورية التي اذا اختلت كان اختلالها وان من حافظ علي الضروري سوف يحافظ علي الحاجي والتحسيني فالتحسيني يخدم الحاجي وكلاهما يخدم الضروري وزوال أحدهما ينذر بازامه وكراته تهدد الضروري ولهذا كان ربط العقود بعقد الايمان الذي تنبثق منه سائر العقود فإذا التزم المسلم بعقد الايمان كان عليه الوفاء بالعقود الحاجيه في تعامله مع الناس لأن ذلك يقتضيه عقد الايمان ويلزم الوفاء بما يحقق العدل ومن هذه العقود العقود الدبلوماسيه مع الدول الأخرى والمصالحات فيما بين المسلمين أو مع الأعداء مثل صلح الحديبيه التي نزلت بعض الآيات فيها اوبعدها وفي الحروب والسلم وفيما بين المسلمين من البيع والشراء والوكاله والشركات وغيرها

ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من الغدر فقد ورد عن مالك بن عوف في صحيح البخاري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبه من آدم فقال اعدد ستا بين يدي الساعه موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ منكم كعقاص الغنم ثم استفاضه مال حتي يعطي الرجل مائه دينار فيظل ساخطا ثم فتنه لاتبقي بيت من العرب الا دخلته ثم هدنه بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فياتونكم تحت ثمانين غايه تحت كل غايه اثنا عشر ألف)

فالعذر من اشرط الساعه وهو عند كل امه مذموم قبيح وليس من صفات الرسل العذر لحديث ابو سفيان عندما استدعاه هرقل وسأله عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله (من قتل معاهدا لم يرح رائحه الجنه وان ريحها توجد من مسيره أربعين عام)

وذمه المسلمين واحده كما ورد في الأحاديث بهذا الخصوص

الأمر الثاني

لما ذكر الله الأمر بالوفاء علي ما أوجب علي المومنين من تكاليف شرع في ذكر التكاليف مفصله فقال تعالى

(احلت لكم بهيمه الانعام)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

المساله الاولى

ابتداء بذكر التحليل قبل التحريم...وهذا فيه امتنان من الله عليك فالمراد منك أن تشعر بهذه النعمه والرحمه من الله فلفظ (لكم) اي لأجلكم ابنا الانعام رحمه بكم فالشعور بهذه النعمه تولد طاقه ونشاط لتحمل التكاليف بنفوس مطمئنة

فالمعني اننا أن حرمنا عليكم اشياء فقد ابحنا لكم اكبر منها وان الزمناكم باشياء فقد جعلناكم في سعه من اشياء أكثر منها

المساله الثانيه

أن الحق يقول لكم إن هذه الاباحه التي هي أصل والتحريم استثناء لتعلموا ان الله ما يريد منكم بالتحريم لبعض الاشياء الا ما فيه صلاحكم واستقامتكم بجمله مستأنفه أحلت لكم استئناف يبين بعد تناول العقود والانعام ليس عقد يجب الوفاء بها إلا باعتبار ما بعده (الا ما يتلي عليكم) أو باعتبار ابطال ما حرم أهل الجاهليه بما ذكر (ما جعل الله من بحيره ولا سائبه...الخ

وهي جمله تمهيدا لما سيرد بعدها من المنهيات (غير محلي الصيد) وقوله (وتعاونوا علي البر والتقوى)

فأراد بهذا الاشاره الي ان مساله التحليل والتحريم أنه خاص بالله تعالى في كل أمر ومن ذلك الاطعمه والذبائح

المساله الثالثه

لفظ بهيمه الانعام لم تذكر ولم تحدد هنا ماهي ؟

وقد ورد بشأنه عده اراء فذهب البعض للقول إن اللفظ لعموم الانعام فيدخل في ذلك ماورد في سوره الانعام الثمانيه الأزواج البقر والابل والغنم والضأن

و قالوا إن المراد بهذا الانعام والاجنه التي توجد في بطون امهاتها والبقر الوحشي والضباء والحمير الوحشيه لان العرب لاتمتنع عن تسميه جميع ذلك بهيمه وبهائم وأنها لم تخصص وان النعم هي التي تكون مخصصه فتطلق علي الإبل والبقر والضأن والغنم...واستدلوا علي عموم ذلك بقوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها تأكلون)

أما الذين قالوا انها خاصه بالضأن والابل والغنم والبقر فقط فقالوا إنه ليس في الاجنه ما يستثني لأن ذكاه الذبيحه ذكاه لجنينها اذا نبت شعره....وايضا أن الخطاب للمومنين هنا علي وجهه وكماله للتقرب منه فنزلت الايه لابطال الآراء الفاسده والعادات الباطله التي كانت سائدة لدي المشركين من البحيره والسائبه والوصيله والحام

وان الوحشي والضباء تدخل ضمن الصيد الوارد حكمها بعد ذلك

الأمر الثالث

يأتي الاستثناء (الا ما يتلي عليكم)

جاء الاستثناء بعد تناول حاجات ضروريه في حياتهم متعلقه بمساله التحليل والتحريم لما يؤكل من اللحوم فابتداء بالاباحه ثم جاء الاستثناء يشي بأن هنالك أنواعا محرمة عليهم في إطار تربيته المومنين والارتقاء بهم من الهمجيه والتوحش الي التمدن والإنسانية والا

انضباط ولم يذكرها هنا لأن الجملة تمهيد لما بعدها وايضا لبيان اسلوب تهيئه الظروف لنمو الحضاره لأجل تحقيق عناصرها ومافيه من قيم ومبادئ فتاخر ذكر البيان هنا وهو الذي سوف يرد بعد ذلك بقوله (حرمت عليكم الميتة والدم.... الخ

هو أن وقت الحاجة لم يحن بعد فيه ارشادهم الي اهميه ترتيب الأولويات فأراد بهذا أن يبين أن مساله التحريم والتحليل افعال أو لاتفعل خاضعه لضوابط يحددها الحق سبحانه وتعالى في كتابه القران الكريم وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم سواء كان التحريم مطلق في كل زمان ومكان أو حرمة وقتيه اومكانيه

الأمر الرابع

(غير محلي الصيد وانتم حرم)

أنه من خلال التمعن والنظر في هذا الاستثناء الذي ورد بعد استثناء (الا مايتلي عليكم) يجد بديع في نظم الكلام في القران وايجازه في بيان احكام الاباحه والتحرير متعلقه بالتحرير المؤقت والمتعلق بحال الإحرام وبحال كونكم محرمين بشأن تحريم الصيد في الحج و العمره وفي مکه يتضح من خلال الآتي

المساله الاولى

أن الواقع حالا من ضمير الخطاب في قوله أحلت لكم بهيمه الانعام)وهو حال يفيد معني الاستثناء في عموم أحواله وامكنه لأن الحرم جمع حرام مثل رداح علي رداح

والمحرم وصف لمن أحرم بحج أو عمره وهو وصف أيضا لمن كان حالا في الحرم

والحرم المكان المحدد المحيط بمكة من جهاتها علي حدود معروفه وهو الذي لا يصاد صيده ولا يحل صيده والذي حدده هو ابراهيم عليه السلام ووضع له المعالم ونصب حدوده فاحترمه العرب وكان قد حدث تغيير لهذه المعالم من قبل قريش ثم أقام الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المعالم فبعث تميم بن أسد الخزاعي فحددها ثم احياءها عمر في فتره خلافته وأوضحاها فحدد حدود الحرم الاربعه محرم فيها الصيد حيث كلف سعيد بن بربوع وازهر بن عوف وآخرون فوضعوا علامات لحدود الحرم حسب ما حددها الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون احترام حرمتها من تلك المسافات وتبدي من الكعبه

فجعلوا مسافه اربعه أميال من الكعبه الي منطقه التنجيم وتمتد من طريق الراهب ومن جهه العراق ثمانيه أميال تنتهي الي موضع يقال له المقطع ويذهب من طريق الطائف تسعه أميال تنتهي الي الجعرانه ومن جهه اليمن بنحو سته أميال تنتهي الي اضاءه ومن طرق جده عشره أميال تنتهي الي اخر الحديدية والحديبيه داخله في الحرم

المساله الثانيه

فهذا الحرم يحرم صيده كما يحرم الصيد علي المحرم بحج أو عمره

ولهذا فإن التحريم ينبطق ابتداء علي عمليه الصيد ذاتها

فقوله (وانتم حرم)

الواو للحال والصيد اسم ما يصطاد سواء تحريم الصيد أو كل مايحل من الصيد في حاله الإحرام أو كنت في منطقه الحرم الذي يحرم فيه الصيد

وهذا فيه بيان تربيته المومنين وقياس مدي تحقيق كل عناصر الحضاره الانسانيه التي حملها الاسلام الانسانيه بما فيها قيم ومبادئ فيها الارتقاء بالإنسان لانه لاتقاس هذه الحضاره الا بمدي توفر الظروف التمهيدية التي تهيؤها الثوره لنمو الحضاره ومبادئها والتي منها احترام الاماكن والازمنه التي تحظي بحصانه الامان حتي في الحروب واحترام حقوق الإنسان وسياده القانون وبمدي الوسائل والإجراءات التي تصوغها لتعويد الجماهير علي احترام هذه القيم ولهذا نجد أن النصوص تبين اهميه التزام هذا الحكم في مکه ومناطق الحرم لأنها منطقه امان واحترام الفتره الزمنية المتعلقة بالحج لأنها فتره تركيه النفس بالترفع عن مألوف الحياه وتتطلع الي آفاق الروحانيات ولهذا كان إسناد الحكم الي حاله الإحرام تربيته المومنين وتقرير للحاجه ببيان علتها القريبه فإن تحريم الصيد عليهم إنما توجبه حاجتهم الي إحلال ما يعينهم علي الانضباط واعتقاد حرمنه عملا واعتقاد وفيه أيضا اظهار نعمه الله عليهم لأن حرمة الصيد في حاله الإحرام ليشتعروا حينئذ بنعمه الله ولهذا جاء الاستثناء في الاول باداه الاستثناء الا مايتلي عليكم...بينما في الثاني بغير الداله علي مغايره الحاليه المأذون فيها والمعني الا الصيد في حالكم محرمين أو في حاله الإحرام وتعرض لحكم الصيد للمحرم بمناسبه كونه

مستثني من بهيمه الانعام في حال حاجي

فذكر هنا لانه تحريم عارض غير ذاتي ولولا ذلك لكان ذكره من الممنوعات المتعلقة بحكم الإحرام والحرام الواردة في قوله تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) فيكون المعني غير محلي اصابه الصيد ويشمل ذلك البهائم الوحشيه وهذا من نسيج بديع نظم الكلام استفيد منه اباحه وتحريم فالاباحه في حاله عدم الإحرام والتحريم يتم في حاله الإحرام والله اعلم

الأمر الخامس

(أن الله يحكم ما يريد)

ان سلطه التحليل والتحريم حق خالص لله تعالي فهو تعالي يقضي في خلقه مايشاء من تحليل او تحريم فعلي المومنون امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا اعتراض عليه ولا معقب لحكمه بموجب التكليف والحكم أردته

والايه فيها الآتي

المساله الاولي

تقويه لهذه الاحكام الشرعيه وربطها باساسها الاعتقادي التوحيد لاهميه هذا الربط في نمو الحضاره الاسلاميه واستمرارها لأن قياس امكانيه تحقيق عناصر الحضاره الاسلاميه هو مدي القوانين واللوائح والقرارات التي تستحدثها لحمايه هذه الحضاره من الموجات الطارئه التي تسعي إلي استبدالها بعلاقات ماديه مجردة تتسع للغدر والقسوه والخداع والصدقات المرحليه ولهذا فإن السامع عندما يسمع هذا التعقيب الذي يتوجه الي قلب المومن يقول له انك عاهدت الله وبالتالي فعليك الوفاء بالعهد فلا تنقض الميثاق ولا تنكته وهذا مايولد قوه في النفس تدفع الي سلوك الوفاء وامتثال أمر الله مايجعل إمكانيه تحقيق عناصر الحضاره ونموها ثقه بمن يتولي الحكم قادر علي قياده مرحله التطور لانه يحترم هذه القوانين فهي تستمد قوتها من عقيدته المومن وهذا يزوده بالطاقه والنشاط فيكون له أثر كبير في نمو الحضاره واستمرارها فهذه الميزات التنظيمية التي تهدف إلي إقرار العدل واشاعه الخير فيه ضمان النجاح لهذه الحضاره وتميزه عن غيره بعرض النظام الإسلامي مرتبطا باساسها العقائدي الذي يثبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها فهذا الأساس المميز هو الذي أخرج امه وصاغ حضاره قادت العالم في عصور الظلام

المساله الثانيه

أن هذا العرض لقيم الاسلام وإقامته في أذهان الطليعه المومنون يربط الجزئيات بالكليات في ميادين الحياه وربطها باساسها الاعتقادي دون فصلها عن بعضها فإن هذا يمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه ويصوغ روحها وقيمها وموزانها ولهذا نجد أن جمله (أن الله يحكم ما يريد) تعلييل لقوله تعالي (أوفوا بالعقود)

فربطها باساسها الاعتقادي التوحيد فيه سد الثغرات التي تهدد الحضاره كما هو حال المذاهب العصريه والحضارات الماديه التي ادت الي عدم الايفاء بشعارات الانسانيه وحقوق الإنسان والحريه فهم عند الامتحان يفشلون فنحن نشاهد انهيار وسقوط هذه الشعارات أمام المذابح في غزوه فشهدنا السقوط الأخلاقي لأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا... الخ

وهم يتجاهلون قتل أكثر من ستين الف فلسطيني أغلبهم من الأطفال والنساء ولهذا فإن الإسلام يربط كل قيم الإسلام ب الله وهو مايضمن نمو الحضاره الاسلاميه واستمرارها

وذلك هو الروح الذي يعطي الحياه لقيم الاسلام ونموها وهذا دليل تحقيق كل عناصر الحضاره الاسلاميه لأن ولاده اي حضاره لا يحدث لها النمو والاستمرار والتطور الا مع تهيئه الظروف الصحيه المناسبه لها ولهذا فإن معني الايه لا يصرفكم علي الايفاء بالعقود التي امركم الله بها مشقه هذه التكاليف فعليكم إن تتذكروا انكم عاهدتم الله علي السمع والطاعة وعلي عدم العصيان ولهذا فإن اللازم عليكم امتثال أمر الله فيما تحبون ومالا تحبون فالوفاء بالعهد يقتضي منكم الصبر علي مشقه التكاليف فاصبر علي بذله والوفاء به وان عليك أن تقبل علي التنفيذ برغبه واراده وحب فالله يحكم مايريد لاما تريدون والله اعلم بما يصلح لعباده وهو يقرر من الأحكام ما فيه مصلحتكم وليس هنالك مجال لأعمال العقل طالما أن الحكم هو حكم الله فليس لأحد الاعتراض على حكم الله وهو يعلم بما فيه منافعكم وبالتالي لا يجوز طلب معرفه الحكمه لما يحرم الله فالله لايسال عما يفعل

القسم الثاني

(يايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرم ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتهم فاصطادوا ولا يجرمنكم شئنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم و

العدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذه والمترديه و النطيحه وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الاخره من الخاسرين)

المبحث الاول

ابتدأت الآيات بقوله تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله.... الخ

أن أول ما يتبادر الي الذهن عندما يسمع السامع النداء أن المراد بهذا هو شعائر الحج والعمرة التي تبدأ من الإحرام الي النحر الذي ساقه للبيت الحرام فقال ابن عباس أن المراد بهذا هو مناسك الحج والعمرة وقال مجاهد أن في هذا شعائر الصفاء والمرواه والهدي والبدن لأن الله أخبرنا أنها من شعائر الله

وذكر البعض أن المراد بهذا النهي عن استحلال حدود الله التي نهى تجاوزها من أوامره ونواهي

وهذا الخلاف شكلي لأن النصوص تدل علي كلا الآراء لأنها فيها التوجيهات من الله للمومنين بتعظيم أمر الله ونهيه وما انزل في كتابه ويدخل في ذلك مناسك الحج للاتي

الأمر الأول

أن النداء موجه للمومنين في اطار تناول بناء الحضاره الاسلاميه والحرص علي نموها وتطورها واستمرارها ولما كانت قضيه تهيئه الظروف الصحيه المناسبه لنمو الحضاره واستمرارها أمر في غاية الأهمية لعملية الصعود في سلم التطور والرقى الذي يجعلها اهلا لقياده العالم ولهذا حرص الإسلام من بداية نزول الوحي علي تحقيق السمو الروحي لهذه الحضاره من خلال تزويد الطليعه بقوه دافعه تجعله قادرا على تحويل المعتقدات الي واقع فعلي بازاله الفجوه التي تباعد بين مساله غرس المبدأ وبين تحويله الي واقع فعلي يترجم هذا الإيمان بإدخال هذا المبدأ في مختلف العلاقات السائده في العالم وهذا يحتاج الي ازاله العوائق التي تشكل حواجز تعيق هذا الهدف أمام الطليعه خاصه أن من اخطرها ما يكون ناشئا عن عوامل داخلية ناتج عن بواعث نفسيه او سوء فهم لحقيقه المقاصد من هذه القيم وانعدام وسائل تحقيق عناصره ووجود قوه تسعى لتطويع المبدأ لمصالحها وأفكارها وتقدم فلسفه تنحرف به عن أهدافه خاصه في المجتمعات التي يسودها التخلف والعادات والتقاليد الموروثة التي تتعارض مع هذا التطور وهو ما يضاعف أعباء النخبه فلا بد لنمو الفكره من ارضيه تمتع بخصوصيه تسمح لها بالنمو والتشكل وفقا لما يريد الله ولهذا وردت الايه بعد أن بينت الايه قبلها أن الله يحكم ما يريد لاما تريدون ايه المومنون فقال تعالي (أن الله يحكم ما يريد)

وهذا فيه

المفهوم الاول

أن الحق بهذا يريد منك أن تحول هذا المبدأ الي ثقافه يعاد بها تشكيل المجتمع المسلم وخلقها وفقا للصوره التي يريدها الله تعالي لا حسبما يريد الناس فاصل الخير والشر من قبل التفكير لأن الفكر كما يقول ابن القيم رحمه الله هو مبدأ الاراده والطلب والزهد والترك و الحب والبغض ولهذا فإن معرفه الله وانعامه وأمره ونهيه هو الأساس الذي ينطلق منه المومن فهذه المعرفه تجعلك تقتنع بما يريده الله فهو سبحانه وتعالى يعلم ما ينفعنا وما يضرنا فإن هذا الفكر يعيظك قوه المحبه لأمر الله والمعرفه التي تدفعك الي التخلص من الأفكار الرديئه التي تمثل خطرا يقلل من امكانيه تحقيق عناصر الحضاره ونموها واستمرارها ولهذا نجد أن الخطاب للمومنين فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله)

اي لاتجعلوا شعائر الله حالالا لكم تصرفون فيها كما تشاؤون بل اعملوا وفقا من بينه الله لكم وفق اراده الله ولاتتهاونوا بحرمتها فانتم تومنون بالله واليوم الآخر وكتابه وجنته وناره وبالتالي فإن هذا الإيمان يوجب منكم النظر إلي ما عند الله فالوقت ينفذ منكم فعليكم اغتنام الأوقات ولهذا جاء النص فيه الاشاره الي تعظيم ما عظمه الله تعالي من الأوامر والنواهي فالله يحكم وفق ما يريد سبحانه وتعالى لا ماتريدون انتم

المفهوم الثاني

يقول الحق عليكم تعظيم ما عظمه الله تعالى من الزمان والمكان فالله قد فضل الأشهر الحرم علي سائر الأشهر وفضل المكان مثل مكة علي سائر الامكنه وفضل بعض الأيام كما فضل الرسل بعضهم علي بعض لتتسارع القلوب الي احترامها وترغب الخلق الي فصائلها وفضل بعض الامكنه لتعظيم الاجر بالاقامه فيها فأراد بهذا ازاله كلا من قيود القصور الذاتي وقيود السياق التاريخي المكون للعادات والتقاليد الموروثة السلبيه لأنهم تمنعان نمو الحضاره واستمرارها اذا حصل غياب الرؤيه التكميليه وغياب النماذج العمليه في مرحله التأسيس عندها يسلبها فعاليتها وتذبل البذره لأنها تستمد القيم من ذكرتها السابقه ولهذا قال تعالى في سوره البقره (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله)

فهذه هي الثقافه المراد غرسها في الضمائر والعقول فعليك عند الطواف والسعي بين الصفا والمروة أن تستحضر انك تقوم بذلك طاعه لله هذا هو الخلق الجديد المكون لفعلك لا ما كان سائدا في الجاهليه فأنت تستحضر النموذج التاريخي المتعلق بهذا الأمر وهو أن هاجر حملت المشروع الرباني الذي كلفت به فقبلت بأمر الله واختياره عندما تركها ابراهيم وابنه الرضيع في هذا المكان الذي لاماء فيه ولا طعام وعندما تركها ابراهيم عليه السلام قالت له لمن تتركنا في هذا المكان فلم يرد عليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت لن يتركنا الله فطالما الله اراد هذا فالله يحكم ما يريد وبعدها كانت تبحث عن الماء كما اوضحنا في تفسير الايه في سوره البقره فعندما تطواف وتسعي بين الصفاء والمرواه أن تعظم أمر الله فلا تتحرج ولا تنهاون فيه فالعبره بما تسكبه هذه المشاعر في النفوس عليك وان تنحر أن تستحضر موقف ابراهيم عليه السلام واسماعيل حينما أخذه ليذبحه تنفيذيا لأمر الله فلم يعترض ايان منهما فالله يحكم ما يريد وبعد اخرج ابراهيم من قلبه كل حب ولم يبق الا حب الله ففاده الله بكبش وهو من الشعائر التي أمرنا أن نقوم بها والعبره بما تسكبه في الضمائر الحية

الأمر الثاني

أن ما يشد الإنتباه هو أن الأمر جاء بقوله تعالى (لاتحلوا شعائر الله)

ولفظ شعائر نكره وهي تشمل المناسك في الحج والعمره وأمر الله ونهيه فالله يقول لنا لاتتعدوا حدود الله في أي أمر من الأمور ويدخل في ذلك مناسك الحج والعمره التي هي تجسيد لمعاني الشعائر التي هي جمع شعيره علي وزن فعليه والشعيره البدنه تهدي واشعارها أن تجر سنامها حتي يسيل الدم فتقدم هدي والاشعار الإعلام عن طريق الاحساس يقال شعر هديه اي جعل له علامه ليعرف أنه هدي ومنه المشاعر والمعالم ومفردها مشعر وهي المواضع التي قد استقرت بالعلامات

وهذا يطلق علي كل أمر ونهي فله حد لا يتجاوزه المومن

والشعائر جمع شعيره وهي علي وزن فعليه من قول القائل قد شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به فالشعائر المعالم فالله يقول لاتستحلوا معالم الله فيدخل في ذلك مناسك الحج والعمره مما أمر به المحرم ومأني عنه وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه لأن كل ذلك من معالم دينه وشعائره التي جعلها امارات بين الحق والباطل

الأمر الثالث

أن اتجاه الأذهان الي مناسك الحج والعمره عندما يسمع السامع النداء يعود لارتباط اللفظ به لخصوصية المناسك وارتباطها بلفظ الشعائر لانه النموذج العملي لثقافه الخضوع لأمر الله تعالى دون إعمال العقل ولكن هذا لا يعني عدم عموميه السبب للنزول للايه فليس هنالك ما يمنع عموم المعني حيث بالرجوع إلي خصوصيه سبب نزول الايه نجد أنها تخدم أهداف تتجاوز مساله مناسك الحج والعمره في المفاهيم التي تحملها الايه قبل أن نبينها سوف نذكر الواقعه التي ساقها المفسرون لبيان أسباب النزول حيث ذكر انها نزلت في شخص اسمه شريحه البكري الذي دخل المدينه قادم من اليمامه وخلف خيله خارج المدينه ودخل وحده علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما تدعو الناس إليه فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يدعوهم الي الشهادتين والصلاه والزكاه والحج... الخ

فقال الخبيث للرسول صلى الله عليه وسلم أن لي امرء لا اقطع امرا دونه لعلي اسلم واتي بهم مسلمين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال قبل قدوم هذا الشخص لأصحابه يدخل عليكم رجلا من ربيعه يتكلم بلسان الشيطان .. ثم خرج شريح من عنده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا منافق فمر بسرح المدينه فأراد البعض من المسلمين اللحاق به فلم يدركوه فلما كان العام المقبل خرج شريح حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه هدي عظيمه فقال المسلمون هذا الخطيم قد خرج حاجا فاردوا أن يبادروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم أنه قد قلد الهدي فقالوا يارسول الله كنا نفعله في الجاهليه فابي النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه

بأمرهم بعدم الاستهانه بشعائر الله... فأراد الحق بهذا بيان اهميه احترام أوامر الله ونواهيه فلا يكون استحلال حدود بحجه أن المنتهك حقوقه شخص كافر ونحوه

فإن الله يقول انه لا يجوز تعدي حدوده مهما كانت المبررات فاللازم استقبال أمر الله بالتعظيم والاجلال وعدم التهاون بها فلا يجوز الغدر ف
اللازم الوفاء بالعهود والمواثيق وعليك اعلان العدو فلا توقع بهم حتي تعلمهم أن العهد انتقض ليصير وا مثلك في العلم بذلك ولهذا
ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم عليا ابن ابي طالب وقيل ابوبكر ليعلن في مكة أنه لايسمح بالحج لمشارك بعد عامهم هذا ولايسمح ب
الحج عريان وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرمه يحرمه
الله الي يوم القيامة وأنه لم يحل فيه القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الساعه من نهار فهو حرام يحرمه الله الي يوم القيامة لايبعد
شوكه ولا صيده ولايلتقط لقطته الا من عرفها... فقال العباس يارسول الله الا الا زخر فإنه يعينهم قال ألا الا زخر... الخ

فالمراد بهذا تربيته المومنين علي احترام المناطق التي يكون فيها الامان فلا يجوز الاعتداء علي هذه الحصانه المقرره للمكان حتي يتم إء
لان الناس بذلك

وفيه أيضا تغليظ الغدر لاسيما من صاحب الولاية العامه لأن غدره يتعدي ضرره الي الكثيرون ولأنه غير مضطر الي الغدر لقدترته علي
الوفاء

وهذا فيه ذم الغدر خاصه لمن كان لهم الولاية العامه لأن الآخرين يدخلون ضمن الرعيه الذين التزم حمايتهم فمن خان اوترك الرفق بهم
فقد غدر بعهد الله والايه نزلت قبل نزول ايه براءه التي كان إمهال المشركون اربعه اشهر لتصفيه تجارتهم وأعمالهم

ولهذا فإن الايه امتداد لما قبلها من الأمر بالوفاء بالعقود

وهكذا فإن اللازم الوفاء بالعهود والمواثيق التي بينك وبين الله أو بينك وبين الناس فالإيات تهدف إلى تربيته المومنين التمدن والإ
نسانية والانضباط والتعامل بأخلاق القران الكريم وبسنه الرسول صلى الله عليه وسلم واهميه الاستعانه بسنه المواقف للرسول صلى الله
عليه وسلم في التعامل

المبحث الثاني

مما سبق يتضح لنا أن ابتداء الأمر بتعظيم أمر الله تعالى وحدوده التي وضعها للناس وعدم انتهاك إيان منها يتناول التحذير من الغدر
بعقد الايمان الذي تعاقدوا عليه مع الله يقول لهم الحق (لاتحلوا شعائر الله)

هو حكم عام مرتبط بما قبله من الأمر بالوفاء بالعقود ليكون القران الكريم وما فيه من قواعد وقيم ومبادئ هو الذي يحكم المومنين ومن
يدينون بدين الإسلام ومن ينطون تحت رايه الدوله الاسلاميه ويدخل في ذلك العقد الذي بين من يتولي السلطه السياسيه في النظام الإ
سلامي فهذا من أهم العهود والمواثيق بين الحاكم والمحكوم فالقران هو الدستور الذي ينظم كاهه أوجه الحياه والعلاقات بكافه اشكالها
بين الناس أفرادا وجماعات ودول وان مخالفه هذا الدستور في أي أمر من الأمور يعني السقوط في مستنقع في التخلف والانحطاط و
الخروج من دائره الايمان فهو الوثيقه التي ترسم شكل الدوله ونظامها وسلطاتها ومهام كل عضو فيها ابتداء من رأس النظام الإسلامي الي
الفرد المسلم فالكل مشارك في بناء السلطه ومساهم في أداءها هكذا هي فلسفه الحضاره الاسلاميه فالحاكم يخضع لعقد بينه وبين
المحكوم يستمد قوته من ارتباط هذا العقد بالإيمان وينشي من قاعده التراضي التي تؤسس السلطه العامه بأن يختاره الشعب أو الفئه
التي لها حق اختيار الحاكم ومبايعته فعندما يحصل علي هذه الشرعيه تصير بمنزله حد من حدود الله توجب طاعته ما التزم بشروط
العقد باقامه حكم الله فيهم ولأن طبيعه العربي وما اعتاد عليه في بينه القبيله من طباغ التمرد علي الدوله فقد حرص الإسلام علي تربيته
المومنين علي الانضباط في الصف بتحذيرهم من استحلال أوامر الله ونواهيها في هذا المقام وغيره وايضا لأن الانظمه التي كانت تحيط
بجزيره العرب كانت ترسم لنا صورته للحاكم المستبد في أداءه للسلطه وهذا ما يطلق عليه الوثنيه السياسيه لهذا جاء الإسلام لتحذير كلا
منهما من الغدر بالقيم والمبادئ المعترف بينهما فلا تتصرف القياده وفقا لاهواها بل هي تخضع لمبادئ الشريعه في أداءها وكذلك فإن
بناءها يقوم علي الأراضي السلمية فلا تخون السلطه الامانه لأن ذلك يعد غدر للقيم والمبادئ التي تمثّل حدا من حدود الله
تعالى ولايجوز أن تصل الي السلطه بالقوه وبما يهدم قيم البناء ولهذا قال تعالي (أن الله يحكم مايريد)

فيه بيان أن القران فيه حكم الله الذي يحكم الحكام والرعيه وهذا النظام فيه التطور والرقى للإنسان وضمان حريته وكرامته فقد شرع ا
لإسلام للرعيه سلطه اختيار الحاكم وخلعه اذا خالف المنهج الرباني وجعل للحاكم حقا عليهم ما التزم منهج الله فلا يوجد تقدم مادامت
الجماهير مغلوبه علي أمرها ويفصلها عن السلطه الحاكمه حواجز وخرسانه تحجب عليها مراقبه أداء السلطه كما هو حال المسلمون في
الوقت المعاصر فإن ذلك يعني أن يكون الحاكم متسلطا علي رقاب الناس فهو يتصرف فيهم وفق مايريد هو وبالتالي فإن هذه الجماهير
لاتعطي طاقاتها الخلاقه التي تصنع التقدم لأنها تدرك أن السلطه لاتعمل لمصلحتها التي تومن انها فيها السعاده في الدنيا والآخرة والتقدم
لايتحقق الا من خلال التكامل بين الحاكم والمحكوم بتعبئه طاقات الجماهير صاحبه المصلحه في التقدم لتصنعه وتحميه

جاءت الشريعه بهذه التوجيهات ولهذا نجد الآيات ابتدأت بالأمر (لاتحلوا شعائر الله)

بالنهي عن التهاون أو التضحية بشعائر الله معالمه التي جعلها أساس هذه الحضارة التي فيها الخير للبشرية كلها سواء كانت هذه المعالم والحدود في جانب الطقوس الدينية من العبادات أو في المعاملات بين الأفراد أو العلاقات الاجتماعية أو تعامل الحاكم والمحكوم أو التعاملات الدولية

ولهذا ارتبطت الآيات بالحج ومناسكه كما يتضح من الآتي

لغرض بناء الشخصية الاسلاميه والحضاره الاسلاميه واستمرارها ونموها بمراعاة عوامل تقدمها بالوقوف علي النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

تربيه المسلمين علي الانضباط والتشجيع علي السلام واشاعته في التعامل مع بعضهم البعض ومع البشريه جميعا ولهذا حرم الله القتال في الأشهر الحرام وهي رجب وشؤال وذي القعدة وذي الحجه أنها اربعة اشهر في السنه يمنع فيها ابتداء القتال أنها اشهر يكون فيها الا مان بين الدول المتحاربه وهذا فيه ترويض الناس علي قمع قوه الغضب والابتعاد عن أجواء الحرب والخوف واستبداله بأجواء السلام وا لأمان فقال تعالي (أن عده الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)

فالحث علي حرمتها لايعني اباحه الظلم في غيرها وانما أراد بهذا التشديد بشأنها اهتماما واعتناء بشأنها ليعيش عالم البشريه أوقاتا بسلا م وأمان لازاله بواعث الدمار والقتال والاحساس بقيمه السلام وأنه افضل من القتل

ولهذا قال تعالي (فإذا انسلخ الأشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)

لكن لايعني هذا الافراط بالتمسك بالسلام الساذج الذي بذل الإنسان ويقتل فيه قوه الغيره والحميه للحق فقد منح الاسلام الامان لمن التزم بذلك ولهذا اذا خرق العدو حرمة وحصانه الزمان فعليك أن ترد بالمثل دون أن تتجاوز الحد فقال تعالي (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير....الخ

فهذه هي الوسيطيه والاعتدال في شريعته الاسلام فلم تأتي لتعظيم قوه الغضب كما هو حال اليهود ولا تعظيم قوه الحب والتسامح المذموم كما هو حال النصاري الذين بالغوا في ذلك لدرجه الساذجه فقالوا اذا لطمك عدوك بخدك الأيمن فادر له الخد الايسر

الأمر الثاني

تربيه المومنين علي تجريد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام من اغواش التاريخ الذي عاشه اهل مكه بامتثال أمر الله في جميع مجالا ت الحياه فلا بد من تنقيه الاوعيه الذهنيه والنفسية والعقلية من ركام الفكر الجاهلي ليكون القران الكريم وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم هي التي تحكم الحياه كلها للوصول إلي الصوره التي يريد بها الله تعالي من خلال اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وآثاره الا حساس التي تجعل المسلم قادرا علي القيام بأمر الله ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى جعل من الحج مدرسه لتدريب المومنين علي كيفيه امتثال أمر الله وتجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ الفاسد

و يتضح هذا من خلال الآتي

المساله الاولي

جاء الأمر بالنهي عن استحلال حرمة الأشهر الحرام بالأمر بالاعتراف بتعظيمها وترك ما نهى الله عنه ومنها الابتداء بالقتال كما أوضحنا للحث علي تجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ لأن العرب كانت تحرمها ولكنها تتلاعب بها حسب اهواها ورغباته والتي منها أنهم كانوا يوجلوونها بفتوي الكهانه أو بأمر زعماء القبائل فقال تعالي (إنما النسئ زياده في الكفر... الخ فكانت هذه الاغواش الفاسده المورته من بيئه الجاهليه تشكل ثقافه فكرية فاسده فأراد بهذا الحق أن يربي المومنين علي تجريد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام من اغواش التاريخ لما تمثل من ازمه تفسد قيمه المبادئ فلا يجوز التضحية بالمبدأ فلا بد من استعياب فعل الزمان في قيم الإسلام يربيههم من خلال هذا السلوك الذي يتجرد من غواش التاريخ الفاسد لأن القيم تسعى لتحقيق الهدف منها كي تحل محل الواقع فلا بد من تكوين الثقافه لحضاره الاسلام في المجتمع باعاده تشكيله وفق الصوره التي يريد بها الله تعالي بعد غرس المبدأ فهذه المساله المتعلقة بأمرهم بترك سلوك المشركين المتعلق بالأشهر الحرام تدريب لهم علي كيفيه غرس المبدأ وإدخاله في مختلف العلاقات السائده في العالم فعليا فليس الأمر محصورا علي احترام الأشهر الحرام فقط بل هو نموذج لتزود المومنين بالقدرات والمهارات والتراث لكيفيه تحويل قيم الإسلام الي واقع فعلي وكيف يكون النخلص من اغواش التاريخ الضار ليكون لمبادئ الشريعة دوها في واقع الحياه سواء كانت هذه المبادئ متعلقه بأمور سياسيه والحكم والاقتصاد والعبادات والمعاملات في كل شأن من شؤونه فلا يكون التفريط ولا الإفراط باي من هذه المبادئ الاتحت حكم الضروره وبقدرها دون التجاوز لها فقال تعالي في سوره البقره (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما

اعتدي عليكم واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

ولهذا فإن الأمر بتجرد القيم والمبادئ من غواش التاريخ المتعلق بما عاشه اهل مكة قبل الاسلام أمر عام وليس النهي محصوراً بمسألة النهي عن سلوك أهل مكة باستحلال الأشهر الحرم وإنما هذا نموذج لتربيته المومنين وإظهار مفاصد الموروث الذي لا يستند الي أصل من الشرع الإسلامي ونحن نعلم كيف صار حال غواش التاريخ في النظام السياسي الإسلامي الناتج عن التضحية بشرعيه اختيار الحاكم نتيجته تزاحم هذا المبدأ مع مبدأ الخوف علي وحده الأمامه بعد صفيين كما ذكر مالك نبي قد ادي الي إضفاء الشرعيه علي سلطه الاستبداد التي كرسث الوثنيه السياسه حيث صار الحاكم يتخذ من فتاوي العلماء التي أفرزتها حاله الاضطراب بنظرهم الي أن صارت لها دور سلبي في عرض فلسفه الاسلام وحضارته فقد استباح المستبدون حقوق المسلم في اختيار الحاكم وصار القهر ومصادره ارده الشعوب المسلمه لها تأصيل شرعي وادي الي تعطيل القيم وتشويه صورتها وهذا ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (لتنقض عري الاسلام عروه عروه اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه)

فتبرير هولاء لتقافه القبول بالاستبداد والتعايش معه وتبريره يعود إلي استحلال حدود الله نتيجته غواش التاريخ للفقهاء الذي صار ينظر إليه أنه منزل منزله القران فحصل هذا الانحطاط الذي نعيش فيه

المسأله الثانيه

ان الإسلام يهدف من هذه الأوامر تربيته المومنين علي كيفية تنقيه التاريخ الموروث من الاوساخ فليس كل ما يعود للماضي مرفوض بل اقتصر النهي عن غواش التاريخ الذي يلوث المبدأ وأما ما كان فيه الفائدة فيجب الأخذ به مع فارق بين فعلك وفعل السابقين فأنت تمارس ذلك اقتداءً بالقدوه الصالحه النبي صلى الله عليه وسلم عن علم بمشروعيه هذا المبدأ بينما غيرك يفعل ذلك دون التزام ديني وإنما عياده المألوف الذي وجد عليه أسلافه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

فالأمر تضمن لاتتركوا الأهداء الي البيت الحرام فإن من تعظيم شعائر الله ولا تتركوا القلائد والهدي هي الانعام التي تهدي لبيت الله فتخصص كي تذبح في الحج والعمره فلا يجوز اعتراضها ومنعها من الوصول إلي محلها ولا يجوز نحرها لغير الغرض الذي خصصت له ولا يجوز أن تذبح في غير يوم النحر ولا يجوز أن يأكل منها من أهداها ولا الانتفاع لاشعارها بشي بل يجعلها للفقراء وعطف عليها بقوله (ولا القلائد) هو نوع خاص من الهدي يفتل له قلائد أو عري توضع في اعناقها لتعرف انها خصصت لبيت الله حيث كان أهل الجاهليه يفعلون ذلك فتعرف فلا تتعرض للنهب فيقول الحق أن هذا الأمر مما يلزم عليكم امتثاله لكن يجب عليكم تصحيح النوايا بأن تقصدون من ذلك اظهار لشعائر الله ولهذا عطفها علي الهدي للاختصاص بأنها من أشرف الهدي فالتعظيم هنا لشعائر لقوله تعالى

(لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن يناله تقوي القلوب)

وفي هذا بيان أن القصد من الهدي هو تطهير النفس من الشح وتزكيتها حتي تتحقق بالتقوي

ولهذا عطف بقوله (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

يامر باحترام حق كل من يدخل مكة لأجل الحج والعمره أو التجاره الحلال وطلب رضوان الله فقد اعطاءهم الله الامان فلا يجوز الا عتداء عليهم

والايه انفرادات بقوله (يبتغون فضلا عن ربهم) عن سائر ماورد في القران في هذا الأمر حيث أنها ذكرت (فضلا من الله)

والفرق بينهما أن الاول متعلقه بعطاء الله الذي منحه المومن والكافر ف الله رب كل الناس ومن ذلك احترام كرامه الانسان وحرية وعدم استباحه دمه أما (فضلا من الله) وهذا خاص بالمومنين لأن هذا العطاء متعلق بنعمه الايمان والمنهج الرباني الذي استهل به الآيات (لا تحلوا شعائر الله)

وهذا فيه أن تحقيق مراد الله والوفاء بالعهد إنما يكون بالوسيطيه والاعتدال واول خطوه تحقيق ذلك هو تنقيه الاوعيه الذهنية و النفسية والعقلية من سلوك المشركين بشأن استحلال الأشهر الحرم والهدي والقلائد وأمين البيت الحرام. وربط ذلك بقيم ومبادئ الشريعة المتعلقه بنظام الحكم والاقتصاد... الخ

وبالوقوف علي مدلولات النصوص وربطها بما أشرنا إليه نجد الآتي

المدلول الاول

يخبرنا الحق أن في الحج منافع كثيرة في الدنيا والآخرة نتعلمها فهي مدرسه تربويه من الرب لعباده في جميع المجالات فالحج مدرسه تدريب عملي علي امتثال أمر الله تعالى يقول الشيخ ابو الحسن الندوي الحج بمناسكه وأركانه وأعماله كله تمرين وتمثيل للاطاعه المطلقه وامتثال الأمر المجرد وتلبيه واجابه وطلب فالحاج يتقلب بين مكه ومني وعرفات ومزدلفه ثم مني ومكه يقيم ويرحل ويمكث وينتقل ويخيم ويقلع وإنما هو طوع اشاره ورهين أمر)

فهي تستوعب عنصر الزمان والمكان واختلاف الأفعال عما هو مألوف

ثم إن كثير من أعمال الحج قد لاتدرك بالعقل ومنها تقبيل الحجر الأسود كما ورد عن عمر بن الخطاب والله اني لاقبلك واني لاعلم انك حجر وانك لاتتضر ولاتنفع ولولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)

فما دام العقل لا يدركها فإن الطبع لا يميل إليها إلا امتثالاً لأمر الله واقتداء برسوله صلي الله عليه وسلم وبذلك يظهر كمال عبوديه المسلم لربه وترويض نفسه لطاعه الله وهذا إنما يكون نتيجة قوه حب العبد لله والله يقول (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وإلا ما الذي يدفعهم الي أن تهوي قلوبهم الي مكه وبينه الحرام الذي جعله للناس قياما حيث وبالنظر الي موقعه نجد أنه خالي من كل مظاهر الحياة فلا ماء ولا انهار ولا مناظر سياحيه ولا اوديه ولا انهار وجبالها خشنه ورمال يصعب السير فيها والاستنبات فيها ومن هنا تظهر لنا قيمه الحب كقمه من قمم العباده ولهذا ابتلاء الله عباده بهذه الاحجار التي لاتنفع ولاتضر فلو شاء لاجعل الكعبه في منطقه عامره فيها انهار ومناظر سياحيه وفيها احجار كريمه لكن سنه الله أن يبثلي عباده بالمكاره اخراجا للكبر من قلوبهم وإسكانا للتذلل في نفوسهم ليجعل من ذلك أبوابا مفتوحه وواسعه لفضله واسبابا معبده لعفوه فقال تعالي (يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

وابتغاء رضوانه سبحانه وتعالى إنما يكون بقوه الحب لله التي تقطع بها الطريق الي الله تعالي التي لها جناحان المعرفه والحب لأن المعرفه للإنسان نسبيه ولهذا فإن المعرفه وحدها بدون الحب تجعل من العباده ناقصه وغير صحيحه لأن المعرفه النظرية تحتاج الي قوه تحويلها الي معرفه تطبيقيه وهكذا فإن التقرب الي الله تحتاج الي القوه النظرية العلميه بمعرفه الله واسماءه وصفاته وأفعاله وكماله و الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى ثم الي قوه اراده في الجانب العملي ..والقوه الاخيره تتفاوت من انسان لآخر لأن الطالب عندما يتعلم الهندسه مثلا يكون قد حظي بالعلوم النظرية لكن لايمكن القول إن يقول فن الهندسه حتي يقطع شوطا في العمل الميداني ف المعرفه النظرية لاتنفصل عن التطبيق ساعته يمكن القول إنه تعلم الهندسه لكن لايصبح سيدا في هذا المجال حتي يتفاني في الاهتمام بعمله ليصبح بارعا في هذا المجال بحيث لايصير في العالم كله شيئا اهم عنده من الهندسه وهكذا لا يكون الوصول إلي رضوان الله الذي تبتغيه حتي تبذل كل جهد وتبذل وتعطي وقتك ومالك وكل شي طاعه لله فتشعر انك عندما تعطي انك تاخذ رضوان الله ولأن العطاء يحتاج الي رقي الإنسان لأن معظم الناس يحبون أنفسهم فحسب ولهذا فإن الوصول إلي رضوان الله يبدأ فيه المسلم بالخروج من ذاته وحب الله وحب الآخرين طاعه لله ويزداد هذا الرقي كلما نضجت شخصية المسلم ووجدانه وهذا إنما يكون بالوعي بانك جاءت الي الدنيا بغير اردتك وستذهب منها بغير اردتك وستذهب لاتملك شيئا إلا الكفن ولن يستطع أحد أن ينقذك ولهذا نجد أن رحله الحج تبدأ بلبس الاحرام وهو قماش ابيض مثل الكفن تنجه بالنداء لبيك اللهم لبيك تخرج من سجن الذات الي الاتصال بالله تشعر انك لست وحيدا ولاغريبا فأنت متصل بالله تعالي فلا تخاف الا الله

المدلول الثاني

مما سبق أن الغرض من الحج هو التقرب من الله فالحاج يوقن أنه ليس وحده في الكون لاتصاله بالله من لحظه الإحرام ولهذا

و فإن العبره بما تكتبه الشعائر في أغوار النفس والضمير من مشاعر الحب لله فالجانب التطبيقي للحج هو تعظيم مشاعر الله التي أقامها ابراهيم عليه السلام وإبراهيم هو النبي الذي اتخذه الله خليلا وأحياء شعائره احياء لشعائر حب الإنسان لله ولهذا فعندما ينحر المسلم بالاضاحي فإنه يحتفل بذلك ولكن في نفس الوقت يستحضر قصه النبي ابراهيم الذي امره الله أن يذبح ولده اسماعيل فاطاع فتكون طاعته اشاره الي أن المسلم هو يحب الله اكبر وأكثر مما يحب نفسه وأبنائه

وبهذا يكون تجريد الشعائر من غواش التاريخ الفاسد الذي حول الذبح الي عاده ورغبه في كسب المال في موسم الحج كما كان يفعل المشركون ولهذا كان لابد من ازاله غواشي التاريخ من الادران التي لحقت بالقيم لتكون هذه القيم قادره علي تحقيق حركه التقدم الي الامام وهي حركه محكومته بطروف موضوعيه في اتجاه مستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية ظروف تتاثر بسلوك المجتمع وتوتر فيه وتتحرك بعمل ارداي ولهذا نجد أن مخاوف المشركين من زوال امتيازاتهم العائده من موقع مكه المكرمه الذي صار وسيله جلب المال فقالوا (فقالوا إن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا)

ولهذا فإن ازاله غواشي التاريخ مهم لتوفير الاراده التي تحرك قوه التقدم بالعمل علي تمكين القيم من أداء ها لدورها ولهذا فإن التقدم مرتبط بالظروف الموضوعيه بمستوياتها تدفع الي ان تتحرك بعمل ارداي لكنه لا يحقق غاياته المقصوده الا إذا انبعث عن إدراك يصقله العلم وتهذيبه خبره حتي تتوجه حركته وفق ضوابط مقدره ومحسوبه وصولا إلي الهدف ولهذا فإن تغيير الظواهر السلبيه يستلزم إدراك كيفية احداث ذلك إلي جانب الاخلاص في اراده أحداثه ولهذا فإن الحج مدرسه لتدريب المومنين علي تجريد القيم والمبادئ من

غواشي التاريخ الفاسده التي إذا لم ينتبه لها بحسن نيه أو بسوء نيه عند تحريك مستويات الظروف الموضوعية في إطار التطور والرقبي فإنها تولد نتائج عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون ولهذا فتشويهه المواقف من قبل الأعداء لايغني أن تهمل هذه القيم بل عليك ازاله الغبار الذي لحق بها وإظهار الوجه الحسن لهذه المواقف ولهذا يقول الله (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله... الخ

يقول الحق لا يكون اساءه المشركون لهذا الموقف بتصوير صوره مغايره لحقيقه هذه المشاعر باعنا علي هدم هذه المشاعر لازاله تحرج المسلمين من الطواف والسعي بين الصفا والمروة لانه كان في الجاهليه الناس يسعون ويطوفون حول صنمين فأخبرهم الله أن يكون الطواف والسعي منهم هو استحضار لموقف هاجر وكيف أنها حملت المشروع الرباني ونفذت أمر الله

يقول الحق لك أن عليك أن تدرك الغرض من الحج هو التقرب من الله تعالى وتقرب الناس بعضهم البعض إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد وفي ذلك تجديد الالفه والاجتماع والتعارف مما يقوي الاسلام

فهو بمثابة اجتماع الامه من كل مكان يلبسون الابيض لافرق بين غني ولا فقير ولا عربي ولا أعجمي فهذا يجسد مبدا المساواه وفيه تجسيد الاجتماع علي طاعه الله فهو موتمر عالمي يجمع المسلمون حول وحده الهدف ووحده المشاعر ووحده الاتجاه تجمعهم اخوه الاسلام علي طاعه الله ويكون التعارف والتآلف وتتطهر النفوس من الأحقاد والانانيه والتكبر وتعوض بالتواضع والمحبه والبذل والايثار حتي تترتقي النفس وتسمو وبهذا يكون تجريد القيم من غواشي التاريخ الفاسده نظرا لأن المشركون كانوا قد اتخذوا من الحج وسيله الا ستعلاء بالباطل علي الناس فخصوا أنفسهم بشريعه الحمس التي تميزهم عن سائر الناس حيث منعوا الناس من الحج بملايس إلا أن تكون من ملايس قريش أو يحجون عرابيا لاملايس عليهم فاردوا بذلك استغلال موقع مکه وحب الناس لها وسيله لكسب مكاسب ماديه وسياسيه واقتصاديه واجتماعيه وامتيازات بدل المساواه والإخاء فقد اندفعوا تحت حاله نفسيه من التعصب للسلاله والجنس وبهذا ادخلوا علي القيم أفكارا فاسده وهو مايجب الحذر منه فكان الحج لتحرير نفس المسلم من الكبر والعصبيه

ففي الحج تدريب علي الحياه الفاضله التي يريدها الاسلام وتحمل مشقه السفر وغذاء للروح واستحضار التاريخ الذي يربطك بموكب المومنون من الوقوف علي مشهد ابراهيم واسماعيل وهما يقومان ببناء الكعبه ومشهد تحمل هاجر لمسؤوليه التكليف الإلهي لها بالمكوث في هذا الوادي الذي لم يكن فيه ناس ولا ماء ولا زرع خالي من كل مظاهر الحياه وغيرها من الأمور التي ترتبط بجميع جوانب الحياه

ولهذا يختم الايه بقوله (واذا حللتم فاصطادوا)

أنه بعد الانتهاء من الحج فإنه يجوز لك العوده الي الحياه الطبيعيه بزوال العارض فيجوز لك الصيد فالإسلام لايسرق الإنسان من الدنيا وانما هي مرحله تربيه وتهذيب للمسلم وإصلاحه بأخلاق الاسلام الإيجابية فهي اخلاق السماحه واليسير وليست انفصالات التعصب و التزمته ولهذا يقول الحق بعدها (ولايجرمكم شتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام... الخ

المبحث الثالث

تبين الآيات الصور التطبيقيه التي يكون بها تجريد القيم والمبادئ من غواش التاريخ الذي يلوث المبدأ الذي عاشه اهل مکه قبل الاسلام مبينا أن الخطوه الثانيه هي نقل المبادئ والقيم التي احتوائها الدستور الرباني من حيز الالتزام الأخلاقي للفرد في العباده والعلاقات الي حيز الالتزام القانوني للجماعه كدوله وتفعلها في واقع الحياه ليوكب التطور والرقبي الذي انتقلت إليه البشريه من مرحله الطفوله الي مرحله النضوج والرشد بنزول القران الكريم لترجمه قيم الإسلام الي مؤسسات وإجراءات تعبر عن شكل النظام الإسلامي وأهدافه وعن التطور والرقبي الذي جاء به الإسلام ليرتقي بالإنسان من الهمجية والتوحش الي التمدن والإنسانيه والانضباط ولهذا كان الخطاب للمومنين باعتبارهم المعنيين بهذا التطور والرقبي الذي يحقق الكمال والرقبي المعبرون عن قيم الإسلام الحنيف الذي يقع على عاتقهم الدفاع عن ليصبحوا من بعد ذلك علامات مميزه عن هذه المرحله فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله وسنتي وسنه الخلفاء المهديين من بعدي

فقال تعالي (ولايجرمكم شتان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

يقول الحق لك ايه المومن ان العز والتمكين للمسلم في الأرض لايغني أن تمارس التشفي والانتقام من عدوك فأنت عندما يكون لك القوامه والقياده علي الناس عليك التعامل بالعدل وان تتجرد من الانفصالات النفسيه والتعصب فأنت ملزم بالوفاء بعهد الله بالتعامل بأخلاق الاسلام فالتزم حدود الله ومنهجه والاستقامه علي هذا المنهج والتزم العدل حتي مع عدوك الذي أساء إليك فقال تعالي (ولا يجرمكم شتان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) اي لايحملنكم ماكان من الكفار من أفعال واذيه والتي منها ما حصل في

الحديبيه من منعكم من زياره البيت الحرام التي أظهرها فيها البغض والعدوان وسوء الاخلاق علي أن تعتدوا عليهم والتشفي منهم وهضم حقوقهم بعد أن صار لكم التمكين والعز في الأرض وصار حالهم النذل والهون والضعف والاذعان لحكم الاسلام فاعلموا أن القوامه لكم علي البشريه قائمه علي العدل وهو ميثاق الله الملزم عليكم الوفاء به

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

أن النصوص تهدف إلي خلق مناخ تشريعي ونفسي ملائم للمرحله لمرحله الصعود والتطور والرفي الذي انتقلت إليه الجماعه الاسلاميه كي تتمكن الجماعه من الاستمرار في إرساء قواعد وقوانين الحضاره الاسلاميه واستمرارها ونموها المتواصل لتجسيد القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام للبشريه كلها وقيادتها نحو العدايه والمساواه والتقدم والرفاهيه يعلمهم القرآن أن عليهم مسؤوليه تحويل القيم الي واقع فعلي في الحياه فمهمه الثوره التصفيه الجذريه للعقبات التي تحول دون التقدم ولتمهيد طريق الشعوب نحو التقدم فالقيم ليست مجرد شعارات ترفع بل لابد من الانتقال بها من حيز الالتزام الأخلاقي للفرد الي الالتزام القانوني للجماعه كدوله وتفعلها في واقع الحياه ولهذا جاء الأمر بترك الانفعالات السلبيه التي تدفع للانتقام من الذين اساءوا اليك عندما تصل الي مرحله التمكين فالإسلام يعترف بحق الإنسان أن يغضب لكن لايمتح له الحق في استخدام قوه الغضب بما يفرط قيم العدل طالما صار لك القيادة فعليك أن تدرك الانتقال لمرحله التطور والرفي الذي انتقلت إليه وإن قياده التطور تتطلب منك التعامل بأخلاق الاسلام الإيجابية التي تحكم هذه المرحله فلا تنجر وراء الانفعالات لأن ذلك يعني التفريط بقيم العدل فالتمكين يعني أنك في مرحله ابتلاء جديده لينظر الله كيف تتصرف ولهذا يقول الله لك مرحله القيادة والقوامه تستوجب منك أن تلتزم طاعه الله وان تترفع إلي مستوي الدور المناط بك في قياده البشريه فلا تتأثر بـ الملبسات العارضه فأنت الانتفضب الاله فعليك الشعور بالمسؤولية والمرحله الجديده التي انتقلت إليه بالارتقاء الي مستوي هذه المسؤوليه بالتعامل بأخلاق الاسلام فعليك التخلص من الانفعالات السلبيه التي تقلل من قدراتك علي استعمال ملكات العدل

المفهوم الثاني

يخاطب الله المومنين بهذا الخطاب في ظل الجو الذي وردت فيها النصوص من الحث علي الوفاء بالعقود واعطاء الامان لتربيه المومنين علي اخلاق الاسلام في مرحله قياده التطور وإصلاح حالهم بما يتناسب مع المرحله يقول لهم أن المرحله تتطلب وجود أشخاص محددين ذوي قدرات معينه قادرين علي التعبير عن حقيقه القيم والمبادئ التي تمثل طموحات وأماني الشعب ويتطوعون للدفاع عنها وان هذا الدفاع يبدأ من قمع انفعالات النفس ليصبحوا من بعد ذلك علامات مميزه لهذه المراحل فذكر قبلها الأمر بعدم التعرض لمن يزور البيت الحرام فقال (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)

فهو تعالي استخدم لفظ الربوبيه ولم يقل (من الله) ومعلوم أن عطاء الرب يعم الكافر والمومن علي حد سواء فهو رب العالمين فأراد بهذا أن يزيل العصبية من نفوس المومنين حتي لا يكون الخضوع لله لاعلاء دكتاتوريه باسم الإسلام فليس فيقول لهم ليس هذا هو التعظيم لأمر الله (عطاء الألوهية) الذي هو متعلق بالفعل ولا تفعل في قوله (لاتحلوا شعائر الله)

فعطاء الله الذي تحتاجونه وهو المنهج الرباني افعل ولا تفعل خاص بكم أما عطاء الربوبيه فيشمل المومن والكافر

ولهذا فإن الذي يميزكم عن الكفار هو هذا المنهج الرباني الذي هو عطاء الله الذي اختصكم به وحدكم ولهذا فإن واجب هذا العطاء أن تمتثلوا أمر الله وتقدروا الله حق تقديره والله قد وصاكم بحسن معامله الزائرين للبيت الحرام حتي وان كانوا كفار لأن الايه نزلت قبل النهي عن دخول المشركين مكه المكرمه فيقول لهم الحق لاتعتدوا عليهم انتقاما لما فعلوه من قبل في الحديبيه فانتم قد انعم الله عليكم بالقوامه علي منهجه في الأرض والقائم علي منهج الله يجب أن لا يكون فيه عصبية فمن غير اللائق علي منهج الله أن يسعي الي الانتقام من الكافر لأن هذا يتنافي مع القوامه ولا يلتقي معها

الأمر الثاني

أن مجي الأمر بحسن التعامل مع المشركين في إطار حرمة الزمان والمكان التي قررتها النصوص هو لبيان ان هنالك فرق في تعامل المومن مع الكفار ودولتهم عندما يكون لهم دوله وبين تعامل المومن مع رعايا الدوله المسلمه الذين لا يدينون بدين الإسلام حيث أنه قد عرفنا في سوره البقره أنه إذا حصل اعتداء علي المومنين في الشهر الحرام أو البيت الحرام فإنه يجب رد العدوان بالمثل فليس للزمان والمكان حصانه في حاله قيام العدوان وهذا ما حصل في بيعه الرضوان بالحديبيه ولهذا يبين للمومنين أن المرحله التي هم فيها من العز والتمكين فقد اذعنتم مكه لحكم الاسلام فعليك أن تدرك أن فلسفه الاسلام أن الحكم يقتضي عدم التمييز بين المومن والكافر يقول لهم عليكم أن تكونوا اهلا لهذه المسؤوليه والتي هي امانه في أعناقكم فجاء النهي في إطار اعاده تشكيل عقولهم وصياغه قلوبهم والارتقاء بنفوسهم بما يتناسب مع المرحله التي انتقلوا إليها

المفهوم الثالث

يقول لك الحق انك مكلف بإيصال الخير للناس ولهذا فإن من أوجه الخير أن الالتزام بقيم الاسلام وإصلاح أحوال الناس وترجمه القيم و المبادئ الي اجراءت ومؤسسات فأول هذه الإجراءات أن تكونوا مثالا يقتدي به يعرف الآخرون من خلالكم

سماحة الاسلام ليكون انتزاع الإنسان من طباعه الهمجية وتوجيه الي لوزام الانسانيه ومبادئ التمدن وهذا الأمر يحتاج الي الاقتناع منهم بهذا التطور الذي جاء به الإسلام لانه لا يحصل التطور لأي مجتمع الا عندما يقتنع أبناءه بفلسفه التغيير وترك ما اعتادوا إليه وهذا الأمر يحتاج الي اراده قويه ومعرفه بفضائل ومنافع الخلق الجديد ويشعروا بإخطار واضرار الخلق القديم ليكون طرد ودفع الأفكار الرديئه التي تمنعه من القبول بالتطور

ولهذا عندما يجد الكافر منك التعامل معه بالعدل لابد أن يسأل ما الذي منعك من عدم التعامل معه بالاساءه التي تعامل بها معك كما حصل من المشركين للمسلمين في الحديبيه لابد أن يسأل عن ذلك فإذا أظهرت له السبب أن ذلك ليس عائدا الي تسامح ناتج عن نسيانك ما حل بك وانما هو امتثالا لأمر الله الذي اوصي بحسن التعامل معهم لابد أن هذا الكافر يلمس في أعماق نفسه الطاف الرب وعنايته وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان سوء كان مومن أو كافرا عندها يعلم أن الله يحميه ويرد عدوان المومن فإذا شاهد الكافر امتثال المومن لأمر الله سوف يري منافع الايمان ويرى فائده الحضاره الاسلاميه عندها بترتيب علي ذلك اصلاح حاله وشعوره بنقص وفضاعه وشناعه ودناءه سلوك الجاهليه وعصبيتها المقيته فيكون ذلك اظهار لشعائر الله ونقلها الي الآخرين الذين لم يتمكنوا من حضور موسم الحج أما لخوفهم من الانتقام الذي يتوقعه من المسلمين لما فعله بهم وبهذا يكون الأخبار التي ينقلها عنكم الذين حضروا موسم الحج شاهدا علي ما أحدث فيكم الاسلام من تغيير أعاد صياغتك بما حقق لكم هذا السمو العقلي والنفسي والتعالى علي الضغائن والأحقاد دافعا قويا لقبولهم بالحضاره والشعور بنقص الجاهليه وبذلك تصبح هذه الحضاره محل اهتمام الكثيرون فمن حضر وشاهد حسن التعامل معهم رغم مافي نفوسكم من الالم والمعاناة التي تسبب بها المشركون سوف يكون بمثابة داعيه يبعث في نفوس السامعين الشوق للانتحاق بالإسلام ونبذ العصبية والهمجية التي تحيط بحياتهم فيسهل عليكم بعد ذلك الدور المناط بكم

الأمر الثاني

أن عليك أن تفهم حقيقه دورك في تعرف الناس بقيم الإسلام الحنيف وحضارته فأنت مكلف بإصلاح أحوال الناس ونقلهم للانطواء في حضاره الاسلام والحق لم يكلفك بما يفوق طاقتك فهو سبحانه وتعالى يعلم حقيقه المشاعر التي في النفوس ولهذا يقول لك الحق من حقا أن تغضب وان تكره من يسئ اليك بفعله العدوانى لكن انتبه أن يحملك البغض والكره علي العدوان فقال تعالي (ولايجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا)

وكلمه (لا يجرمكم) تعني لا يحملكم لانه يقال اجرمني فلان علي أن أفعل أو صنعت كذا اي حملني وكلمه (شئان) اي شدة العدواه وفعالهم مثل الذي صدر من المشركين في الحديبيه من (صدوكم عن المسجد الحرام) حيث منعوا المسلمين من زياره البيت الحرام مستغلين مالهم من سياده علي مکه التي فيها البيت الحرام واصلحوا الحرب لأجل ذلك ولهذا يحذر الحق المومنين من أن يتحول الغضب الي نزعات اجراميه فالحق لا يكتب مشاعر النفوس لكن لايسمح أن تتحول الي سلوك اجرام

فالإسلام لايتدخل في العمليه النزوعيه الا عندما يدخل في الحركه الانسانيه فيكون كبجها حيث أن الشعور له مقدمات قبل وصوله الي النزوع (إدراك.. وجدان... نزوع)

فالإسلام لايمنع الإدراك الذي يحصل لك وانت تشاهد فظائع المذابح التي يتعرض لها اهل غزه في لحظات كتابه هذه السطور أثناء غزو اسرائيل لغزه بعد طوفان الغضب مثلا أن تكره سلوك الصهاينة وان تجد في نفسك حب الانتقام منهم فهذا أمر مطلوب للتشفي منهم في ما إذا تمكنت من المشاركة في قتالهم بمعركه الجهاد ضدهم فهذا أمر مرغوب به فليس مباحا وهذا الإدراك الذي أغضب المسلمون في الحديبيه وانتقل الي وجدنهم والنزوع للانتقام منهم عندما أشيع مقتل عثمان فكانت بيعه الرضوان فلو حصل قتل عثمان فعلا وحصل القتال معهم فإن لهذه المشاعر اهميه عظيمه للاقتصاص لعثمان وهو أمر يرضي الله بدليل أنه سماها تعالي بيعه الرضوان فقال تعالي (لقد رضي الله عن المومنين إذ يبايعونك تحت الشجره)

فهذا هو مجال التشفي من ظلم الكفار في فتره الحرب أما عندما يكون عقد مصالحه معهم أو بعد أن يحصل للمومنين الظفر عليهم وصار لك الحكم كما لو كان لنا تحرير فلسطين وأصبح الحكم للإسلام وصار اليهود رعايا الدوله الفلسطينيه فإن البغض لهم والكرهيه سوف يبقئ في النفس لكن لاينبغي أن تدخل النزاعات في الحركه في مثل هذه الأحوال فدخولها في الحركه إنما تكون في أوقات الحرب لتشكل قوه دافعه للتحرر وازاله الظلم فيكون استخدام قوه الغضب في محلها وزمانها ولهذا نجد أنه مثلا في الاحصان من الزنا يحرم فيها جميع مراحل الشعور فيأمر بغض البصر لأنك إذا شاهدت امراه جميله مثلا لابد أنك سوف تدرك أنها جميله وسرعان ماينتقل هذا الإدراك الي الوجدان الذي سرعان ما يتحول الي نزع اجراميه ترغب بجريمه الزنا ولهذا جاء الإسلام بضوابط للمشاعر تضبطها فلا يكون استعمالها الا في المجالات المسموح بها وازمانها فالانفعالات ينبغي أن تكون خلاقه ولهذا يقول تعالي (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم

الأخر يودون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وبنائهم)

ويقول في موضع آخر (وان جاهدك علي أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا)

فأراد بهذا أن تحسن استعمال ملكات حب الأقارب أو غيرهم فلا تكون هذه الموده التي لها أصل في النفس قوه سببا يضعف اردتك في الحركة العمليه التي تتحرك بها في حركة المساهمه في حمل امانه حمل منهج الله فالحق يضع لنا الضوابط الشرعية العواطف والمشاعر

الأمر الثالث

تبين النصوص أن القوامه والقياده التي اختص بها الله تعالي هذه الامه تستهدف الي تحرير الإنسان لينطلق في حركته في الأرض لتحقيق المراد الرباني الذي فيه اسعاد البشريه كلها من خلال اعمار الأرض وفق منهج الله وهذا لا يتحقق الا من خلال الحركة والفاعليه ا لإيجابيه الذي يجعل المسلم يشعر بالمسؤولية عن كل معاناه البشريه فمحملته الحضاره الاسلاميه من قيم ومبادئ فيها التقدم والتطور والرقى للبشريه في جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهي متشابهة مع بعضها وتتداخل فيها المهام حيث أن مواجهات التحديات التي تتعرض للتطور والرقى من التخلف والجهل تخلق أنواعا من الارتباط التبادلي بين السلطه والجمهور بحيث يكمل كلا منهما الآخر وأن قياس نجاحها من خلال ممارسه الشعب واستعداده وتفاعله مع القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام ولهذا ابتدأت النصوص بالأمر بالتعاون علي البر والتقوى وتأخر النهي عن التعاون عن الإثم والعدوان مسارعه الي إيجاب ما هو مقصود ب الذات فإن المقصود إيجاب ترك التعاون علي الإثم والعدوان لانه إنما يكون تحصيله بالتعاون علي البر والتقوى لأن التقدم يتطلب تجميع الطاقات كلها في قالب واحد يعطي معيارا اكبر واسرع للتقدم في شتي مجالات الحياه كلها ولهذا قال تعالي عطا علي ماسبق (وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان)

وهذا فيه تحديد الآتي

المفهوم الاول

بيان اهميه التفاعل والمشاركة والمساهمة في حمل المشروع الرباني والقيام بالخلافة علي الارض وفقا لمراد المطلب الرباني فالجميع تقع علي عاتقه مسؤولية الاعمار في الأرض وفقا لمنهج الله ولفظ (تعاونوا) علي وزن تفاعل فالحق يحثهم علي المساهمه والمشاركة ب الفاعليه الايجابيه في جميع مسائل الحياه

لتحقيق إنجازات حقيقه من خلال الالتحام بين هذه القوي فيما بينها لتقف صفا واحد في معركه التقدم والتطور والرقى الذي يرسم مستقبلها ومعركه مواجهه التخلف وهذا يتطلب أن تخمد نيران الأحقاد والانانيه وان تطفي بأعمال البر والتقوى الصراعات فلا يكون التحرك بعقول متشنجه فوضويه لتوزيع العدل بين المظلومين لايحل وحده قضيه التطور لان التطور يعني الترابط بين جميع فئات المجتمع وطبقاته واتحادهم بعد هدم الانظمه الظالمه لأجل اقامه مكانه نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا جديدا يحقق العدالة و المساواة بين أفراد المجتمع يسوده الاخوه بالاشتراف في تأسيس دوله العدالة والتنميه وتكافؤ الفرص والحصول علي الفرص المتكافئه كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده البنائه المتناسقه والمتكامله والمتعاونه والمنسجمه مع بعضها البعض وفقا للقدرات المتفاوتة والتي تكمل كلا منهما الأخرى والتي يجمعها الاسلام في إطار نشر الخير والذي يتطلب تجميع الطاقات نظرا لوجود فوارق بين أصحاب التخصصات المختلفه الذين تنقسم الأعمال فيما بينهم بحكم تطور عمليات الإنتاج وإيضا الحاجه الي هذه الكفاءات المتنوعه فنحن بحاجه الي المهندس والعامل والمقاوم والسياسي والوسيطي لبناء مشروع من مشاريع بناء مدرسه تحفيظ القرآن مثلا وهنا لابد أيضا من تمويل لها ولهذا فإننا نحتاج الي كافة الطاقات لتشييد هذا المشروع

وهكذا إذا أردنا نشر الإسلام في بلد ما يجهل تعاليم الإسلام فإننا بحاجه الي الاعلامي الذي يعرف الناس بحقيقة الاسلام ويرد علي من يحاول تشويه صورته وبحاجه الي الداعيه الذي يقوم بتربيته الذين يلتحقون بالإسلام حديثا لتأهيلهم ليكونوا قادرين للاضطلاع بالمهمه بعد تزويدهم بالمعلومات والقدرات اللازمه وبحاجه الي التمويل المالي وغيرها من الأمور الفنيه والسياسيه التي توفر لك القيام بهذا الدور دون مضايقات وهكذا يكون التعاون والتظاهر

المفهوم الثاني

أن اللازم أن يكون التعاون مربوطا بالإيمان فكل نشاط يجب أن ينسب الي الدين الاسلامي مثل الجمعيات الخيرييه لاغاثة الفقراء كما هو الحال لما تقوم به بعض الدول الإسلاميه حيث نجد غياب هذا الأمر تقليدا للغرب فلا ينسب هذا التعاون لأمر الدين وأمر الله للمسلمين باغاثة الجائع

فانتبهوا من تجريد القيم من مقومات الايمان ومايتفرع من الإيمان من اخلاق كريمة كالتعاون والمحبه والتسامح والبر والإخاء والتضامن والاتحاد وما الي ذلك من علاقات انسانيه وصفات بشريه ايجابيه

فاللزم أن تضعوا الخير باسم الدين فهذه الأمور من شعائر الله التي يجب إظهارها واشهارها ليري العالم حقيقه خث الاسلام علي اعمال الخير والتسامح ولأجل أن تستقر في أذهان الناس صورته لما تحمله الحضاره الاسلاميه من خير فيه اسعاد البشريه كلها ولهذا جاء الأمر (وتعاونوا علي البر والتقوى)

والبر هو اسم جامع لما يحبه ويرضاه الله تعالي من الأعمال التي فيها رعايه حق الله وحق الناس

والتقوي اسم جامع لترك كل ما يغضب الله من الأعمال الظاهره والباطنه فالمومن مأمور بالتفاني بأعمال الخير وايصاله لكل الناس ومأمور بترك كل سوء وعدوان ولهذا أمرهم الله بالتعاون علي فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات فالتناصر إنما يكون علي الحق لا علي الباطل فأنت ملزم بالتعامل بأخلاق الاسلام حتي مع الخائن فلا تخنه اذا ائتمك

ولهذا يقول الله (ولتعاونوا علي الإثم والعدوان)

انتبهوا من الأفكار الرديئه وسلوك أهل الجاهليه التي تتسع للغدر والعنف والخداع والظلم حيث أنهم كانوا يتعاضدون علي التازر والتناصر علي العصبية لنصره القبيله والقريب سوء كان ظالما أو مظلوم فيقول لهم انتبهوا من عقليه الجاهليه وعصبيتها فهؤلاء لا يعرفون الانظمه ولا فيم ولا مبادي لدي هولاء

المفهوم الثالث

يبين الحق لعباده أن حركه الحياه واجتماع الناس لابد أن يقوم علي التعاون لتحقيق الفاعليه الإيجابية وتكاتف الجهود بعيدا عن الصراعات والتنافس الذي لو وجد مجالا فإنه يحول المجتمع الي فئات متناحره وانقسام الي طبقات كما هو حال الأفكار الرديئه التي نشأت في القرن السابق حيث انتهى بهم الحال الي الانقراض علي السلطات من قبل طبقات الفقراء ورافقه دماء الأغنياء بالعنف الدموي اللانساني واللامعقول فصار استحاله التعاون علي البر أو حتي التفكير فيه فخلقت وحوش همجيون متعصبون وتم إهدار الطاقات فهذا ليس تعاون في عماره الأرض وانما هو هدم وإفساد فيها ولهذا فإن غياب المنهج الرباني الذي يحدد كيف التعاون وأوجهه ينتج عنه تعاون علي الافساد في الأرض وهو مانهي الله عنه وربط ذلك بمساله المشاعر والتحذير من أن تدخل في الحركه لأنها تولد فاعليه ولكنها سلبيه هادمه

الأمر الرابع

يقول الحق لعباده انه ليس في الخضوع لله محاباه الخاضعين كطائفه ولاتحامل علي المنكرين كطائفه فليس الخضوع لله إعلاء لدكتاتوريه فرد اوسيطره حزب أو احتكار طبقه أو تغلب جنس أو امه أو تحكم قبيله أو اسره فالأمر ليس كذلك فعليكم الإنتباه من هذا الأمر ولهذا نجد أن التعقيب فيه تهديد للذين يتخذون العصبية وسيله للتعاون حتي ولو كان ذلك التعصب بين المسلمين فقال تعالي (واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

يربط القلوب في تنفيذ الأحكام بخوف الله واستشعار حضور الله ورقابته علي ذلك فيقول انتبهوا فإن خالفتم أمر الله بالاعراض عن امتثال أمر الله من تبعينه ذلك فإن عقاب الله شديد لاقدره لك علي تحمله

فخوف الله والشعور بوجوده هو الذي يحقق الفاعليه الإيجابية في الحركه وبهذا كان تطور المسلم بالشعور بوجود الله فكان منه تحري الحق في كل حركه يقوم بها وايضا فإن علي كل فرد من أفراد المجتمع المسلم الوقوف بوجه كل من يسعي الي العبث بنظام المجتمع ف الذين يتعاونون علي الباطل يجب أن ينهض المجتمع لردعهم فعندها سوف يجدون أنفسهم منبذون وبالتالي فسوف يتوقفون عن فعلهم القبيح لكن إذا لم يقوم المجتمع بواجبه فإن هذا يشجع الظالمون وعندها يحل الغضب الإلهي وعقابه علي الجميع

ثالثا

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به والمنخنقه والموقوذه والمتردية والنطيحه ومااكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب وان تستنقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينافمن اضطر في مخمسه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

الموضوع الاول

أن أول مايشد الإنتباه أن الايه جاءت بصيغه النهي التحريم (حرمت عليكم) بعد أن تناولت النصوص قبلها النهي عن استحلال أوامر الله ونواهييه وحدود احكام وعطف علي ذلك النهي عن استحلال حرمة الشهر الحرم وشعائر الحج والعمرة وحرمة استحلال الامان للزائرين لمكه (ولا امين البيت الحرام بيتنغون فضلا من ربهم ورضوانا) عطف علي ماسبق من احترام الشهر الحرم والهدي والقلائد والتي من ضمن

حرماتها عدم التعرض لها بمنعها من الوصول إلى المحل الذي سوف تنحر عند قدومها ولهذا وحتى لا يتصور البعض أن الحرمه المنوحه للزائرين لمكه أنها تنتهي بعد انقضاء الفتره الزمنيه المتعلقة بحرمه الأشهر الحرم او عد تجاوز الزائر حدود الحرم المحدد لمعالم الإحرام التي تحد مكه من الجهات الأربع نجد أنه سبحانه وتعالى أشار بعدها الي مساله رفع الحظر عن الصيد بعد الانتهاء من مراسيم الحج وسكت عن مناطق الإحرام التي يحرم فيها الصيد التي تحد مكه من الجهات الأربع ثم عطف علي ذلك النهي عن استحلال حرمه حدود الله بشكل عام وحرمه استحلال الامان للزائرين بعد الاحلال من الحج والعمره وضمان سلامتهم من الاعتداء في طريق عودتهم الي ديارهم سواء كان ذلك اثناء فتره الأشهر الحرم أو بعد انتهاء ها وسوء كانوا في المساحه التي جعلت منطقته امان ومعالم لحرمه المكان أو بعدها فجاء النهي بصيغه مشدده (ولا يجرمنكم شنئان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

فالتعاون علي البر والتقوى هو امتثال منهج الله وتأمين سلامة الزائرين للبيت الحرام من ضمن أعمال البر وأمرهم بمراقبه الله في تنفيذ أوامره ونواهيهِ للوفاء بالعهد لقوله تعالى (اوفوا بالعقود) ولقوله تعالى في موضع آخر (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ثم جاء النهي عن تعاطي المحرمات من الاطعمه فقال تعالى (حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به والمنخفضة و الموقوده والمتريديه والنطيحه ومااكل السبع الا ماذكيتم وماذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق) وهذا فيه الآتي

المبحث الاول

شرع في بيان المحرمات التي أشير إليها في الايه الاولى التي افتتحت بها السوره (الا مايتلي عليكم) فذكرت النصوص

المساله الاولى

١_الميته:ـ

وهي التي تزهد روحها رغم أنفها من غير تذكيه

٢_الدم المسفوح:ـ

وهو الدم الذي يتدفق أثناء الذبيحه اي السائل الذي يخرج منه

٣_لحم الخنزير

٤_المذبوح لغير الله(وما أهل لغير الله به)

وهو الذي يذبح الطاغوت أو الأصنام أو الكواكب أو غير ذلك من المخلوقات بأن يذكر اسم عليها أثناء الذبح غير اسم الله والاهلال رفع الصوت حيث يقال أهل فلان بالحج اذا رفع صوته بالتلبيه (لبيك اللهم لبيك) ويقال أهل الصبي اذا صرخ عند ولادته والمراد به ما ذلك علي ذكر غير اسم الله

المساله الثانيه

١

المنخنقه:ـ وهي التي تموت بالخنق بحبل أو غيره

٢

الموقوده:ـ هي تموت بالضرب أو عصا أو حجر وما رمي بالبندق فمات هي في معني الميته وفي معني المنخنقه لأنها ماتت ولم تسيل دمها

٣

المتريديه :ـ الساقطه من علو مثل الجبل أو التي تسقط في بئر ويدخل في ذلك ما إذا أصابه سهم وهو في الجبل فسقط الي الأرض فإنه يحرم اكله لانه لايعلم هل مات بالتردي أو بالسهم ولو رمي صيدا في الهواء بسهم فأصابه فإن سقط علي الارض ومات حل لأن السقوط

علي الارض من ضرورياته أما إذا سقط علي شجره أو جبل ثم تردي منه فمات لم يحل لانه من المترديه إلا أن يكون السهم ذبحه في الهواء فيحل لأن الذبح حصل قبل التردي

٤

النطيحه: هي التي ينطح بعضها البعض فتموت

٥

وما اكل السبع: الذي يأكل منه السبع أو الذئب أو الطير التي تفترس ويستثني من ذلك ما اصطاده الكلب أو الصقر أو الفهود المعلمه ولم يأكل منها حيث أن أهل الجاهليه كانوا إذا جرح السبع شيئاً واكل بعضه أكلوا ما بقي منه

المساله الثالثه

قوله تعالى (الا ماذكيتم)

رجع إلي الي ما قبله بشأن حكم المنخقه والموقوزه والمترديه والنطيحه وما اكل السبع)

بمعني أنه إذا ادركت ايان منها بالذبح سريعاً قبل موتها ..اي أن يكون أدركها وفيها بقيت حياه مستقره فإذا كان الغالب أن ما اصابها سوف يودي حتما الي موتها فإنه لافائده من تدركها للتذكيه فيها فقد قال الفقهاء لو إبان السبع أو غيره حشوتها أو قطع حلوقمها كان وجود حياتها كعدمه لعدم فائده التذكيه منها

المساله الرابعه

١

ما ذبح علي النصب :البعض قال إن النصب هي الأصنام التي كانت في الكعبه فقد كان المشركون يذبحون عند اقدمها ولو أخذنا بهذا المعني فإن هذا القول مكرر لأن الله قد قال في تحريم الذبح للأصنام (وما أهل لغير الله به) إلا أن يراد بالتحريم أنه حرام وان ذكر اسم الله عليها لما فيه من معني الشرك لاعتقاد تعظيم النصب

أما الراي الثاني هو لابن جرير الطبري الذي قال إن النصب ليس بأصنام لأن الأصنام احجار مصوره منقوشه بينما النصب احجار كانوا ينصبونها حول الكعبه وكانوا يذبحون عندها للأصنام وكانوا يلطخونها بالدماء ويضعون عليها اللحوم ويعدون تلك الذبائح قربه فقال المسلمون يارسول الله أن أهل الجاهليه يعظمون البيت بالدم فنحن أحق أن نعظمه فأنزل الله تعالي قوله (لن ينال الله لحومها ولا دماءها)

وهذا الأقرب للصواب

١

الاستقسام بالازلام

هذا أمر متعلق بعده اشياء منها أنها سهام العرب والتي كانوا يتفاخرون بها ويستعملونها في الميسر والقمار لقوله تعالي (ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)

وقال البعض أن المشركون كانوا يجمعون تلك الازلام عند الأصنام ويضربون القداح معتقدين أن الأمر والنهي علي تلك الازلام فيها ارشاد الأصنام ولهذا كان ذلك سبباً لفسق هؤلاء وشركهم وجهلهم

وايضا كانوا يضربون القداح لمعرفة الغيب والمستقبل حيث أنهم إذا اردوا السفر أو أي أمر اخذوا ثلاثه أسهم وكتبوا علي الاول أمرني ربي وعلي الثاني نهاني ربي وعلي الثالث خال من الكتابه فإن خرج الاول فعل وان خرج الثاني توقف وان خرج الثالث أعاد الكره وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم من تكهن أو استقسم أو تطير طيره فرده عن سفره لم ينظر إلي الدرجات العلي من الجنه يوم القيامه)

وهذا ضلال في الاعتقاد بأن هذا طريق الدخول الي علم الغيب وهو افتراء علي الله فلا يجوز وان استعمل القران في ذلك كما يفعل

البعض بأن يفتح المصحف أو المسبحة أو فنجان القهوة ولهذا قال تعالي (ذلكم فسق) فجاء التحريم لكل من يحاول طلب معرفه ما قسم الله من الخير والشر بواسطه ضرب القداح وانما للمومن الاستخاره كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم

وبالوقوف علي جميع ماسبق ذكره نجد الآتي

الأمر الأول

أن النصوص تبين أن الحلال والحرام أمر اختص الله به نفسه فهو حق خالص لله تعالي ولهذا ابتداء بقوله (حرمت عليكم) فذكر محرمات لأضرار حسيه ومعنويه (الميته والدم ولحم الخنزير) ثم ذكر المعنويه (وما أهل لغير الله به) ثم ذكر محرمات (المنخنقه و الموقوذه والمترديه والنطيحه وما اكل السبع)

ثم جاء بالاستثناء (الا ما ذكيتم) ثم عاد الي التحريم (وما ذبح علي النصب وان تستقسموا بالازلام) وأشار إلي العله (ذلكم فسق)

فلا يجوز الاعتراض علي أمر الله لأن ذلك خروج عن طاعه الله

فاللزم الامتثال لأمر الله فالشيطان كان معترفا بالواهيه الله تعالي وربوبيته ولكنه رفض القبول بأمر الله وطاعته والاذعان لحكم الله ولهذا قال تعالي عنه أنه فسق عن أمر ربه

فالمسلم عليه القبول بأمر الله وطاعته دون اعتراض

الأمر الثاني

يقول الله تعالي أن الوفاء بعهد الايمان إنما يكون بالقبول بأمر الله وحكمه دون اعتراض فالله يحكم ما يريد وليس لك الاعتراض علي أمر الله سوء عرفت الحكمه من أمره ام لم تعلم فليس لعقل الإنسان دور في الاعتراض علي أمر الله تعالي لأن ذلك فسق وخروج عن أمر الله كما فعل ابليس الذي رفض السجود لادم امتثال لأمر الله وتبني طرح فكره التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه من خصوصيات في خلقه رافعا شعار التحدي (انا خير منه) وهو ما يسمي في عصرنا العقلانيه المجرده ولهذا فسق عن أمر ربه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (أن الله يحكم ما يريد

(اي ليس لك أن تعترض علي أمر الله فليس لك أن تختار بعد حكم الله فلا معقب لحكمه

الأمر الثالث

أن الأمر بالوفاء بالعقود يعني أن تعبد الله وفق مراد الله الذي يحقق المطلب الرباني ولهذا فإن الإنسان بحاجة الي بعثه الرسل لأن الإنسان خلق له قوي ثلاثه تتنازع قوه الشهوه وقوه الغضب وقوه العقل ولما كانت قوتي الغضب والشهوه تدفعانه الي الشر بمقتضي ماركب في الإنسان من غرائز وشهوات وقوه العقل أودعها الله في الإنسان ليميل الي جانب الخير وتصده عن الشر لكن هذا العقل له حدود فليس له السلطان المطلق لأن المشاهد في سلوك الإنسان أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطغي عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل ويتأثر بالعصبية والقوميات والعنصرية فيتمسك بالعقائد والعبادات المورثه عن الآباء والأجداد ويدافع عنها وان كانت باطله ويهبط إلي مستوي ادني من الحيوان ولهذا حذر الحق من تدخل الشعور ببغض الكفار وأفعالهم في حركه المومنين فقال تعالي (ولا يجرمكم شئنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا.. الخ

فناسب ذكر المحرمات بعدها من الاطعمه ليحث المومنين علي تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية من ركام الفكر الجاهلي بترك سلوك الجاهليه الذين كانوا يأكلون الميته رغم أنها مستقذره للطباع السليمه والعقول المستقيمه ومع ذلك يستحسنها اهل مكه وكذلك كانوا يملؤن الأمعاء من الدم ويشوونه ويمضغونه ويرونه مستحسن برغم أن العقول لاتستيقظ ذلك وتستقبحه فدل هذا علي عدم حصول اتفاق علي مقاييس موحده للخير والشر والفضيله والرذيله والحق والباطل لأن العقول متفاوته في إدراك الحسن والقبيح الذي يصدر العقل حكمه بناء عليه في القبول أو الرفض وايضا فإن العقل محدود الإدراك فلا يستطيع التوصل إلي جميع المعارف بما يسعده وما يشقيه في حياته ولهذا فإن البشر محتاجون الي الرسل وكانت حكمه العليم الخبير يعلم قصور العقل عن هدايه الإنسان في حياته فأرسل الله الرسل يكملون النقص في العقل الإنساني يعرفونه ما يسعده وما يشقيه من الاعتقاد والأعمال ولهذا يقول الله تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم) فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم من انعام الله لنا ولطفه ورحمته للعالمين لما فيها من مصالح وحكم ولهذا قال (واتممت لكم نعمتي)

فالله هو العليم الخبير لما يكمل به حياتنا فقال تعالي (ورضيت لكم الاسلام ديناً)

الأمر الرابع

فكانت هذه الآيات جواب فيه اقامه الحجة لمن يقول اذا كان الله يأمرنا بالوفاء بالعقود التي تعني أن نعبده وان نحمل المشروع الرباني الذي يحقق مراد الله فقد كان يجب أن يبين لنا العبادة ماهي وكيف يكون منا الوفاء بالعهود ولهذا يقول لنا أنه قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ليبين لنا طريق عبادته والشرائع مفصلة التي تحقق المطلب الرباني الذي أخبرنا أنه يحكم مايريد ولهذا يقول لنا الله أن مساله التحريم والتحليل حق خالص لله تعالى فعليكم أن تمتثلوا أمر الله تعالى ومنهجه فهو الذي ارتضاه لعباده سبحانه وتعالى ففي ذلك السعادة لكم في كل شأن من شؤون الحياه ولهذا ذكر التحريم والتحليل بعد النهي عن تدخل النزاعات النفسيه في حركة المسلم فقال تعالى (ولايجرمكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام...الخ

فعليكم اتهام ائتمكم في أي أمر يأمر الله به حتي لاتخرجوا عن شرف الطاعة فقد ورد عن الاعمش قال سألت أبا وائل شهدت صفيين فقال نعم فسمعت سهيل بن حنيف يقول اتهموا ائتمكم فقد رأيتني يوم أبي جندل لو استطيع رد أمر النبي صلى الله عليه وسلم لرددته ...الخ

ولهذا فعليكم القبول والرضا باختيار الله الذي اختاره لك فالله يحكم مايريد

المبحث الثاني

أن النصوص تبين الحكمه من تحريم ماذكر في الايه الكريمه والذي شمل فيه ذكر الآتي

الأمر الأول

تحريم لأنها من الخبائث ماديه حسيه (الميتة والدم ولحم الخنزير) لما فيها من اضرار

أن تحريم الميتة ومافي حكمها موافق لما في العقول لأن الحيوان اذا ماتت حتف أنفه فإنه تحتبس بداخله الدم في عروقه وتتعفن وتفسد وفي اكله مضار عظيمه

وهو ماتستقذره الطباع السليمه ويدخل في هذا المنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه ومااكل السبع وكذلك فإن الدم فيه ضرر علي ا لانسان

٢

أن اكلها فيها مهانه يتنافي وعزه النفس وكرامتها

حيث الإنسان ينبغي أن يكون متميزا عن الحيوان فلا ياكل القذورات...اضافه الي أن لحم الخنزير يوتر في سلوك الإنسان ونفسيته لأن الغذاء الذي يتغذي عليه الإنسان يكون جزء جوهرى في تكوين اخلاق المتغذي وسلوكه فهي تكون من جنس ما كان حاصله منه غذاءه و الخنزير مطبوع علي حرص عظيم ورغبه شديده في المشتهايات فحرم علي الإنسان لئلا يتكيف بالكيفيه التي طبع عليها الخنزير فالخنزير ديوث يشاهد من يمارس العلاقه الجنسيه مع الانثي التي تخصه ولا يتحرك له ساكن بعكس الشاه فإنها لديها غيره ولا تقبل ذلك ولهذا نشاهد كيف أن الغرب الذين اعتادوا اكل الخنزير فقدوا الغيره

وخصه بالذكر لأجل ما فيه من ضرر واضافه لأن المسيحية ادعت أن اكله حلال نتيجه تسرب الوثنيه الي دينها

الأمر الثاني

تحريم ما أهل لغير الله به ..وهو الذي يذبح علي ذكر غير اسم الله كما أوضحنا فالاكل منها محرم لأن الذبح علي ذكر اسم الله عباده للا صنام والمخلوقات فالاكل فيه مشاركته لهم وهو ممايجب إنكاره فالضرر معنوي لانه يلوث العقل بالاوهام والخرافات ويستبعد الإنسان مخلوقات مثله وهذا فيه خروج عن العبوديه لله ويلحق بهذا الذبح عند الاحجار التي نصبت عند الكعبه وكذلك طلب معرفه الغيب و المستقبل بالقدر فهذا اعتداء صارخ علي حق الله

الأمر الثالث

أن علي المسلم إلا يأكل إلا مما كان له قصد في إزهاق روحه ولهذا ذكر الحق تحريم المنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه ومااكل السبع واستثناء من ذلك ما حصل تذكينه

الأمر الرابع

أن من ضمن أهداف هذا التحريم هو اصلاح الإنسان المسلم ونقله الي التمدن والإنسانية وترك القذرات ومن ضمن ذلك التمدن والإنسانية أن يتعامل مع الحيوانات بالرحمة فلما كانت حياه المشركون فيه كل تلك الهمجيه والتوحش في اكل الميتة والدم والتوحش في التعامل مع الحيوانات حيث كانوا يخنقون البهيمة بحبل الصائد ومنها ما يدخل رأسها بين عودين في شجره فنهى الحق عن أكل المنخنقه وكذلك كانوا يضربون الحيوان لحد الموت فنهى الله عن الموقوده لما فيها من اضرار وايضا لقساواه التعامل مع الحيوان بلا رحمه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن الله كتب الاحسان في كل شي فإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه وليحد أحدكم شفرته وليريح ذبيحته (

ولهذا ربط ذكر الآيات بمساله الحج التي أمر المسلمون أن يجسدوا اخلاق الاسلام الناتجه عن التأثير بأحكام الشريعة التي أحدثت فيهم هذا التحول الذي يظهر جليا في قدرتهم علي استعمال ملكات العدل والإحسان والرحمه في التعامل مع أنفسهم ومع الآخرين ومع الحيوانات فناسب بعد ذلك قوله (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم)

لانهم عندما يشاهدون هذا التحول والتغيير الذي أحدثته شريعته في سلوك المسلمين يشاهدون هذا التمدن والإنسانية والانضباط و التحضر لابد أن يصوبوا بالياس من عوده المسلمين الي ما كانوا عليه في الجاهليه من الهمجية والتوحش فلا بد أن حالهم وهم يشاهدون المسلمون أنهم يرون انقلاب في حياه المسلمين يستحيل معه العوده الي الجاهليه وسلوكها يشاهدون الفارق بين سلوك المسلم وانسانيته وأخلاقه وبين الماضي الذي كانوا عليه بل وبين سلوك المشركين أنفسهم فيشعرون أن هنالك فرق بينهم يرون أنفسهم أنهم همجيون لا انسانيه ولا اخلاق لديهم وانهم أقل شأنا من المسلمين ولهذا يقول الحق لعباده فلا تخشوهم واخشون)

يعني أن يكون التمدن والتحضر الذي وصلتكم إليه سببا في خوف بطش الكفار الهمجيون وماهم عليه من صورته تعكس التوحش مخيفه وعليكم خوف الله تعالي

يقول لهم أن عليكم الالتزام بالانضباط بما امركم الله فهو فيه الكمال فمن نعمه الله عليكم أن أنزل عليكم القران مفصلا لجميع شئون الحياه في أمور المعاد وعلمكم أمور المعاش وبيان منافع الاغذيه ومضارها فاختصر لكم المسافات فلو ترك الناس دون بيان لها لما كفي أعمارهم للوصول إلي منافعها ومضارها ولما خلق كثير في التجارب ففي القبول بما اختار الله لكم نعمه عظيمه وفرت لكم الجهد فانتم عرفتكم ما فيها من منافع ومضار من دون تعب فالإسلام علمهم الاخلاق الفاضله وتعليمهم السياسات الكامله العائده للجماعه فالعقل البشري أيضا لايعرف مايرضي الله حتي يفعله ولأن معظم الناس لا يعلمون مصالحهم فلولا ارسال الرسل لكان الناس همجا متقاتلين متدبرين لايتحقق العدل في مجتمعاتهم وترك لهم الاختيار لما جاء به الرسل بين نعمه الايمان التي فيها سعادته فهي منزله من الله العليم الخبير الذي يعلم ما يصلح عباده ومن هنا ندرک فائده البعته وأرسل الرسل للناس بأنها صيانه للناس

رابعا

يضع الاسلام للمسلمين الأسس والمنطلقات التي يتجاوزون بها التحديات والصعوبات والأزمات التي سوف تواجه الحضاره الاسلاميه ودوله الاسلام ونموها والتحويلات التي قد تطرا علي هذه الحضاره حضارا ومستقبلا فقال تعالي (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمسه غير متجانف لائم فإن الله غفور رحيم)

المبحث الأول

بعد أن تناولت النصوص الأمر بتعظيم شعائر الله وحرماته والمعالم التي وضعها للناس كحدود لأوامره ونواهيها واختتمت توجيهاته لعباده بقوله (وان تستقسما بالازلام ذلكم فسق)

تأتي النصوص بعدها بقوله تعالي (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

يقول الحق أنظروا كيف أن الله نصركم وخذل الكفار الذين كانوا يضطهدونكم كيف حالهم لقد أصابهم الياس من تحقيق أي نتيجة من هدفهم بالقضاء علي النظام الإسلامي فقد انقطعت آمالهم في ذلك فانظروا الي حاله الياس في أعينهم وحاله الياس أما أن تدفع الياس صاحبه الي الهزيمة والانسحاب من فاعليه حركته سوء كانت ايجابيه أو سلبيه فيتحول عمله الي عمل روتيني يفتقد الدافعيه والإبداع و الابتكار والتطوير ولايبالي بأمر الخلاص مما هو فيه ولايحول تحسين وضعه لفقدان الامل فيما كان يسعى إليه وانعدام الحوافز التي تحثهم للإبداع وأما أن يدفع الياس الي تصرفات غير مدروسه العواقب ولهذا نجد أن الحق يلفت انتباه المومنين في كل زمان ومكان الي الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الايه بقوله تعالي (اليوم) وال هي ال العهديه وهذا اليوم هو يوم عرفه الذي دانت جزيره العرب قاطبة لنظام الاسلام ولهذا يذكر الله عباده في كل زمان ومكان بنعمه الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود لاوليائه الذين يعتمدون عليه سبحانه وتعالى فالخطاب

ليس مقصودا علي الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا هذا اليوم بل انت مقصود ايه القارئ بهذا النداء يقول لك الله انظر الي عاقبه الصادقين مع الله الذي يوفون بعهد الله فانتبه من الياس في أي معركة مع أهل الكفر انتبه من نتائج المعارك المعرفيه السلبيه علي مسرح الحياه التي تودي الي الانطلاق من سياسيه الأمر الواقع بالنظر الي مفهوم النجاح والفشل والحق والباطل كنتيجة لما تنتهي إليه المعركة بين الحق والباطل فانتبه من الانسحاب عن حركه العمل الإيماني متأثرا بالياس اذا تعرضت لعاصفه فلا تتأثر بالضجيج الإعلامي لقوه العدو انتبه أن يصل بك الياس الي التكيف مع الباطل عند سقوط سلطه القرار من يدك فتقوم بتغيير اوعيه المعرفه لديك لأن ذلك يعني تغيير مواد الاوعيه

فالمومن لاياس من روح الله إنما الذي ييأس من روح الله هم القوم الكافرين

ولهذا افتتحت الايه بصيغه الامتنان لأجل أن يكون الدليل التاريخي ومراحل كفاح ونضال الصحابه لك حافزا ماديا ومعنويا يدافعك الي الكفاح من أجل استعادة الامه لدورها فلا يكون الأمر الواقع الذي ينتج عن الاستعمار سببا في الياس الذي يشكل طريقه تفكيرك وموقفك من الحق والباطل ليس الأمر كذلك فعليك الثبات فالله سوف ينصرك ولهذا ناسب تناول قصه

تحقيق وعده سبحانه وتعالى للرعيل الاول بالعز والتمكين بعد قوله (ياايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله... الخ عندما التزموا أمر الله وتحملوا المسؤوليه بحمل الامانه معتمدين علي الله تعالي فيقول الحق سبحانه وتعالى أنظروا الي دليل الحدث التاريخي في واقع حياه الصحابه رضوان الله عليهم كيف كانوا مستضعفون مضطهدون ليس لهم أي عنصر من عناصر القوه الماديه أمام ماكان يتمتع به أهل الشرك فما كانت النتيجة لقد نصر الله المومنين وانهزم الكفار واصابهم الخذلان فلم يعودوا يأملون بالقضاء علي الاسلام وأنصاره أنهم اليوم خاضعون لسلطه الاسلام الذي أصبح يملك القرار بشأنهم ولهذا فان قيم الإسلام الحنيف هي التي حفظت كرامتهم وحققهم

الأمر الثاني

يقول الحق أن هذه النتيجة النهائيه لعاقبه الكفر وأهله هو الهزيمة والخذلان فهذه تجربه لنصر الله لاهل الحق دليل لكم لمواجهه الباطل فالتجربه بكل مراحلها لما مر به الصحابة رضوان الله عليهم من بدايه الدعوه في مكه وما عانوا من القهر والاضطهاد وصولا إلي هذا التقدم والنجاح الذي وصل إليه المسلمون وهزيمه المشركون عسكريا وسياسيا وفكريا فاصابهم الياس وانقطعت آمالهم في ابطال أمر دينكم فهذه تجربه تبين لكم التطور والرقى ومراحله فانتبهوا من الياس فانتهم مرتبطون بالله وهو معكم والتطور والنصر له سنن لا بد من الأخذ بها قبل الوصول إليه فلا بد أن يمتحنكم الله ويختبر صدق ايمانكم وصدق التغيير المرتبط بالله فإذا راي منكم صدق الايمان وتحمل الاذي في سبيله ومحبه له تعالي ابدالكم بدل الخوف امنا وبديل الذل عزا ولهذا فعليكم الثبات أمام قوه الكفر والشرك فلا تضعفوا ولا تفرطوا بالقيم والمبادئ فعليكم التزود بالصبر فهذا الحدث التاريخي فيه الدليل المعرفي الذي يزودكم بالطاقه والنشاط والحيوية والا ستمرار وعدم الياس فالله قد انعم عليكم بهذا القرآن فانتبهوا من الانهزام أمام قوه العدو الماديه اذا سقطت الدوله وقرارها انتبهوا من إفراغ القيم والمبادئ من مضمونها كما هو حال المسلمون اليوم من ضعف الاراده وفقدان طاقه العزائم نتيجته الانهزام الذي لحق بـ المسلمين عسكريا وفكريا فأصبح المسلمون اليوم في ضعف وهون يخافون من امريكا وإسرائيل والغرب ولايجرون حتي عن ادانه جرائمهم واقتصر دور البعض علي التغني بامجاد الاسلام وحضارته دون أن يكون لها دور في الحياه والبعض الآخر يخرج في مظاهرات يستجدي من أهل الكفر نصره اهلنا في غزه يفرغ حماسه ثم يعود إلي منزله لينام معتقدا أنه قد ادي دوره المشروع وعبر عما يجول في خاطره المفجوع

فهذه الانفعالات التي تواجه بها الشعوب للتعبير عن رأيها دون أن تتعرض لأصل المشكله وان طالبت بالاصلاح والتغيير كما هو حال الكثير من الحركات لكنها لاتصل في مطلبها هذا الي دفع السياسيه الاستعماريه التي أصبحت تجلس علي كرسي المعلم لتوجيه المسلمون حيثما تريد وهم يجلسون في مقاعد التلاميذ لتحكم علي الطموحات والأمال بالخلاص بالموت صبرا في عنابر الاحتواء الخارجي الا ستماري كما صار يعتقد الكثيرون وهذا يعود إلي قيام الاستعمار باعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وفقا لاهدافه الاستعماريه بما حمل من أفكار وسياسيات تغللت بفعل عملائها الذين نصبهم حكاما علي الشعوب فوصلت افكار الاستعمار وغاياته الي عمق دماء الشعوب ومائتها الذي تشربه وهوائها الذي تننفسه فاحدثت خلل في الوعي والاستقبال وضعفا في القراءه والاستنتاج واحباطا في المواقف والمدركات واجتثاثا للهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات فصار المسلمون يعيشون بثوابت غير ثوابت الاسلام وقراءتهم للدين والتدين من منطلق نتائج الهزيمة العسكريه التي لحقها عزيمة فكريه فصار المسلم يصلي ويصوم ويحج لكن دون أن يكون لهذه الشعائر اي ثمره في حياهه أصبحت مجرد شعارات ترفع وفق مايرده أهل الكفر فصار المسلمون يتبعون الكفار ويتشبهون بهم خوفا من الكفار بل أصبح البعض يتباهي بحضاره الغرب ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول لعباده (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم ف لا تخشوهم واخشون)

يقول لك الحق ان الإسلام قد ميزك عن أهل الشرك بهذه الصفات الجميله المخالفه للشرك وأهله فعليكم الثبات علي هذه القيم والمبادئ ف لا تفرطوا بها فلا تخافوا من الكفار فهم لاقوه لهم أمام قوه الله فعليكم السعي المساهمه في صناعه قرار الخلاص فهذا أمر ضروري فكل واحد من المسلمين مكلف أن يسهم في صنعه وتجهيزه وتركيباته المستقبليه فلا تردد فطالما أن المستقبل غيب والغيب بيد الله

سبحانه وتعالى والله امرك بالتوكل عليه فهو قال لك قبل هذا الايه (ولاتستقسموا بالالزام)

لاتحاولوا طلب معرفه الغيب عن طريق الاقداح بل عليك التوكل علي الله تعالي فأنت لك الساعه التي أنت فيها بأن تنشغل بالساعه وفق مراد الله بأخذ السنن والأسباب الموديه الي نصر الله وشمول العدل المامول باذان الله كما قال تعالي (لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء)

ولهذا فلاتخاف قوه الكفر الماديه و عليك خوف الله فهو بيده النصر والعز والتمكين فقال تعالي (فلا تخشوهم واخشون)

الأمر الثالث

يقول الحق لك أن اول في صناعه طريق الخلاص يكون بالإيمان ب الله والشعور بوجوده فهذا أساس الفاعليه الإيجابية فقال تعالي (فلا تخشوهم واخشون) ولهذا فإن هذه العقيدته هي التي تولد فيه الفاعليه الإيجابية لأنها تحرر الإنسان المسلم أفرادا وجماعات ودول والحق هنا يشير لعهده مسائل

الاولي

يبين لنا أن فاعليه المسلم الإيجابية ليس علي تعريفه وجود الله فهذه العقيدته يملكها فليس بحاجه الي أن يعرفها وانما المراد الشعور بوجود الله فهذه العقيدته هي التي تولد فيه الفاعليه الإيجابية لأنها تحرر الإنسان من أن تسعبده الاوهام والمخاوف من قوه الأعداء اوتهديداته بقطع مصادر أرزقه

أن المعركه مع الكفر والشرك هنا تختلف عن المعركه العسكريه ان لها سياسات و ادوات واسلحه اخري فهي سوف تلجأ الي استخدام سلاح الغزو الفكري لإفراغ القيم والمبادئ من مضمونها لأن الخوف يمكن العدو من الانتقاص من كرامه الانسان وحرية ويضع عليها قيودا تجعله عبدا الطاغوت والوثنيه السياسيه ولما مهمه الدين تقرير حقيقته الحريه وتقديسها لأن حقيقته الإنسان الانسانيه والإنسانيه هي الحريه ولهذا نجد النصوص في الايات قبلها وبعدها تعمق مشاعر الحريه في مسالك النفس والعقل واغوار الفرد والمجموع وفي جذور الا مه والدوله وشددت علي اهميه هذه القيم التي هي من اصول العقيدته التي تتفق والفطره التي خلق الناس عليها الله يقول (ياأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وبضع عنهم أثرهم والاغلال التي .. الخ

فالحريه هي دين الله الذي يعبهه ويلقاه بها الإنسان فيرضي نزعته بالانقياد والاستسلام لقوي كبري في الوقت الذي ينطلق منه الي أرحب الآفاق فهذه الثوابت التي يعيش فيها المسلم أنها العقيدته التي انطلق منها المسلمون الأوائل وهي التي يكون بها الخلاص للمومنين في الوقت الحاضر فالله يقول (ولايجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب)

المساله الثانيه

أن الايات وردت بعد تحريم الاكل من الخبائث والحث علي احترام وتعظيم شعائر ويربط ذلك بالعز والتمكين وخوف الله الذي فيه تحرير الطاقه العقليه والنفسيه من الشلل عند غياب خوف الله يعني الانشغال بخوف المخلوق او المستقبل ولهذا وردت الايه بعد ذكر النهي عن استئصال حدود الله ومنهجه وذكر منها شعائر الحج والعمره والقوامه علي البشر والمحرمات من الاطعمه وطلب معرفه المستقبل بالا قداح فما هو الارتباط بينها وبين ما جاء في الايه ؟

الجواب

١

تبين النصوص أن فكره عقيدته الايمان التي يكرر الحق ذكرها باكثر من مكان لايرد باذاعتها وإعلانها مررا وتكرارا أن تبقي كنزا في النفس لايجرح الي حيز الوجود فليس هذا المراد منها بل يقصد من ذلك أن يكون اعاده تشكيل العقول والنفوس بناء علي هذه الحقيقته ليكون من نتائجها تحمل أعباء الانتماء لهذا الدين في التفاني في خدمه البشريه ونشر الخير يعيش ليعبد الله لا يعيش ليأكل ويتزوج لينجب لأ ن هذا يجعل اهتمامات الفرد ضيقه لا تزيد عن اهتمامات الحيوانات ولهذا نجد أن النصوص جاءت تبين تحريم بعض الاطعمه وتربط ذلك التحريم بالتوحيد بعد أن ذكرت حق الإنسان بالعيش كنوع فقال تعالي (ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا)ولكن الدين الاسلامي يربي بالحياه ويسمو بالإنسان الي الكمال حتي لاتستفرقه معركه القوت والأمن فحسب وهنا يتولي الدين تعميق الجذور وتوسيع الآفاق فلا يكون هدفه الاكل فقط أو كسب الأموال بل عليه أن يربط ذلك بالتوحيد فهو لاياكل الا ماهو حلا ل فالله يقول في موضع آخر (واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فاوكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات)

فهمه الدين مزدوج تحقيق الضروريات التي يحتاجها الناس لكي يجدوا الفرص ليفكروا في الكمال فالإسلام يهذب الإنسان ويرتقي به البشرية عن أن يكون الصراع من أجل اللقمة أو فرارا من الأذى والضيق لاغير ولهذا جاء الأمر باحترام كرامه الانسان وحرية وسعيه لكسب الرزق في مكة او غيره دون أن يتعرض له أحد وامر بالعدل والتعاون عليه ليامن الناس المظالم والمغارم فيفرغوا للانتاج والإبداع في التعاون علي مافيه خير للبشرية كلها ويهيب بالناس جميعا أن يتناصفوا لتخف ضغوط الحاجه وشورر التنازع والخصام فهو يقول (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم ديناهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا....يعبدونني ولايشركون بي شيئا)

فالايه تبين أن التمكين للمومنين إنما يكون بعباده الله والإخلاص فالتمكين والاستخفاف للمومنين هو السبيل لعباده الله في الأرض دون فتنه ولاصا ولا اغواء أو ترهيب

وعلي هذا فإن التمكين للمومنين إنما هو تمهيد الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الطريق أمام حرية الفكر والضمير في عباده الله ويامن الناس من فزع الناس فلا يعبد في الأرض إلا الله ولايستعلي علي خلقه الا العزيز القهار الجبار وهو الواحد القهار وان المقصد العام من شريعته هو تحقيق مصالح الناس بكفاله ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم

٢

يبين الحق أن الهروب من المسؤوليه نتيجته الخوف علي الأرزاق أو الخوف من المستقبل أو غيرها من الأمور التي سوف تكون سلاح الكفار ضد المسلمين لإفراغ الشعائر والقيم عن مضمونها يهدف إلي اصابه المسلم باضطراب وتخطب لتلتبس عليه المعالم وتضيع الأهداف وترتكب الخطوات وتتخطب التصرفات ولهذا يحذر الله عباده من ذلك ويقول لهم لاتخافوا أحد إلا الله فلا تسمحوا لأفكار الأعداء أن تنفذ الي كيانكم فالاسلام ليس مجرد الصلاه والحج واجتناب الخمر والميسر فليس هذا مضمون العباده التي امركم الله بها فالعبره بالشعائر بثمرتها وكأنها دروس علي حصص فعقيده الاسلام فكر مستقيم وعبادته ليست اجزاء مبتوره عن برنامج الاسلام المتكامل الحيوي الذي يفجر الطاقات فدين الله بعقائده وعبادته ومثله ونظمه إنما هو لنفع الناس وخدمه الشعوب فلا يجوز فصل العامل السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو غيرها من العوامل فقيم الاسلام يصعب فصلها عن جوانب الفكره الإسلاميه لأنها متكامله وتحقق اهداف الخير لتعبد الله في كل عمل تقوم به فكلمه لا اله الا الله كان بها قطع الأطماع أمام الانتهازيون الذين اردوا اتخاذ الاسلام وسيله للاستبداد الناس أو نهب الأموال لان الايمان بالواحدنيه تعني اخراج كل الأصنام من النفوس فمن أراد أن يقطع الطريق أمام ارزق العباد يعني أنه يجعل من نفسه الها من دون الله وبالتالي فإن ذلك شرك بالله

فشعائر الاسلام كلها تتظاهر علي تثبيت معاني العدل والمساواة والحرية وسياده الشرع

ولهذا فإن مهمه المسلم إيصال هذا الخير للبشرية كلها وان عليه أن يجاهد في سبيل الله لا يخاف لومه لانم فلا يخاف الا الله

المبحث الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يبين للمومنين أنه قد نصرهم علي أعدائهم فهم قد انقطع آمالهم من القضاء علي الاسلام ونظامه بالمواجهه العسكريه كما ورد عن ابن عباس والسدي ومقاتل وعطاء بن أبي رباح وعلي هذا دل معني الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن الشيطان قد ينس أن يعبد المصلون في جزيره العرب ولكن بالتحريش بينهم)

فدل هذا أن السلاح الجديد الذي سوف يستعمله المشركون هو زرع الخلاف والاختلاف بين المسلمون ولهذا قال تعالي (فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمسه غير

متجانف لانم فإن الله غفور رحيم)

فالحق يبين أن معوقات التطور غياب برنامج التطور لاستنباط احكام الشريعة الإسلامية التي تلبى احتياجات المرحله مع الالتزام ب التقيد بالاحكام القاطعه الدلاله في الكتاب والسنة

فإن غياب هذا البرنامج ينتج عنه الاختلاف علي العقيدة التي تصوغ التطور والرقى بالافراط والتفريط

فانما يتعثر التطور بعدم التزم حدود الله فتعثر النهضه تعود جذوره الي خلل الاختلاف الفكري

وبقدر الاختلاف يكون الخبال والتخلف

والاختلاف يبدأ من عدم خوف الله في استنباط الأحكام والتحديث للوسائل دون تأصيل هذه البدائل والتعصب للرأي والمذاهب التي

في أغلبها من غواش التاريخ الفاسد التي طرأت علي الموروث الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي وهذا يصيب المجتمعات بالصراعات الشخصية وتعميق جذور التخلف وهذا التخلف يصيب المجتمعات بالسطحية ويحصره في المزيديات الكلامية فيقتل فرص الاتفاق ويعمق جذور الاختلاف وهذا يؤدي الي مشكله عدم القدره علي التعاطي مع مصدر الالهام والمثل العليا نتيجته الغواشي التي طرأت عليها ومن هنا يبدأ باللف والدوران حول نفسه تخلف واختلاف واختلاف فتخلف يدور المجتمع في حركه دائريه بدايتها هي النهايه ونهايتها هي البدايه لأن التخلف والاختلاف كلا منهما سبب للآخر فالاختلاف مشكله فكريه والتخلف مشكله موضوعيه ولهذا فإنه إذا أردنا الخروج من هذه الازمه فعلينا أن نقطع هذا الخط الدائري لنصنع منه خطأ مستقيماً نتعرف من خلاله علي نقطه البدايه التي يمكن أن تصل بنا بنجاح الي حسم القضيه في النهايه وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك

فيأتي الجواب (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فمن اضطر في مخصصه غير متجانف لائم فإن الله غفور رحيم)

الأمر الأول

أن الازمه ليست لوجود الفراغ النصي وانما ذلك يعود إلي الموقف السلبي الذي يقف فيه البعض من الاسلام ورسالته

نتيجته افرزات الابتعاد عن منهج الله والخوف من مقاومه العدو واهم عوامل ذلك هو الرده السياسية عند وصول فئه أو أشخاص الي مركز القرار عن القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام ونقض العهد الذي بين الحاكم والمحكوم والخوف علي زوال الملك فينشأ عن ذلك الاستعلاء بالكفار للحفاظ علي الكراسي من ثوره الجماهير وبالمقابل تجد الشعوب تقف أمام تلك المشكله بايد مكتوفه والسن معقوده وسط دائره مفرغه كما هو حال المسلمون اليوم فلا تحاول الامه أن تفتح ثغره في هذه الدائره كي تخرج منها فادي ذلك إلي العجز و التخلف الذي صار ينسب للاسف للإسلام وهو بري منه

وهذا فيه تفریط بالقيم والمبادئ والنظام والتراث لأن الارده مسلوبه نتيجته الخوف من سطوه الحاكم ومن يحميه من أهل الكفر اضافه الي التخلف الذي يعيشفه المجتمع واعتباره أن طاعه هذا الحاكم هو طاعه لله نتيجته غوشي التاريخ الفقهي للمورث الذي حدث فيه الخلط بين مفهوم ولي الأمر الذي يستمد شرعيته من العقد الشرعي المنعقد بينه وبين الشعب وبين الحاكم الذي يكون وجوده في حالات الضرورة والطوروي مثل حالات الحرب التي يمتنع معها إجراء الانتخابات لاختيار الحاكم فإن حكم الضروره يزول السبب ونتيجته لخوف الفقهاء علي وحده الامه قاموا بالتضحيه بالشرعيه الدستوريه وحق الامه في اختيار الحاكم تحت حكم الضروره حسب وجهات نظرهم بعد صفين بالقبول بحكم يزيد بن معاوية واستمر حاله الطوارئ حتي يومنا هذا وكان هذا الخلط مع أن الله يقول (فمن اضطر في مخصصه غير متجانف لائم فإن الله غفور رحيم)

فالضروره التي يكون فيها تعطيل العمل بالحكم لاي مساله إنما يكون للضروره القصوى ووفق شروط محدده وبعد زوالها يعود الشخص الي الحكم الاصلي لأن الاباحه مثلها مثل الذي يأكل من الميتة فهل يجوز أن يستلذ اكل الميتة وعدم التوقف عن اكلها حتي بعد انتهاء الضروره ؟

من الموكد أن كل من تسألُه سوف يقول لايجوز فكذلك فإن الضروره لتجاوز حق الشعب باختيار من يحكمه محكوم بهذه الضروره فهو مثل الذي يأكل من الميتة الجيفه غير مسموح بها في الظروف العادية

لكن حاله الشعوب مازالت محكومته بطروف استثنائية اوقعتها في ازمه سياسيه نتيجته وقوعها في ازمه دستوريه ناتجه عن اعتبارها أن استيلاء الحاكم علي السلطه بالقهر دون اختيار الشعب يكون له حق الطاعه دون النظر إلي أن الأصل أن هذه الطاعه مستمده من العقد الشرعي المنعقد بينه وبين الشعب الذي اختاره بارداه حره

الأمر الثاني

أن من أسباب هذه الازمه هو سوء فهم النص كما قلنا في الموضوع السابق ولهذا فإنه لصناعه الخلاص إنما يكون بالبحث عن غواش السياق التاريخي تفحص هذا الكم الهائل من الموروث الفقهي الإسلامي والتنقيب في جذوره بعيدا عن عقليه التقليد والتعصب للمذاهب أو الرأي وربط القيم في الزمان ومايقابلها في المكان فالاستبداد هو أساس الفتنة كلها فالتمزق والاختلاف يعود إلي الاستبداد وعدم فقه التعامل مع التحولات التي تطرا علي حياه الناس ومراحل الأمم المختلفه

ولاخلاص للامه للخروج من هذه الدائره المغلقه ولن تستطيع أن تصنع خط مستقيم تتعرف من خلاله علي نقطه البدايه التي يمكن أن تصل بنا بنجاح الي حسم القضيه الا بالعودة الي شريعه الاسلام أحققه والموروث الشرعيه ومرفوماتها الكتاب والسنة فهما المرجعيه الموثوق بهما الموصول لثوابت الديانه والتدين وهما المصدر لادنه سماسره المتاجرة بالاديان ولايسعنا الا اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وبما يتطابق مع النموذج الذي قدمه الاسلام للامه إلي قيام وهي الخلافه الراشده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حجه

الوداع التي نزلت فيه هذه الايه (تركتم فيكم ما أن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله وسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي)

الموضوع الثالث

اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم

المبحث الأول

ابتدأت الايه بهذا الإعلان (اليوم أكملت لكم دينكم) الذي تضمن اعلان كمال الدين وإتمام النعمة وان هذا الدين هو الذي ارتضاه الله لعباده وتحقيق مراد الله والمطلب الرباني

والجملة واقعه بين معترضين أولها واخرها حيث ذكر في أولها (لاتحلوا شعائر الله....الي قوله (وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق) في آخرها (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم) وبالنظر الي وجه الايه يبدو التجانس واضحا في معالمها جميعا بحيث تتلاحم معانيها كما تتناغم كلماتها فتولف صورتها الداله علي أن القرآن هو كتاب الله ومعجزه الرسول صلى الله عليه وسلم الموكد صدق نبوته

وبتضح ذلك من الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يبين لعباده اهميه فقه المرحله وفهم العصر واحتياجاته لتحدها واستخدام السلاح الذي يناسب المرحله ف القرآن نزل منجما وموزعا علي الحوادث والنوزال التي تحدث والقضايا التي تنور وتظهر فيقول للمومنين لاتنشغلوا بهامشات الأمور التي لاتحرس الدين ولاتقيم حدا فلا تهتموا بثرثره الكفار فانجاح المرحله يتطلب منكم الانتقال الي ابطال الظروف الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية والسياسية التي شكلت التخلف الجاهلي ولهذا بعد الحث علي ابطال بقايا ركام مخلفات الفكر الجاهلي انتقل الي تظمن المسلمين من خطوره الكفار بالاشاره الي زوال قوتهم وأركان دولتهم فالله قد نصر دينه واوليائه فقال تعالي (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

فهذا يوم النصر العظيم والفتح المبين فعليكم تذكر نعمه الله وفضله عليكم وما شرعه لكم من دستور الحياه ومنهج تربيته الامه التي أراد الله لها الكرامه والعزه وجعلها خير الأمم فإذا ذكر المسلمون ذلك وهم يتلقون احكام هذا الدستور الخالد فإن صدورهم تنشرح فيكون دافعا للتمسك بهذا الدين والاستقامه عليه مبينا لهم أن من تمام نعمته سبحانه وتعالى علي البشريه كلها هو انزل القرآن الكريم وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم لإخراج البشريه من ظلمات الجهل والكفر الي نور الايمان والقرآن وأحكامه وقد أصبحوا في مامن من الكفار واعاونهم فالقرآن قد أخذ مكانه في قلوبهم ..وفيه الحلول لكافه المشاكل والتحديات ولهذا يقول لهم ينبغي عليكم إدراك هذه الحقيقه التي تتطلب فهم الواقع والمرحله ليكون معالجه قضايا المرحله والمشكلات التي تواجه هذه المرحله فخطاب الدعوه غير خطاب الدوله وخطاب العز والتمكين غير خطاب الانهزام والتبعية وخطاب ايام الاستعلاء يختلف عن خطاب ايام الاستضعاف والهوان فلا تكون دعوتكم منفصله عن الواقع فانتم بحاجة الي معرفه الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة التي تواكب التطور وهذا إنما يكون بمعرفه الظروف الواقعيه التي تعوق التقدم والتطور فهذه الظروف التي تشكل التخلف متدخله فالتخلف الاقتصادي تحكمه ظروف سلبيه تتداخل بظروف التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي وتتأثر مع بعضها البعض وتتبادل معها العلاقات التي تدفع نحو مزيدا من التخلف وتتظافر في اعاقه التطور والوصول الي الغايه والهدف وهو اقامه الحضاره الاسلاميه التي فيها السعاده والرخاء والرفاهيه للناس في الدنيا والآخرة

وهنا فإن الدور المناط به تحقيق أهداف المرحله هو عرض الأحكام والمبادئ والقيم (النظريات) التي جاء بها الاسلام والوسائل والأساليب الواقعيه لمعالجه التخلف الذي يعيق التقدم وإظهار قبائح الظروف التي شكلت التخلف باختلاف مضيعها ليحصل الاقتناع من الجماهير بضروره التغيير لهذا الواقع وهذا الاقتناع يتطلب أن يدرك المخاطبين بالفكره وجود حلول واقعيه قادره علي القضاء علي التخلف واحداث التطور فلا تكون المساله مجرد شعارات ترفع يستحيل تطبيقها علي أرض الواقع وهنا لابد من تجاوز المشكله الثانيه التي توجه اراداه التطور وهو حسن التقدير لأن اساءه التقدير للمرحله والواقع قد يوتران علي الأحكام والمواقف والقرارات والأهداف واستراتيجيات فيكون الفاضل مفضول والمفضل فاضل والضروري يصير مندوب والمندوب ضروري فمثلا يودي اساءه التقدير للأشياء الي الاستعلاء علي الظروف الموضوعية المكونه لعناصر التخلف فينتج عن ذلك التقدير الساذج للقدره الذاتيه نتيجه الإعجاب بالنفس مما يخلق اعتقادا وهميا بإمكانيه التعامل مع الغير علي اساس هذا الاستعلاء وتلك القدره وبالتالي العجز عن مواجهه قوه العدو في حاله الحرب وكذلك فانه عندما تكون الاختلاف اختلاف له بواعث شخصيه فإن أصحابها لايتقيدون بمنطق وانما يسترون بواعثهم بفلسفات ونظريات يزخرفونها بجدل وصراع يسمونه صراعا عقائديا ليجتذبوا إليهم من يبنهرون وهم الذين يعانون من ضعف الفهم للقيم والمبادئ وعدم امكانيه الفصل بين مايثير الحماس ومايغير من مشاكل اجتماعية وعقبات موضوعيه تعترض سبيل التطور وتعوق التقدم الذي

استهدفه الحماس فيخلق بذاته استحاله تحول بين الحلم وتحقيقه عندها يجد العدو ثغره ينفذ الي كيان الجسد المومن ليمزقه يجد الا مل للقضاء علي دوله الاسلام ولهذا نجد في الوقت المعاصر كيف أن أهل الكفر يستغلون هذه البواعث وتدعمه التيارات الفكرية الجديده لتقويه الانقسام وأثاره بواعثه وتنميتها واشغال الامه بقضايا وهميه لتكشف تلك الأعراض عن استمرار مرض الإذعان والانقياد للنفوذ الأجنبي الذي يحرص علي بقاء إمكانيات الشعوب المسلمه تحت سيطرتها وبقاء موردها ومواقعها ضمن استراتيجيته فاستغل الاختلاف الناتج عن اساءه التقدير للأحكام الشرعيه والمرحليه المرتبطه بها وما أفرزت من مذاهب وطوائف اسلاميه متناحره فكان وجود تلك الأ عراض السلبيه براقه امل أهل الكفر لاعاده أهل الإسلام الي الجاهليه وسلوكها المذموم لانهم لم يراعوا مساله أن الإسلام وحده فكريه انزلها الله فألف بين قلوب المسلمين ثم عمل الرسول صلى الله عليه وسلم علي تنميتها خطوه خطوه ومعها الوحي ايه ايه حتي أصبح المسلمون كالجسد الواحد يشد بعضه بعضا فكان الوصول إلي الكمال فالتطور انتقال من طور الي طور فالقران ذاخر بالنظريات التي تدلهم علي الطريق المستقيم في كل مرحله ليكون التحرك بمعدل سرعه التطور الذي تعيشه الامه سرعه تتفق مع طبيعه هذه الإمكانيات وطاقتها فيجب مراعاة مراحل الاطور التي تنتقل فيها الامه من طوره القائم الي طوره القادم ثم تتبع ذلك النجاح بحلقات انتقال متطور نحو الأفضل حتي لايجهض التطور لحظه ولادته او يموت بأمراض الطفوله بسبب المراهقه الفكرية ولهذا فإن الإسلام لم يضع القواعد دفعه واحده لأن ذلك إرهاب للمجتمع وايضا لأن رساله الإسلام عالميه فكانت معجزه الإسلام هي المعجزه الفكرية البيانيه الاعلاميه لتتناسب مع مرحله اكتمال العقل البشري ومرحله الرشد الإنساني ليكون صالحا لكل زمان ومكان يربط ذلك بالقدره علي التنزيل للأحكام حسب الظروف والاحوال فكان نزول التشريع علي مراحل تعاقبت مع استعياب كل مرحله منها ثم ترك التفاصيل الجزئيه للتطور مع الزمن مع تطور الحياه والمجتمعات حتي يسترشد المسلمون من القواعد الاصوليه الي ما يتناسب مع كل عصر من قواعد تفصيليه

الأمر الثاني

أن من معجزه القران هو عموميه وشموليته الخطاب للمخاطبين للدعاه والعاملين والمدعويين والقضايا والموضوعات والازمنه والامكنه ويتضح ذلك من خلال الوقوف علي الايه

المساله الاولى

عموميه القضايا والموضوعات التي تتناولها الايه الواحده

(اليوم أكملت لكم دينكم)

حيث نجد أنه سبحانه وتعالى يعلن اكتمال الدين بلفظ العموم والشمول من حيث الموضوعات التي يتناولها حيث وان معاني الدين متعدده فكله الدين جامع شامله للمعاني العلميه والعملية التي تضمن الحياتين للناس الدنيا والآخرة كما يتضح من الآتي

١

أن من معاني الدين الحساب والجزاء والاخره ف الله يقول (مالك يوم الدين)

٢

ويعني أيضا البعث والقيامه لقوله تعالى (وان عليك اللعنه الي يوم الدين)

٣

يعني أيضا الاعتقاد لقوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..الخ

٤

يعني أيضا العباده (قل اني أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين)

٥

والدين يعني الدعاء (وادعوه مخلصين له الدين)

٦

والدين يعني الإسلام (أن الدين عند الله الإسلام)

والدين يعني الشرع (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

والدين يعني المذهب والفكر قال تعالي (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله)

والدين يعني الدعوة (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)

والدين يعني الحكم والسياسة قال تعالي (أن الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم)

وقال تعالي بشأن يوسف (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) ودين الملك سلطانه ونظام حكمه علي قول ابن عباس

والدين يعني القانون كما قال تعالي (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائه جلده ولا تأخذكم بهما رافه في دين الله)

والدين يعني الجماعه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لايحل دم امرء مسلم الا باحدي ثلاث الثياب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعه)

والدين يعني النصيحة كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)

ولهذا فان كل هذه المعاني جميعها في كلمه الدين لتدل علي

الآتي

المفهوم الاول

أن الدين هو الحياه كلها سوء الحياه الدنيا أو الحياه الآخرة وان البشريه لايمكن أن يقيموا أمرهم الا علي الاستقامه عليه في أي شأن من شؤون الحياه الا بالتزام بالدين كله بجميع معانيه وشمول مراميه ومطلوباته ولهذا كان علي العاملين للإسلام أن ينظروا الي الدين بعين الشمول ولايجهلون جانباً من جوانبه ولايخسون منه معني ولايهملون أمراً

ولهذا جاء الاعلان بكمال الدين بلفظ العموم والشمول ليكون معني الكمال هنا كمال العقيدة والعبادات المحضه والمعاملات والعلاقات الفرديه والجماعه والدوليه فيه تنظيم حياه الانسان الخليفه الفرد والجماعه والدوله

فدل هذا أنه لا يوجد نقص في أي جانب من جوانبه سواء المتعلقه بالحياه الدنيا أو الآخرة فلا يوجد ما يستدعي الاضافه

المفهوم الثاني

أن هذا الشمول والعموم في الخطاب في تناول القضايا والموضوعات ومواجهه المشكلات والنوزال بالتعرض لها كلياً ليكون معالجه القضايا بسباق واحد تدرج تحته كل شأن او قضية أو مشكله أو أمر من الأمور تحت هذا الخطاب ليكون الداعيه المسلم قادراً علي معالجه المشاكل لأن أسباب التخلف مترابطه فهي تخضع لظروف موضوعيه ذات مستويات سياسيه واقتصاديه واجتماعيه وثقافيه ف التقدم ظاهره اجتماعيه وكذلك فإن التخلف ظاهره اجتماعيه نقيضه ويمكن التمييز بينهما بالنظر والمشاهد لكن إدراك أسبابها والقدرة علي استبدالها بأسباب آخري تخلق ظواهر مضاده فإن هذا الأمر يتعدي مجرد النظر والمشاهده والإخلاص في استبدالها ويستلزم إدراك كيفية احداث ذلك إلي جانب الاخلاص في ارداه أحداثه فتغير ظروف التخلف التي تتكون منها الظاهره يحتاج بادي بدء إلي تفصيل

هذه الظروف تفصيل لا يستهدف عزل مفردتها وعلاج كلا منها علي حده وانما يتطلب مهاره في التعامل معها لانه يستهدف تحديده آثارها المتبادله والمتداخله لترتيب كيفيه البدء في معالجتها وبما لا يحدث مضاعفات غير مقصوده قد تؤدي الي مزيد من التخلف المراد القضاء علي الظروف الباعته له واستبداله بظاهره تقدميه وفق خططه محسوبه لانه قد يسفر تحريك الظروف الموضوعية ويحسن نيه علي نتائج عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون تحقيقه وهذا غالبا مايكون بسبب قيامهم بعلاج أسباب التخلف الرئيسي كل علي حده بغير مراعاة لعلاقه الارتباط العضوي بينهما فتؤدي النظرية الجزئية الي كل سبب علي حده في العلاج الي اضرار ببقية الأجزاء ذلك أن الجزء غالبا مايضمن اشياء يختلف في ذاته عندما يندمج مع كله الذي يتألف منه ولهذا فإن العلاج بتلك الطريقه السطحيه يولد ظواهر جديده كونه لا يصل الي عمق هذه الظروف فقد أخطى الفقهاء عندما قاموا بمعالجه تزحام قيمه الشرعيه الدستوريه وقيمه وحده الامه بعد صفين بالتضحية بالشرعيه الدستوريه للحفاظ علي وحده الامه وصاغوا المبررات لذلك وقاموا بتطويع الدين لشرعنه ولايه الحاكم المغتصب للحكم والذي صادر حق الامه باختيار الحاكم في إطار سعيهم لمعالجه مشكله السلطه السياسيه بهذا الأسلوب علي حساب إهدار مبدأ الشرعيه الدستوريه أن اوجد هذا الفراغ في حياه الامه وإصابتها بالارهاق في التعامل مع مخزونها الفقهي للمورث المهرق الذي أوجد الصراع علي السلطه وسالت دماء الشعوب نتيجته الصراعات الداخليه وفي نهاية المطاف فقدت الامه وحدتها وهذا أمر متوقع لأن جميع المشاكل كلها حقائق اجتماعية لها أسباب ولها جذورها وعلاقاتها المتبادله والمتداخله مع بعضها فكانت هذه المشكله التي امتلأت كتب الفقهاء بالفتاوي والدراسات التي حاولت ايجاد مخرج من هذا المازق والفجوه التي ظهرت علي واجهه النظام الإسلام مي سببا لكافه المشاكل التي تعيشها الامه الاسلاميه منذو معركه صفين حتي يومنا هذا ولهذا فقد شكلت الدراسات والنظريات التي وضعها الفقهاء عائقا أمام استعادة الامه لدورها وفعاليتها وباعت كل محاوله بالفشل لانها ابتعدت عن الحقيقه ومجالاتها وكل تلك الدراسات والنظريات التي قدمتها الحركات من الصوفيه والوهابية والسلفيه وغيرها لاتخرج عن كونها مجرد انفعالات حسن النيه بظاهره او احداث أو موقف سرعان مايصطدم بنتائج غير منتظره تخلق ظاهره اخري نقيضه أو حادثا مضادا أو موقفا اخطر من الموقف ا لأول الذي ادي الي ولاده الانفعال فظهرت افكار هادمه من رحم هذه الحركات شكلت خطرا علي الاسلام لم يكن من قام بهذه المحاولات يتمني حدوثها ولم يكن يبتغيها فهم كانوا مخلصون فارودا التقدم والخروج بالامه من عنق الزجاجة لكن لم يتوجهوا الي جوهر المشكله التي اوجدت هذا التخلف فعمليه التقدم والتطور والرقى ليست ردود فعل عاطفيه أو انفعالات وليست مجرد شعارات تعجز عن تقديم الحلول المناسبه لكافه المشاكل فما دامت السلطه السياسيه في أي مجتمع تمثل أهم عناصر ومكونات المجتمع ولهذا فإن احاطه السلطه بعوامل التخلف في بناءها واداءها أمر يتداخل مع الظروف الموضوعية الأخرى المكونه للتخلف التي تتفاعل مع التخلف الناتج عن الظروف الموضوعية السياسيه لايمكن معالجتها الا بالنظر إليها كجزء واحد باعتماد مبدأ شمول الموضوعات والقضايا في العلاج ليكون تربيته الجماهير علي هذا الشمول في تناول القضايا والموضوعات والمشاكل

المساله الثانيه

عموميه المخاطبين

حيث نجد أن النصوص تخاطب المومنين (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

أن هذا فيه امتنان الله بهذا الدين علي المسلمين ليشمل جميع من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم كلا حسب طاقته وقدرته وعلمه يستوعب جميع الناس المدعون للانطواء في إطاره والدخول في مضمونه فليس محصورا علي فئه او مجموعته فيشمل كل من يمكن أن يدعي الي الاسلام واستغرق كل من كان فيه وظائف واستعدادات التمكين والتفكير والإختيار والتصرف واستوعبهم ولهذا كان هذا الامتنان منه تعالي عليهم بنعمه هذا الدين الذي اختص المسلمين به فقال تعالي (دينكم) وهو في الحقيقه إنما هو دين الله وهو مايشعر ا لامه بأنه اختارها لهذه المهمه وهي تبليغ الرساله للعالم أجمع فهي تحمل امانه عظيمه فعليكم إن تنظروا الي هذا المقام من التكريم الذي اختاركم الله للقيام به فعليكم الالتزام به وان تحسنوا تنزيل الأحكام بحيث تضعوا كل حكم في موضعه فكل واحد مكلف بالقيام بالمهمه بمعرفته الواقع حتي لانقع في ازمه غرابه الزمان والمكان فالمهمه تكمن في معالجه المشاكل والقضايا بالشعور بالمسؤوليه بإحسان تنزيل ا لأحكام والشعور بمسؤوليه العمل والانتماء إليه ليكون الاقتداء والاستعانه بالنصوص للتعامل مع الوقت وفق فهم وفقه الواقع والعلوم الا نسانيه وربطها بالمنهج بحركه محسوبه بعيده عن الانفعالات التي تجازف في قياده العمل أو اندفاعات غير محسوبه تؤدي الي عواقب وخيمه ومحاصره الدعوه والاساءه للاسلام واقامه حواجز تشكل اجسام صلبه مانعه للمدعوون من الاستجابه وتمنح العدو مسوغ لنشر الدعايه التي تسع للإسلام فلا بد أن تكونوا مؤهلين لقياده المرحله وحسن التعامل معها فهذا دينكم الذي فيه عزكم فيجب تقدير العواقب والمالات ودراسه الجدوي قبل الإقدام علي الفعل فيجب أن تعرف أين تضع قدمك قبل أن تخطو اي خطوه تعرف لماذا ومتي وكيف تقدم تستشعر دائما أنه بالإمكان افضل مما كان عليك الابتعاد عن الغوغائية انتبه من السقوط بمستنقع التخلف والخبال فيجب أن يكون هذا ا لانتماء والارتباط بالدين والفكره والقيم الذي شرفكم الله به بأن الكمال والعصمه هي الفكره فيعرف الحق بالدين وتمسكك به حيث أن اله لاحظ في الكثير من أحوال الجماعات الإسلاميه والانظمه أنها استبدالت الانتماء للتنظيم والأشخاص بدل الانتماء للفكره والقيم وهذا ما أعاد الصنميه للحياه بشكل متطور وانقلبت الوسائل الي اهداف وفشت فكره الحزب والطائفيه وضاعت قيم الاخوه والشوري و الحريه والعداله والمساواة ووضعت جدران وسدود نفسيه بين المسلمين وأصبح حال المسلمين مع القيم مجرد نظريات مفرغه من مضمونها ابتداء باسائه استخدام حكم الضروره المقتبس من قوله تعالي (فمن اضطر في مخمسه غير متجانف لاثم)

حيث كان التضحية بقيم الاسلام وشرعيه اختيار الامه لمن يحكمها بعد صفيين لأجل الحفاظ علي وحده الامه وحول الاموين القران من حاكم للحياه الي اداه لقمع من نهض ثائرا لأجل اعاده المنهج الرباني الي موقعه في حكم دوله الاسلام فكان البطش والتنكيل بهم باسم طاعه ولي الامر معتبرين أنفسهم ولاه أمر المخالف لمفهوم الشرعيه الدستوريه فالضوره لها ضوابط تزول بزوال العارض الباعث لها لكن الأمر استمر إلي يومنا وهو ما حذر منه الحق سبحانه وتعالى والخطاب لجميع المكلفين كلا يساهم في صناعه الخلاص بقدر الامكانيات المتاحة فجاء الخطاب بهذا العموم والشمول مضافا إليه تمام النعمه عليهم في قوله (واتممت عليكم نعمتي) فكان من تمام النعمه أن دخلوا في مله الاسلام وان ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الامه وأنه ارتضي لهم الاسلام ديننا فعليهم الرضاء بما اختار لهم الله فمن رفض القبول بالإسلام فإنما يرفض اختيار الله فهو خارج عن الإيمان وأصبح كافرا فاختيار هذه الامه للرساله الاخيره من تمام النعمه عليهم لهذا الشرف العظيم وبالتالي فإن الذي يخرج عن طاعه الله فإنه يخرج عن شرف الخلافه ويكون معرضا لسخط الله وغضبه

المساله الثالثه

عموميه الازمنه والامكنه

ابتدأت الايه الكريمه (اليوم) واللام للعهديه والمراد بها الزمان العصر ومايدخل به من الازمه الماضيه والاتييه في المستقبل

ونزول الايه كان في يوم عرفه في السنه العاشره للهجره وصادف يوم جمعه وكلاهما يوم عيد ولهذا عندما قال يهودي لعمر لو كان هذا التكريم نزل علي موسي لكان هذا اليوم عندنا يوم عيد فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو عندنا يوم فيه عيدين عيد الاضحى ويوم الجمعه عيد للمسلمين

وهذا العيد في كل زمان ومكان للمسلمين فدعوه الإسلام دعوه الزمان كله ليست موقوته بعصر معين اوجيل محدود أو زمن مخصوص ولا تخاطب امه او شعب بعينه فينتهي خطابها بانتهائه اوتزوال بزواله بل هي دعوه تخاطب الازمنه كلها والأنصار جميعها والأجيال جيلا بعد جيلا الي أن يرث الله ومن عليها وليست مرتبطه ببلد أو قوم أو شعب او اقليم بل هي دعوه شامله لكل الامكنه حيث وجد الناس يجب أن يصل إليهم البلاغ بما يصلح أوضاعهم ويصوغ حياتهم بصيغه الاسلام فما من مكان الا ويجب أن يصل إليه البلاغ المبين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا بر الا ادخله الله هذا الدين يعز عزيز أو يذل ذليل عز يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر)

ولهذا وردت الايه بعد. أن أخبر الله المومنين بانه اعز المسلمين بالنصر واذل الكفار فصار المسلمون في عز ونصر فقال لهم (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون)

ولهذا فإن من معاني النداء الثاني اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا)

أنه أظهر دينه علي الأوثان وأمن أوليائه من الخوف وقيل إن إكمال الدين لهذه الامه أنه لايزول ولاينسخ وان شريعتهم باقيه إلي قيام الساعه

وقيل انه سبحانه وتعالى اكمل لنا شرائع الإسلام من غير نقصان لبيان ان شمول دينه للزمان والمكان بعكس الأديان السابقه حيث كان الله يتعبد له خلقه بشي لوقت معين ثم يزيد علي في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني يكون تاما في وقته كما يقال عندي عشره كامله ومعلوم أن المائه اكمل من عشره اي أن العشره في وقته كانت كامله فذكر انه في هذا اليوم الذي ذكره كان كمال الدين ولم يوجب أن الدين كان ناقصا في وقت من الأوقات وانما دل علي انه كان ينسخ الشرائع السماويه قبل الاسلام أما في اخر الزمان فإن رساله الاسلام ثابتته غير منسوخه فما قبله كان كاملا الي يوم مخصوص أما القران فهو كاملا الي يوم القيامه وكذلك كانت الشرائع السابقه كانت كامله في بقعه مخصوصه لأنها تعالج افات تلك البقعه ولايكون كاملا في بقعه اخري لم ينزل خاصا بها لكن القران الكريم انزل لكل الناس في كل زمان ومكان الي يوم القيامه وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

أن هذا الاعلان بكمال الدين فيه بيان دور المسلمين في حمل المشروع الرباني للعالم أجمع وان دور الرسول صلى الله عليه وسلم قد اكتمل فالله يقول إنه قد أنزل الدستور والمنهج الذي يحقق المطلب الرباني في كل زمن ومكان فلا نقص فيه ولاغموض ولالبس فلا يحتاجون الي اضافته ولازياده ابدأ وقد اتمه الله بنعمته فلا ينقصه ابدأ وهو تعالي قد رضيه فلا يسخطه ابدأ فقال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديننا)

ولهذا لما نزلت الايه بكي سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال أبكاني أنا كنا في زياده في ديننا فأما إذا اكمل فإنه لم يكمل شي الا انتقص فقال صدقت ويشهد علي هذا المعني الحديث أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء)

لقد إدراك عمر رضي الله المراد من الخطاب وفهم أن المستقبل يشي بالنقص العائد الي الانحراف عن القيم والمبادئ التي قدمها الاسلام للبشرية

إدراك سيدنا عمر حقيقه الخطاب وأهدافه بأنه فيه اعلان كمال نزول الوحي فالايه تبين أن الاشاره الي ان الوحي الإلهي قدم للبشرية منهجا متكاملًا لانقص فيه قدم قيما اجتماعيه وثقافيه وروحانيه واقتصادية وسياسية كفيله ببناء الفرد والاسره والمجتمع والدوله و العالم وبناء نظام سياسي عادل يحقق المطلب الرباني في جميع المجالات لترجمه القيم والمبادئ كلا من موقعه الي اجراءات ومؤسسات حسب الظروف الزمانيه والمكانيه قدم النماذج الذي يعطيك كيف يكون الارتقاء بمستوى الفرد الروحي والجسدي والارتقاء بالاسره وبناءها بالربط بين الاحتياجات الماديه والروحانيه وبناء المجتمع المسلم والدوله وبناء السلطه السياسيه واداءها فيه الضوابط لكل شي في كل زمان ومكان فنزول القران منجما وموزعا ومقسما حسب الأحوال والحوادث يعطيك التفسير لكيفية التعامل مع الحياه ومعرفه أوجه الخير والشر وعدم القفز علي الأسباب المكونه للأزمات للإسلام قد جعل الامه كلها جزء من صناعه القرار فلا بد من مشاركته جميع المسلمين بترجمه القيم الي واقع حياه

المفهوم الثاني

تكشف النصوص سر اختيار هذه الامه لحمل رساله الاسلام للعالم أجمع بأنه نعمه من الله علي هذه الامه التي كانت لاتعرف القراءه ولا الكتابه ولم تحظي باي من التعاليم الدينيه وتجهل تلك التعاليم فقد كانت أكثر البلدان تخلفا لا تعرف الانظمه ولا القانونيين فقد جعل الله دورها في نبيل النبوه بعد الجميع وهذا التأخير من نعمه الله عليكم بهذا الاختيار لأن افضل الكتب هو القرآن وافضل الانبياء هو النبي صلى الله عليه وسلم وافضل الأمم هي هذه الامه وينسجم مع دور الامه والنعمه العظيمة التي اختارها واصطفاها الله لتحملها فقد كرمها الله بشرف حمل الرساله الاخيره الي العالم أجمع لتزيل عنهم ما وقعوا فيه من أخطاء يقول الله أن هذا الكتاب ليس بعده اي كتاب كامل فهو كامل بما يكفل اصلاح أحوال البشريه جميعا في مرحله الرشد أنه يبرز المرحله الاخيره في العالم ولهذا فالدين الإسلامي فيه الخل لفته عالميه الابعاد في كافه المجالات يخاطب العربي والهندي والياباني والروسي والأمريكي... الخ

هو كامل يعتني بالتواكب ويلزم اتباعه بطقوس العباده المحضه وتزكيه النفس وإصلاح اعوجاجها ويدعو الي العلم والصناعه والاختراع و الزراعه والعلوم النظرية التي توكب التطور السريع

في انتقال العالم من طور الي طور في كافه المجالات أنه دين فيه أسس وقيم بناء السلطه وتدوالها دين لم يخاطب قوم دون قوم بل يخاطب العالم أجمع ولهذا علم الانسان العربي المتوحش الاداب والاخلاق والسياسيه والحكم والاقتصاد والتعامل مع بعضهم ومع الآخريين وارشدتهم الي كيفية التعامل في العلاقات الدولية ولهذا فإن حضاره الاسلام جاءت فيها الحث علي التطور في الحضاره الماديه بـ التوازي مع القيم الروحانيه ولهذا فقد ذكر النهايه (اليوم أكملت لكم دينكم)

لما ابتداءه بنزول الملك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال (اقرا باسم ربك الذي خلق)

انظر الفارق بين البدايه التي حملت اعلان تدين المعرفه الحضاريه بكل صورها القديمه والحديثه)

حيث ابتدأت منذ تلك اللحظه النورانيه تربيته المومنين علي جميع التعاليم الضروريه ..والتحسينيه والأساسية والبداية كان فيها تغيير لغات الحضارات وتوجيهها الي القراءه باسم الرب في كل أمر من أمور الحياه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والعبادات و المعاملات وكافه النظم والقانونيين التي تنظم حياه الانسان وفي التكنولوجيا وفي كل أمر فهذه هي حضاره الاسلام فكانت هذه هي البدايه فقد حقق الله تعالي للعالم بأسره مطلب الحق في اعاده القراءه العالميه باسمه لتكون لغه القرآن عالميه شامله لم تنحصر بجنس و لاون ولاقبيله ولاوطن بل عالمي الابعاد ولهذا شرع الرسول صلى الله عليه وسلم منذ تلك اللحظه بالقراءه لحضاره الاسلام وهو يتفهم المراد الرباني العالمي ويرسي قواعد القراءه في مواجهه المشركون والمنافقون وأهل الكتاب يربي المومنين من منطلق القراءه باسم الرب التوحيد وكذلك بتاصيل الوسائل لهذه القراءه وهي وسائل عالميه (الذي علم بالقلم) وعالميه العلم (علم الانسان مالم يعلم)

فكانت مراحل المعرفه تتوالي في العالم الإنساني الاخير من هذا المنطلق واعتمد في ذلك علي منهجين عقلي الادله العقليه ومنهج روحاني فالقران جامع تماما لجميع التعاليم ولذلك أعلن أنه اكمل دائره التعاليم فقال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

فالبداهه القراءه باسم الرب ومنتهي الكمال الديني يتمثل في معني الاستسلام والخضوع والانقياد لله بأن تكون لله وحده لاشريك له هذه هي النقطه التي تنتهي إليها الكمالات كلها لتحمل الامه مسؤوليتها لتفهم شرف القراءه العليا التي اذن الله بها فانظر الفرق بين قول الملك اقرا والرسول يقول ما انا بقارئ وبين قوله اليوم أكملت لكم دينكم وهنا يعلن الحق (ورضيت لكم الاسلام ديناً) يعني أنظروا الي اختياري لكم واختصاصكم برساله الإسلام التي هي افضل الرسالات فالقران هو الحجة العالمية في الأرض علي الأمم كلها كافه المنتسبين للحضارات القديمه والحديثه فعليكم إن تكونوا عند مستوي هذه المسؤوليه والاختيار فقال تعالي (ورضيت لكم الاسلام ديناً)

يوم نزلت وان كان الله راضيا بدين الإسلام فيما مضى قبل نزول الابه لانه لم يزل يصرف عباده من طور الي طور وينقلهم من مرتبه الي مرتبه اعلي منها حتي اكمل الشرائع الدينيه وبلغت أقصى درجاتها ثم انزل هذه الابه بأن هذا هو منتهي الكمال في الإسلام بان تكون لله وحده تضحى بنفسك له سبحانه وتعالى وتبتغي بذلك النجاه ثم ينفذ من هذه النيه والارده العمل

المبحث الثاني

(فمن اضطر في مخمسه غير متجانف لائم فإن الله غفور رحيم)

هذه الابه من تمام ماتقدم ذكره من المطاعم التي حرّمها الله تعالى فجاءت الابه تبين الآتي

أن الذي تلجأه الضروره الي اكل الميتة اوغيرها فله أن يأكل منها وان كانت محرمة فتحل في حاله الضروره وفي (مخمسه)

وهو الجوع والمجاعة المتصل الذي قد يؤدي الي التلف فيحل تناول الميتة ومافي حكمها

وذهب البعض لتحديد مدته ثلاثه ايام وقال البعض انها غير محدده بمدته فمتي اضطر فله أن يأكل واستدلوا بحديث أن أناس قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم انا تصيبنا بها المخمسه فمتي يحل لنا الميتة فقال إذا لم تصطبحووا ولم تعتنبقوا ولم تحتقوا بها... فشانكم بها) فقال تصطحوا يعني الغداء ولم يعفوا يعني العشاء

والمعني أنه من اصابه الجوع ولم يكن له سبيل غير الميتة فله أن يأكل منها من غير تعمد ذلك وبما يحقق له الحياه وان لا يكون مائل ومستلذ لذلك فهذا لا إثم عليه فإن هذه الرخصه من رحمه الله ويلاحظ أن الابه وردت بعد قوله اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً...

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن الإسلام يحفظ النفس فهي من الامور التي جاءت الشريعة لحفظها ف الله سبحانه وتعالى يقول (ولاتقتلوا أنفسكم)

ولهذا أجاز لمن يخشي علي نفسه وحياته من التلف أن يأكل من المحرمات ولهذا استعمل المخمسه فيجوز له أن يأكل من هذه الخبائث بشكل مؤقتا

المفهوم الثاني

أن كل ما حرم الله هو من الخبائث يترك أثرا علي النفس والأمر ليس مقصورا علي المطاعم بل حتي في المعاملات والقيم والمبادئ التي جاء بها الإسلام وأمر بها فلا يجوز استحلالها فمثلا شرع الإسلام لبناء النظام السياسي الإسلامي مبدأ شرعيه الامه في اختيار الحاكم فإن هنالك حالات الطوارئ الناتجه عن وجود خطر محقق بالامه كالحرب الذي يهدد كيان الدوله في وقت توفي الحاكم السابق فإن الخوف من استفلال العدو لهذه الظروف يكون وقف العمل بهذا المبدأ فيكون تسليم قياده الدوله لمن يحافظ عليها من الضياع لاعتبار حاله الضروره القصوي فتعطيل العمل بالاصل مرتبط بقيام حاله الضروره فالرخصه هنا ظرفيه فإذا زال هذا الظرف كان العوده الي المبدأ ولهذا نجد أن الابه وردت بعد قوله اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

بعد قوله (ذلك فسق) لبيان وتأكيد أن ماتقدم ذكره من الخبائث وان تحريم الخبائث من جمله الدين الكامل والنعمه التامه والإسلام الذي هو الدين المرضي عند الله

ثم قيد الرخصه بالخروج عن الأصل بالضروره والمجاعة والكوارث وربط ذلك (غير متجانف لائم)

وهنا عندما نربط حكم الضروره في القيم والمبادئ السياسية يعني أن لا يؤدي تطبيق الرخصه الي ميل الحاكم الي الطريقه التي استلم فيها السلطه وان لا يتكيف الشعب علي الرخصه فتكون بعد ذلك نظام حياه لأن هذا يعني ميل الي الخبائث وهذا فيه خروج عن مبادئ الكمال في الحكم الإسلامي وانحطاط وتخلف يكرس ثقافه القبول بسلطه الأمر الواقع وتكريس الاستبداد وهذا الأمر كان بدايه الانحدار في حضاره الاسلام التي صعدت الي الكمال يوم قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)

وهو اليوم الذي بكى فيه عمر من الوصول إلي منتهي الصعود كما أوضحنا لانه إدراك أن بعده انحدار ونقصان وهو ما وقع بعد صفين كما ذكر مالك نبي وانتهي بالانحطاط حيث أن نظريه الضروره التي اعتمدها الفقهاء في التضحيه بمبدأ سياده الامه والشرعيه الدستوريه لأجل الحفاظ علي وحده الامه كانت هي نقطه سقوط الحضاره الاسلاميه والانحطاط الذي نحن عليه اليوم حيث وجد بني اميه في ذلك

لذه الحكم فكان استبداد الشعوب وصل بنا الحال الي ما وصلنا إليه فليست هذه الدول التي قامت هي الاسلام الذي ارتضاه الله لنا ف الضروره التي شكلت ثقافه المجتمع المسلم اليوم فأصبح ينظر إلي الاسلام أنه صلاه. صيام وحج قد فتحت ثغره في كيان الحضاره الاسلاميه ليتسلل إليها الأعداء ويبتغوا سمومهم لانها حلت محل المبدأ هذه الأفكار الخبيثه وكان تطويع القيم من السمع والطاعه لتكريس الاستبداد والظلم باسم الدين وامتلت كتب الفقهاء بالفتاوي التي تمهد للظلم ارضيه القبول به أما لعله سوء التشخيص لواقعا لانه اصبح ينطلق من غير الواقع المأمور به في تفسير الاسلام ذاته لافتقار المسلمون الي مقياس الثوابت الشرعي الذي يبرز مدي ثوابت الالتزام لدينا نتيجة الاغواش التاريخيه والاطروحات الفقهييه التي انطلقت من فقه الضروره فلم تتوقف عن تغذيه عقول الناس من مائده اللحوم الميته الفاسده التي ظهرت بعد معركه صفين ففقد الناس إحساسهم واعتقدوا أنهم عندما يرون من يحكم بجلد الزني والسكران ومن يصلي جماعه من الحكام فقد صار الحكم اسلامي وان كان هنالك استبداد وقهر للشعوب يرون أن ذلك هو الارتباط بكمال الاسلام وان هو لاء أهله واصبحنا نتباهي بهذه العله المستحكمه فينا ولاندرى اننا في عين النذل نخاطب العالم بثقافه غير ثقافه الاسلام لنقل للعالم صوره قبيحه ومشوهه عن الإسلام وحضارته او نتطرف كما هو حاصل من اتخذ من الإسلام قوه لذبح الناس تدين انفعالي يخدم الكفر أكثر من خدمه الاسلام والبعض الآخر رضي بالعله ولم يسعي الي اعاده تشكيل العقول وصياغه النفوس وفقا لمراد الله ولهذا يقول الله (غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

اشاره تكشف أن اباحه المحظور للضروره لاينفي عنها خبثها ولايرفع الإثم المتلبس بها لكن رحمه الله ومعونته وعنايته وعطفه هي التي تمحوها عن المضطر ليحث المومنين علي تجنب استخدام الضروره قدر المستطاع وان المضطر عند زوال الظرف الطارئ عليه أن يعود إلي الله ورحمته ومغفرته فيغسل ماعلق به من خبث فالأمر ليس مقصورا علي المطاعم بل في كل

الموضوع الرابع

يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

المبحث الأول

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (يسالونك ماذا احل لهم)

السؤال هنا له معاني متعدده منها أنه بمعني القول فلذا وقع بعده ماذا كانه قيل يقولون ما الذي احل لهم وان لم يقل ماذا احل لهم لنا حكاية لما قالوا لأن يسالونك بلفظ الغيبه فتكون (ما) للاستفهام(ذا) بمعني الذي اي ما الذي حل لنا من المطاعم وقد وقعت علي الجملة لتضمن معني القول بعد أن سمعوا ما حرم عليهم اردوا معرفه الحلال. والسائلون هم بعض الصحابه وهما زيد بن مهلل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا صيادين كما ذكر ابن عباس وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

ترسم النصوص صورته حيه تجسد حال المسلمون بصورة مائله امامك متحركه تشاهدها لتري كيف كان المسلمون يستقبلون النداء لتري الفارق بين استقبلنا للايه القرانيه وبين استقبالهم لتدرك كيف ربي الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بالقران فهو الماده التي أحدثت هذا التغيير في حياه العربي واحداثت هذا الانقلاب في حياتهم فالايه ترسم لنا

١

مشاعرهم التي يستقبلون بها الايه القرانيه بأنهم لم يفصلوا المشاعر عن الفكر فلم ينظروا نظره مجردة عن المشاعر فكانت مشاعرهم واحساسهم مرتبطه بها لتكون قوه تحدث اهتزاز تجذبهم الي الإقبال عليها باهتمام وتركيز منصب حول ماتحملة الايه من معاني بسعاده وعشق التكليف فتتشعر جلودهم فتغوص في الاعماق فتولد فيهم طاقه تتوجه الي استقبال النداء الرباني بشعور أنهم هم المخاطبون ؛ النص يشعرون أنهم يتحدثون مع الله تعالي والاستمتاع بهذا اللقاء مع الله تعالي

٢

أن تفكيرهم واحساسهم ومشاعرهم واهتمامهم كله مرتبط بالغايه التي خلقوا لأجلها يشعرون بنعمه الاسلام والتطور والرفي الذي انتقلوا اليه بالقران من سفح الجاهليه الي نور الايمان يشعرون أنهم كانوا اموت وان القران الكريم المنزل علي رسوله هو الذي وهب لهم الحياه ينظرون إلي قبح ما كانوا عليه قبل الاسلام وكيف كانوا وحوشا وينظرون الي ما صاروا عليه من الانسانيه واخلاق القران فهم يجدون اللذذ والغذاء الروحاني الذي يزودهم به القرآن فينظرون الي ما انتقلوا اليه أنه فيه الحياه ويتخرجون مما كانوا عليه من التوحش و الجهل ولهذا يريدون معرفه الأحكام لازاله بقايا ركام الفكر الجاهلي

يريدون ضبط اردتهم لتكون موافقه وخاضعه لاراده الله تعالى في كل أمر...فقراءتهم للايه تنبع من عشق التكليف فلا يجدون مشقه في ذلك

تبين النصوص أن مبدأ تفكيرهم في الطلب والتترك والزهد كلها تستند الي الايمان بالله واليوم فقد كان الايمان قوه أعادت تشكيل عقولهم وصياغه النفوس والقلوب لتكون نتائج ذلك ان يعيشوا حياة كلها لله تعالى أنهم يسعون الي الوصول إلي الله يريدون الوصول إلي أعلى مراتب الكمال يريدون أن يقطعوا المسافه التي تفصل بين العمل والقلب وان يقطعوا المسافه بين القلب وخالفه سبحانه وتعالى فهم يعرفون ربهم وإحسانه وعطاءه الامحدود فيعبودونه كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم ولهذا فإنهم يريدون معرفه مايزيل العوائق وقطاع الطريق التي تقطع الطريق أمامهم وتمنعهم من الوصول إلي الله

الأمر الثاني

أن الايه دليل علي اهتمام المسلمون بمساله التطور والرقى وكيفيه الحفاظ علي الوفاء بالعقد الذي بينهم وبين الله خوفا من المخالفه يريدون عدم نقض العهد ولهذا كانوا يطرحون الاسئله لمعرفة الحدود والمعالم علي جانبي الطريق في رحلتهم الي الله تعالى حتي لا يضلوا الطريق وحتى لا ينحرفون عن المسار المستقيم فالسائل عندما يسأل إنما يكون أحد شخصين أما مجتهد جاد يريد أن يعرف طريق الفلاح الذي يسلكه فيتجنب الوحوش وقطاع الطرق فهو جاد مصمم علي أن يصل إلي هدفه وغايته ولديه رغبه قويه مشفوعه بإصرار أوصلت الرغبه الي الارده لامجرد رغبه هامده ساكنه ميته لاتدفعه للحركه لتحقيقها فتشاهد شغف التصميم في نظراته ونبرات صوته وهو يسالك وهو أمر يعرفه المعلم في مدرسه

أما السائل الثاني فهو شخص هازال يريد أن يفرغ طاقاته بطرح أسئله يستعرض فيها النقص الكامن في أعماقه أو شخص يتخذ من الا سئله ماده للتهرب من مسؤوليته يسعي من خلالها لتعقيد المساله كي يكون له مبررا يعفيه من الالتزامات يريد أن يجد رخصه من ثقل التكليف لتبرير كسله وخموله يريد أن يبحث عن الرخص فلا عزمه لديه يريد الهروب من أعباء مسؤولية التكليف كما كان حال بني إسرائيل الذي طرحوا اسئله تلكو حتي لا يكشف القاتل عندما أمروا بذبح البقره

ولهذا يقول لنا الحق أن السؤال في هذه الايه صادر من الصنف الأول المومنين الذين يشعرون بضخامه التطور الذي انتقلوا اليه وعظمه ا لارتقاء فهم يريدون الصعود الي أعلى درجه في سلم الرقى والتطور ولهذا أصبح همهم هو أن يعيشوا حياتهم لله وفقا لهذا المنهج وان يتخلصوا من رواسب الفكر الجاهلي شاعرين بقبح الجاهليه ولهذا راحوا يسألون بعدما سمعوا آيات التحريم

الأمر الثالث

تبين الايه ان علي المسلم أن يتخلص من الاميه فالقران نزل في بيئه اميه فابتدا بقوله تعالى (اقرا باسم ربك الذي خلق)

والايه تدل كيف أن الإسلام ربط اومره بالتدبر والتفكر والتعليم فهو يشجع علي الاستنهاض بالعلم لم يتركه لحب الاستطلاع وحده بل جعله فريضه لازمه كما ورد في الكثير من الأحاديث ومنها اطلبوا العلم ولو في الصين ..والعلم إذا قصد به وجه الله وامثال امره كان عبادته قدسيه فيها تسبيح الخالق سبحانه وتعالى يكشف الغطاء عن كمال قدرته وإتقانه الصنعه وأحكام الخلق فهذه حمد لله ينشر انعامه والاءلاه المظموره عن أعين الناس وفيها أفاده من قوي الكون التي سخرها فاطرها للإنسان ومن هنا تكون معرفه الصحيحه بالله ف الله يقول (إنما بخشي الله من عبادته العلماء)

والعلم في الإسلام واجب كفائي اذا قام به البعض سقط الإثم عن الامه فإذا لم تقم به فنه فإن الإثم يعم الامه كلها لقوله تعالى (ماكان المومنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم)

ويدخل في هذا الواجب ما يحتاج إليه الناس من مهن وصناعات وحرف كالطب والهندسه والصناعات بمختلف أنواعها فلا سبيل لرفع الإ تم عن الامه جميعها وأداء هذا الواجب الكفائي غير التعليم

وقد جعل ابن حزم الحاكم في الدوله الاسلاميه ملزما بتوفير الحد الأدنى من التعليم للعامه

فقال (أن كل مسلم عاقل بالغ من ذكر او انثى حر أو عبد يلزمه الطهاره والصلاه والصيام فرضا بلا خلاف من أحد من المسلمين وتلزم الطهاره والصلاه المرضي والاصحاء ففرض علي كل من ذكرنا أن يعرف فرائض صلاته وصيامه وطهارته وكيف يودي ذلك وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل وما يحرم عليه من الماكل والملابس والمناكح والاقوال والأموال والأعمال

فهذا لايسع أحد جهله أحد من الناس ذكورهم واناثهم احرارهم وعبيدهم وامائهم وفرض عليهم أن يأخذوا في تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون أو من حين أن يسلموا بعد بلوغهم الحلم ويجبر الامام ازواج النساء وسادات الأقارب علي تعليمهم ماذكرنا أما بأنفسهم وأما بالاباحه لهم إلقاء من يعلمهم وفرض علي الإمام أن يأخذ الناس بذلك ويرتب اقواما لتعليم الجهال)

الأمر الرابع

انه بالوقوف علي مساله منهم السائلون نجد أنهم حسبما ابن عباس هما المهلهل الطائي وعدي بن حاتم الطائي وكانا صيادين.

وهذا دليل علي فرض العلم علي كل طائفه وفق ظروفها الخاصه لأن الايه متعلقه بالسؤال منهما متعلق بعملها وهو الصيد ولهذا كان منهما السؤال وحول هذا الموضوع يقول ابن حزم

أنه فرض علي كل ذي مال أن يتعلم حكم مايلزمه من الزكاه سواء كانوا رجالا اونساء والعبيد والاحرار فمن لم يكن له مال فليس له تعلم احكام الزكاه فرضا

ثم من لزمه فرض الحج عليه تعلم أعمال الحج والعمره ولايلزم ذلك من لاصحه لجسمه ولامال له

ثم فرض علي قواد العسكر معرفه السير وأحكام الجهاد وقسم الغنائم والفي.... الخ

ثم فرض علي الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والاقضيه والحدود وليس تعلم ذلك فرضا علي غيرهم

ثم فرض علي التجاره وكل من يبتغ غلته تعلم احكام البيوع وما يحل منها وما يحرم وليس ذلك فرضا من لايبيع ولايشترى ثم فرض علي كل جماعه مجتمعه في قريه اومدينه... أن يندب منهم لطلب جميع احكام الديانه أولها عن آخرها

ومن هنا كان الخطاب القرآني عاما شاملا للقضايا والموضوعات والمخاطبين فلا يكون التركيز علي التفاصيل الا للحاجه الملحه

المبحث الثاني

(يسلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مماأمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

أن السؤال من المومنين يشي عن ارداه معرفه مايحل لهم ليكونوا علي يقين من حله قبل أن يقربوه

ولهذا سارعوا الي المعلم طالبين بيان ماهو الحلال والحرام فلم يأتي الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم وانما جاء الجواب من الله تعالى فقال لنبيه (قل) اي أخبر هؤلاء أن ياكلوا من كل طيبات الدنيا فقط اجتنبوا اكل الميتة ومافي حكمها من الخبائث الماديه و المعنوية

ولأن امه العرب كانت من أكثر الامم همجيه لم يكن قد بقي لديها شئ من الاداب الانسانيه في أي شأن من الشؤون لهذا كان من الضروري تعليمها هذه الآداب الاولييه قبل كل شي فهي بحاجة إلي هذا التعليم الابتدائي الذي يتجه صوب مافيهم من طباع همجيه ولهذا جاء الجواب بأسلوب (قل أحل لكم الطيبات

فتدل كلمه الطيبات علي الآتي

١

علي طيبه ماحل الله لهم فهو لم يحرم طيبا ولم يمنعوا عن طيب فكل الطيبات حلال لهم فلم يحرم عليهم إلا الخبائث ليلقي في نفوسهم الاطمئنان الذي يحقق لهم اليقين لما اردوا معرفته ولهذا جاء تخصيصها بذكر ال التعميم

٢

فالكلمه تلقي الاحساس بالاطمئنان الي رعايه الله فيما احل لهم حيث يفهم من كلمه الطيبات أنها كل مافيه نفع أو لذه من غير ضراربالبدن ولا بالعقل فدخل في ذلك جميع الحيوانات الا ما استثني الشارع كالسباع والخبائث منها دلت الايه بمفهومها وكما قال تعالى (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)

٣

والطيب في اللغة كل ما يستلذ ويشتهي والتقدير كل ما يستلذ ويشتهي وهنا يعلمهم الله أن العبره في هذا المعيار هو ما تستطيبها النفس المعتدله والقطره السليمه بمقتضى طبيعتها عند أهل المرؤه والأخلاق الجميله مالم ينفر عنها ويستغها ويهضمها الإنسان بسهولة ويتغذي منها غذاء صالحا وخص بهذا أهل المرؤه لأن أهل البادية يستطيبون اكل جميع الحيوانات ولأن الشريعه جاءت لإصلاح الانحراف الذي طرأ علي العقل والقطره ولهذا ابتدأت الايه (قل) لبيان ان ماور في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تحريمه فهو محرم وقوله الطيبات لبيان ان ما حرمه الله سبحانه وتعالى في الايه السابقه خبيث بشهادة الله الموافقه للقطره المعتدله فأصحاب القطره السليمه يعافون اكل الميتة

المبحث الثالث

(وما علمتم من الجوراح مكليين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتضمن الآتي

الأمر الأول

يعطف علي الطيبات (وما علمتم من الجوراح مكليين)

الايه فيها اباحه الاكل مما يصطاده الجوراح المدربه المعلمه فهذا من لطف الله بعباده ورحمته لهم حيث وسع عليهم طرق الحلال وابع لهم مالم يذكوه مما يصطده الجوراح

والجوراح كل ما يصطاد بناه أو مخلبه

الأمر الثاني

اشتراط في ذلك الآتي

١

أن تكون معلمه مدربه بما هو معروف عاده وعرفا أنه تعليم بأن يسترسل اذا ارسل وينزجر اذا زجر وإذا امسك لم يأكل منها فقال (وما علمتم من الجوراح مكليين تعلمونهن)

٢

اشتراط أن يجرحه الجوراح لقوله (من الجوراح) مع ماتقدم من تحريم المنخنقه والموقوذه والمتريده والنطيحه فلو خنقه الكلب أو غيره اوقته بقتله لم يبيح

٣

أن لا ياكل منها الجوراح لانه حينها إنما يصطاد لنفسه اذا اكل منه عند صيده لحديث عدي بن حاتم الطائي أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي وهو نوع من الطيور الجارحه وهو صقر أو نسر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما امسك عليك فكل)

فقال تعالي (فكلوا مما أمسكن عليكم)

وايضا هذا فيه (مما) الميم الاولي بمعني من التبعيضه لما أن البعض منها لا يتعلق بالاكل كالجلود والعظام والريش وما موصوله حذف عائدته وعلي متعلقه بما امسكن اي فكلوا بعض ما امسكه عليكم وهو الذي لم يأكل منه وأما ماكل منه فهو مما امسكن لنفسه

٤

أن يذكر اسم الله عليه عند إرساله وقيل إنه إذا نسي فلا حرج وقيل إن الأمر بالتسميه عند الأكل لما اصطاده الجارح لحدانس أنه قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

المفهوم الاول

أن الأحكام قد تضمنت اضافته الي التحليل والتحریم تربيه المومنين بأن يقصدوا بكل عمل نيه التوجه به الي الله ليكون في التسميه اخ لاص النيه بالعمل ارداه وقصد الله في كل أمر حتي وانت تاكل ولهذا فإن التسميه واجبه عند ارسل الجارح ليكون ماصطاده صالحا ليؤكل لأننا نعلم أن الذبائح التي لا يذكر اسم الله عليه لايجوز الاكل منها سوء ذكر عند ذبحها اسم صنم أو غيره أو لم يذكر اي اسم عند ذبحها فالله يقول (ولاتاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ولقول الرسول لمن سأله عن صيد كلبه المعلم الذي يشاركه كلب اخر فقال فإنك إنما سميت علي كلبك ولم تسمح غيره)

وايضا أن ذكر اسم الله فيه بركه العمل وفيه تعبد العبد حتي بأكله عندما ياكل

كما ورد في حديث حذيفه والذي ذكر فيه قوله كنا اذا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم علي طعام لم نضع أيدينا حتي يبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم فنضع أيدينا وانا حضرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت جاريه كأنما اندفعت فذهبت تضع يدها فأخذ بيدها الرسول صلى الله عليه وسلم وجاء أعرابي كأنما يدفع يضع يده في الطعام فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم بيده فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يستحل الطعام اذا لم يذكر اسم الله عليه وأنه جاء بهذه الجاريه ليستحل بها فأخذت بيدها وجاء بهذا الأعرابي فأخذت بيده والذي نفسي بيده أن يده في يدي يريد أن يدفع أيديهما يعني الشيطان)

فالرسول صلي الله عليه وسلم يبين اهميه الانضباط في جلوس المسلم وان يكون متمدن فعندما يجد الطعام فلا يكون مثل الوحش الذي يندفع نحو الفريسه فالرسول صلي الله عليه وسلم أن حياه المسلم يجب أن تكون منظمه فإذا كان تعليم الاداب الكلب والفهود و البازي والاسود والصبر والنمر بحيث أنه مع طبعه الغرائزي لا يندفع نحو ما اصطاده لسيدته فلا ياكل منه إلا بما يعطيه سيده مما اصطاد

وبالتالي فكيف لاتتعلمون انتم الانضباط أثناء الأكل فاللازم أن تمسك نفسك عند الأكل فلا يكون التصرف بأسلوب يشي بالشره

ولهذا امسك بيد الجاريه والاعرابي

مبيناً أن هذا السلوك الفوضي والعشوائي يقف وراءه الشيطان لأن الفوضوييه والعشوائية هي مطلب الشيطان ولهذا فاللازم تربيه وتعليم الإنسان الاداب الانسانيه الابتدائيه ولهذا تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الجاريه والاعرابي بان امسك يدهما مثلما تعامل مع انس عندما كان طفلا في حجر رسول الله كما ذكر في الحديث (كنت غلاما في حجر رسول الله وكنت يدي تطيش في الصحفه... فقال الرسول لي ياغلام سم ب الله وكل بيمينك وكل بيمينك وكل مما يليك)وان عليك الابتداء بذكر اسم الله لتكون عابدا لله اثناء طعامك ولأجل أن تحل البركه في الطعام ولأجل طرد الشيطان أيضا لانه يكرهه الاجتماع ويريد أن يفرق بين المسلمين فقد ورد عن وحشي بن حرب عن أبيه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا ناكل ولان شبع قال فلعلكم تأكلون متفرقون اجتمعوا علي طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه

المفهوم الثاني

يبين الحق لنا فضيله العلم فالجارح المعلم بسبب التعليم يحل صيده والجاهل بالتعليم لايباح صيده ولهذا قال تعالي (وما علمتم من الجوراح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله)

والجوراح سميت بهذا الاسم لأن ذلك من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خيرا اي كسبهم خيرا ويقال فلان لاجرح له اي لاكاسب له وقال تعالي (ويعلم ماجرحتم) اي ماكسبتم من خير أو شر

ولهذا فإن معني الجوراح الكواسب اي المحصلات للصيد والمدركات له والجوراح يطلق علي الكلب والفهود والاسود (السباع) ومن الطيور الجارحه وهي البازي وهو الصقر والنسر والشاهين وهي التي تجرح الصيد بنيابها أو مخالباها فقال تعالي (مكلبين)اي معلمين الجوراح الصيد ويشمل كل مايقبل التعليم فإن صيدها حلال فاجاز الاشتغال بتعليم الكلاب والجوراح وذكر الكلب لكونه اقبل للصيد و التادب وانتصابه علي حاله من فاعل علمتم و(تعلموهن) حال ثانيه من ضمير علمتم والمقصود من التكرار المبالغة في اشتراط التعليم وان يكون من يعلم الجوراح متحررا في علمه موصوفا بالتاديب وقيل (وما علمتم ماهرين في تعليم الجوراح حاذقين فيه مشتهرين به فقال تعلمونهن بتعليمه الحيل وطرق التعليم والتدريب والتاديب فإذا اكل في المره الاولي منه فعليك أن تقوم بزجره وتاديبه ثم تفعل ذلك في الثانيه فإذا كررها في الثالثه فلا يكون قابلا للتعليم ويمسك عليه الصيد

ولهذا أجاز اقتناء كلب الصيد وبيعه مع أنه محرم محرّم في الصحيح من الأحاديث اقتناء الكلب لكن الاستثناء هو كلب الصيد لانه أباح صيده وتعليمه حيث ذكر عن أبي رافع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب فقتلت فجاء قوم فقالوا يا رسول الله مايحل لنا من هذه الامه التي أمرت بقتلها فسكت فأنزل الله الايه وجعل طهاره ما اصطاده الكلب المعلم لأن الله عندما اباحه لم يذكر له غسلا فدل

علي طهارته

المفهوم الثالث

أن عليك أن تدرك أن مصدر العلم هو الله تعالى فقال تعالى (مما علمكم الله)

لأن الإنسان خلق لا يعلم شيئاً (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لتعلمون شيئاً فجعل لكم السمع والابصار... الخ

ثم علمكم بأن خلق لكم وسائل العلم منتطوره مع اعماركم العقليه فهذه الوسائل المتعلقة بالادراك اختصها الله بالبشر وعلم ادم الاشياء ف العلم من العناصر التي فضل الله بها الانسان علي سائر المخلوقات فأشار هنا الي هذا العطاء الذي ميز به الإنسان ليكون شكر الله علي هذا العطاء والفضل

وايضا فيه كما قال صاحب الكشاف تنبيه علي أن كل من يأخذ علماً ينبغي أن يأخذه ممن هو متبحر في ذلك العلم غوص في بحار الطافه وخصائصه وان احتاج في ذلك إلي السفر البعيد فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول اطلبوا العلم ولو في الصين)

فمن أخذ من غير متبحر في العلم ضيع أيامه بالتعمق وراء الاوهام في مزاعم طلب الاسرار

الأمر الثالث

الايه تنقل لنا جانباً من مدرسه الخير التي بناءها معلم البشريه حيث انشئ اول دوله يحكمها القران فهذه المواقف هي السنه الفعلية التي تعطينا الدليل لكيفه اصلاح الخلل في أحوال الناس وخطوات التربيه والتعليم للامه برص الصفوف وإعداد أفراد ومكونات الدوله الاسلا ميه شعباً وحكومة فنزول القران منجماً وموزعاً ومقسماً حسب الأحوال والحوادث فيها دليل الهدايه فاي سالك يريد الوصول إلى النجاه والسلامه والسعاده فعليه أن يسترشد بهدايه الكتاب وسنه النبي صلى الله عليه وسلم وسيره الخلفاء الراشدين والصحابه رضوان الله عليهم فهذه المواقف الفعلية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي بها الصحابه فيها الاسترشاد لكيفيه انزال النصوص علي الواقع ف القران والسنه هاديان الي الله تعالى ومزكيان للروح والنفس وانما يتوقف علي العلم والعمل الذي أمر الله تعالى به وتضمنه الكتاب والسنه وسلوك السلف الصالح فالله يقول (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا . الخ ويقول تعالى (لو انزلنا هذا القرآن علي جبل لرأيتنه خاشعاً متصدعاً من خشيه الله) ويقول تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم)

وتزكيه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس مستمره الي الأبد في أقواله وأفعاله فهي الهاديه المعلمه من قبل ومن بعد ولهذا فإن أمر الا هتداء الي الله لايتوقف علي شيخ وبيعه وانما العلم والعمل الذي يلتزم به ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله فقال تعالى (واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

١

اعلموا أن فريضه كتابه العمل بحكمه من الأمر والنهي والخوف والرجاء لوعده ووعيده والايمان بمتشابهه والاعتبار بقصصه وأمثاله فإذا اتيت بذلك فقد خرجت من ظلمات الجهل الي نور العلم ومن عذاب الشك الي روح اليقين وانما يميز ذلك ويرغب فيه أهل العقل والفهم عن الله الذين عملوا في احكام الظاهر وتنزهوا عن الشبهه قال الرسول صلى الله عليه وسلم (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهاة فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام الا وان حمي الا وان حمي محارمه)

وقد قال العلماء

أن المباح عقبه بين العبد وبين المكروه فمن استكثر من المباح تطرق الي المكروه ومن استكثر في المكروه تطرق الي الحرام مما لم تحله يقينا فتركه خيرا من أخذه

ولهذا قال تعالى (واتقوا الله ان الله سريع الحساب)

انتم بحاجة الي أن ترقبوا الله في كل فعل فالتقوي وقايه تمنع عنكم العقاب كما ورد في رويه ابن حبان بزياده في الحديث مانصه (اجعلوا بينكم وبين الحرم ستره من الحلال من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه ومن ارتع فيه كان كالمترع الي جنب الحمي يوشك أن يقع فيه)

ثم قال الحافظ ابن حجر ومعني الحديث أن الحلال حيث يخشي أن يوول فعله مطلقا الي مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالاكثر مثلا

من الطيبات فله حدود كما قال تعالي (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) اي كلوا من الطيبات من لحم اوبقول وغيرها ولكن لاتكثروا من شي وتجنبوا الإكثار من الاكل وقال في موضع آخر (ولاتطغوا فيه فيحل عليكم غضبي) فإنه يحوج الي كثره الاكثساب الموقع في أخذ ما لا يستحق أو يفضي الي بطر النفس وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبوديه وهذا معلوم بالعهاد ومشاهد بالعيان ويختلف باختلاف الناس

فالعلم القطن لا يخفي عليه تميز الحكم فلا يقع له ذلك إلا في الاستكثار من المباح أو المكروه كما تقرر قبل

ومن دونه تقع له الشبهه كما ذكر...ولا يخفي أن المستكثر من المكروه تصير فيه جرأه علي ارتكاب المنهي عنه في الجملة أو يحمله اعتياده ارتكاب المنهي عنه غير المحرم علي ارتكاب المنهي عنه المحرم اذا كان من جنسه اويكون ذلك لشبهه وهو أن تعاطي ما ينهي عنه يصير مظلم القلب لفقد نور الورع فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوع فيه

٢

يقول الحق عليكم مراقبه الله في كل قول أو فعل فاخلص النيه لله تعالي فلا تأكل الا ما أحل الله لك واترك ما نهي عنه عليك بالوفاء ب العهد مع الله والأخلاق الفاضله والخوف والخشيه برعايه حدود الله في كتابه وسنه نبيه وراقب الله في كل نفس تنفسه كما قال عمر (حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر يوم لاتخفي منكم خافيه)

فأراد بهذا غرس قوه حارسه في ضمير المومن ليحاسب نفسه لأن انتهاك حدود الله إنما تعود إلي إهمال النفس وعدم محاسبتها وايضا لعدم الايمان باليقين بوقوع العقاب فلو أمن أنه إن ارتكب الذنب أن العذاب سوف يحل به مثل البرق الخاطف فلن يرتكب الجريمة لكن هناك شك لدي البعض في وقوعه ولهذا جاء التهديد بصيغه (أن الله سريع الحساب)

بالإشارة القريبه وهي ما تتضمنه هذه الآيات من الأوامر وسرعه

الحساب فالعقاب قريب جدا فانتبهوا يقول لهم انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظه وتقبلوا نصيحه الله لانه قد أقام الحجه وبين لكم سبب العقاب في المؤخذة عند مخالفه الأوامر الالهيه وبين لكم ما يحب من الأعمال وما يكرهه منها فلا تكون بطونكم هي همكم فتكونوا كالبهائم ولا يكون همكم العدوان فذلك طبع السباع فعليكم بخوف الله لتقدم لنفسك ما يحرزها ما سوف تصير إليه فتحفظ نفسك من سوء المصير

خامسا

(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا ءاتيموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)

أنه من خلال امعان النظر في الترابط البدايع في هذه الايه الكريمه بين بدايتها ونهايتها وبينها وبين الآيات السابقه واللاحقه وبينها وبين السوره التي ذكرت فيها نجد جمال القران الكريم وبلاغته وايجازه بذكر جمله واحده تحمل معاني ومفاهيم عديده وتخدم اهداف عديده لتربيته الفرد والمجتمع وتنظيم أحوالهم والارتقاء بهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض ومع الآخرين ويتضح ذلك من خلال الآتي

المبحث الأول

ابتدأت الايه بقوله تعالي

(اليوم أحل لكم الطيبات)

فنجد أن في الايه ورد فيها تكرار إحلال الطيبات فقد قال قبلها (قل أحل لكم الطيبات) وان هذه الايه ابتدأت بقوله (اليوم) وهذه الكلمه تدل علي امتنان الله علي عباده بانعامه عليهم ولمعرفه سبب التركيز في الخطاب على لفت انتباه المومنين علي هذا الزمن تحديدا بقوله اليوم سوف نقف علي ما تحمله أوجه النص من معاني

الوجه الاول

أن المراد بهذا التكرار الحرص علي اظهار ايجابيه الاسلام وإظهار سلبيات الجاهليه قبل ظهور الإسلام فكان في هذا اليوم اعلان في مبادئ وقيم الاسلام شعار اخراج الإنسان من الجهل والظلام الي نور الايمان و العوده بالإنسان الي إنسانيته ألحقه بعد أن اهدرتها الجاهليه واغرقوها في ظلمات الانحطاط إلي مستوي الوحوش فحدث التخلف الجاهلي المعروف الذي جعل الإنسان أقل شأنًا من الحيوانات فكانت مهمه الاسلام ضخمه في تربيته هولاء واعاده تاهليهم واسترداد الإنسان إنسانيته ثم تحويله الي انسان أخلاقي ثم

انسان رباني ليقود العالم ويبدلهم علي الخير الذي فيه التقدم والتطور والرفي للبشريه كلها فناسب بهذا امتنان الله عليهم علي عبادته بهذا الدين ولهذا أشار إلى اليوم الذي تقدم ذكره في قوله (اليوم ياس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون) فبين أنه اكمل التعاليم الدينية واتم النعمة عليهم بالعز والتمكين وإتمام نعمته عليهم دلهم علي منتهي الكمال الذي فيه رضاه التام سبحانه وتعالى بأن تكون لله تعالي تضحي بنفسك في سبيل الله خالصا فهذه هي نقطه الانطلاق

وقال تعالي أيضا (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً الخ

فقد أتم نعمته بأن اختار لهم الاسلام ديناً ونظام حياه ليكون اعاده تنظيم أنفسهم وفق هذا المنهج وتعاليمه فلم يشق عليهم التكليف فقال تعالي (فمن اضطر في مخمسه غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم)

فإن هذا فيه مايتسع لاحوال العباد وظروفهم فكذلك من تمام النعمة إيضاح الأمور وتبسيطها أمام العناصر المتطلعه للتطور والخروج من ظلمات الشرك والجهل الي نور الايمان ومن عذاب الشك الي اليقين وهي تبحت عن اول الطريق الصحيح من بين الطرق المزدحمة في ضلالتها فقد أتم الله علي عبادته باحلال الطيبات فهذه النعمة تريح الإنسان من التجارب عن الضار بالبحث المستمر عن جوانب الاشياء الغامضه التي قد تستهلك اعمار اجيال لمحاولة الوصول لذلك فالحق قد حرام عليهم الخباثت

الأمر الثاني

أن الدين الاسلامي جاء لتخليص البشريه من التخلف يقفز بهم قفزات نحو الأمام والتقدم فلا رجوع إلي الوراء والتخلف فمسيرته تتجه نحو العلو والرفي للإنسان نحو العدالة والحريه والعدالة والمساواة والتقدم والرفاهيه أنه ينقل الإنسان الي الافضل الطيب ولهذا فإن أحكام الإسلام فيها اختيار الأفضل لكم علي الدوام ولهذا جاء تخصيص قوله (اليوم) للحث علي سياده القانون (الحلال والحرام) بأن الإسلام جاء بالطيبات في أحكامه لنشر العدل والتطور والرفي والحريه ويقضي علي الظلم والفساد والتخلف فكل ما أحله فيه منافع الناس وكل ما حرم فيه المرض والضرر والافات علي الناس فجاء بتكرار إحلال الطيبات للحث علي امتثال الشرع ففي ذلك الخير و المنافع لهم فهو غذاء للجسد والروح فمن يقبل أن تنتقل الأمراض والجراثيم لجسده باكل الضار هو الذي يقبل بامراضه المورثه

ولهذا فإن اللازم شكر الله تعالي علي هذه النعمة لانه ما حرم عليكم الا ما فيه ضرر رعايه وعنايه منه تعالي بكم ولهذا بدأ بقوله (اليوم) لبيان أن اللازم أن تدركوا أن في أحكام الله المنفعه لكم والكرامه

المبحث الثاني

(وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

الأمر الأول

المراد بطعام أهل الكتاب هو الذبائح لأن الاطعمه مثل الحبوب والثمار ليس فيها خصوصيه فيجوز أن يأكل منها حتي ولو كانت من غيرهم فقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اكل من الشاه التي صنعها اليهود ووضع له السم في ذراع النعجه في القصة المشهوره التي حدثته الذراع أنها مسمومه

وذهب العلماء الي جواز ذبائح أهل الكتاب لانهم لا يذكرون عليها إلا اسم الله عند الذبح أما المشركون فلا يجوز اكل من ذبائحهم لانهم يذبحون لغير الله ولهذا قيل بحرمة اكل ذبائح نصاري تغلب لانهم كانوا عند الذبح يسلكون سلوك المشركين فقد كانوا يذبحون باسم المسيح وهذا محرم لعموم اللفظ (ولاتاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

وورد عن الامام علي بن ابي طالب بتحريم طعام وذبائح نصاري العرب من بني تغلب لانهم لم يتمسكوا باي شي من النصرانية ولأنهم كانوا يضعون الخمر علي الطعام

ومع ذلك ذهب البعض الي القول بجواز اكل طعام وذبائح المجوس مستدلين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال بشأن التعامل معهم سنوا بهم سنه أهل الكتاب) بشأن الجزيه وروي عن سعيد بن المسيب أنه يجوز أن يستعان بالمجوسي ليذبح الشاه للمسلم اذا كان مريضاً بأمره أن يذكر اسم الله عليه

لكن الملفت للنظر هو أخباره تعالي أنه يحل لأهل الكتاب أن ياكلوا من اطعمه وذبائح المسلمين فقال تعالي (وطعامكم حل لهم) والسؤال هنا هل المراد بهذا هو أن اليهود والنصاري مثلاً ملزمون بشريعتنا كما حاول البعض القول فإن هذا غير منطقي فنحن مثلاً مباح عندنا اكل الشحوم بينما هو محرم عليهم وبالتالي فإن هذا القول غير صاب وبعيد عن حقيقه ماتحمله النصوص وان المراد بهذا معني أعم من هذا كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

أنه بعد أن ذكرت الإيه قبلها أن الذي احل لهم اليوم هو الطيبات التي سألوا عنها فأخبر أن اليوم بدايه مرحله جديده فالمرحله السابقه التي انتقلت فيها الامه من طور الي طور بهذا المنهج فإن ذلك كان عمليه تمهيديه علي طريق التقدم وصولا إلي الكمال بأحداث التغيير المطلوب فتلك المراحل تزود المسلم بالنظريات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة التي تمدك بالوسائل الممكنة اتخاذها وضو لا بهذه النظريات الي ارض التطبيق فليس الغرض من هذا الوصول السلطه والحكم الذي يفرز عنه الابتعاد عن الشعب بكافه فئاته فهذا من الخباثت والرجوع إلي الوراء ليس من صفات الأديان فجميعها قفزات نحو الأمام والتقدم وليست تقهقر إلي الوراء والتخلف وان التخلف ناتج عن انحراف واستغلال الانتهازيين من أتباع الديانات الدين للتضليل والخداع فعرقلوا مسيره الأديان نحو العداله والمساواة عندها مرت البشريه في ظلام دامس توقفت فيها عقارب التقدم...ولهذا فالتعامل مع هولاء له خصوصية تختلف عن المشركون فقال تعالي (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فالخطاب موجه للمومنين باعتبارهم التنظيم الثوري المعبر عن الخير الطيب الذي جاء به الإسلام وفلسفته حضارته فانتم الذين تنقلون هذا الخير من نظريات الي واقع الممارسه الفعلية ولهذا يقول لهم لابد أن يحصل الاندماج بين شعب الدوله الاسلاميه ومن ذلك أهل الكتاب فلا يجوز عزل هولاء ولهذا قال تعالي (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فأشار الي مساله أن طعام اهل الكتاب من ضمن الطيبات

الأمر الثاني

يرسم لهم كيف يكون استعادة الحياه الطبيعيه في ممارسه السلطه فليس المراد بنجاح الثوره القضاء علي نظام سياسي متخلف نستبدله بنظام اخر ذي شكل تقديمي فلا بد من الأخلاق للطليعه فلا يكون بعد انتهاء هذه المرحله أن تقف النخبه من المومنين الحاكمه مكتوفه الأيدي ولا تسعى الي موكبه التطور الذي تشهده البلاد بسرعه فائقه فليس الأمر مجرد شعارات ترفع عن كرامه الانسان وحرية والمساواة فبعد استلام مقاليد الحكم لابد من الانتقال الي تجسيد معاني القيم في الواقع فعليك أن تدرك أن مسؤوليه المرحله المقبله تختلف عن المرحله السابقه فلا بد من استغلال الإمكانات المتاحة بحيث يصوغ المجتمع قدراته في لحن جماعي منسجم متطلع وهاذف الي غايه مدروسه ومقداره عند بدايه التفكير في دفع عجله التطور إلي تطور

فالمراد بالطعمه هنا التطور الاقتصادي فالإسلام جاء بنظريه الدوله العصريه قبل جميع الحضارات فأراد أن تتطور النظرة الي الدوله أنها ليست مجرد أنها حارسه علي الأمن والعدل وتقديم الخدمات العامه بل يتعدى ذلك إلي اقامه المشاريع الاقتصاديّة المختلطة الخاص و العام والذي يشترك براس ماله المواطنون مع الدوله ليكون ذلك رابطا يربط الحاكم بالشعب فلا تهمل الطاقات تحت عنوان المزايدات الدينيه ولهذا لابد من تظافر الطاقات الاقتصاديّة بقيود الشريعة الاسلاميه وقانونيها الغابته

المبحث الثالث

أن المراد بهذا التعاون الاقتصادي وتبادل السلع والتعايش مع أهل الذمه وادماجهم في المجتمع وتبادل السلع فاستعمل لفظ (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم)

فاضاف إليهم الطعام علي سبيل التمليك اشارة الي التبادل التجاري معهم تحت ضوابط الشريعة الاسلاميه وبشرط المقابله بالمثل لأن التعامل التجاري كان يقوم بمبادله سلعه بسلعه فقال تعالي (وطعامكم حل لهم)

ولهذا ذكر أمر المناكحه الطيب الحلال فقال تعالي (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي اخدان)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد الآتي

اي الحرائر من المومنات المحصنات بحصن الحريه والعفه ومن أهل الكتاب المحصنات بحصن الحريه والعفه

*

اشتراط لذلك

١

تسليم المهر عن طيب نفس (اذا أتيتموهن اجورهن)

أن يقصد بذلك تكوين وإنشاء أسرته وحفظ الفروج وليس المتعة الجنسيه بالسفاح ولا المخادنه

*

التهديد للمرتد بعد الايمان بضياح الاعمال الصالحه التي عملها والشقاء في الآخرة

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد الآتي

الأمر الاول

ابتدأت الايه بقوله (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

تبين الايه أنه أحل للمومنين من أمور المناكح تزوج الحرائر العفيفات من المومنات ومن أهل الكتاب

فهل معني هذا أن هذه الايه ناسخه لقوله تعالى (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن ولامه مومنه خير من مشركه ولو أعجبتمكم ...الخ كون الايه في سوره البقره حرمت نكاح المشركه والنصاري لا خلاف أنهم مشركون لانهم يعتقدون بالواهيه عيسي وعقيده الثالوث وايضا الايه ذكرت بجوز زواج الاماء المومنات فهل الايه هنا تنفي حكم زواج الاماء المومنات والكتابات ؟ ومن المراد بالكتابات هل الاسرائيليات ام الكتابيات علي الاطلاق ام أهل الذمه وهل تدخل الحربيات في ذلك

الموضوع الاول

أنه لانسخ للايه (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن...الخ

وانما في قوله تعالى (والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) تخصيص لما فيه الكمال وتام النعمه التي تتحدث عنها الايه حيث ان الايه وردت في إطار التطور نحو الأفضل واهميه تكوين العلاقات المصاهره التي تساهم في إرساء قواعد وقوانين الحضاره الاسلاميه ومبادئ الشريعة الإسلامية والقيم التي حملتها من خلال استغلال هذه العلاقه لخدمه الاسلام ودولته ونظامه وما تقتضيه المرحله من المرونه والانفتاح وأقصد بهذا مرحله الدوله التي يكون فيها الهيمنة للإسلام حيث يكون أهل الذمه من رعايا الدوله الاسلاميه الخاضعين لقوانين الاسلام بالقبول بدفع الجزيه والبقاء في أرض الاسلام ودولته ونظامه ولهذا قال تعالى (اليوم أحلت لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم...الخ

وذكر اباحه التزوج بالكتابه فالايه تبين أن هنالك مسؤوليه علي جميع المسلمين في دمج أهل الكتاب في المجتمع المسلم من خلال العلا قات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية والاجتماعية حتي لايعيش هولاء في عزله الاقليه التي تشعر بالاضطهاد ونقص حقوق المواطنه فيكون الدين وسيله تميز عنصري داخل المجتمع الواحد كما هو حال الكثير من دول العالم المتعصبه لدين الدوله مثل مانشاهد في الاضطهاد لمسلمي بروما ومسلمي الهند والاقليه المسلمه الرهونجا وفي الصين ...

فالإسلام ينبذ العنصريه ويامر بالحريه والكرامه والمساواة لجميع مكونات الشعب في النظام الإسلامي

ولهذا جاء هذا الاعلان بحقوقهم الماليه والاقتصاديه والاجتماعية يوم اكتمال الدوله الاسلاميه وهيمنتها علي الجزيره العربية يوم إعطاء المشركون الذين يعبدون الأصنام مهله اربعة اشهر لتصفيه أعمالهم التجاريه وبعدها مغادره دوله الاسلام (فسيحوا في الأرض اربعة اشهر)

ولهذا كان هذا الاعلان لبيان ان اهل الكتاب من اليهود والنصاري والصابئه من رعايا الدوله الإسلامية لايشملهم الأمر فحقوقهم مصانه ومن ثم شرع في ذكر أن اللازم إدماجهم في المجتمع كي يتحقق الاستقرار فاجاز تبادل الاطعمه اي العلاقات التجارية معهم وتزوج المسلم منهم لأجل أن ينصهروا في المجتمع المسلم وتتصل مواهبهم وقدرتهم وطاقاتهم لتساهم في عمران الارض وفق منهج الاسلام الذي اختاره الله للبشريه في مرحله الرشد الإنساني

وخص بالذكر لإنشاء تلك العلاقات معهم في هذا اليوم الذي صار الاسلام مهيمن علي الجزيره العربية لأن التعامل معهم سوف يكون وفق ضوابط الشريعة الاسلاميه فمثلا قبل ذلك لو جلست علي مائده نصاري فإنه لن يتردد أن يقدم علي المائده الخمر ولحم الخنزير...ويقول لك قد صنعنا لك طعام خاص بك في الطرف الآخر من الطاولة المعده للطعام

فقبولك الجلوس لمائدته ليس مروونه لأن هذا الكتابي لم يراعي ضوابط الشريعة الاسلاميه وقانونيها ولم ينظر إلي جلوسك علي ما نذته

فيه اظهار لشعائر الاسلام المساواه واحترام حقوق الذمي

لكن عندما يكون الهيمنه للإسلام ودولته ونظامه الذي قبل هذا الذمي أن يعيش فيها ويحترم قانونيها عندما قبل العيش في دوله الاسلام مقابل دفع الجزية عن يد وهم صاغرون فإن جلوسك علي مائدته تجعله يشعر برقي الاسلام وتسامحه مع الأقليات الأخرى ولهذا سوف يكون حريصا علي اظهار احترام قوانين الاسلام فسوف تكون مائدته كلها اطعمه ليس فيها اي شي محرم اضافه الي انك عندما تدعوه الي طعامك في المناسبات ليشاركك الفرحه سوف يشعر أنه جزء أصيل من نسيج المجتمع المسلم وهذا سوف يدفعه الي الحرص علي الوفاء بالعهود ولن يشعر أنه مهضوم في المجتمع لن يكون في خانه المهمشين المنبوذين كما هو حال شريحه كبيره في المجتمع اليمني الذين يسمون المهمشين حيث لا يشاركهم الناس الطعام ولا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم رغم أنهم مسلمون مثلنا مثلهم نتيجة ظلم العادات الجاهليه المورثه التي غرست انطباع عنهم أنهم لا يهتمون بالنظافه لاجسادهم ولا ملابسهم وهو ما صار واقعا فيهم فكانت العزله لهذه الشريحه وتجاهل الدعاه دورهم ومسؤوليتهم في الارتقاء بهذه الشريحه وتربيتها فليس مبررا أنهم لا يهتمون بالنظافه لاجسادهم ولاملابسهم أن يعزلوا وان يعاملوا بتلك المعامله التي تعود جذورها حسب الروايات الي عهد سيف بن ذي يزن قبل الف. وخمسائة سنه

الموضوع الثاني

كما ان الجملة (والمحصنات من المومنات) رفع علي أنه مبتدأ حذف خبره للدلاله علي ماتقدم اي وحل لكم أيضا من الطبيات والمراد بهن الحرائر العفائف من المومنات ومن أهل الكتاب اليهود والنصاري والصابئه فجاء التخصيص بالذكر لبيان ماهو أولي وفضل ولا ينفى ماعدهن من الاماء المومنات لانه جائز بالاتفاق فعندما يكون لك الخيار بين الحره العفيفه المومنه والامه العفيفه المومنه فإن الاختيار يكون للحره لأن التزوج بالاماء إنما يكون بشرط عدم الطول وخوف العنت كما ورد في سوره النساء (فمن لم يستطع طولا أن ينكح ... الخ .

ولهذا فلا يعني هذا حرمة زوج الاماء المومنات والكتابات تحريم شرعي ولكن تبين مساله اخري وهي التحريم الأخلاقي

لأن الايه خرجت مخرج الامتنان والمنه في نكاح الحرائر والعفائف وهي أعظم منه ولهذا فإن الافضل لمن اراد النكاح أن ينكح الحرائر و العفائف مع قدره عليهن لأن نكاح الاماء يودي أن يلحق الأبناء بوالدتهم في الرق ويكون الابناء عبيد ولا ينبغي أن يختار أحد لابنه الرق كما ليس لأحد أن يبتغي رق نفسه فالإسلام يحث المومنين علي اختيار الزوجات ليكون الولد كريم الأصل فأراد بهذا أن اخلاق المومن تمنعه من هكذا علاقه زواج لأن هذا يتعارض مع الكمال وتمام النعمه التي تتحدث عنها الايه ولهذا نجد أن الايه تشير الي اهميه طهاره الع لاقه الزوجيه من القبائح لأن الفاجرات غير العفيفات من الزنا لا يجوز التزوج بهن لقوله تعالي (الزاني لا ينكح الازينه أو مشركه)

لكن هل يحكم القاضي اذا تزوج مسلم عفيف بزانيه ببطلان عقد الزواج منها من الموكد أن القاضي لن يحكم بذلك ولهذا فإن التحريم هنا أخلاقي فاخلاق المومن تمنعه من هكذا علاقه لأن تلك العلاقه تنفي مع اخلاق الكمال والرقي الطيبه ولهذا فإن الإسلام يربي المومنين علي اختيار الأفضل فلا يكون اختيارهم الادني لأن ذلك فيه فساد وخلل وانحطاط وتخلف فالله ذم بني إسرائيل فقال (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير)

ولهذا قال الجمهور انه لا يجوز التزوج بالكتائبه الا الحره والعفيفه لئلا يجمع فيها أن تكون ذميه وهي مع ذلك غير عفيفه فيفسد حالها ب الكليه لانه يجمع بين السوء في تفحش المراه الكتائبه وشركها بالله

والمراد بالكتائبه متفق علي جواز هذا النكاح بالنسبه للذميات لكن الخلاف هو بشأن الحرييات من اهل الكتاب وهن اللاتي لا يخضعن لدوله الاسلام فذهب البعض للقول إنه فيه العموم وذهب الجمهور أن هذا مخصوص بالذميات دون الحرييات وهذا هو الأرجح لأن الا باحه كانت بعد أن صار للإسلام قوه كما ذكرنا في هذا المبحث ولأن اللفظ (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)

فلفظ من قبلكم يعني جميع أصحاب الأديان السابقه يشمل اليهود والنصاري والصابئه فالمراد بالذميات بقوله تعالي (لا إكراه في الدين) احترام حريه المعتقدات للأقليات داخل المجتمع المسلم وان اللازم اعداد برنامج لدمج هؤلاء في المجتمع المسلم ليكون الانسجام بين مكونات الشعب الذي يحكمه القران

الأمر الثاني

توكد الايه علي حقوق المراه بغض النظر عن دينها فقال تعالي (اذا اتيتموهن اجورهن)

اي المهر الذي هو العوض الذي أمر في سوره النساء أنه حق خالص للمراه يجب تسليمه للزوجه وجاء التأكيد عليه هنا حتي لا يتصور البعض أن هذا الحق هو للمراه المسلمه فيقول لهم الله أنه حق لكل النساء فجميع المواطنين في دوله الاسلام متساوون في الحقوق و الواجبات فيجب بذل المهر عن طيب نفس كما أو ضحنا في سوره النساء فلا يكون لسلطه القوامه والقياده التي اختص الله بها المسلمون استغلال ضعف الأقليات من اليهود أو النصاري أو الصابئه من أهل الديانات السابقه ولهذا جاء بتأكيد تسليم المهر لهن ويشدد

علي احترام العلاقة الزوجية التي يقدم عليها المسلم من الاقتران بعقد الزواج بالكتابات من أهل الذمه بأن يقصد بذلك انشاء اسره و العفه من السقوط في الزنا فقال تعالي (محصنين) حال من فاعل اتيتموهن اجورهن اي حال كونكم إعفاء بالنكاح وتكوين اسره وحفظ فروجكم وليس لغرض المتعة الجنسية الغابره فقال تعالي (غير مسافحين) فمن أراد المتعة الجنسية فهذا مثل الزناه الذين يزنون مع كل من يجدون أمامهم من الفاجرات كما كان حال الزناه في الجاهليه فقد كان هولاء يزنون مع من كان ولهذا يقول لهم الحق انتبهوا من التشبه بتلك الاخلاق القذره فعليكم قصد التزوج بالكتابه أو غيرها فتحسنوا الاختيار لشريكه الحياه فهناك التزام أخلاقي عند الاختيار وقال لتأكيد اهميه بناء اسره في العلاقة الزوجية التي تريد إقامتها لتكون علاقته طهاره طبيبه أن تخلوا من سلوك أهل الجاهليه السفاح وا لآخذان فقال تعالي (ولامتخذي آخذان) وهم الذين كانوا يزنون مع العشيقة التي يزني بها محبه ومخدانه وحدها فيحذر الحق من هذه الأ خلاق الفاسده الخبيثه فيقول لهم يجب إن تقصدوا وتنظروا لهذه العلاقة أنها لأجل بناء اسره ولأجل العفاف وحفظ فروجكم

والخطاب موجه للمومنين لانه لم يبيح لأهل الكتاب التزوج بمسلمه اطلاقا فكان مناسباً أن تأتي الابيه بعد قوله (وطعامكم حل لهم) لبيان ان اباحه المناكحه غير حاصله بين الجانبين بينما اباحه الذبائح والاطعمه حاصله بين الجانبين فذكر هذه الشروط والأحكام التي يلزم بها الأزواج تتبها لهم علي التمييز بين النوعين فالمسلم يحترم العقود والوفاء بها ولهذا يقول الحق (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)وهذا فيه الاتي

١

تهديد لمن خالف أوامر الله ونواهيه وأحكامه في التعامل مع الأقليات من أصحاب الأديان السابقه واستباح حدود الله فلم يعظم شعائر الله وحدوده التي أمر بها من حقوق هولاء فمن استغل القوامه للأضرار بأعمال الأقليات التجارية بما يخالف منهج الله أو من تعامل معهم بعنصريه فأراد من تكوين العلاقة الزوجية بالكتابه المتعه الجنسيه أو إشباع الرغبه والشهوه فقط ولم يقصد بذلك حقيقه الزوج والعفه التي هي أعلي قوه المحبه فهذا يكون كافرا الشريعه الاسلاميه وقانونيها وبالتالي فعليها أن يدرك أن ذلك سببا لضياع قيمه أعماله ويلحق به الخساره في الآخرة خسر نفسه وماله وأهله يوم القيامة وحصلوا علي الشقاء الابدي وهذا فيه غرس حقوق أهل الذمه في ضمير كل مسلم فانظروا الي عظمه الاسلام وكيف أنه صان حقوق الأقليات

٢

أن الابيه فيها التهديد والوعيد لكل من أنكر أحكام الله سالفه الذكر ومن جملتها الحل والحرام وحقوق الأقليات فكل من يمتنع قبولها فقد بطل عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك فهو يضيع نضاله وكفاحه السابق في مرحله التحرير وايضا يخسر آخرته

٣

التحذير من أن تودي العلاقات مع الأقليات التي تميع المسلم بالتفريط بقيم ومبادئ الاسلام فتكون علاقته سببا لخدمه الكفر فيحصل التنازل عن القيم والمبادئ الإسلامية من اجل المصالح الاقتصادية مع اليهود والنصاري الي اصابته بالعدوي الفاسده والأخلاق القبيحه التي لدي هولاء من الطمع والجشع الزائد بالمال فيميل الربا وقبائح أهل الكتاب التي كانت سببا في ابتعادهم عن المطلب الرباني ف التعامل معهم يكون بحذر فلا يكون الانفتاح في التعامل معهم سببا للوقوع في افات هولاء وامراضهم فهم سوف يستعملون كافة الوسائل للغزو الفكري لتجريد القيم والمبادئ الإسلامية عن مقوماتها الإيمانيه ومايتفرع عنه من اخلاق فاضله وطيبه من التسامح والبر والتعاون فتسعي الأفكار الرديئه لدي هولاء الي استبدالها بعلاقات ماديه مجردة تتسع للغدر والقسوه والخداع والصدقات المرحليه فهم سوف يحاولون الي صناعه موجات تدفع الي البعد عن الدين من أمثال ذلك استعمال النساء الكتابيات وتجنيدهن لأجل هذا الهدف وإفراغ الأحكام الشرعية عن مضمونها ونشر الرذيله والترويج لها باسم الحب (المخدانه والسفاح) والتبرير لها كما هو حال الكثيرون الذين أصبحوا يفسرون النصوص وتأويله وفقا للفلسفات الماديه الضاله فالغزو الفكري سهل اذا تجرد الإنسان من مقوماته المعنويه الا يمان ولهذا فإن هذه الموجات ليست شيئا مخيفا مادامنا نتمسك بمقومات المجتمع السليم الإيمان باحترام شعائر الله وأحكامه عندها سيكون من السهوله مقاومه هذه الموجات ولهذا يأتي التهديد من الكفر بعد الإيمان بالتفريط بقيم ومبادئ الاسلام فإن هذا فيه ضياع الا عمال الصالحه. يلحق بك الخساره والشقاء بالآخرة ولهذا فعليك الإنتباه من السقوط في مستنقع التفريط تحت اسم الانفتاح والمرونه فا لأمر يوجب عليك الإنتباه وان تخدم بهذه العلاقات الاسلام فالصداقه والتعاون مع هولاء أمر مطلوب لكن بشرط أن لا يودي ذلك إلي إلغاء نقطه الانطلاق التي تنطلق منها في كل أمر وهو الإيمان والاسلام فلا يكون في تلك العلاقات الغاء وجودك العقائدي فلا تكون العلاقة معهم سببا لهمد قيم الإسلام والأخلاق الفاضله التي يريدها الاسلام من المسلم لأن الخروج عنها رجوع الي الكفر بعد الإيمان وهذا فيه الهلاك والشقاء في الدنيا والآخرة

القسم الثالث

في إطار الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح والحث علي طهاره الأبدان والعلاقة الزوجية من القبائح يجي ذكر الصلاه وتمام الطهور للاشاره باهميه طهاره الروح والبدن فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه فاغسلوا وجوهكم وإيديكم الي المرافق

وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين وان كنتم جنباً فاطهروا وان كنتم مرضي او علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

اولا

ابتداءت الايه الكريمه بالنداء الثالث للمومنين (ياايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه)

وقد ذهب المفسرون لأقوال متعدده بشأن أحوال القيام المأمور به بالوضوء في قوله تعالى (إذا قمتم الي الصلاه)

فذهب البعض أن الأمر بالوضوء حال القيام الي الصلاه إنما يكون لمن احدث كما ورد عن ابن عباس قوله لاوضوء الا في حدث والا فصلي بطهورك مال تحدث

فقال السدي ان المعني إذا قمتم الي الصلاه وانتم علي غير طهر فعليكم بالوضوء

وذهب البعض أن الأمر يعني إذا قمتم من النوم الي الصلاه فعليكم إن تجددوا لها طهرا

وذهب البعض الي أن الأمر يعني به كل حال قيام المرء الي صلاته أن يجدد لها طهرا

وذهب ابن سيرين الي ان الصحابه كانوا يتوضون لكل صلاه

وقال البعض أن هذا الحكم نسخ بالتخفيف مستدلين بالسنة الفعلية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء عند كل صلاه فشق ذلك عليهم فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من احدث واستدلوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم صلي في الفتح الصلوات الخمس بوضوء واحد

وذهب البعض أن الوضوء كان لازما في كل عمل يقوم به المسلم فنزلت هذه الايه اعلانات من الله بها بأنه لاوضوء عليهم إلا إذا قاموا الي الصلاه دون غيرها من الأعمال لانه كان عليهم الوضوء في جميع الأعمال فإذا احدث أحدهم امتنع عن العمل حتي يتوضاء فكان رفع الحكم حيث صار لهم أن يعملوا ما بدا لهم دون وضوء من الحدث عدا الصلاه فأمر بالوضوء قبل الدخول بها

والأرجح هو أن القيد لمن احدث فيه الوجوب لأن الثابت بالسنة الفعلية أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي يوم الفتح الخمس الصلوات بوضوء واحد أمام الناس فسأله عمر عن ذلك فقال إنه تعمد فعل ذلك أمام الناس جواز ذلك ومايوكد ذلك قرينه دلالة الحال فلايلزم علي كل قائم للصلاه غير المحدث فالايه مثل قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ ب الله) فدلاله الحال يعلم منها أنه ليس هنالك وضوء علي من لم يحدث وأما اطلاق اللفظ اذا قمتم الي الصلاه اطلاقا فعليكم بالوضوء فإن هذا لايوثر بأن القيد هو للمحدثين لأن الايه ورد فيها الحديث عن الصلاه والطهارة في إطار الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح وطهاره الصيد والتعامل مع الآخرين بالعدل ولهذا جاء النص فيها إطلاق الوضوء حال القيام للصلاه فقررت أن الوضوء في كل صلاه عزيمة هو الافضل وأما الوجوب فهو لمن احدث بدليل أن الايه ذكرت وجوب التيمم علي من لم يجد الماء أو من وجده وكان مريضا أو علي سفر وإذا احدث بغائط أو بول وجب عليه أن يتطهر عقبها ولو كانت الطهارة واجبه عند كل صلاه لما كان لهذا معني

ولهذا فإن اطلاق اللفظ في مقدمه الايه الكريمه الاتي

المفهوم الاول

الحث علي اهميه طهاره الأرواح والاجساد وان جميع الله هي عبادته لله فكان مجئ الآيات بعد الحديث عن الطيبات من الاطعمه والمناكح وطهاره الصيد والتعامل مع الآخرين بالعدل وعدم الخيانه في ظل هذا الجو يأتي السياق مبينا أن الوضوء عزيمة وهو الافضل وان الوجوب هو علي المحدث فكان هذا الاطلاق اظهار لتناسق الآيات القرآنية والأحكام مع بعضها بهذا الترابط البديع القادر علي إيصال عناصر الفكره التي تهدف النصوص إيصالها الي المخاطبين فكان مناسبة اطلاق النص حال القيام لبيان ان اهميه المتاع الروحاني في القيام للصلاه فأنت مثلما ألزمت أن تطهر طعامك من القذورات بالحرص علي أن نظافته من القذره الماديه والمعنويه وان تحرص علي طهاره الشهوه من قبائح الزنا في المناكح لتجد لذه متاع الطعام والنكاح الطيب ففي ظل هذا الجو تمضي سياق النصوص باستكمال الوان المتاع الطيب للإنسان فجاء الأمر بإطلاق الوضوء في حال القيام للصلاه لبيان ان كل أمر من أمور الله وأحكامه كلها عبادته الله هي غذاء روحاني فلا يوجد فرق بين الصلاه والوضوء والاطعمه والمناكح والاقتصاد والسياسيه فكلها شرائع الله ومنهجه لا بد أن يقصد بها وجه الله لتكون طيبه وأن تلتزم شروطها

المفهوم الثاني

أن إطلاق لفظ القيام للصلاة بشرط الوضوء ..وهو أمر قبل الدخول في الصلاة فهو يختلف عن القيام الذي هو ركن من أركان الصلاة فإن هذا الافتتاح فيه إعلامنا بأن الوضوء من شرط الصلاة والقيام يطلق لمعني الشروع في الفعل اوالعزم عليه ولهذا قال البعض أن المراد به ارداه الفعل وعبر عن ارداه الفعل بالفعل لأن الفعل يوجد بارداه الفاعل وهو قصده إليه وميله وخلوص داعيه فاقيم المسبب مقام السبب للملابسه بينهما وقال آخرون إن المراد بالقيام هو قصد الصلاة لأن من توجه الي الشيء وقام إليه كان قاصدا له لامحاله فعبر عن القصد بالقيام وعموما فإن المتأمل في القران يجد أنه اطلق لفظ القيام علي الصلاة كلها فقال تعالي (واقموا الصلاة) وقال تعالي (واقم الصلاة أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) ولم يقل صلوا ولا في اي موضع فاقامه الصلاة ادؤها كامله الأركان والشروط الظاهره والباطنه والوضوء من شروطها الظاهره ولهذا جاء النص بقوله (إذا قمتم الي الصلاة) اي قصدتم الصلاة ونيتها فدل هذا علي شرط النيه للقيام بالصلاة والطهاره لصحة الصلاة فالطهاره تجب عند اراده الصلاة وهي كل ما يطلق عليه اسم الصلاة سواء كانت فرض اونافله أو صلاة الشكر أو أي صلاة فلا بد لها من الطهاره

فيقول لهم أن من شروط اثمار إقامتها أن تكون مستوفيه حقها ظاهرا وباطنا صوره ومعني فأنت عندما تقصد نيه الصلاة ولقاء الله و الوقوف بين يدي وتناجي الله فعليك أن تستعد فلا بد من تطهير الجسد لتتهيئه الروح لتكون اهلا لمناجاه الله تدعوه وتطلب منه سعادته الدنيا والآخرة تطلب العون منه تعالي وان تشرح له همومك واسرارك فكان لابد من طهاره الجسد والروح بدليل تشريع التيمم عند عدم الماء فإن طهاره الروح لا تكتمل الا بالتيمم عند الرخصه للتعبير أن شرط الوضوء يدخل ضمن معاني القيام للصلاة لأجل صحة الصلاة ف الموقف بين يدي الله يتطلب استعداد للتعبير عن إدراك عظمه من تخاطب وتناجي واستشعار خشيه الله وعظمته ومحبتة

المفهوم الثالث

أن القيام للصلاة يستوجب أن يكون مفعلا بالنشاط والحيوية لمقابله الله فالله قد ذم المنافقون فقال تعالي (واذا قاموا الي الصلاة قاموا كسالي) فهذه الصلاة ليست الصلاة التي يريد الله بها الله فإلله يريد قيام بخشوع وحب وإجلال ورغبه في مقابله الله ولهذا فإن غسل البدن والوضوء بغسل أعضاء الغسل الأطراف والوجه ومسح الرأس يفيد صاحبه نشاطا وهمه ويزيل مايتعرض له الجسد من الفتور و الا سترخاء بسبب الحدث الأصغر أو الأكبر أو غيرها من الأعمال التي تؤثر وبهذا فإن العبد يقيم الصلاة علي وجهها ويعطيها حقها من الخشوع والخضوع ومراقبه الله تعالي يقول المراغي أن الشاهد أنه إذا بلغ الإنسان من لذه ومتاع العلاقه الجنسيه غايته بالوقوع والانزال حصل تهيج عصبي كبير يعقبه فتور شديد بحسب سنه رد الفعل ولا يعيد نشاطه الاغسل البدن كله

فانظر الي رعايه الله في أحكامه لعباده سبحانه وتعالى

ثانيا

(فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا)

المبحث الأول

تبين النصوص أن الطهارة للصلاة لها صورتان تبعاً لنوع الحدث الموجب لها الاول طهاره من الحدث الأصغر لحديث أبي هريره ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لا تقبل صلاة من احدث حتي يتوضأ) فقال رجل من حضرموت يا ابي هريره ما الحدث فقال ابوهريره (الفساء والضراط)

وهذا يجب عليه الوضوء لقوله تعالي (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الي الكعبين)

وهذا فيه عدة مسائل

المسألة الأولى

ماهي الاعضاء التي يجب فيها التطهير اي الوضوء ؟

١

غسل الوجه :-

وهو ما يحصل به المواجهه من منابت الشعر المعتاد الي نهايه الدقن طولاً ومن مقدمه الاذن الي مقدمه الاذن الأخرى عرضاً

وقال البعض أنه يدخل في ذلك المضمضه والاستنشاق لأن الفم والأنف من الوجه وكذلك الشعر لمن له لحيه من إيصال الماء الي البشره وان كانت اللحيه كثيفه ومنهم من قال إن المضمضه والاستنشاق من السنه المستحبه

٢

غسل اليدين الي المرافق :-

والمرافق جمع مرفق وهو مجتمع طرفي الساعد والعضد وسمي مرفقا لانه الذي يرتفق به أي يتكأ عليه من اليد

وهناك قولان لمعني (الي) هنا

القول الأول أن الي بمعني مع كقوله تعالي (ولا تأكلوا أموالهم الي أموالكم) فيكون الغسل هنا وفقا لهذا القول لليدين مع المرافق اي لا يتم الوضوء الا بغسل جميع المرافق

أما القول الثاني فقولوا أن الي بمعني الغايه فالمأمور به أن يبلغ المرافقين فهي غايه لما أوجب الله غسله من اخر اليد والغايه غير داخله في الحد لما تميز فهي كما قال تعالي (ثم أتموا الصيام الي الليل) لأن الليل غايه الصوم للصائم فإذا بلغه فقد قضي ماعليه فهذا هو الواجب ولهذا فإن المرافقين ليس إلا حد وان غسلهما من المندوب لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الغر المحجلون من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليطعل

٣

(وامسحوا برؤوسكم)

ومسح الرأس يكون أن تضع بطن كفيه في الماء ولاينفضها فيقوم بمسح الرأس من مقدمته الي القفا وقالوا إن الباء في قوله (برؤوسكم) بمسح جميع الرأس وهناك من رأي أنه يجوز ولو مسح بعضا منه فقالوا إن الباء هنا للتبعيض

وقالوا إن وجود الباء فيها حمل المسح بالكل البعض فقالوا أنها كما في قولك مسحت المنديل ومسحت يدي بالمنديل فقولك مسحت المنديل لا يصدق الا عند مسحه بالكلية أما قولك مسحت بالمنديل يكفي صدقه في مسح اليد بجزء من ذلك المنديل وتحقيق هذه الباء أنها تدل علي تضمين الفعل معني الاصاق فكأنه قال والصدقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستعياب

وقال السعدي أن المسح يكفي باي صفة سواء باليد بين أو أحدهما أو خرقه أو خشبه أو نحوها لانه لم يعتد بصفه فدل علي إطلاقه

المهم عليك أن تفهم أن المسح للرأس واجب فلو قمت بغسل رأسك مثلا فإن هذا لا يجزئ لانك لم تأتي بما أمر الله به

٤

(وارجلكم الي الكعبين)

وهذا فيه الغسل وذهبت الشيعة للقول بالمسح

والصحيح هو الغسل لما هو ثابت بالسنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (ويل للاعقاب من النار)

وهناك ثلاث قراءته اثنتان متوترتان وواحد شاذه

فما المتوترتان النصب في (ارجلكم) قراءه نافع والكسائي وعاصم فما رواه عن حفص

والجر قراءه حمزه وابن عمر وعاصم في رويه ابي بكر

أما الشاذه فهي الرفع قراءه الحسن

والنصب فهي معطوفه علي المغسولات علي الأيدي فلا إشكال في هذا أما الجر فهي تعطفها علي المسح للرأس فذهب من قال بهذا الي لاكتفاء بالمسح للرجلين دون الغسل فهذا يتعارض مع السنه الثابته عن الرسول صلى الله عليه وسلم

وايضا لأن المراد بهذا المسح مع الغسل يعني ذلك باليد أو غيرها والحكمة أن الرجلين بحاجه لذلك لأنها اقرب أعضاء الإنسان لملاستها الاقذار ولماشرتتهما الأرض فناسب ذلك أن تجمع لهما بين الغسل بالماء والمسح اي ذلك باليد ليكون ذلك ابلغ في التنظيف وأما المسح فقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يكون إلا علي الخف كما ورد في صحيح الاحاديث وهذا ليس منسوخ كما ذكر البعض لأن ايه المائده نزلت في غزوه المريسغ واسلام جرير بعد ذلك وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم المسح علي الخفين في غزوه تبوك وهي آخر مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم

المساله الثانيه

أن الوضوء لا يكون من الشك حتي يستقين لحديث عباد بن تميم عن عمه أنه شكا للرسول صلى الله عليه وسلم فقال ما حكم الرجل الذي يخيل إليه أنه يحدث الشئ في الصلاه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفتل أو لا ينصرف حتي يسمع صوتا أو يجد ريحا

المساله الثانيه

ندب اسباغ الوضوء بأن تطيل الغره لحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن من أمتي يدعون يوم القيامه غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل)

الأمر الثاني

أما الحدث الأكبر فهو متعلق بالجنابه بالتقاء الختنان الذكر والانثى او الاحتلام ورويه نزول المني فقال تعالي (وان كنتم جنبا فاطهروا) والطهارة بالغسل لسائر البدن

المفاهيم من هذا

المفهوم الاول

أن الترتيب للغسل لأعضاء الجسد أثناء الوضوء فيها الحث علي أن تكون اعمالك كلها مرتبه في تعاملك مع نفسك ومع اهلك ومع جيرانك فإذا كانت العباده التي يكون فيها لقاءك مع الله تلزم العبد بالترتيب ولهذا فإن الذي يغسل رجله قبل مسح الراس لا يكون طاهرا و لا تقبل صلاته ولهذا فإن من بلاغه القران أن ذكر مسح الراس بين المغسولات لتأكيد اهميه الترتيب فيما شأنه أن يرتب ومايوكد هذا ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج من باب الصفاء تلا (أن الصفاء والمرواه من شعائر الله) ثم قال (ابدا بما بدأ الله به)

المفهوم الثاني

أن عليك التسليم لأمر الله وتذعن لحكمه بامتثال امره سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه فلا تسال لماذا امرك بفعل الأمر كان تقول لماذا ابدا بغسل الوجه واليدين ثم امسح الرأس ثم اغسل الرجلين ...فتقول ما الضرر أن ابدا بغسل الرجلين قبل مسح الراس...فعليك الإنتباه من ذلك لأن مثل هذه الهواجس خروج عن أمر الله فالله لايسال عما يفعل...وانما الواجب تنفيذ امره فليس للعقل شأن بأمر الله

المفهوم الثالث

أن الإسلام دين النظافه يهتم بنظافه الاجساد والاوراح يقول المراغي في تأويله الحكمة من الغسل والوضوء وفوائده أن النظافه ركن لصحه البدن لأن الاوساخ والاقذار مجلبه للأمراض والافات الكبيره ومن ثم نري الأطباء يشددون في أيام الاوبئه والأمراض المعدية من المبالغة في النظافه فجدير بالمسلمين أن يكونوا أصح الناس اجسادا واقلمهم أمراضا لأن دينهم بني علي المبالغة في نظافه الأبدان والا مكنه فينبغي تطهير المكان والإنسان

المبحث الثاني

تتناول النصوص حكما استثنائي أنه حكم التيمم فقال تعالي

(وان كنتم مرضي او علي سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه)

وبالرجوع الي أسباب نزول الايه

الأمر الأول

تبيين النصوص التخفيف بالانتقال من الماء الي التيمم فذكرت المساله الاولى

حالات البدل

١

حاله المرض الذي يخشي علي المريض من التلف أو تفاقم اوجاعه بسبب ملامسه الماء لبدنه فالمريض مخصوص باباحه التيمم له سواء وجد الماء ام لم يوجد ومن خاف علي نفسه الموت من استعمال الماء أو المرض فله التيمم لحديث أن عمر ابن العاص اجنب في ليله فتيمم وتلا قوله تعالى (ولاتقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما) فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم ينهاه

٢

المسافر له رخصه التيمم في حاله عدم الماء

٣

(او جاء أحد منكم من الغائط)

ذكر مجيئه منه قضاء حاجته فيه وهو البول والغائط

والغائط هو المكان المنخفض من الأرض

وهذا فيه تربيته للمسلم :-

أن عليه عند الحديث حسن اختيار الألفاظ والابتعاد عما يستقذر التلطف به

*

وايضا فيه اختصار وايجاز فقال (اوجاء أحد منكم من الغائط)

كنايه عن الاحدثه البول والبراز فقال تعالي (اوجاء أحد منكم)

حيث نجد إدغام التنوين مع الميم (أحد منكم) واخفاء النون الساكنة مع الكاف فادخال بالادغام أمران البول والبراز لمجيئه للإنسان واستعمل الاخفاء لانه أمر لايعلمه الا الشخص نفسه فيلجأ الي الأرض المنخفضه لقضاء حاجته وهي المعروفه عندهم أنها المكان المخصص لقضاء الحاجه (من الغائط)

٤

الجماع يوجب التيمم عند عدم وجود الماء أو لامستم النساء

المساله الثانيه

ذهب البعض الي أن التيمم يكون للمريض .. وللمسافر

وسببه الحدثن البول والبراز أو الأكبر الجماع ... فإذا حصل ذلك وجب الوضوء ووجب الغسل لكن المريض معذور سواء وجد الماء ام لم يوجد أما المسافر فإذا لم يجد الماء فيكون له رخصه التيمم فقال تعالي (فلم تجدوا ماء)

هكذا ذهب البعض للقول بينما المتأمل للنصوص يجد أنها وردت باداه العطف (أو جاء منكم من الغائط أو لامستم النساء)

الأمر الدال أنه إذا لم يوجد الماء فإن هذا رخصه التيمم ولم يقيد النص بالسفر وانما العله عدم وجود الماء عند دخول الوقت للصلاه وقوله (فلم تجدوا ماء)

يعني أن تطلبه فهذا يلزم طلبه والبحث عنه إن أمكن فإذا طلبته. ولم تجده فيكون لك الرخصه وهنا كيف الحال إذا وجدت ماء متغير فان الماء المتغير مقدم علي التيمم لانه يدخل في قوله (فلم تجدوا ماء) فقد ورد الأمر بطلب الماء علي إطلاقه ولم يخص ذلك بالماء الطاهر

المسأله الثالثه

تأتي النصوص مبينه البديل

(فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه)

تيمموا :-

تعمدوا باتقصدوا (صعيدا) اي شي من جنس الأرض (طيبا)

يعني طاهرا نظيفا غير قذر ولا نجس اي اقصدوا ترابا نظيفا والتعبير عن الطهاره بالطيبه ولو كان ترابا علي ظهر حائط يكفي أن يكون نظيفا كل ماتصاعد علي وجه الارض فلا يصح التيمم من التراب النجس لانه لا يكون طيبا بل خبيثا

ثم يعلمهم كيف يكون التيمم (فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه) بأن تضرب بكفيك ثم تنفضهن ثم تمسح بهما وجهك ثم تمسح يديك الي المرافقين الضربه الاولي للوجه والضربه الثانيه لليدين لما ورد في صحيح البخاري قول عمار لعمر تمسكت فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يكفيك الوجه والكفين) وفي روايه قال عمار فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده الأرض فمسح وجهه وكفيه)

والفاء في (فامسحوا) من باب التغليب لأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين وأما أن يكون ارشاد للأفضل فإن أمكن التراب الذي فيه غبار فيه فهو أولي

المبحث الثالث

(ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

الأمر الأول

هنالك من اعتبر ان الايه متعلقه بحكم التخفيف من المشقه عند عدم الماء أو لمرض ونحوه فقالوا إن معني الايه

١

تعليل الرخصه ونفي الازداه هي كنايه عن نفي الجعل لأن المرید الذي لا غالب له لا يحول دون أردته عائق

٢

واللام في ليجعل داخله علي أن المصدريه محذوفه وهي لام يكثر وقوعها بعد أفعال الازداه

٣

نفي الحرج وهو الضيق والشدة والحرجه البقعه من الشجر الملتف المتضايق والحرج المنفي هنا الحرج الحسي اذا لو كلفوا بطهاره الماء مع المرض والسفر وعدم الماء والحرج النفسي لو منعوا من أداء الصلاه في حال العجز عن استعمال الماء لمرض أو فقدان الماء

وهذا فيه

المسأله الاولي

امتنان الله علي عباده أنه لم يكلفهم المشقه وهذا فيه خير ونعم من الله لانه من الموكد أن الانتقال من الماء الي التيمم لضروره المرض والسفر وعدم الماء فيه الخير وهذا ما أدركه الصحابه رضوان الله عليهم حيث ذكر البخاري في صحيحه أن نزول الايه الكريمه كان بمناسبة خروج عائشه رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في احدى غزواته وان عائشه استعارت قلاده من اسماء فهكلت فقام النبي صلى الله عليه وسلم علي التماسه... الخ فذكر الحديث في رؤية هشام بن عروة عن عائشة قالت إن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد القلاده فادركتهم الصلاه وليس معهم ماء فشكوا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه ايه التيمم فقال اسيد بن حضير

لعائشه جزاك الله خيرا فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه الاجعل الله ذلك لك وللمسلمين فيه خيرا كثيرا)

فهذا يدل أن التخفيف فيه خيرا كثيرا أدركه الصحابه رضوان الله عليهم

المساله الثانيه

حرص الإسلام علي اقامه الصلاه و ازاله العوائق المانعه لها ولهذا نجد الاشاره الي رفع الحرج النفسي عنهم عند عدم الماء بالتيمم للصلاه فلا تفرط في الصلاه مهما كانت الظروف فلا عذر لبغرس في النفس اهميه لقاء الله فلا يحول بينك وبين الصلاه حائل حيث وحاصلها أن إتمامها يورث الفهم عن الله فالطهاره الباطنه تكون في صفاء القلب وقيام الانام وصدق اللسان وخشوع السر وكل واحد من من هذه أمر الله بغسله

الأمر الثاني

أن نفي الحرج عن الدين وإثبات التيسير في هذه الايه قاعده من قواعد الشريعه واصل عظيم من اصول الدين بني عليها الكثير من الأحكام ويتفرع منها مسائل كثيره يقول الشيخ محمد رشيد رضا

أن المراد بنفي الحرج :-

مايتعلق بأحكام هذه الايه بالذات وبما يمكن أن يقوم عليه من الأحكام من بدايه السوره ومنها حاله الاضطرار لاكل الميته

وكذلك جميع احكام الاسلام فهو لم يقل مايريد الله ليجعل عليكم من حرج فيما شرعه لكم من احكام الطهاره فحذف المتعلق فيها يوزن بالعموم وقد صرح بنفي الحرج عن الدين كله في سوره الحج بقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ما جعل عليكم في الدين من حرج مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء علي الناس)

ولهذا فإن التصريح بنفي الحرج عن الدين في سوره الحج لأنها مكيه وبينت اصول العقيده وقواعده الكلبيه التي تدل علي القيام فيما لا بد منه من عزائم الأمور وليس من الحرج في شي لانه نفي الحرج بعد الأمر بالجهاد وهو بذل الجهد في الطريق الموصل إلى اقامه سنن الله تعالى وحكمه في خلقه وكل ما يرضيه من عبادته من الحق والخير والفضيله ولايصعد الإنسان إلي مستوي كماله الا ببذل الجهد في معالي الأمور والحرج هو الضيق والشدة والمشقه مما ضرره أرجح من نفعه كالكفاء النفس في التهلكه أو الامتناع عن سد الرمق بلحم الميته للمضطر أو كاستعمال المريض الماء وفيه ضرر وقد ذهب العلماء الي الاعتماد علي هذا الأساس نفي الحرج والعسر وإثبات اراده الله للتيسير بالعباد في الأخذ به في كل ماشرعه لهم من قواعد وأصول وفرعوا عليها أحكاما في السياسيه والعبادات والمعاملات منها اذا ضاق الأمر اتسع والمشقه تجلب التيسير..ودراء المفاسد مقدم علي جلب المصالح والضرورات

تبيح المحظورات ما حرم لذاته يباح للضروره ..وما حرم لسد الذريعه يباح للحاجه

الأمر الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن كل ما فرضه الله فيه الخير فهو لم يريد فيما شرعه لكم من الأحكام مامن شأنه أن يلحق بكم الضيق و العنت لانه تعالي غني عنكم وهو رحيم بكم فلا يشرع لكم الا ما فيه الخير النافع لكم ومن ذلك الحكم بالطهاره من غسل ووضوء فالله لا يريد أن يعنت الناس أو يحملهم المشقه للتكاليف إنما يريد ليظهرهم والارتقاء بهم وأن ينعم عليهم بهذه الطهاره فجاءت الإشارة إلي حكمه الغسل والوضوء والتطهير الحسي لانه تنظيف والمنفي جعله الله منه عباده فقال (ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم) فهذا يقودكم الي شكر النعمه (ولعلكم تشكرون) ليضاعفها لهم ويزيدهم من فضله وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن عليك أن تفهم أن الوضوء والغسل ليس تنظيف الأجساد فقط وانما لها مهمه مزدوجه نظافه الجسم وطهاره الروح في عمل واحد وعباده واحده فالامر بالطهاره جاء في موضع لقاء الله هكذا افتحت الايه (إذا قمتم الي الصلاه) وقوله (ليجعل) تفيد معني الاجاد و الخلق وتفيد التصير بمعني أن هذه الأحكام لاعاده خلق المجتمع المسلم وفق الصوره التي يريد بها الله تعالي او لتنقيه الاوعيه الذهنيه و النفسية والعقلية والقلبيه من ركाम الفكر الجاهلي اي لينظفكم أو ليذهب عنكم دنس الذنوب لأن الوضوء يكفر الخطايا كما ورد في الحديث

فالطهاره تزيل النجاسه الماديه والمعنويه والحدث ليس نجاسه بلا خلاف وان أطلق عليه ذلك باعتباره نجاسه حكميه بمعني كونه عائقا

من الصلاة لا بمعنى كونه ينجس الطعام والشراب فلا خلاف أن المحدث له أن يأكل ويشرب

فالمراد بهذا تطهير القلب من دنس التمرد علي طاعة الله تعالى ولنتنعم بشرعه مما هو طاهر لابدانكم

ولهذا أمر بالتيمم عند انعدام الماء فدل هذا ان التطهير الروحي اقوي فلا يمكن الاستغناء عنه فقد ورد في الحديث (أن الله لا ينظر الي صوركم ولا الي اعمالكم ولكن ينظر إلي قلوبكم)

فموضع نظر الحق جلا جلاله أحق بالطهاره ويكون بازاله انواع الخبائث فطهاره القلب لا تحصل الا بالكف عن الشهوات والزهد عن الدنيا ويكون هذا بالانس بالله وهذا لا يكون الا بكثرة الذكر وهذا لا يكون إلا بمعرفه الاخره فتكون خاشعا لله

المفهوم الثاني

ان الله لم يشرع لنا من الأحكام مافيه مشقه ولا حرج إنما هو رحمه من الله لعباده لتطهيرهم فالظاهر تكون طهارته بالماء والتراب فلا بد أن يكمل بطهاره الباطن بالتوبه والتوحيد والخشوع ولهذا فإن طهاره التيمم وان لم يكن بها طهاره ونظافه بالحس والمشاهد فإنها طهاره معنويه ناشئه عن امتثال أمر الله ولهذا يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن هذه التشريعات لغرض تزكيه وتطهير أرواحكم بهذه النفحات الربانيه والارتقاء باروحكم ليكون ذلك وسيله لرؤيه ومعرفه انعام الله لشكروه بطاعته وامتثال امره فقال تعالى (ولكن يريد ليطهركم)

والطهارة من الخبائث انواع (طهاره العلم من الجهل_وطهاره الذكر من النسبان_وطهاره اليقين من الشك_وطهاره العقل من الحمق_وطهاره الظن من التهمه_وطهاره الايمان مما دونه_وطهاره القلب من الادران)

وهذا يتفق مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله اكبر تملأ ما بين السماء والأرض والصوم جنه والصبر ضياء والصدقه برهان والقرآن حجه لك او عليك كل الناس يغدوا قابع لنفسه فمعتقها أو موبقها)

فمن تعود التفكر في جلال الله وانعامه وعظمته صار ذلك من أعظم اللذات التي تدفعه الي الشكر المنعم ولهذا قال تعالى (ولعلكم تشكرون)

المفهوم الرابع

أن الحق يبين أن الطهارة طهارتان لها أصل (الغسل والوضوء) ولها بدل (التيمم) وان للأصل مستوعب لكامل البدن بالغسل والوضوء غير مستوعب الا لاجزاء من البدن الوجه واليدين والرجلين والبدل مستوعب لليدين لانه اذا اطلاق لأن يستوعب كامل اليدين لقوله (السارق والسارقه فاقطعوا أيديهما) فعلم أنه محدد لكن لا يمكن أن ندخل الغبار الي الفم والأنف هذا باعتبار الفعل الغسل والمسح وباعتبار المحل محدد فوجد في الوضوء أنه محدد اليدين والرجلين الي المرافقين والكعبين وغير محدد في المسح الرأس والوجه و التهما مائع بالنسبه للماء والمسح أنه جامد الغبار وموجب الوضوء والغسل والتيمم الحدث الأصغر والأكبر وموضعهما المرض والسفر و الموعود عليهما التطهير واتمام النعمه والشكر قولي وفعلي وهذا ما يعطي النص جمالا

المبحث الثالث

تبين النصوص ان هذه التشريعات التي جاء فيها طهاره الأبدان والأرواح هي من نعم الله التي يكمل فيها النعم الموجوده في امه العرب قبل الاسلام بنعمه الاسلام او يكمل نعمه الاسلام بزياده اضافه فيها التزكيه والتطهير من أحوال كثيره فالاتمام أما بزياده النوع من النعم لم تكن موجوده أو بتكثير فروع النوع من النعم

أما إذا قلنا إن المراد بهذا النعم التي كانت سائدة قبل الاسلام وأنه يكملها بنعمه الاسلام فهذا له عده أوجه

ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل واحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الي قومه خاصه وبعثت للناس عامه)

أن القرآن الكريم فيه كمال امه العرب لأن من خصائص القبيله العربيه أنها ترفض الخضوع للأجنبي ولا حتي في لغتها ولهذا نري القرآن يذكرها بهذا الشرف والسمو والعلو (وأنه لذكر لك ولقومك) ويذكرهم بهذا الشرف ليشعروا أن عليهم من الواجبات في مقابله هذا الشرف الذي أعطوه فالامه التي لاتحافظ علي الشرف ولاتودي ثمن المجد لاتستحق هذا الشرف فهي امه لايعتمد عليها في النهوض فالله يذكرهم بهذه الشرف ليكون منهم احياء هذا الشرف في نفوسهم لينهصوا بالتكاليف ليتعاملوا بالعدل والرحمه

ولهذا فإن القرآن يعتني بأحياء هذا الشرف في نفوس العرب لأن ذلك الأمر ضروري لاعدادهم لمافيه من سياسه البشريه وإنقاذ العالم من

الشرور والنهوض بالرسالة فهذا الشرف الذي خصهم لما كانوا عليه من شرف النفس وعزتها وعدم قبول الذل والهون فهذا الذي هياهم لحمل رساله الاسلام للعالم كله والا لما تهيأت لذلك العمل العظيم ولهذا نجد النصوص تبين بعد هذا التذكير بنعمه الوحده بعد التباغض و القتال التي كانت سائدة في الجاهليه فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم) ثم أشار إلي الميثاق المقطوع معهم (وميثاقه الذي واثقكم به)

وهو بيعه العقبه الاولي والرضوان وكل العهود التي قطعها المومنون علي السمع والطاعة في المسره والمكره والمنشط والعسر واليسر ثم يذكر الله حال بني إسرائيل فهؤلاء لم يتهياوا لإنقاذ أنفسهم فكيف ينقذون غيرهم فلم تصل الي المراتب العليا رغم بذل موسي جهده فمن لم يستطع أن ينهض بنفسه كيف له أن ينهض بغيره فقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل.... الخ وقد أخبرنا الله في سوره القصص (ونريد أن ومن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمه وتجعلهم الوراثين ونمكن لهمالي قوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

فاللّٰه يقول إنه بما صنع لبني إسرائيل فقد أراد أن يعلم هذا الإنسان سنن اللّٰه في كونه من إنقاذ الضعاف من الأفراد والأمم الذين لا قوه ماديه لديهم من استعباد الأقوياء

ولهذا فإن اختيار اللّٰه لأمه العرب برساله اخر الزمان لتكون لهم القياده علي العالم لما فيها من استعداد لهذا الأمر ولهذا كانت مكه مهبط الوحي لرساله الاسلام فهي لم تتعرض لأي احتلال فقد جعلها اللّٰه امنه من كل استعمار ولهذا فإن اختيار لسان العرب لمخاطبه العالم كله لوجود الاستعداد لديهم لذلك ولهذا فإن احكام الطهاره هي لازاله الاوساخ والاقذار التي كانت سائدة في الجاهليه وتمتل جوانب نقص فيهم حيث وفيها تكريم المسلم نفسه لدي نفسه وأهله وقومه الذين يعيش بينهم فمن كان نظيفا كان مقبولا للاختلاط بالناس فيكون محل احترام بعكس القذر فيكون محتقر ولا يعد عند الناس اهلا لأن يحضر مجالسهم فكيف له أن يفودهم ولهذا أمر بالطيب والغسل يوم الجمعه

ولهذا يعقب الحق (ولعلكم تشكرون) فدل هذا علي اهميه أن يتدبر العباد اسرار اللّٰه في شرائعه في احكامه وانعامه في الطهاره وغيرها ليزودوا معرفه وعلما ويزودوا شكر لله ومحبه علي ماشرع من الأحكام التي توصل الي المنازل العاليه والرفيعه ويقول بعدها (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به واتقوا اللّٰه ان اللّٰه عليم بذات الصدور)

وهذا فيه

الأمر الأول

التذكير بنعمه الاسلام والجملة عطف علي جملة ما يريد اللّٰه ليجعل عليكم من حرج... الخ والجملة واقعه تذليلا لقوله تعالي (بايها الذين آمنوا إذا قمتم الي الصلاه) والكلام مرتبط ما افتتحت به السوره اوفوا بالعقود... لأن في التذكير بالنعمه تعريضا بالحث علي الوفاء تذكيرا يقصد منه الحث علي الشكر والحث علي الوفاء بالعهود والمراد من النعمه جنسها لانعمه معينه وهي مافي الاسلام من إصلاح أحوالهم وارتقاء بمستوى المجتمع المسلم وازاله التباغض والتباعد الذي كان سائدا كما قال تعالي في موضع آخر (واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فاصبحتم بنعمته اخوانا... الخ

فالخطاب لهم بهذا الأسلوب يشير إلي أن المخاطبون يعرفون هذه النعمه يدركون الرقي والتقدم والتطور الذي نالوه بالإسلام فهم يجدون في نفوسهم وقلوبهم وتفكيرهم مقدار هذا التطور ومن ثم كانت هذه الايه دليل أن نعمه الاسلام ومنهج القران نعمه عظيمه يدركها هؤلاء وتمثل قوه توجه الفكر والقلوب قائمه ولها قوه مملوسه في حياتهم

الأمر الثاني

أن هذا الأمر بالتذكير لنعمه اللّٰه بالإسلام الذي أكمل لهم الشرف والقوه وازال عنهم اوساخ الشرك وذنس الذنوب يراد منه أن يتذكر المومنون المنعم ليكون هذا باعثا في شكر اللّٰه الذي انتهت إليه الايه قبلها (ولعلكم تشكرون).. وايضا دافعا للوفاء بالعهد فقال تعالي (وميثاقكم الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا)

والميثاق :-

العهد الذي قطعه منهم وواثق معناها عاهد وأطلق فعل واثق علي معني الميثاق الذي أعطاه المسلمون وعلي وعد اللّٰه لهم بالعز و التمكين والأمان من الخوف ما التزموا الوفاء بعهدهم ولهذا ووردت بصيغه التذكير بالعهد للحث علي الوفاء بالعهد الذي قطعه معهم وربطهم به عندما قالوا سمعنا واطعنا. ولهذا استعمل صيغه واثقكم به استعمال اللفظ حقيقي ومجاز

لأن اذ اسم زمان عرف بالاضافه الي قول معلوم عند المخاطبين يقول ابن عاشور (والمسلمون عاهدوا اللّٰه في زمن الرسول صلى اللّٰه

عليه وسلم عده عهود أولها عهد الاسلام وعهد البيعه أن لا يسرقوا ولا يزنون ولا يشركون... الخ وعهد بيعة العقبة الاولى في السنة ١١ للبعثه وبيعه العقبة الثانيه سنة ١٢ للبعثه وبيعه الرضوان سنه ٦ هجرية كل تلك العهود وثقت بالسمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر والمراد بهذا:ـ

الدرس الاول

أن يستحضروا الميثاق والعهد المقطوع معهم فهم يعرفون هذا الميثاق الذي عقده مع الله ف الله يقول في موضع آخر عن بيعة الرضوان (أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) وقال تعالى (يد الله فوق أيديهم)

فإن هذا الشعور بالتعاقد مع الله تعالى يولد اعتزاز بالعهد والحرص علي الوفاء به يشعرون بضخامه المهمه فيقبلون عليها برغبه ولهذا يأتي التعقيب للتحذير من نسيان نعمه الله فيقول الحق سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

احذروا من نسيان نعمه الله عليكم فتتنشغلوا بالنعمه وتنسون المنعم فهذه موعظه من الله سبحانه وتعالى يذكرهم بأيام الله الماضيه ليروا عنايه الله والطاقه

الدرس الثاني

يذكرهم بقولهم عندما قالوا سمعنا واطعنا وهو عهد ملزم لكل مسلم لانه مأخوذ من أسلافنا فهو عهد مقطوع معنا فقوله سمعنا من العلم بها وحصول التبليغ واطعنا بالتنفيذ لتأكيد وجوب مراعاة العهد والمحافظة عليه

والايه وردت بعد ذكر بأن ما جاء به الإسلام هو كل طيب ولا خبيث فيه فأشار الي غذاء الأرواح وطهاره الأبدان فذكر الصلاه والوضوء والا غتسال بعد أن ذكر الغذاء الفردي الخليفه الفرد للجسد والروح ذكر الثمره الطيبه وهي لسائر أفراد المجتمع المسلم فأشار الي أن أساس بناء المجتمع المسلم ودولته ونظامه يقوم علي العدل فهي قوام الوجود الإنساني والعهد المقطوع معهم ولهذا يذكرهم بانعامه عليهم أنظروا كيف كان حالكم من التباغض والتباعد فألف بينكم بنعمه الاسلام وقد وعدكم الله العز والتمكين بشرط عباده الله فقال تعالى (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور)

ف الله يذكرهم بالعهد المقطوع معهم باقامه العدل في التعامل مع الغير حتي اعدائهم فالقسط هو الميزان ولهذا يحذرهم من مخالفه العهد بنقضه فيقول لهم الحق (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

لاشعار المومنين برقابته وأنه تعالى فوقهم ومطلع عليهم وأنه لا يخفي عليه شي

الدرس الثالث

أن عليك الانشغال بالمنعم بدل الانشغال بالنعمه و عليك شكر الله علي ما انعم عليك حتي لاتسلب والواجب الوفاء بالعهود

وان عليك التعامل بالعدل فتذكروا حالكم كيف كنتم ضعفاء فمن الله عليكم ونصركم وقهر المشركين فتذكروا العهد المقطوع مع الله بأن تتعاملوا بالعدل مع الآخرين لوجه الله

الدرس الرابع

فيه الحث علي التزام نظام الجماعه وعدم الخروج عن طاعه القياده فلا بد من وجود قياده رشيده تقود الجماعه فغياب القياده يولد الفوضى والعشوائية وتضارب التعليمات والمهام المتعارضه وتودي تقسيم الموسسه الي شيع متناحره تتداعي القلوب الي أهواء الباطل و الميل الي الدنيا والتنافس عليها وتشع أجواء التحاسد والتدابر ولهذا يذكرهم الحق بنعمه الاسلام ويامرهم أن يستحضروا هذه النعمه وكيف أنها حولت القبائل المتناحره الي اخوه مترابطه (اذكروا نعمه الله عليكم)

بهدياه الاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كيف تحولتم بنعمته اخوانا تذكر الميثاق الذي بيعتم به الرسول صلى الله عليه وسلم علي السمع والطاعة فاحذروا أن تنقضوا الميثاق بتغليب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الأثر الممتد انتبهوا من التمرد علي الهيكل التنظيمي فهذا نقض للعهد بالسمع والطاعة في المنشط والمكروه والعسر واليسر

يقول لنا انتبهوا من التمرد علي القياده فإنما نهض المسلمون الاوائل الا بايمانهم بالله ورسوله حيث صار الايمان لهم قوه وهذا لا يتحقق الا اذا كان لهم جماعه منظمه تفكر وتدبر وتتشاور وتتارز وتنهض لجانب المصلحه العامه ولتدفع المضره متسانده في العمل عن فكر وعزيمه

وغياب الجماعة وعدم احترام القيادة التي تقود الجماعة هو الذي يهدم كيان الامه ويعيدها الي ما كانت عليه في الجاهليه من انظمه قبايل متناحره وانقسام وفعلا لو نظرنا لحالنا اليوم نجد أن مصيبتنا تعود إلي إهمال أمر الاجتماع وعدم النهوض لمقاومه الاستبداد نتيجته ضعف روح الدين وجهلهم وقعودهم عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا يحذر الحق من نسيان نعمه الوحده والعز والتمكين

فالحق يوعظ عباده فيامرهم أن يتذكروا أحوال أنفسهم لاجل ترقيق قلوبهم لتحمل علي الامتثال لمافيه خير لهم في الدنيا والآخرة موعظه حسنه جمعت الفاظ الايه القليله المعاني الكثيره التي وجدت في النفس سعه فدخلت الي الاعماق واستقرت في القلب فاثارت الرغبه والرهبه حيث أن التذكير بنعمه الاسلام وماوصلوا فيه دلتهم علي طريق السعاده ثم جاء التحذير من نقض العهد لأن ذلك فيه العقاب وسلب العز والتمكين الذي هم فيه فقال تعالي (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) فحققت الآيات الرجاء والخوف بلا ياس ولاقنوط من رحمه الله ولاتامن مكر الله

الدرس الخامس

فالحق يبين اهميه الرقابه في الاداره لأن غيابها يكون مدخل للغش والخيانه والتسيب وتراكم الأخطاء فقد يخون الأمين ويفش الناصح ولذا لا بد من وجود نظام رقباه

وهذا النظام (الرقابه) جعل له الحق ادوات عديده لتحقيقه

أولها

أنه جعل في ضمير كل فرد رقبيا وهو خوف الله ومحاسبه النفس علي الدوام لمنعها من تزيين الخيانه فالله يقول (واتقوا الله) فخوف الله هو الوقايه الذي يمنع سخطه وغضبه فمتي استقرت هذه الحقيقه في قلب المومن وضميره فإن الشعور بوجود الله وإطلاعه علي كل فعل تفعله أو قول أو حتي الهواجس والخواطر التي تحدث بها نفسك فالله سبحانه وتعالى يعلمها ولا يخفي عليه شي فإن هذا يودي الي ايجابيه الفاعليه في حركه المومن فقال تعالي (أن الله عليم بذات الصدور) اي أنه تعالي محيط بكل مافي صدرك مما تظهره ومما تخفيه وماتكنه الصدور فاستعمل ذات الصدور اي الملازمه للصدر التي تخفيها وتظهرها ملازمه صاحب لصاحبه فذكر احاطه الله واطلاعه علي كل شي لتشعر أن الله فوقك مطلع علي ماتفكر به من الهواجس في نقض العهد أو غيره فاحذر أن تغضب الله ويحل بكم ما حل ب الامم السابقه ولهذا نجد أن النصوص تأتي بعد ذلك مبينه حال بني إسرائيل مع العهد وان الله عاقبهم بسبب نقض العهد بالطرد من رحمته والمسح والهالك بالدنيا والآخرة

الثاني

جعل الإسلام أمر الرقباه ملزم لجميع المسلمين فمن راي منكرا فعليه أن يغيره ومتي راي أن الأمر يحتاج الي الأمر بالمعروف قام به وهو مانسميه (الاحتساب)

وهذا النظام يقوم علي بذل النصيحه وبعيدا عن النميمه والتجسس

القسم الرابع

بعد أن ذكرنا الله بميثاقه أمرنا بأن نكون قومين لله شهداء بالقسط وذكرنا بوعدده ووعيده فقال تعالي

يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بابتنا اولئك أصحاب الجحيم)

اولا

الخطاب من الله تعالي للمومنين بعد ما ذكرهم بنعمه الاسلام والعز والتمكين والعهد المقطوع معهم الذي وعدهم الله بالنصر والتمكين علي اعدائهم واخذ عليهم أن يقيموا أمرهم بالعدل فقال تعالي في موضع آخر (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور) وهنا قال تعالي (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم علي الاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

فالجمله استئنافيه نشأت عن تراقب السامعين بعد أن عدد الله النعم ومنها العز والتمكين ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يبين لعباده أسس هذه القوامه فقال تعالي (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

(كونوا) يقول صاحب تفسير (زهرة التفاسير)

هو امر بالكينونه بان يجعل امر حياتهم وأمر القيام لله تعالي والأخذ بهدايه ليكون جزء من كيانهم وان يستمروا علي السمع والطاعة و المدوامه عليها علي الدوام دون انقطاع وان يحافظوا علي نظام الجماعه ويجعلوا أنفسهم تتطبع عليه ويكون جزء منها فالامر كونوا يقتضي الاستمرار والدوام فأحب الأعمال الي الله ما أمكن الاستمرار عليه ليكون عاده بمنزله الطبيعه فالعاده طبع ثان لقول الرسول صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الي الله ادوامها وان قل)

فالامر هنا أن علي المسلم أن يشعر بضخامه المهمه ف الله يقول لهم عليكم استخدام قوتكم وطاقاتكم الطاعه الله فتكون قوه للخير و العدل والحق

الأمر الثاني

(قوامين لله)

القوام هو المبالغ في القيام بالشي وإتقانه والالتيان به علي اكمل وجه وكونه لله معناه أن يكون المبالغة في القيام لله تعالي ولأجل إرضاء الله في كل شأن وجميع ما اخذ عليه الميثاق وهذا فيه

١

أن تستغل كل ما لديك من قدرات وإمكانيات للخير والحق والعدل ف الله سبحانه وتعالى اذا تأملنا القران نجد أنه لاينكر علي الناس القوه عندما ذم الأقوم في القران ومنها قوم عاد الذين لهم ارتباط بالعرب وانما ذم الداعي الي استخدامها في التعجرف علي الضعفاء وما أفرزته القوه من نتائج سلبيه من الغرور فقالوا (من أشد منا قوه) فقال تعالي (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوه) فذم أن تستخدم القوه لرفع رايه الظلم والغطرسه ولهذا فيقول الحق سبحانه لنا انتبهوا من استعمال العز والتمكين والقوه التي انعم الله بها عليكم بالإسلام مثلما استخدمها الكفار من الأمم السابقيه وانما عليكم استخدامها في الحق

٢

يقول الحق كونوا من أهل الهمم العاليه وأهل الاتقان والإخلاص عند كل عمل تقومون به في أي أمر من أمور الدنيا والآخرة فعليكم إن تتوجهوا بالعمل الي الله تعالي ليكون عباده لكم عند الله فالعامل الذي يتقن العمل ابتغاء مرضاة الله سوف يجد اجره في الدنيا والآخرة فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)

٣

معني الاخلاص لله في كل عمل أن يتوجه به الي الله ففي الأعمال بالدنيا من عماره الأرض أن يكون بنيه صالحه بان يريد العامل بعمله الخير والتزام الحق من غير اعتداء علي حق احد ودون أن يضر بمصالح أحد وهذا مايفهم من ذم الله لقوم عاد فقال تعالي (اتبنون بكل ريع ايه تعبتون...تتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون)

فالايه تكشف عن التقدم في العمران والبناء والتخطيط العمراني الذي حظي به هولاء فلم ينكر عليهم ذلك وانما أنكر الغايه المقصوده منها العبث فلو كانت لأجل غايه محموده ما كان الله لينكر عليهم هذا الاتقان في البناء الشامخ والمصانع التي بنوها وانما أنكر عليهم ثمرتها وغاياتها لتشيدها علي القوه التي لا تحمد في مبدأ ولاغايه فقد كانت ادوات عذب للضعفاء ووسائل مدمره فلم يتم تشييدها لخدمه البشريه فهذه الحضاره مصيرها الخراب

الأمر الثالث

(شهداء بالقسط)

الشهاده بالعدل وشهداء تطلق علي الحضور وعلي الاثبات وأداء الشهاده وعلي الحكم والنص هنا يشمل كل ماسبق فالمعني لاتحكمون الا بالحق ولاتشهدون الا بالعدل فلا تشهدون الزور

والشهادة بالقسط تعني العدل بلا محاباه فالشهادة اظهار الحق للحاكم ليحكم بها أو إظهار الحكم العدل والإقرار لصاحب الحق بحقه والقسط ميزان الحقوق فلو اختل هذا الميزان لحدث اختلال النظام وتزول الثقة بين الناس ويظهر الفساد وينتشر وتتقطع الروابط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وتمزق الأمم فهذه هي سنه الله التي شهدتها الأمم الغابره بهذا الشأن

ثانيا

نجد أن الايه هنا ورد فيها (قوامين لله شهداء بالقسط) بينما في سوره النساء (قوامين بالقسط شهداء لله) والفرق بينهما أن في سوره النساء وردت في إطار آيات الحقوق في القضاء بقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب.... الخ وتبعها قصه بني ابيرق ثم أردف احكام المعاملات بين الرجال والنساء فكان الاهم منها أمر العدل في الشهاده فلذلك قدم فيها كونوا قوامين بالقسط..

فالقسط العدل في القضاء

أما في هذه الايه التي نحن بصدها فقد وردت بعد ذكر الميثاق فكان تقديم الأمر بالقيام لله للحث علي الوفاء بالعهد وإذا كان العهد شهاده فأمر أن تكون بالعدل وأولي بهم شهادتهم لله تعالي وقد حصل من مجموع الايتين وجوب القيام بالعدل والشهادة به ووجوب القيام لله والشهادة

ولهذا نجد أن المراد بها هنا أنه لا عذر للمومن في ترك الحق والعدل وعدم ايثاره علي الجوار والمحاباه فاللازم أن تجعله فوق الأهواء و الشهوات والحظوظ النفسيه والعدواه والمحبه فلا يتوهم البعض أن حقوق الكافر مباحه له أو انه يحوز أن يترك العدل في الشهاده ضد الكافر أو الحكم له بحقه علي المومنين ولهذا نجد أن النصوص ورد فيها الآتي

الأمر الأول

تهذيب المومنين ومشاعرهم فقال تعالي (ولايجرمكم شنان قوم علي الاعتدوا)

لايصح أن يحملكم بغض للمشركين علي أن تتركوا العمل بالعدل في التعامل معهم فانتهوا من الانزلاق في طريق الابتعاد عن العدل فاللازم التعامل بالعدل حتي مع الأعداء فهو النظام الذي يقوم عليه الوجود الإنساني والعدل حق للإنسان بغض النظر عن ديانته

ولهذا يحذر الله المومنين من أن يحملهم بغض للمشركين علي الاعتداء مهما كان البغض شديدا فلا يكون بغض الكفر وأهله حاملا علي منع الحقوق بل اللازم إعطاء كل ذي حق حقه وان كان صاحب الحق عدوا لك

الأمر الثاني

يقول المولي سبحانه وتعالى لعباده أن الحق والعدل ليس منحه منكم تمنحه الآخرين كي تسلبونه متي ما تريدون فتعطوه ما ترغبون وتحبون

بل إن العدل واعطاء كل ذي حق حقه واجب عليكم فتمكين صاحب الحق من حقه واجب مقدس فالله يقول في الحديث القدسي (ياعبادي اني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظلمون)

الأمر الثالث

فلا ينتظم الوجود الإنساني بالعدل ودوله الاسلام لاتظلم رعاياها من غير المسلمين فدوله الاسلام لاتكون دوله المسلمين وحدهم بل دوله الأعداء فالإسلام يقيم حكمه علي العدل وليس علي الظلم والبطش ولهذا كان الانتقال من النهي عن الاعتداء الي الأمر بالعدل والا يه في مقدمه السوره (ولايجرمكم شنان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا) فيها نهى عن الاعتداء أما هنا أمر أن لا يحملهم البغض علي ترك العدل وجاء الأمر بالعدل (اعدلوا)

وهذا التكرار في الايه يعود إلي طبيعه الامه التي كانت سائدة فيها طبيعه حب الانتقام ولهذا فإن النصوص تهدف إلي معالجه هذا الداء وترويض الامه علي العدل فجاءت الايه تعالج النفس من هذا الداء وحملها علي البقاء في دائره الاعتدال وتقويه للارداه حتي لا يستولي عليها الغضب والله قد أخبرنا عن طبيعه قوم عاد الذين هم جذور العرب فقال تعالي (واذا بطشتم بطشتم جبارين)

فدم بطش هولاء وليس هذا الذم لمطلق البطش فلا بد لاي امه أن تسود وتقوي من بطش ولكن البطش منه ماهو حق بأن يكون انتصافا للحق واقامه العدل بين الناس أما البطش المذموم الذي سماه الله بطش الجبارين فهو الذي يجبرك أن تعمل وفق أردته لا اردتك وهذا إنما يكون انتقاما لكبرياهه وجبروته وارضاء لظلمه وتنفيذا لرغباته الجائره والتشهبي وهوي النفس ولهذا ذم الله هذا النوع من البطش

وهنا يأمر بالاعتدال واقامه العدل

الأمر الرابع

أن الحق لم يكتفي بالتحذير من عدم العدل بل أكد الأمر بقوله (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

كانه يقول فرضت عليكم العدل فرضا لاهوده فيه اعدلوا هو اي العدل أقرب للتقوي لاتقاء سخط الله وغضبه باتقاء معاصيه والجوار من أكبر المعاصي لما يتولد منه من مفاسد

والمراد من هذا التأكيد كما قلنا معالجه امراض النفوس المورثه من الطبيعه العربيه كما أوضحنا سلفا وضرينا مثلا بقوم عاد وبطشهم ..ومن جهه ثانيه لان قلب المومن في معاملته غير المومن قد تدفعه الي التصور الخاطئ لانه عندما يقاتل الكفار في المعارك القتال يستبيح دمه وماله وهنا قد لا يودي حقه في حاله السلم لانه يتصور أن حاله الحرب مثل حاله السلم ويظن أن ذلك قريب للتقوي اي لو ظلم الكافر ...ولهذا يأتي الأمر (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

أن عليكم التعامل بالعدل وان تحسن معامله الكافر وتعطيه حقه فإن هذا يقربك من التقوي لأن كمال النفوس بعيد المنال فيكون هذا دافعا للوصول إلي كمال النفس ولهذا يأتي التعقيب (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

اتقوا غضب الله فلا تخالفوا أوامره وهو يعلم اعمالكم ودقائق الأمور فلا يخفي عليه شي فلا تتطفي عليكم اراده المغالبه والمدافعه فتذهب الخصومه فيصير خلقا لك تندفع معه في كل حال لاتبالي بالحق فهذا الخلق مذموم واعلم العدل الحقيقي والتام في الجزء إنما يكون ممن يعلم السر واخفي فلا يجزئ علي الهدي والضلال الا الله أما انتم فعليكم اقامه العدل بين الناس بالحق

واعلموا أن أي حضاره لاتراعي العدل قد جعل الله مصيرها الي الهلاك والفناء فهذه هي سنه الله في خلقه

ثالثا

لما كان الله قد امتن علي عباده بتحقيق وعده الذي وعدهم من العز والتمكين فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا... الخ

وهذا الوعد ذكره الله في سوره النور

فقال تعالي (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوني ولا يشركون بي شي ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

لهذا كان مناسبا التذكير بالنعمه العز والتمكين والإسلام والعهد المقطوع معهم وميثاقه...بأن عليهم اقامه نظام العدل والحق وعقب ذلك بقوله (ولايجرمكم شنان قوم علي الاتعدلو اعدلوا هو أقرب للتقوي واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) ولما كان الله قد وعد من نفذ العهد بعد التمكين فوصفهم الله بقوله (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبه الأمور)

وتذييل الايه بقوله (ولله عاقبه الأمور) تتفق مع تذييل الايه السابقه بقوله تعالي (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)

بعد أن أمر باقامه العدل في الحكم والشهادة لله سواء كان ذلك في رد واعاده حقوق المومنين أو الكفار فلا فرق بينهم في ذلك وهنا فإن الوعد والوعيد في قوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب الجحيم)

وهذا فيه

الأمر الأول

يحتمل أنه وعد لمن اوفي بعهده مع الله بأن التزم بالوفاء بالعهد وأقام العدل في نظام الحكم إذا وصل إلي التمكين والعز وقهر الكفار فلم يتعامل بالمحاباه ونظر للجميع نظره واحده لافرق في حقوق المواطنه فالجميع متساوون أمام سياده القانون فالنظام لايد أن يسود حكمه علي جميع رعايا الدوله لافرق بين مسلم وكافر في ذلك فحقوق الكافر وماله لايمس بسوء ويجب منع أي عدوان وظلم علي ايان من رعايا الدوله الإسلامية فذكر الوعد بعد تمام الكلام قبله لبيان جزاء من اوفي بعهده مع الله فكانهم قالوا اي شي وعد لهم الله أن هم التزم بعهد الله فجاء الجواب مبينا الوعد لمن اوفي بعهده

والوعيد لمن نكث العهد بأن أقام نظام ظالم فيه محاباه وظلم وجوار حيث اعتبر ان نقض العهد وذلك بالتفريط في قيم ومبادئ النظام الإسلامي بأن هذا كفر وتكذيب بآيات الله وان ادعي الاسلام وصلي وصام لأن العدل هو قوام الوجود الإنساني والاسلام نظام للناس كلهم فلا محاباه ولا تعصب لدين أو مذهب أو طائفة في الحكم الإسلامي فهو يقوم علي العدل واقامه الحق لله ولهذا قالوا تعالي في الوعيد (اولئك أصحاب الجحيم) قصر عليهم الخلود في النار علي سبيل الاختصاص اي أنهم الباقون في جهنم لايفارقونها لماذا ؟

لأن الأحاديث قد ذكرت أن الموحدين لا يخلدون في النار وانهم يعذبون وينقون ويهدبون ثم يدخلون الجنة ولهذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يبين أن الذي يتجاوز الحق ويرفض اقامه العدل الذي جاء به الإسلام في حكمه فإن هذا ليس من الموحدين لانه لم يقبل أن يحكم القرآن دوله التوحيد وبالتالي كيف يعتبر نفسه موحدًا حتي يتصور أنه لن يكون من ضمن الخالدين في النار فالحق يبين اهميه اقامه دوله الموحدين فليس التوحيد كنز في الصدور ولا يخرج الي الحياه ولا يدفن في العقول فلا بد أن يكون هنالك شعب يحكمه التوحيد ولهذا فإن الذي يصل الي القيادة والولاية العامه ولا يقبل أن يحكم القرآن الحياه ويفضل الأهواء والقومية والعصبيه وان كانت العصبيه للإسلام فإن هذا ليس موحدًا وليس عابدا لله وانما عابدا الفكرة فجاء الوعيد بصيغه أنهم ملازمون جهنم لا يخرجون منها كما يلازم صاحب صاحبه فلا يفارقه

الأمر الثاني

أن الوعد والوعيد بناء علي اعتبار ما ذكرنا في الفقرة السابقه أنه متعلق بكيفيه أداء السلطه السياسيه بعد وصولها الي العز والتمكين وقهر الأعداء والكفار باعتبار أن أمر الوعد والوعيد مرتبط بمساله التوجيه بالتعامل بالقسط والعدل وعدم التأثير بمشاعر كراهيه الكفار وما كان منهم من قبائح الأعمال فأخبرهم الله باطلاعه علي أعمالهم فعليهم مراقبه الله فما سبق ذكره هي اخلاق السياسيه والحكم في النظام الإسلامي وهي من الأعمال التي يجب القيام بها واداءها فهي مرتبطه بمساله الاستخلاف فقال تعالي (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) بينما ذكر في الاولي (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور) في هذه متعلقه بالتوايا أما مانحن بصدها متعلقه بالأعمال فذكر التقوي بالأعمال كما قال تعالي (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) وقال تعالي أيضا علي لسان موسى لقومه (قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض لينظر كيف تعملون) أن الاستخلاف ابتلاء وامتحان للمؤمنين بالعز والتمكين ليري الله ما يعمل عباده عندما يمنحهم القدره والقوه والعز والتمكين هل يتصرفون وفقا لما أمرهم هل يصدقون في إيمانهم أما يكذبون هل يستطيعون أن يتغلبوا علي رغبات أنفسهم ويكبحوا شهواتها فيتصرفون للحق فلا يخاف في الله لومه لائم ولهذا جاء الوعد بشرطين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلا بد أن يترجموا الايمان الي عمل فيكون القوامه بالحق لله لا لأجل طلب سمعه فقد أخبرهم الله أنه عليم بذات الصدور ثم أن يكون العمل متوجها لله به وطلب رضاه والجنه ولهذا جاء الجواب من الله بالوعد ممن لا يخلف المعياذ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفره وأجر عظيم)

ليشعروا أنه وعد مضمون تحقيقه لانه وعد من الله للمتقين فكان هذا باعث الامتنال لأن الرئاسه لها أصل في النفس فلا بد أن تقمعه وذكر بعدها بيان هذا الوعد (لهم مغفره وأجر عظيم)

بأن الله يمحو عنهم الذنوب فذكر التخليه (المغفره) قبل التحليه (الأجر العظيم) وهو الجنه التي هي من رحمته علي عباده لاينالونها بأعمالهم بل برحمه منه وفضل وان كان سبب وصول الرحمه إليهم أعمالهم ف الله جعلها أسبابا الي نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه ف الكل منه وله فالحمد والمنه

ثم ذكر الوعيد لمن ينكث العهد ويفشلون في امتحان العز والتمكين بأنهم ملازمون جهنم لا يخرجون منها فالاول اهتدي بهدايه القرآن و الثاني لم يهتدي بها فقد فشل بالجانب العملي وان كان مدعيا الايمان بالله واليوم الآخر... لكن عدم اقامه العدل في الحكم منه فشل يدل على عدم صدق إيمانه بالله وبالقران فهو كافر القيم والمبادئ التي جاء بها القرآن الكريم فاستحق الخلود في نار جهنم

الأمر الثالث

أن الوعد متعلق باهميه اقامه العدل مبينا أن العدل حق لكل إنسان بغض النظر عن ديانتة فخضوع المسلم لله تعالي لا يمنحه امتيازي بأن يستبجح حقوق غير المسلمين فالتوحيد لا يعني اقامه نظام ديكتاتوري استبدادي ضد الأعداء لأن انتصار الاسلام إنما هو انتصار للحق والإ نسانية كلها فهو ليس سلطه لأجل طائفه ولاجماعه ولافته ولاحزب وانما سلطه تقييم العدل بين جميع الناس بغض النظر عن اديانهم فمساله الجزء علي الأعمال والطاعه لله بالعباده أمر تخص المولي سبحانه وتعالى فأنت ملزم باقامه العدل في الارض فلا يجزي علي الهدى والضلال الا الله تعالي يوم القيامه ولهذا جاء بيان الجزء في اليوم الآخر عن مساله الهدى والضلال

مبينا أن الهدايه لها أسباب تصل بها الي نيل رحمه الله وعفوه ورضوانه فمن أخذ بهدايه البيان وخشي الله وخاف مقام ربه اعانه الله ووفقه الي الجنه أما الذي لا يقبل بهدايه البيان فهذا

يعاقبه الله بالحريق في نار جهنم وهذا هو العدل الالهي علي العمل في الاخره فهو كما أخبرنا يعلم السر واخفي أما أنت ايه المومن فعليك اقامه العدل بالحق وليس مهمتك محاسبه الناس علي الهدايه والضلال

القسم الخامس

يايها الذين آمنوا اذكروا نعمه الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلي الله فليتوكل المومنون)

اولا

الخطاب اعيد فيه توجيه المومنين أن يتذكروا نعمه عظيمه اخري قيل إنها متعلقه بنعمه استنفاذهم بالقاء الله الرعب قلوب اعدائهم مع قدرتهم علي ذلك وذكر النعمه مجمله ثم بينها (إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) وهذا يدل أن القوم معروفون للمخاطبين وان الواقعه مشهوره ومعروفه لهم او قريبه من تاريخ النزول حيث ذكر أنه متعلقه باستنقاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من غدر اليهود الذين هموا يوم آتاهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الي بني النضير من أجل أن يستحملونهم ديه القتيلين اللذان قتلها عمرو بن اميه الضمري حيث خلا بعضهم لبعض بعد جلس الرسول صلى الله عليه وسلم جوار حائط فقالوا لبعضهم انكم لن تجدوا فرصه اقرب من الان فامروا رجلا منكم يظهر علي هذا البيت ليلقي عليه صخره .. قاصدين قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم لفعل ذلك فانزل الله جبريل فأخبر النبي بما هم به بني النظر فانصراف الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الايه

وقيل إن الواقعه نزلت بشأن واقعه ماصنع اليهود من السم في ذراع الشاه

وقيل انها نزلت بعد أن حاول بني ثعلبه وبنو الحارث قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فاطلعه الله علي ذلك وذكر بعض المفسرون أن المشركين انتدبوا رجلا لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وسيفه موضوع فقال خذ فاستله فقال للنبي صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني قال الله يمنعي منك فاجتماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واحاطوا به ولم يستطع اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالرحيل فنزلت الايه وايه صلاه الخوف ... الخ

ويجوز أنها متعلقه بمساله عزم المشركون العدوان علي المسلمين في الحديبيه لقوله تعالي (هو الذي كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة) والأرجح أن الواقعه متعلقه بقصه اليهود لانه عطف عليها بذكر خيانه اليهود ونقضهم العهود ورتب علي خيانتهم امر نبيه أن يعفو عنهم ويصفح عن عظيم جهلهم حيث أنهم كانوا يستحقون القتل ولكن عفا الرسول عنهم وطردهم من المدينه والله اعلم

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

افتتاح الايه بهذا النداء يراد أن يحصل به اقبال السامعين علي سماع النداء ومعرفته الأمر فهم المكلفون والمخاطبون ومن يناديهم هو الله وهو نداء لك ايه المومن أنت من تقرا هذه الحروف فعليك الإنتباه فأنت طرف اصيل في هذا الموضوع وقد اجمل النعمه ثم بينها في قوله (إذ هم قوم... الخ

لتدرك أن عنايه الله والطافه بالمومنين في كل زمن فيها رعايه الله وان عليك أن تستحضر مافي ذهنك من انعام الله عليك وانت في مواطن الضعف ف الله يقف مع أوليائه فانظر كيف أن الله انقذ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم من سطوه الأعداء بأن ألقى في قلوبهم الرعب فهي نعمه يحصل بها ما يحصل من النصر دون أن تعاني مشقه الحرب

والمراد بالذكر أن تشعر بنعمه الله وتتوجه الي شكر الله فلا تغتر عندما تكون في فتره العز والتمكين بما تملك من قوه وسلطان فعليك الوفاء بميثاق الله والعهد الذي قطعته

الأمر الثاني

أن توجيه الخطاب بتذكر نعمه الانحاء من الشرائع تذكر نعمه إيصال الخير الذي هو نعمه الاسلام والميثاق فإن هذا فيه ذكر نعمه خاصه بعد النعمه العامه فدل هذا علي الاعتناء بهذه النعمه فهي متعلقه بمنه حفظ السلف الصالح ولهذا فهي بالنسبه لنا منه عامه يجب شكرها علي كل مومن الي يوم القيامه فلم تعين علي وجه التحديد لبيان ان حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم أجمعين هو من انعام الله وعطفه وإحسانه وعطاءه لجميع المسلمين الي يوم القيامه لأن في ذلك حفظ الدين فلو استطاع الكفار قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه ماوصل الينا الدين

يومنا هذا ولهذا فالواجب علينا أن نشكر الله على هذه النعمة

ثانيا

مما سبق نجد أن الحق يمتن علي المسلمين في كل زمان بكف ايدي الكفار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم امتنان علي كل مومن الي يوم القيامة ولم يحدد الواقعة علي وجه الدقه وذكرها مجمله والخطاب موجه للمومنين الي يوم القيامة بان يتذكروا عناية الله في دفع ما هم به الكفار من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه فقال (إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم)

اي هموا أن يمدوا أيديهم لاذيه الصحابه فذكر عزمهم علي الفعل وهو البطش فمن الذي صرفهم عنكم ومنعهم أنه الله ولهذا نجد تقديم الجار والمجرور (اليكم) علي المفعول الصريح للمسارعه الي بيان رجوع ضرار البسط وغالته إليهم حملا لهم من أول الأمر مع الاعتداد بنعمه دفعه فممنع الله الأيدي أن تمد اليكم فعطف (كف أيديهم عنكم) علي هموا وهي النعمه التي أمر بتذكرها وذكر الهم للايدان بوقوعها اذا اراد الله ذلك والفاء في (كف) للعطف لبيان تمام النعمه وكمالها وإظهار الأيدي لزياده التقرير وتقديم المفعول علي الأصل لبيان عناية الله بمنع أيديهم وان كان المراد بانقاذه هو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هم الأعداء لاذيته فهذه نعمه أن كف الله ايدي الأعداء عنه وعن الصحابه توجب الشكر للاتي

الأمر الأول

أن الضرر بالرئيس والقائد يعود علي المروس ويعود ضرره علي الإتياع من جهه ومن جهه ثانيه فإن هذا فيه تذكير للمتأخرين لما كان عليه أسلافهم ليكون الناسي والاعتداء بهم للقيام بما جاء به الدين من الحق والعدل والبر والإحسان واحتمال الجهد والصبر علي المشاق في سبيل الله

الأمر الثاني

يذكر الله المومنين بهذه الواقعة التي وقعت بهم في عصر الضعف والمصائب والمحن بعد أن تحقق لهم الفتح والنصر والذي أمرهم بكظم الغيظ واقامه العدل فالله يقول إن من انعام الله عليهم هو أن عاش الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشرين من الأزمنه عصر البلايا والمصائب والمحن وعصر الفتح والنصر والظفر لتكون تلك الأزمنه فيها التجارب التي تعطي المومنين العلوم التطبيقيه لكيفيه مواجهه الأزمات لأن اخلاق عصر المصائب تختلف عن أخلاق النصر ففي مرحله الضعف تتطلب التوكل علي الله وتجنب الفرع و الجزع وعدم الخوف وعدم التكامل فلا تخافوا الأعداء فمن لم يتوكل علي الله فهذا لم يستقيم ولم يومن حقيقه فأنت حينها عليك أن تنضال وتثق بنصر الله ومعونته وعنايته وعطفه ولهذا فإن الابتلاء هو لأجل التمرين علي التجارب العمليه كي تكسبوا العلم المحمود فعليكم إن تستفيدوا من تلك التجارب لينمو العلم ويكبر للوصول إلي كمال المعرفه فهذه المراحل هي لصقل العلم واتاحه الفرصه للتعلم ليكون انتقال العلم من الذهن الي الاعضاء لترجمه ذلك في الواقع العملي وان أخلاق النصر تختلف فلا يجوز الانتقام من العدو المقهور الذي أصبح خاضعا للنظام الإسلامي ولهذا فإن تشريع القتال والجهاد لم يكن لأجل اغراض شخصية وانما كان لمصلحه الانسانيه كلها لرفع الظلم وحفظ المظلومين من الفناء ودفعاً لشر الظالمين

فيقول الحق سبحانه تذكروا أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه وأخلاقهم في كل عصر لتقتدوا بهم بما يتناسب مع أحوال كل مرحله

الأمر الثالث

يأمر المومنين بالتعامل بأخلاق الاسلام فلا يدفعهم بغض الكفار وخيانتهم المتكرره الي الخروج عن العدل كما قال تعالي في سوره الا نفال (وان يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين) فيقول لهم الحق اطمنوا الي رعايه الله وعنايته فلا تفرطوا بالعدل في التعامل مع الأعداء وعليكم أن ترقبوا الله فقال تعالي (واتقوا الله)

اي خافوا الله في ما امركم ونهاكم عنه واحذروا أن تنقضوا الميثاق الذي وثقكم به فيحل عليكم عقاب الله فالله قد اراكم قدرته علي اعداكم وقت ضعفكم وقوتهم فقد أحبط الله مخططاتهم ضد النبي صلى الله عليه وسلم ونصر المومنين وتوكلوا علي الله واعتمدوا عليه فهو اشد النصراء حضورا للمعتمدين عليه وبيده مقاليد الأمور ومفاتيح الأزمات بيده وقد اراكم عنايته بمن يوكلون أمورهم الي الله

الأمر الرابع

فالتقوي مقصوده لذاتها لأن فيها النجاه من العذاب والعقوبه فالله يقول في موضع آخر (ثم نجبي الذين اتقوا) ولهذا نفهم لماذا أمر الله بالتقوي بعد النهي عن استحلال حرمانه فقال تعالي (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) فطريق النجاه هو التقوي لأن بها يكون نبيل

الوصال والقربه فهو يقول (لكن يناله التقوي منكم) وبها الفوز بالمرء (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) وقال تعالى (أن للمتقين مفازا)

وايضا ذكر الحق الأمر بالتقوي في سياق تحريم الاطعمه والذبايح وأحكام الصيد فقال تعالى (واتقوا الله ان الله سريع الحساب) وهو يقول سبحانه وتعالى أن من فوائد التقوي الرزق الواسع بأمن وفراغ فقال تعالى (ومن يتق اللهالي قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقد بشر الله المتقين بعز الفوقيه علي الخلق فقال تعالى (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)

وايضا نجد أن الأمر بالتقوي ورد بعد ذكر نعمه الاسلام والميثاق فقال تعالى (واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور)

فالله شهد للمتقون بالصدق فقال تعالى في موضع آخر (اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وقد بشر الله اهل التقوي بصفاء القلب والصفوه فقال تعالى (فإنها من تقوي القلوب) وقال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين)

وذكر علي الأمر باقامه العدل (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) بشر الله المتقون في موضع آخر بزوال الخوف والحزن من العقوبه فقال تعالى (فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى مبشرا المتقين بقرب الحضرة واللقاء والرؤيه فقال تعالى (إن المتقين في جنات ونهر وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر)

وهنا يأمر بالتقوي في مقام التذكير بنعمه استنفاذ المومنين من بطش اعدائهم وعقب ذلك بقوله (واتقوا الله وعلي الله فليتوكل المومنون)

فذكر أمران لتجد معونه الله (التقوي_ والتوكل علي الله)

واذا تأملنا نصوص القرآن نجد أن الله بشر المتقون '_

*

بالكرامات فقال تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري)

*

بشرهم الله بالعون والنصره فقال تعالى (أن الله مع الذين اتقوا)

*

البشري بالعلم والحكمه (أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

*

بشر الله المتقون بتيسر أمورهم والسهوله به فقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا)

*

بشره الله بالخروج من الغم والمحنه فقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

*

بشر الله المتقون بالكرامه والاكرميه (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

ولهذا عقب بعدها بقوله (وعلي الله فليتوكل المومنون)

أن التقوي هي الطريق الموصل الي ولايه الله ... فلا تخاف الا الله تعالى ولهذا فإن اعتماد المتقون إنما يكون علي الله وقدرته وفضله ورحمته لا علي أنفسهم ولا علي حلفائهم لأن الاعتماد علي النفس غير مجدي لانه يكون محروم من العون الإلهي ووقد تتألب عليه الأعداء ويعجز عن الوقوف أمامهم لكن من يعتمد علي الله تسهل أمامه الأمور فمن كان قلبه متعلقا بالله ومعتمداً علي ربه فهو تعالى اشد النصراء حضوراً بما يكفي المعتمدين عليه فاسرار المخلوقات كلها مكشوفه لله ومطلع علي ضمانتهم فالمومن الذي أمن باليقين يكون قلبه متعلقاً بالله فإن اوحشته الغربه كان انسه بذكر الله ولهذا قال تعالى (اذكروا نعمه الله عليكم إذ هم قوم.. الخ

فعليكم إن تتذكروا الله وان صبت عليكم المصائب فالجاوا الي الاستجاره بالله بالإيمان الموقن بان ازمه الأمور بيد الله ومصدرها من
قضائه سبحانه وتعالى

فالمومن يلجأ الي الله وهو مستيقين من أن ربه سوف يرشده الي ما فيه مصلحته

يلجأ الي الله متضرعا طالبا عفو الله ورحمته فطريق ذلك الاعتماد علي الله والثقه بنصره فلا يفرط المومن بقيم ومبادئ الاسلام لانه
يخاف الله ولهذا لايلجا الي المبررات للتفريط بالميعاق وان أحاطت به الازمات والتحديات فهو يعتمد علي الله ويتوكل عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني من سوره

المائده

(ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنه منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرنا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الي النور ياذنه ويهديهم الي صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير وقالت اليهود والنصاري نحن ابناؤا الله واحبأوه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فتره من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا ياموسى أن لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا املك إلا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم اربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين)

القسم الاول

(ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيه يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنه منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرنا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)

المبحث الأول :-

بعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى في المقطع السابق اخذ الميثاق علي هذه الامه بالسمع والطاعه للنبي صلى الله عليه وسلم والالتزام بما جاء به القرآن الكريم وتذكيرهم بنعمه الله تأتي النصوص بكلام مستناف مشتمل علي أخذ الله ميثاق الأمم السابقه وخص بالذكر بني إسرائيل (اليهود) مبينا صفه الميثاق وشروطه وجزاء من التزام به الميثاق وعقوبه من لم يقيم به ثم ذكر كيف تعامل بنو اسرائيل مع العهد الذي بينهم وبين ربهم فذكر أنهم نكثوا العهد ونقضوا الميثاق فذكر ما حل بهم من العقوبه بسبب ذلك فقال تعالي (ولقد اخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم

وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه)

فاتصال الآيات بما قبلها يهدف إلى الآتي

الأمر الأول

يبين الحق لعباده المومنون أن اخذ الميثاق من امه الاسلام علي السمع والطاعة كما ذكر في المقطع السابق ليس أمراً جديداً فهذا من المقاصد التي جعلها الحق سبحانه وتعالى سنه في جميع الأمم التي يرسل إليها الرسل والأنبياء أنه تعالى يأخذ عليهم الميثاق فهذا المقصد لا يختلف باختلاف الأزمنة والأمم فهو عاماً في جميع الأمم التي بيعت الله إليها رسولا فذكر لهم مثال اخذ الميثاق علي اقرب الأمم للمسلمين وهم اليهود والنصارى لبيان ان دين الله يقوم علي اساس التوحيد ووحده الميثاق الإلهي المأخوذ من جميع عباده بأن يومنوا بالله وجميع رسله ويقيمون الصلاه ويوتون الزكاه ويقفوا مع الحق ونصره الرسل والأنبياء ومنهج الله بالنفس والمال فهذا هو الميثاق الذي تقرره العقيدة الصحيحه والعباده الصحيحه والنظام الذي يحقق مراد الله في الأرض

الأمر الثاني

أن الايه تهدف إلي غرس الشعور بضخامه الميثاق في اعماق النفوس فلا يتجرأ أحد علي نقضه ولهذا فإن بيان اخذ الميثاق علي جميع الأمم بعد ذكر امره تعالي للمومنين بالوفاء بالعهد والميثاق الذي أخذه عليهم بالسمع والطاعة.. وانعامه لهم ليحث المومنين علي مراعاة حق الميثاق فجاء بصيغه القسم (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل) فيه الانتقال الي اخذ الميثاق من بني إسرائيل ومجي الإرشاد في أسلوب قصص والانتقال من أسلوب الي أسلوب وازهار اسم الالهيه والجلاله (الله) هنا لتربيه المهابه وتفخيم الميثاق وتهويل جريمه تقض الميثاق او الانتقاص منه لأنه يودي الي انقطاع الإنسان عن الصله التي تربطه بربه ولهذا يقول الحق أنظروا الي بني إسرائيل لتعرفوا ما حل بهم عندما نقضوا الميثاق فقد ابعدهم الله عن رحمته وحلت عليهم لعنته فصاروا في ذل وهوان ولهذا فإن من سار في طريقهم فسوف يحل به ما حل بهم فأراد الحق بهذا أن يعيظنا موعظه بذكر ايام الأمام السابقه وان ما هم فيه من الذل والهون يعود إلي نقضهم ميثاقهم فهذه هي عله كفرهم فاحذروا من نقض الميثاق

الأمر الثالث

أن ذكر ميثاق بني إسرائيل عقب ذكر ميثاق المسلمين (وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا واطعنا) فيه تربيه للدعيه بكيفيه الوعظ ومخاطبه الآخرين فيقول لنا الحق أن الموعظه الحسنه تكون من خلال التذكير بأيام الله في الأمم السابقه ليحصل ترقيق القلوب كي تحملها علي الامتثال والاستجابه ولهذا نجد أن الحق يذكر ميثاق بني إسرائيل وما كان منهم من نقض الميثاق

تحذيراً أن يكون تعاملنا مع ميثاقنا مثلما تعامل اليهود مع ميثاقهم

ومحل الموعظه هو قوله في الشطر الثاني من الايه (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل)

المبحث الثاني

اخبرنا الله أنه أخذ العهد من بني إسرائيل حيث ذكرت الروايات المنقولة عن هذا الأمر أنه لما انعم الله علي بني اسرائيل بهلاك فرعون ونجاه بني اسرائيل أمرهم موسى بالمسير الي اريحاء الأرض المقدسة التي يسكنها الكنعانيون الجبابرة وأنه أمرهم بالتوكل علي الله والدخول إلى الأرض المقدسة... وان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من اسباط بني يعقوب عليه السلام الاثنا عشر عدد اثنا عشر نقيباً وكلفهم باداره اقوامهم ومنهم من

قال إنهم كلفوا بالذهاب الي هذه القرية واستطلاع أحوال شعب الجبارين فقال تعالي (وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا)

ومنهم من قال إنهم أثناء عشر رسولا ... ففي الاولي يعني أن الذي ارسلهم موسي وفي الثانيه أن الذي ارسلهم الله والحقيقة أنهم ليسوا رسلا وأخذ العهد هنا اشاره الي عهد وميثاق التوراه (خذوا ما اتيناكم بقوه)

فالعهد مأخوذ من جميع بني إسرائيل ومعلوم أن تقسيم بني إسرائيل الي اثنا عشر فريق وفقا للقبائل التي ينتسبون إليها التي تصل الي الاسباط احفاد يعقوب

والبعث أصله التوجيه والارسال ويطلق مجازا علي الاقامه والانهاض كقوله تعالي (من بعثنا من مرقدنا هذا) ومنه قوله (هذا يوم البعث) ثم أشيع هذا المجاز علي الاقامه المجازيه كما قال تعالي (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) ثم أطلق علي اثاره الاشياء وانشاء الهواجس والخواطر في النفس قال بن نويره (أن الاسي يبعث الاسي أن الحزن يثير حزنا آخر)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

تبين النصوص اهميه وجود ادراه تدير الموسسه لها هيكل تنظيمي يقوم باداره الموسسه وأنه ينبغي الاهتمام بتوفير الأجواء التي تودي الي الانسجام بين أفراد الموسسه وقيادتها فلا بد من وجود نظام إداري يعمل علي بث روح الاخوه والالفه ويضمن دوام الالفه ولهذا نجد أن الحق يخبرنا أنه أمر موسي عليه السلام باختيار اثنا عشر نقيبا اي عريفا ورئيسا بعدد الاسباط احفاد يعقوب بحيث يكون كل قوم لهم قائد منهم ليكون التماسك بينهم لأن غياب أو عدم وجود هيكل تنظيمي يودي الي اتخاذ كل فريق قرارات ارتجاليه ولايعرف كل فريق مسؤوليته والي من يرجع الأفراد لاتخاذ القرارات في القضايا المصيرية عندما لاتحدد صلاحيات كل فرد من أفراد الموسسه وهذا ما حصل في بيعه العقبه حيث لما بايع الأنصار الرسول صلى الله عليه وسلم كلف فيهم اثنا عشر نقيبا ثلاثه من الاوس وتسعه من الخزرج لاداره أمورهم وان يبيعوا قومهم علي السمع والطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه التخطيط فلا يكون جمع الانواع المختلفه فلا بد من وضع خطه تتفق مع معطيات الأهداف و الواقع الميداني

وان اللازم علي القياده أن تمنح بعض صلاحياتها الي آخرين فلا تكون جميع القرارات بيد شخص واحد فمهما تكون قدرته فإن انشغاله بالتفاصيل اليومية سيكون علي حساب التخطيط والتطوير فهو بحاجة الي معرفه الوقع الميداني وبحاجه الي البحث والتنقيب عن الأمور التي في أحوال الجماعه والمتغيرات التي في ميدان العمل ولهذا فإنه لا بد من تفويض القائد لبعض صلاحياته لآخرين ولهذا نجد هذا العدول في الخطاب عن طريق الغيبه في قوله (ولقد أخذنا ميثاق) الي طريق التكلم في قوله (وبعثنا) فيه التفات والنقب فعيّل بمعني فاعل وهو من لفظ نقب (فنقبوا في البلاد) فالنقيب من النقب اي أنه يحتاج أن يحدث فجوه لها عمق في جسم صلب فهو موكل إليه تدبير أحوال القوم وهذا يجعله باحثا عن أحوالهم فهو يقوم بعمل القائد فيكون

رئيسا لقومه ومهته تتطلب أن يراعي فيه الكفاءه وان يكون في منتهي اليقظه فيكون اختيار الشخص المناسب في المكان المناسب

فالأمر له خصوصية فهو مكلف بفحص ومعرفه أعمق الأمور ثم التصرف بناء علي تلك الأحوال والظروف الواقعيه ولهذا لم يسمح الحق أن يستولي سبط علي اخر أو أن يكلف لهم نقيبا من غير أفراد القبيله

المبحث الثالث

تبيين النصوص مضمون العقد المأخوذ علي بنى إسرائيل وشرطه وجزاء من يمتثل الأمر ويكون منه الوفاء بـ
المواثيق

(وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا
كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

الأمر الأول

اول أمر نص عليه العقد أن الله أخبر موسى عليه السلام أن يخبر النقباء الاثنا عشر بالعهد فقال تعالى (وقال الله
اني معكم)

اي اني ناصركم ومعينكم فذكر الشروط (لئن أقمتم الصلاة) اي ادائها علي اكمل وجه والمدوامه عليها (واتيتم
الزكاه) لمن يستحقها والايمان بجميع الرسل واحترامهم وطاعتهم ونصرتهم مثل دواد وسليمان وزكريا ويحي
وعيسي والرسول صلى الله عليه وسلم والصدقه ببذل المال ..

وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

أن قوله تعالى (اني معكم) المعيه مجازيه تمثيل للعناية والحفظ والنصر كما قال تعالى (إذ يوحى ريك للملائكه
اني معكم) وكما قال تعالى لموسى وهارون (اني معكما اسمع واري) وقال تعالى (وهو معكم اين ما كنتم)

فالوعد بالمعيه من الله فهو وعد عظيم فطالما الله وعدك أنه معك فعليك أن تثق وتتطمئن بنصره وعنايته فلا
توجد قوه تقف أمام قوه الله فما الذي تخشاه من الأعداء اذا كان الله يقف معك فلا تنشغل بالماديات كيف يمدك
الله بالعون والنصر علي الأعداء بقدر أن تنشغل كيف تصل الي الاسباب التي تقربك من الله لتحظي بعون الله
ونصره ثم عليك أن تاخذ بالاسباب كما قال تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه)

أيضا من كان الله معه فلن يضل ف الله سوف يرشده الي طريق الهدايه والتوفيق فمن كان الله معه فلا يضل ولا
يشقى .. كما أن شعورك أن الله معك يعني أن تستحي أن يرك الله فيما لا يحب أن يرك

الدرس الثاني

ان الايه تبيين أنه تعالى لم يجعل المعيه التي فيها العون الإلهي لهم هكذا جزافا أو محاباه بل هي مرتبطه باسبابها
وشروطها فقال تعالى (لئن أقمتم الصلاة وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

وهنا يثار سؤال لماذا تم تقديم الصلاة والزكاه وهما من فروع الأعمال علي الإيمان بالرسول وهو من اصول العقائد
؟

الجواب فيه

أن عليك أن تفهم أن الخطاب موجه لقوم كانوا قد آمنوا بموسى عليه السلام ولهذا فإن مقتضى هذا الإيمان
بموسى أن يؤمنوا بالرسول الذين يأتون من بعده (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لتؤمنن به ولتنصرونه) ومن
ضمن هؤلاء الرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم والايه تتناول الأسس والمنطلقات لجميع الأمم في العباده وا
لاستعانة كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم)

ولهذا نجد أن النصوص تبين أنه تعالي اخذ الميثاق من بني إسرائيل والميثاق من واثق ومن معانيه الاطمئنان فمن يعتمد علي الله لابد أنه يثق به تعالي ويطمئن في السير بالطريق الذي امره الله أن يسلكه ومن معانيه الشد لقلوه (فشدوا الوثاق)وهنا يتضمن معني التشديد في العهد لانه مأخوذ من الله واي عهد أوثق واقوي من العهد بين العبد وربّه وهذا للدلاله علي العبوديه وتوحيد الألوهية وامتنال امره تعالي ونواهيّه والتصديق باياته وزوجره وهذه هي توحيد الألوهية ولايكون العبد مومنا مالم يكن متوكلا علي ومستعينا به فهو محتاج الي الاستعانه ب الله حتي لا يغلبه العدو الباطني أو الخارجي ولهذا تضمن الشرط اني معكم أن المعونه والنصر من الرب تكون بالوفاء بالعهد والميثاق تضمن تكاليف تضمنت الآتي

المسالة الاولى

أن المراد بالصلاه والزكاه هنا اسم عموم وإطلاق فالامر متعلق بالميثاق والحفاظ عليه وهذا إنما يكون بالتعظيم لأمر الله والرحمه لعباد الله فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والخضوع والانقياد لله وهذا أصل التقوي وأما الرحمه لعباد الله فيكون بالاحسان إليهم يقول شيخ الإسلام وهذان هما حقيقه الصلاه والزكاه فإن الصلاه متضمنه للخشوع لله والعبودية له والتواضع له والذل له فحظ العبد منها اخراج الكبر من نفسه

والزكاة متضمنه لنفع الخلق والإحسان إليهم وهذا يكون فيه اخراج الشح من النفس

فالصلاه بمعناها العام تتضمن كل ماكان ذكرا لله أو دعاء له كما قال ابن مسعود وكذلك الزكاه بالمعني العام كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (كل معروف صدقه) ولهذا ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (علي كل مسلم صدقه) أما الزكاه الماليه المفروضه فإنما تجب علي بعض المسلمين في بعض الأوقات ولهذا فليس المراد هنا الزكاه بمعناها الخاص خاصه وانه ورد ذكرها مقارنه للصلاه فهذا يعني أنها تشاركها في أن كل مسلم عليه صدقه مثلما عليه الصلاه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قالوا فإن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يستطع قال يعين صانعا أو يصنع لآخرق قالوا فإن لم يستطع قال يكف نفسه عن الشر)

ولما كان ذلك كذلك فإن جميع اعمال العبد من جنس الصلاه اي عباده لله ومن ماذكر في الحديث عن أبي ذر (علي كل سلامي من أحدكم صدقه فكل تسيبته صدقه وكل تكبيره صدقه وكل تهليله صدقه وأمر بالمعروف صدقه ونهي عن منكر صدقه)

فإنه بمثل هذا العامل يحصل الرزق والنصر والهدايه فيكون ذلك من الصدقه علي الخلق لأن الأعمال من جنس الصلاه ينتفع به الغير فأنت عندما تدعوا لأخيك بظهر الغيب يقول الملك امين ولك مثله) فقد كان الحث علي الصلاه والزكاه لبيان وسائل الحفاظ علي العهد بتعظيم أمر الله والرحمه لعباد الله ليكون العمل بروح الفريق الواحد

المسالة الثالثه

أن الحق يبين أن معونه الله ونصره لعبده في مواجهه الازمات والتحديات انما يكون بقوه الايمان والعزم والتوكل علي الله فالثقه بالله تولد في النفس الاطمئنان والثقه بالقدرات بتعظيم أوامر الله ونواهيّه ثم إن الخطوه الثانيه هو تكوين فريق عمل واحد ولهذا فمرعاه حقوق الناس بالاحسان إليهم يولد قوه تأليف بينهم ثم تأتي الخطوه الثالثه بأن تكون القيادة مصدر إلهام فذكر الحق (وامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

فإن هذا فيه أن من ضمن التكاليف الجهاد والايمان بالرسول ونصرتهم يحتاج الي قوه وجماعه تحمي الحق والي انزل تنفق ولهذا فإن هذا يحتاج الي معونه الله للتخلص من الجزع والفزع والحزن ليبدل نفسه وماله في سبيل الله فالله يقول (أن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

ولهذا ذكر انفاق المال رغم أنه ذكر الزكاه فتمام الصفقه تتطلب بذل المال وإخراجه عن طيب نفس

الأمر الثاني

تأتي النصوص مبينه الثواب الذي وعد الله من كان منه تنفيذ التكاليف والقيام بما حواه العهد فقال تعالي (لا كفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

أن الايه الكريمه فيها جواب القسم في قوله (لئن أقمتم الصلاه وءاتيتم الزكاه وءامنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا)

فجاء الجواب (لا كفرن.... الخ

المساله الاولي

تضمن وعد من الله لهم إذا قاموا بواجب الميثاق بامرین

الاول :- غفران الذنوب ومحو ماكان منهم من عباده العجل ومخالفات ارتكبوها أثناء غياب موسي وغيرها من القبائح فجاء باللام (لا كفرن) لتأكيد الوعد مع النون الموكده القسم تأكيدا شديدا أنه سوف يمحو الذنوب ويسترها وهذا أمر طبيعي لان القران والأحاديث قد أخبرتنا أن الحسنات يذهبن السيئات كما يغسل الماء من القذورات وكذلك فإن الإذعان والانقياد لله والقيام بواجب الميثاق يمحو الذنوب وأثارها من النفوس فلا يبقي فيها أي خبث

أما الثاني :-

فهو الجزء (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

فقد أكد العطاء بمثل ما أكد الغفران

المساله الثانيه

وقدم الغفران علي العطاء في الايه يعود لأن الوصول إلي الجنه يتطلب عون الله والهدايه ف الله قد بين للإنسان هدايه عامه بإرسال الرسل وانزال الكتب فمن قبل بهدايه البيان وفقه الله وارشده الي ما يوصله الي الجنه ولهذا ابتداء بالتخليه (لا كفرن عنكم سيئاتكم) فهي ضرورية قبل دخول الجنه لأن الجنه طيبه والسيئات من الخيائث ولهذا لا بد من التنقيه والتخليه لها لتكون اهلا لدخول الجنه فكان هذا مناسبا أن يتأخر ذكر التحليه (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

فحصل لهم بهذا نيل حصول المحبوب بالجنه ونعيمها واندفاع المكروه بتكفير السيئات ودفع ما يترتب عليها من عقوبات

المبحث الرابع

لما بين الله الوعد لمن قام بواجب الميثاق بالجزء الحسن أعقبه ببيان حال من نقض العهد فقال تعالي (فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل)

تبين النصوص أن الذي يجحد ويخالف الميثاق وتعامل معه معاملته من لا يعرفه فهذا قد أضع الطريق المستقيم السوي الذي يوصل سالكه الي مافيه السلامه والنجاه

واستعمل (إفاء):-

في قوله (فمن) لبيان حكم من كفر بعد العلم والايمان يلحق الضرر بنفسه كونه يدخل في متاهات الضلال التي لا يجد له مخرجا منها طريقا وعرا وكفره أعظم من الذي كفر قبل أن يأخذ منه العهد ولا يعلم به لان الذي يسير في متاهات الضلال بعد أن فتح له باب الهدايه وارشده الله علي الطريق المستقيم فادي تركهم للطريق المستقيم الي أن فسدت مداركهم وطمست عقولهم وحجبت قلوبهم عن الانوار فهؤلاء لاهدايه لهم بعد ذلك

ثانيا

تبيين النصوص أن اليهود لم يقوموا بواجب الميثاق ولهذا استحقوا ما حل بهم من عقاب في الدنيا والآخرة فقال
تعالى

(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به

الأمر الأول

ترسم النصوص صورته اليهود وموقفهم من الميثاق المأخوذ عليهم بواسطة نبي الله موسى بعد أن أخبرنا بشروط الميثاق وذكر بعده (فمن كفر فقد ضل سواء السبيل) لأن ضلاله عن عمد وعلم فذكر الله أنه بسبب نقضهم الميثاق حل بهم الذل والهون فقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم)

فالنصوص تكشف لنا أن ما حل بهم من الذل والهون والمسكنه يعود نقضهم ميثاقهم والتفريط بما ألزمهم الله به

فأراد بهذا الحق سبحانه وتعالى حث امه الاسلام علي التمسك بالعهد المقطوع مع هذه الامه بامتثال أمر الله وعدم التفريط بما جاء به القرآن من قيم ومبادئ فيقول لنا أنظروا الي حال اليهود كيف صاروا في ذل وهوان لا نهم لم يقوموا بواجب الميثاق فإن في هؤلاء مثلا لعاقبه من ينكت العهد ولو نظرنا الي واقعنا اليوم عندما ابتعدنا عن القران الكريم كيف اننا وصلنا الي وضع من الذل والهون والمسكنه فالعزه هي بالتمسك بمنهج الله والوفاء بـ العهد والميثاق المأخوذ من المسلمين في بيعه العقبه والرضوان هو عهد مأخوذ علي جميع المسلمين لأن العهد المشار إليه أنه مأخوذ علي بني اسرائيل كان مع النقباء عمن وراهم وقد ارتضوه جميعا فصار ميثاقا مع كل فرد منهم وميثاقا مع الامه المؤلفه منهم

الأمر الثاني

كما أن قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم)

فيها تؤكد حصول النقص وأنه حصل تمكن الخيانه من نفوسهم

فما الذي حصل لقد نقضوا العهد وقتلوا الانبياء وحرقوا التوراه ووقفوا ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا الايمان به ونصرته حسب العهد المأخوذ منهم ولهذا بسبب نقضهم العهد عاقبناهم بعده عقوبات

العقوبه الاولي

(لعناهم)

اي طردناهم وابعدناهم من رحمتنا

يحذر الله المومنين أن يسلكوا طريق المغضوب عليهم فنقض الميثاق يندس النفوس ويفسد الفطره ويقسي القلب فهؤلاء أغلقوا علي أنفسهم ابواب الرحمه فعدم الوفاء بالعهد جعلهم محرمون من الرحمه ولهذا فإن ما حدث منهم

من محاوله قتل عيسى عليه السلام والتباهي والتفاخر بذلك وافتراءهم علي مريم فهذا يعود إلي نقضهم الميثاق فاستحقوا الطرد واللعن هو الهلاك والضياع في الدنيا والآخرة فالله يقول في موضع آخر (اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)

فلا يوجد له عون ولا من ينصره

العقوبه الثانيه

(وجعلنا قلوبهم قاسيه)

أن الذي ينقض العهد يطرد من رحمه الله وهذا الناكث للعهد بارتكاب جريمه الخيانه لعهد إبرامه مع الله فإن ارتكابه للسئيات يودي الي التأثير علي نفسه سلبا فيحدث تحول القلوب عن طبيعتها فاستخدم تعالي (وجعلنا) ترسم في الذهن أن هنالك مسخ للقلوب وقلب لطبيعتها وتحول من قلوب بشريه الي قلوب لاتتم الي الانسانيه بصله فقد حدث خلق القلوب علي صورته بعيدته عن الانسانيه فقد صاروا أشبه بحيوانات وسباع ووحوش وهذا واقع اليهود فنحن أثناء كتابه هذه السطور نشاهد جرائم الاحتلال الاسرائيلي في فلسطين وغزه تحديدا كيف أنهم تجردوا من قيم الانسانيه يقتلون العزل يذبحون الاطفال ويحرقون المرضى في مستشفى الشفاء احياء قتلوا الاطفال الخدج جرائم بشعه لايمكن لإنسان أن يشاهدها أمام وسائل الإعلام فكيف فعلها هولاء المجرمون

فالله يقول إن هذا التحول في قلوبهم هو عقوبه لهم فهذه القلوب قاسيه لاتنتفع بموعظه ولا بنصيحه فقد خذلهم الله ومنعهم الطاقه عقوبه لهم فهي يابسه صلبه غير صالحه لاستقبال انوار الله وهذا بسبب نقضهم ميثاقهم فهم لم يسعوا الي تزكيه أنفسهم وتغذيه أرواحهم بالقيام بواجب الميثاق فعرضوا أنفسهم لسخط الله لا نهم اهلوا أنفسهم ولم يأخذوا بالدواء الذي وصفه الله لهم لوقايه أنفسهم من هجوم الفيروسات والجراثيم فمن فعل هذا بنفسه فقد كان سببا في اهلاك نفسه لأنه تركها عرضه للأمراض والاسقام فالله يقول في موضع آخر (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره أو أشده قسوه)

فأنت تشاهد ملامح القسوه بمجرد النظر إلي وجوههم حتي وان أظهر الانسانيه فهو سرعان ما يخرج مابداخله من حيوان مفترس عند أول اختبار انساني فقد شاهدنا كيف أن قاده امريكا من الرئيس بايدان الي وزير خارجته بعد طوفان الاقصي أظهروا الوحش الصهيوني الذي يسكن داخل قلوبهم بالوقوف أمام كل محاولات العالم بأكمله رفع معاناه اهل غزه فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف مانعا أمام كل محاولات العالم إنقاذ حياة اهل غزه حيث لم يبقي مع إسرائيل غير امريكا فلم يخجل هولاء الذين طالما تغنوا كثيرا عن حقوق الإنسان لماذا لأن هولاء يهود وصهاينه كما صرحوا بذلك وقد صدق الله عندما كشف لنا خبث هولاء واخبرنا أن قلوبهم قاسيه وان ادعوا لانسانيه فلا تتق ايه المسلم بهولاء

العقوبه الثالثه

(يحرزون الكلم عن مواضعه)

أن هولاء أصبحوا لايبالون بما يرتكبون من جرائم فهم اتخذوا الدين لأغراض المصالح الماديه فهم اعلم بحقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم بما هو منزل في كتابهم التوراه ومع ذلك فإن علماءهم قد حرفوا التوراه بالتاويلات الفاسده التي تخرج بها عن دائره الايمان ليس عن جهل بحقيقه مواضعه بل تعمدوا التحريف عن علم بهذا التحريف يدفعهم الي ذلك الهوي وتقودهم المصلحه فكان ذلك سببا لنسيان احكام التوراه

وأن هذا التحريف مستمر لم يتوقف ولهذا استعمل الفعل المضارع (يحرزون) للدلاله علي استمرارهم للدلاله علي تحريفهم ما جاء في التوراه عن النبي صلى الله عليه وسلم ونعتته

والنصوص تبين لنا أن التعامل مع هؤلاء يجب الحذر منه فهم طبعهم المرواغه ونوياهم سئيه وأهدافهم دائما السعي الي الاتواء علي العقود وان كانت مكتوبه فهم يلجأون الي تحريف النصوص وفقا لاهوائهم فلا تنق ب التعامل مع هؤلاء الخونه فهم ينقضون العهد وان كانت مكتوبه

العقوبه الرابعه

(ونسوا حظا مما ذكروا به)

النسيان هو الإهمال لأحكام التوراه وعدم تنفيذها في حياتهم رغم انها فيها النصيب الوافر لهم فهم نتيجته تعمد التحريف فقدوا الكثير من مافي التوراه من مواظ وايعض أيضا أنهم تركوا العمل به مبكرا بعد هجوم بنو خذ نصر حيث انقسموا الي فريقين منهم من هاجر الي المدينه المنوره انتظارا النبي الخاتم ومنهم من أخذ بالكتب الشيطانيه و السحر والشعوذه وانه لما جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من امه العرب تبذوا التوراه وراء ظهورهم واتبعوا الكتب الشيطانيه فقال تعالي في سوره البقره (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ماتتلوا الشيطان علي ملك سليمان... الخ

اي عرضوا عنه بالكلية واهملوا التوراه وتمسكوا بكتب السحر والشعوذه و

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي مخاطبه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل المسلمين حتي لاينخدعوا بقناع التدين الذي يلبسه اليهود فيقول الله لنبيه (ولاتزال تطلع على خائنه منهم الاقليلا منهم فاعف عنهم واصفح أن الله يحب المحسنين)

الأمر الأول

(ولاتزال تطلع على خائنه منهم)

الايه فيها انتقال من نقض أسلافهم العهد مع الله الي نقض اليهود بزمن الرسول صلى الله عليه وسلم للعهد واستعمل الفعل (لاتزال)

يدل علي الاستمرار لانه مضارع للدلاله علي استمرار الفعل والاطلاع كتابه عن المطلع عليه سوء بالمشاهده أو العلم لبيان ان هؤلاء طبعهم الخيانه كأنها طبع طبعوا عليه فهذه عادتهم وماكان عليه أسلافهم وهي من سلوكهم أنهم موصوفون بالخيانه ولاعهد لهم فهذا السلوك متوتر عنهم خلف عن سلف فالخيانه فهم في التعامل والكلمه وكل شي ومن أعظمها كتمان الحق

الأمر الثاني

يقول الحق احذروا من تلك الخصال التي اتصفوا به فإن من أصيب بها من اي امه فإن سنه الله أن ينزل عليه اللعنه وقسوه القلب والابتلاء بتحريف النصوص ونسيان الحق ولايد أن بيتلي بالخيانه لأن الذكر من أعظم حظوظ الذي يقوي القلب علي الثبات فالله (ومايلقاها الا ذو حظ عظيم) فالعلم النافع والعمل الصالح توفيق من الله الذي ينال به العبد السعاده في الدنيا والآخرة بعكس الحظ الدنيوي المذكور بشأن قارون فهذا مذموم (فخرج علي قومه في زينته قال الذين يريدون الحياه الدنيا يليت لنا مثل ما أوتي قارون أنه لذو حظ عظيم)

فهذه النظره للدنيا تفقد العلم قيمته وتختل الموازين وعندها تحدث الخيانه أما الذي ينظر إلي الآخره فهذا يخشي الله فيعبد الله كأنه يراه ويتعامل مع الناس بالاحسان إليهم ولهذا يأمر الله نبيه فقال (فاعف عنهم واصفح

أن الله يحب المحسنين)

الأمر بالعفو والصفح فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتلهم رغم أنهم يستحقون ذلك وكان القبول بالجزية فهذا فيه العفو والصفح والإحسان إليهم فإن ذلك من مكارم الاخلاق وهذا لاتعارض بينه وبين ماجاء في سوره براهه بقوله تعالي (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

فالايه هنا ك متعلقه بشأن تنظيم أحوالهم بالاذعان للنظام الإسلامي بتسليم الجزية مع بقاءهم علي اديانهم وبالتالي فإن العفو هنا ورد في إطار خضوع هولاء لنظام الاسلام

ثالثا

بعد ذكر قبائح اليهود شرع في بيان قبائح النصاري وخيانتهم فقال تعالي (ومن الذين قالوا انا نصاري أخذنا ميثاقهم فسوا حضا مما ذكرنا به فاغربنا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه وسوف يبنئهم الله بما كانوا يصنعون)

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بجمله (ومن الذين قالوا انا نصاري) معطوفه علي قوله (ولقد اخذ الله ميثاق بني إسرائيل)

لأن بين المعطوف والمعطوف عليه صلح لأن دعوه المسيح هي خاصه لليهود وأتباعه هم من اليهود ومعجزاته لليهود وفي هذا اشاره الي أن الذين أخذ عليهم العهد كانوا من اليهود الذين اتبعوا المسيح ولهذا كان تقديم الجار والمجرور (ومن الذين قالوا انا نصاري) للاهتمام بعد ذكر قبائح طائفه من بني إسرائيل وهم اليهود فلا بد أن السامع سوف يخطر في ذهنه سؤال ماهو حال الطائفه الأخرى النصاري فكان هذا العطف الذي فيه الضمير عائدا علي بني إسرائيل والمعني ومن بني إسرائيل الذين اتبعوا المسيح عيسي وقالوا إنهم نصاري أخذنا الميثاق وهو طاعه الله وأداء فرئضه واتباع رسله العهد فسلكوا طريق غير طريق الله ونقضوا الميثاق مثلما فعل اليهود بميثاقهم ونقضهم وابتعادهم عن التوراه نقض هولاء ميثاق الانجيل الذي التزموا فيه بالتوحيد وعدم الشرك واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فطريقهم مثل طريق اليهود كما قال تعالي في موضع آخر (تشابهت قلوبهم)

الأمر الثاني

يذم الله النصاري فقال تعالي (ومن الذين قالوا انا نصاري)

ولم يقل ومن النصاري ونحن نعلم أن عيسي عليه السلام عندما وجد العدواه من اليهود قال (من انصاري الي الله قال الحوريون نحن أنصار الله) وقال تعالي (ولتجدن اقربيهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري)

فالاصل أن قولهم إنهم أنصار الله أنه يفضي الي التمسك بالعهد والوفاء به فهم قد قطعوا علي أنفسهم العهد أن يكون أنصار الله لكن جاء بعد الحوريون من خالف هذا العنوان الذي عرفوا به وسموا بهذا الاسم نسبة الي قول الحوريون نحن أنصار الله..

فكيف يكونون أنصار الله وأفعالهم تشير إنهم أنصار الشيطان فكان العدول في النص عن الظاهر لتصوير حالهم في ذهن السامع فتقرر أن هولاء ادعوا أنهم أنصار الله بالسنتهم لكن قلوبهم وأفعالهم لم تكن كذلك فهم بمعزل عن نصره الله فكان إسناد النصرانية الي دعوهم في الايه لبيان نقضهم الميثاق المأخوذ عليهم من نصره دين الله فدل هذا الابتداء في صدر الكلام أنهم لم ينصروا وان واقع هولاء أنهم ابتعدوا عن أسلافهم من الحوريون الذين أمرنا الله أن نقتدي بهم فقال تعالي (كونوا أنصار الله... الخ

فهؤلاء الذين جاءوا بعد الحوريون بعيديون عن الميثاق فحاصل أمرهم هو الادعاء بالقول دون الفعل فهم قد نقضوا الميثاق الذي قطعوه علي أنفسهم بالإيمان بالرسول الخاتم ونصرته وخالفوا التوحيد الذي جاء به عيسى من ربه وكان منهم الشرك والانحراف والضلال

الأمر الثالث

يقول الحق سبحانه وتعالى أنه أخذ من النصارى أيضا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته لكنهم خالفوا الميثاق فقال تعالى (فنسوا حظا مما ذكروا به)

نسوا تعاليم الانجيل وما أخبرهم به عيسى فخالفوا توجيهات الانجيل وقاموا بالتحريف والتبديل وادخلوا فيها من أفكار الوثنية التي امتزجت بالانجيل بعد دخول قسطنطين النصرانية فنسوا حظا اي نصيبا وافرا وعظيم من كتابهم فكان سببا في تفرقهم في الدين واتباع اهوائهم فواقع الله بينهم عذاب العدواه والبغضاء بالخصومات و التنازع فذلك عقوبه لهم كما قال تعالى في موضع (اويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) وهنا قال تعالى (فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامة)

تبين النصوص أنه عند غياب الفكره نتيجته الغفله عن الفكره التوحيد التي فيها الخير الوافر فإن النتيجة هو بروز أصنام الأهواء لأن غياب الفكره يعني الذهاب خلف الاوهام والحيدان بالزيع عن مذهب الحق والميل مع الهوى الحيواني عندها يكون الزيغ منهم متبوعا بزيغ القلوب ف الله يقول (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم) ومن زاغ تنعكس عنده المعايير فهو يري الحسنه سئيه ويرى السئيه حسنه فيصاب بسكر الضلاله ولهذا يقول الله (فاغرينا) بمعني هيجنا الأهواء بسبب نسيانهم العهد وذهاب مصدر دينهم فقد ضلوا وذهبوا خلف الاوهام فصاروا جماعات متناحره يسود واقعها التعصب الأهواء التي صنعوا منها عقائدهم

واتسع هذا الخلاف بينهم بحسب ما فيهم من التعصب وبقدر ما اتسموا من الغفله فانحرفوا عن دعوه التوحيد التي جاء بها عيسى من ربه وحدث الانقسام والتشردم الي فرق وطوائف متناحرة فقال تعالى (فاغرينا) لها معاني متعدده الصقنا من غري الشيء اذا لصق به كالفراء وهو مثل الصمغ يكون لاصقا به والاغراء تسليط بعضهم علي بعض والمراد بهذا أنهم لما تركوا الميثاق المأخوذ عليهم اغرينا بينهم العدواه بالمباعده بين قلوبهم بتهييج الأهواء الباطله التي إنما هي باختلافهم في قولهم بشأن عيسى بين قائل أنه إله وبين قائل أنه ابن الله وبين قائل أنه ٣ الة ثلاثه وكلها أهواء باطله فصاروا كالسباع يتحاربون بالعدواه والبغضاء ازددت عمقا واتساعا فالعدواه لم تكن عدواه جهل وعلم بل عدواه جهل وعمي عن الحق محمله بالانفعالات والتشنجات والاندفاعات الملئيه بالبغض و الكراهية لأنها عدواه هوي وهوي محمله باثقال البغضاء فهي ليست موقوته بوقت ولا محدده بزمن وإنما هي عدواه موصله لاتنقطع (الي يوم القيامة)

فهي ساكنه قلوبهم لاتنطفي فهي عقوبه نسيان العلم النافع وادالته فقد حرموا من نور العلم فكان عقوبتهم بالسير في طريق وعر لايسهل السير فيه خشن ملئ بالصراعات والخصومات والتناحر الي يوم القيامة وقد شاهدنا كيف هو حال النصاري في الغرب كيف أنهم صنعوا الاسلحه الكيميائيه والنوويه والهدروجنيه وسفكوا الدماء في الحروب التي أهلكت الحرث والنسل فقد كانت الحرب العالمية الأولى والثانية كلها بين النصاري وهذا ما يكفي لتعرف صدق توصيف القران الكريم للنصاري والعقاب الذي حل بهم لنقضهم الميثاق فأنت تشاهد التعصب و الخصومات والتناحر يعم أرجاء الكنائس المسيحية في العالم فهي أكبر دليل الشقاق بسبب التعصب الديني حتي انتهى بهم الحال الي اعلان العلمانية وفصل الدين عن الدوله لايقاف سفك الدماء ومع ذلك لم يفلح دعاه العلمانية اليوم من تجاوز الحروب الدينيه لأن الله يقول إن عدواه هولاء سوف تستمر الي يوم القيامة

الأمر الرابع

يذيل الحق الايه بالتعقيب بقوله تعالى (وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون)

هذا فيه

١

وعيد شديد بالعذاب والجزء مثلما يقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت

وهذا التهديد أنه سوف يجازيهم بما عملوا جاء فيه صيغه المضارع (يصنعون) دليل علي استمرارهم بنقض الميثاق ونسيان الحظ الأوفر مما ذكروا به

٢

وسوف لتأكيد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايدان برسوخهم في ذلك وانهم صنعوا الأصنام باهوائهم فنقضوا الميثاق حيث قالوا في عيسى كفرا بأنه اله وأنه ابن الله وأنه ثالث ثلاثه واحلوا الخنزير والخمر والميسر فناسب هذا قوله تعالى (فاغرينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامة) فالله يقول (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمر والميسر... الخ

٣

شبه حالهم عند الحساب في الاخره بما كانوا يصنعون في الدنيا من نقض العهود وتحريف الانجيل ومخالفه مواعد المسيح الذي أخبرهم أنه رسول الله وعبدته وهكذا علم اتباعه فلم يقل لهم أنه إله وانما كان يقول لهم أنه عبد الله ورسوله ولهذا فإن قولهم إن عيسى هو الله وغيرها من الضلالات فدل لفظ أنه سوف يعلمهم بتلك المقاسد والباطيل التي صنعوها يوم القيامة بان كل ذلك صناعه منهم فقد خرجوا بهذه الصناعة عن ما حمله إليهم عيسى عليه السلام ولفظ يصنعون يدل أنهم لن يتوقفوا عن الافتراء علي الانجيل وربط ذلك بحالهم في يوم الحساب لبيان أنهم صنعوا اصناما فقالوا في عيسى اقوالا لاتقبلها الفطره ولاتستقيم بحال من الأحوال في الشرك اعتداء صارخ ولهذا فهم سوف يستمرون في حيرتهم وفسادهم فذكر الحق التهديد لهم بالعقاب ويحاسبهم علي انحرافهم عن الميثاق وبما افتروا علي الله من أكاذيب

القسم الثاني

يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الي صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير

اولا

بعد أن تناولت اقامه الحججه علي اليهود والنصارى من خلال استعراض مواقفهم من الميثاق المأخوذ عليهم جاء الخطاب موجها الي اليهود والنصارى فقال تعالى (يا اهل الكتاب)

وهذا فيه الآتي

الأمر الاول

أن التعبير عنهم بعنوان اهليه الكتاب للتشيع لهم وأفعالهم وموقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم لأن اهليه الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان مافيه من الأحكام وهم قد فعلوا ما فعلوا وهم يعلمون ف جاء النداء لهم (يا اهل الكتاب)

يدعوهم الي الوفاء بميثاق الكتاب والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والانتقال بالحديث من صيغه الغائب الي المخاطب باعتبار أن ماسبق كشفه من أخطاء في حياه أهل الكتاب في تلك المرحلة التي هي مراحل الأديان

٢

تضمن النداء إعلانهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليهم فرسالته عالميه لجميع الناس فليس رسولا لاهم العرب ذلك أن اليهود والنصارى كانوا ينظرون للعرب نظره استعلاء فينظرون إليهم أنهم اميون لا يعرفون القراءة والكتابه فهم لم يكونوا قابلين أن يأتي رسول من غير بني إسرائيل يعلمهم دين الله ولهذا ناسب أن يكون النداء بعد ذكر الميثاق الذي يدعوهم للإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه ونصرته أن يسجل الحق شهادته بأن الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله للناس كافة وانهم مأمورون بالإيمان به وأتباعه فقال تعالى (قد جاءكم رسولنا)

(جاءكم) بدل بعثنا لكم الاشاره الي أنه يحاضرهم ويخاطبهم وجاء إليهم فهم يرونه ويراهم (رسولنا) للاشاره أنه مرسل من عند الله وقد أخذ عليهم الميثاق (وامنتم برسلي وعزرتموهم)

واضاف الي ضمير العظمه في قوله (رسولنا) للتشريف والايدان بوجود اتباعه عليه الصلاه والسلام فرسالته ليست مقصوره علي امه العرب او ليست موجهه الي أهل الكتاب بل هي رساله عالميه وأهل الكتاب ملزمون بالإيمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فالله إرساله لكل البشريه بالهدى ودين الحق لجميع أهل الأرض وأنه بعثه بالبينات والفرقان بين الحق والباطل

٣

تبيين النصوص أن وظيفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير)

يوضح ويكشف ما توطاتم علي اخفائه من حقائق كتاب الله فاليهود اخفوا الكثير من الأحكام ومنها رجم الزني المحصن واخفوا البشاره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هنا ما هو الكثير الذي اخفوه مما كان في التورواه والإنجيل وذكر ذلك في موضع آخر من حكم رجم الزاني المحصن فقال تعالى في موضع آخر (الم ترا الي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون)

فقد كانوا يدعون الي حكم التوراه بالزاني المحصن بالرجم وهم معرضون ومنكرون ذلك ومما اخفوه أيضا صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعن الله علي الكافرين) ومن ذلك انكارهم أن الله عاقبهم بسبب أفعالهم القبيحه أن حرم عليهم بعض الطبييات عقوبه لهم كما قال تعالى في موضع آخر (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طبييات احلت لهم) وقال تعالى (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل علي نفسه من قبل أن تنزل التوراه قل فاتوا بالتوراه فاتلوها ... الخ

وقال عن النصارى أنهم اخفوا ما ذكر عن نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراه ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)

الأمر الثاني

أن الانتقال في حديث النصوص من ضمير الغائب بالحديث عن اليهود والنصارى ونقضهم العهود والمواثيق الي ضمير المتكلم (يا اهل الكتاب... الخ

فهذا الذي فيه اعلان التحول في قراءه المطلب الرباني من التوراه والإنجيل الي القران فيه بيان أن هذه المرحلة في مسيره الاديان قد جمع الأديان كلها في الإسلام وأرسل الله الرسول صلى الله عليه وسلم للناس جميعا ولهذا فإن كشف أخطاء اليهود والنصارى في نقض الميثاق علي سبيل الحكايه بضمير الغائب ليس عيبا وانما هذا الكشف مقدمه ضروريه لتحديد مضمون المرحله التاليه في تاريخ الأديان فقد كانت المراحل السابقه تنزل الكتب لاقوام محدده ووظيفتها وقتيه في مجتمعات صغيره وازمنه محدده ولهذا فإن الانتقال الي مرحله الكمال التي جاءت بها رساله الاسلام كان يتطلب كشف ونقد المراحل السابقه بما حدث فعلا نقدا ذاتيا اي شخصي من جانب الذين ساهموا في أحداث ما حدث فعلا

فمعرفة المشكلات التي أعاققت عمل من حمل المشروع الرباني في الماضي أمر مهم للمساهمه في تحديد الموقف الذي تنطلق منه ولاتقع فيما وقعوا به ولهذا فإن النقد لما حدث من العناصر الذين حملوا الحضاره والمشروع الرباني ينبغي أن يكون ناتجا عن معرفه عميقه بحقيقه المشاكل المتعلقة بالمشروع فإن هذا النقد ينبغي أن يكون له فائده من أجل الوصول إلي أكبر قدر ممكن من سلامه المراحل التاليه فليس نقدا مغرضاً أو متعلق بأمور سطحية ليس نقدا لاهداف ولافائده منه لأن مثل هذا النقد لا يخدم الفكره وانما يضلل ولهذا نجد أن الحق بعد ذكر ما بينه القران الكريم من أمور كتّمها اليهود والنصارى يقول لنا تعالي (ويعفوا عن كثير)

أنه ترك اظهار ما لافائده منه وما ليس فيه مصلحه ولا حكمه دينيه لم يظهره صيانه لكم من زياده الافتضاح فاعيد ذكر (كثير) وهي نكره ولهذا فإن اعيدتها يكون لها معني مغاير

الأمر الثالث

أن النصوص تبين للمومنين كيف يكون النقاش والحوار فلا يهدف إلي الجدل الفارغ الذي فيه الاساءه الذاتيه ب التجريح والتعصب نتيجه المدافعه والمغالبه فقال تعالي (ويعفوا عن كثير) يتغاضي عن ما لافائده ولا مصلحه من ذكره الا افتضاح اليهود والنصارى فالإسلام ليس هدفه من النقد فضحهم وانما هدفه اصلاح الخلل الفكري فالإسلام م اهتم بتربيته المسلمين واستصائل مافي الإنسان من طبع المدافعه والمغالبه في الجدل ف الله يقول (وكان إلا نسان أكثر شي جدلا) ولهذا نجد أن القران جاء بمنهج تربوي لضبط خلق المسلم بحيث لا يظفي عليه خلق المدافعه والمغالبه بالباطل فيذهب في الخصومة والجدل شر مذهب لأن من صار خلقه ذلك فإنه لا يهتم بحق أو باطل وانما يكون هدفه من الجدل اظهار قوه الجدل لا إحقاق الحق ولهذا فإن تنكير (ويعفوا عن كثير) تعني أن عليك أن تلتزم اثناء النقد أو الجدل بمعايير الاسلام هل هذه المسائل تخدم الاسلام ام أنها لافائده منها سوء فضح العيوب عن الآخرين فإن كان الاخير فعليك أن تتجاوز عن ذكره بل عليك أن تستره ولا تظهره لأن يعفوا من الستر

المبحث الثاني

أن الايات فيها دعوه أهل الكتاب الي الاشتراك في صناعه الخلاص للعالم أجمع بالالتحاق بالإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم حيث أن قراءه مراد الله والحضاره الدينيه التي تحقق المطلب الرباني في الأ رض قد انتقلت الي الاسلام وصار القران جامعا لجميع ما احتوته الكتب السماوية السابقه يقول لهم الحق أن تغيير الاشخاص أمر مألوف حيث أنه عند انتهاء مرحله وابتدا مرحله تاليه يحصل حدوث مثل هذه المتغيرات وتعاقب المراحل لا يستدل عليه من خلال تعاقب الأشخاص ولهذا جمعهم الله في النداء (يا اهل الكتاب) ثم أخبرهم

عن الدليل الدال علي الانتقال قياده الي امه الاسلام بأنه هذا التغيير للمناخ الذي أفرزته مرحله حصر القياده في بني إسرائيل فقد كان تغيير ظروف حركه العمل الايماني للبشريه في مرحله الرشد بتوحيد الرسالات كلها برسالة الاسلام وإيجاد الضمانات التي تضمن استمرار العمل الايماني في مسيرته وعدم تكرار السلبيات قدر الإمكان فأخبر الله عباده خصائص المنهج الرباني (الاسلام)

والقرآن الكريم الذي يأمرهم بالتحول إليه في قراءه المطلب الرباني فقال تعالي (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

الأمر الأول

تعددت الآراء المفسر بين بشأن إمراد بقوله تعالي (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

فمنهم من قال إن النور يقصد به الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله انار به الارض بعد الظلمات التي امتلأت به الارض بالنظر الي وضع العالم كله ومافيه من ظلمات فانار الله به الارض بمخو الشرك وأنه نور استنار به بيان الحق ومن انارته للحق تبينه بإظهار كثير مما كان أهل الكتاب يخفونه

وقالوا إن (وكتاب مبين) هو القران الكريم نور تشرق به قلوب الناس فتزيل الظلمات نور تزيل اللبس والغبش في الرويه فالطريق يصبح واضح المعالم والهدف محدد وواضح لاغموض فيه والقرآن يستضاء به ظلمات الجهل وعمي الضلاله

وقوله مبين يعني بين وظاهر لكل ما يحتاج الخلق من أمور دينهم ودنياهم في كل شي فهو مبين فيه الطريق الموصل الي الله وكيف يعبدونه فلا غموض ولا لبس فيه

ومنهم من قال إن المراد بهذا الاسلام ... وهذا الاختلاف شكلي لأن النص بدل اشتمال من جمله (قد جاءكم رسولنا يبين لكم... الخ لأن مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم اشتمل على مجئ القران الكريم ورساله الاسلام فجميع ذلك يسمي نور لأنها للبصيره كالنور للبصر فالعين لاتري في الظلام فهي ليست مصدر النور ولكن عندما تشرق الشمس فإن العين تري ولهذا فإن الذي ينتفع بهدايه هذه الانوار (يهدي به الله من أتبع رضوانه)

اي يرشد ويسدد به من أتبع رضا الله فالذي يريد الانتفاع عليه أن يفتح منافذ الهدايه وان يكون طالباً لرضا الله ومجتهداً وحريصاً علي كل ما يرضيه تعالي وهذا إنما يكون لمن يحب الله حب اجلال وتعظيم والله يقول في موضع آخر (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله) فلا بد أن يسلك الطريق الموصل الي رضا الله في كل شأن من شؤون حياته فيقوم بحق الله وحق الناس وحق الكون والبيئه فيكون متبعاً للحق ويحسن استعمال ملكاته واعضائه واجزائه فيما خلقت لأجلها ولهذا يهتدي الي طريق السلامه والنجاه (سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور) فيعيش في راحة البال واطمئنان بعكس الذي يتبع هواه فإن يعيش في قلق ونيران تشتعل بداخله ولهذا فإن هذه النيران مصدرها غضب الله لمن لم يحرص علي اتباع ما يرضي الله ولهذا فإن النار والجنه ليس شي جديداً وانما هو نتيجة أعمالنا فمن أتبع منهج الله فإن هذا يولد في النفس اطمئنان وتسير في طريق مستقيم يوصلها الي الجنه في الدنيا والآخرة فالله يقول في موضع آخر (لاتضل ولا تشقي) (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا) وقال تعالي أيضا (يايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضيه مرضيه)

الأمر الثاني

أن النداء يهدف إلي بيان أن الإسلام هو خاتم الأديان الذي أتم الله به الرسالات والأنبياء والرسل فلا نبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا تأتي النصوص مبينه أن الإسلام جاء جامع لجميع الأديان ويستوعب الزمان و

المكان في كل شؤون الحياه ولهذا يخبر الله اهل الكتاب بانتهاء صلاحيه العمل بالتوراه والإنجيل فلم تعد صالحه لتحقيق مراد الله وان الله قد أنزل القرآن الكريم وارثي لعباده الاسلام دينا فهو سبحانه قد جعله الدين الخاتم للبشرية جميعا الي أن يرث الله الأرض ومن عليها أنه دين لكل العصور والأزمنه اللاحقه ف الله ارتضاه لعباده وهو أعلم بخلقه وما يصلح لهم والإسلام دين عالمي استوعب في صفوفه العرب والعجم والهنود والفرس والاروبيين والا فرقه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)

وهذا فيه

المساله الاولى

ان عليك أن تحرص علي رضوان الله فإذا أردت السلام وتعيش في اطمئنان وسلام أن ترضي لنفسك ما رضىه الله لك وهو الاسلام فالإسلام هو الذي يعيظك السلام وينقذ البشريه من ويلات الحرب الجاهليه وعصبيتها فإذا أردت أن تنتقد نفسك فإن هذا إنما يكون باتباع ما يرضي الله تعالى

المساله الثانيه

أن الإنسان بحاجه الي الاهتداء الي سبل التعامل مع نفسه ومع أسرته ومع المحيطين به في نطاق المجتمع من بني جنسه ويحتاج للتعامل مع الحاكم والدوله وتعامل الدوله مع الدول الأخرى ولهذا فإن الإسلام تميز عن غيره من الأديان بالشمول في كل انواع نشاط الانسان علي مسرح الحياه بعكس الأديان السابقه فقد كان دورها مقتصرأ علي الأمور الاعتقاديه والتعبدية فلا يتدخل في أحوال المعيشه الدنيويه ويترك للناس أن ينظموا العلاقات و التعاملات أفرادا وجماعات فليس الدين له دخل أما في الإسلام فقد جاء بشمول شؤون الحياه كلها في السياسة و الاقتصاد والعبادات والمعاملات أنه عقيدته تجيب علي كل التساؤلات التي يطرحها العقل الإنساني فياتي الجواب لكل ما يطرحه من القرآن مبينا له طريق الهدايه والسلامه والسعاده والنجاه في الدنيا والآخرة ففي مسائل الخلق والخالق والحياه والموت والجنه والنار والرسالات والرسول... يرشده الي طرق السلام للعقل والضمير يلي اشواق ا لإنسان لمعرفة ربه فيبين له الطريق الموصل الي ربه دون غلو ولا تشبيه .

وبنفس الوقت دون تعطيل لوظيفه الإنسان في اعمار الأرض فلا رهبانه ولا انسحاب من الحياه الدنيا ولاوسائط بين الخالق والمخلوق فالطريق مفتوح بين الإنسان وربيه وما عليه أن يدعو ربه يقوم علي الحرص علي اتباع ما يرضي الله

وايضا في تعامله مع الآخرين فإنه يتبع نظم وشرائع تحفظ حقوق الفرد والمجتمع والعالم تحول دون ظلم الإنسان لنفسه أو لغيره تشريعات تضمن العدل في جميع الأحوال السلم والحرب والعلاقات مع الدول الأخرى فالإسلام هو الذي فيه السلامه من الضياع والهلاك

المساله الثالثه

أن إطلاق لفظ (سبل السلام)

فيه كما قلنا شمول الاسلام للزمان والمكان وأنه يستوعب الإنسان وجميع شؤون الحياه وايضا فيه أن هذا الشمول تكمالي فالاسلام لا يقتصر علي الاهتمام بالعبادات حتي يعزل المسلم عن الدنيا ويحبسه بين جدران المسجد ولكن يمتد لجميع شؤون الحياه فيه

فجاء فيه بيان سبل العباده وسبل المعاملات وتفاصيل الحياه والاقتصاد والسياسة جاء فيه قواعد لكل شيء يحتاجها فهو انسان منخرط في الحياه يتعامل معها ومع سننها ويتفاعل معها وتحولاتها فالمسلم بتعامل مع جميع

فئات المجتمع المسلم وهم يلتقون خمس مرات في اليوم ويجتمعون يوم الجمعة يتدولون مشاكل الامه ويتناصحون ولهذا فإن شمول الاسلام سبل السلام هو الذي يودي الي تحقيق مبدأ التكامل وهو مالم تستطيع الأديان من تحقيقه فالمتدين عند النصاري هو الذي يجسب نفسه في الكنيسة ولاعلاقه له بالحكم والسياسية وينعزلون عن الدنيا. لأن المتدين عندهم لا يصلح للدنيا وأعمالها في حين يكون رجال المال والأعمال والقاده و الحكام بعيدون عن الأديان الا أنهم يشتركون في تمويل الكنيسة بالاموال التي اكتسبوها بوسائل تتناقض كليه مع الدين الذي تمثله تلك الكنائس

لكن الإسلام جاء بمنهج التكامل الذي فيه طرق السلام والنجاه للدنيا والدين تنظيم احوال الإنسان في جميع أحواله فهي بهذا تشكل الإنسان السوي الواضح الي لا يحتاج الي ثقافه الالتواء ليوافق بين طموحاته ومتطلبات جسده وروحه وأماله وموقعه في المجتمع ومنظومه القيم فالمسلم ليس مضطرا الي الظهور بمظهر غير مظهره الحقيقي كما يفعل الرهبان الذين يحاولون أن يظهرُوا شبه ملاك بالترافع عن الدنيا مقبلا علي الرب في حين بداخله انسان يريد أن يتمتع بالطيبات فيعيش حياه سريه تتعارض مع ما يعلن ويظهر للناس لكن الإسلام جاء فيه التكامل الذي يلبي متطلبات الجسد والروح يقول أحد المستشرقين أن الإسلام جاء فيه تكامل بين جميع عناصر الإنسان ومكوناته عن طريق وضع الاجوابه الواضحه القضايا التاليه

١

كيف يعيش الانسان بطريقه صحيحه

٢

كيف يفكر الإنسان بطريقة صحيحة

٣

كيف ينظم الإنسان حياته بطريقة صحيحة

وعناصر الشمول والتكامل يقوم علي الإيمان الذي يحكم العقل والضمير واعماق النفس والخضوع والاستسلام لله تعالي والشعور براقبه الله ولهذا ابتداء بذكر أن المنتفع هو الذي يتبع رضوان الله

الأمر الثالث

تبين النصوص أن القرآن الكريم فيه بيان السبل الكفيلة بتحقيق النجاه والسلامه والسعاده في الدراين وأنه أيضا ينجي العباد من المهالك وينير لهم الطريق والمسالك فيخرجون من ظلمات الجهل والكفر والشرك والأوهام و الخرافات الي التوحيد والإيمان باذان الله وحده لا شريك له فهي خاضعه لمشيئه الله وارادته يخرج بها من اتبع رضوانه واذانه هنا هو العنايه بمن اتبع رضوانه باسعافه بنزين الايمان وتحبيبه به وانشراح الصدر برفع طابع الكفر من قلبه وتوفيقه لابصار سبل السلام فقال تعالي (ويخرجهم من الظلمات إلى النور ياذنه) فالإسلام يحرر المومنين من الأوهام والخرافات التي اختلطت به الأديان الأخرى يحررهم من الخوف من المستقبل فالرزق بيد الله يحرره من الهيمنه السياسه فالجميع خاضعون لحكم الله تعالي وشريعته فقال تعالي (ويهديهم الي صراط مستقيم) يرشدهم الي الطريق المستقيم مع الفطره والنفس والحياه والكون فالإنسان والكون والحياه محكومين بسنن ونواميس ولهذا جعل الله الوحي هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكافه تحولاتها واطرداها ف الله هو خالق الكون وخالق الإنسان وفطرته والإنسان جاء للحياه بدون رضاه وسوف يتركها بدون رضاه ولهذا فليس له أن يصنع لنفسه منهجا ومن مصلحته أن تظل منافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال نور الله الذي يرشده الي

طريق الهداية المستقيم فهو دين الله القويم الذي لا اعوجاج فيه

ثانيا

تنتقل النصوص الي مناقشه فساد عقائد أهل الكتاب التي بنوا عليها دينهم فابتدا بدم مقوله النصراني بتاليه عيسي فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا انا الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير)

المبحث الاول

ان الابتداء بدم مقوله النصراني بتاليه عيسي عليه السلام مرتبط بماقبله الذي ذكر فيه أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج القران والاسلام هو أن يبين لهم حقيقه عقيدته التوحيد الصحيحه التي حملتها جميع الأديان وإخراجهم من الظلمات يعني ازاله التصورات الفاسده المنحرفه التي اختلقها من ادعوا انهم أنصار الله عندما ذهبوا الي القول بالوهيه عيسي والتي حدث خلاف بينهم وسفكت الدماء بين طوائف المسيحية نتيجة ما وقعت فيه النصرانية من الخرافات التي وقعت فيها اليهود والخرافات الرومانيه التي أدخلت في الديانه المسيحيه ولهذا فإن الحق يبين لهم انحرف وكفر تلك التصورات فذكر الحق مقوله هولاء التي فيها الكفر فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا انا الله هو المسيح ابن مريم) فهذا من أعظم ضلال النصراني وهو من ضروب عدم الوفاء فابطال الله زعمهم ذلك فهو من الظلمات التي طرأت علي أحوالهم ولم ينزل الله بها من سلطان وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه يبين مافي المقوله من الكفر لا ماهم عليه من الضلال لأن ضلالتهم حاصله لامحاله اذا كانت هذه مقاله كفرا ولهذا حكى قولهم (أن الله هو المسيح ابن مريم)

والمراد بهذا الاشاره الي الاعتقاد باتحاد عيسي ب الله فقاموا بتعريف المسند والمسند إليه باتحاد الاسمين بقربنه السياق الداله علي أن الكلام ليس مقصودا بأحداث الذوات المسمي فهم ذهبوا الي القول بامتزاج الله في عيسي بدعوي الاتحاد ومرادهم امتزاج الحقيقه الالهيه في ذات عيسي ولما كانت الذات الإلهية معنونه باسم الجلاله فقد ذهبوا الي إسناد اسم الجلاله لعيسي قاصدين أن ذات الله تجسدت في ذات عيسي... فهذه المقوله كفر فهذا هو اعتقاد الحلول والاتحاد وهو اعتقاد موجود عند بعض المسلمين والعياذ بالله

فالحق يبين مافي المقوله من الكفر فهذا الانحراف اصطنعه النصراني فهذا طريق الضلال للتحذير من هذا النوع من الشرك

الأمر الثاني

أن الحق بهذا ببيان مافي المقوله من الكفر يهدف إلي حمايه مقاصد الدين من الانحراف فيقول لنا أن المسلم لا يحتاج الي عقائد اين من الأديان الأخرى ولاتقبل ثقافه الاسلاميه مخالطه عقيدته التوحيد بغيرها لأنها العقيدته الوحيده التي لم يدخلها الشرك ولهذا فإن الإسلام يربي المومنين علي مساله الثبات للأمر العقائديه في الإسلام فهي ثابتة فالتوحيد هو الأسس الذي تنطلق منه عقيدته المسلم وجميع الأحكام تربط بهذا الأساس

فعقيدته الاسلام تخلو من تقديس الأشخاص فالبشر مهما كانوا لايمكن أن ينزلوا منزله الله فالله خالق والبشر كلهم مخلوقات بما فيهم عيسي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم وكلهم عبيد لله تعالي

الأمر الثالث

تهدف النصوص لتربيته المومنين علي المنهج العقلي والابتعاد عن الخرافات والأساطير التي اصبغت بها الديانات السابقة والحضارات المنحرفة فالنصرانيه تخلت عن عقيدة التوحيد النقيه التي جاء بها عيسي عليه السلام وسيطرت معتقدات اسطوريه من تاليه البشر أو تنزيل لله عز وجل الي مصاف الإنسان فقد اعتقد هولاء أن عيسي امتزج بالرب فاعتقدوا أنه يخلق ويحي ويميت ولهذا نجد أن الله يعلم نبيه الحجه عليهم بقوله (قل فمن يملك من الله شيئاً أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً)

الفاء في قوله (فمن) عاطفه الاستفهام الانكاري علي قولهم إن الله هو المسيح فالانكار ترتب علي هذه المقوله الشنيعه فهي للتعقيب أي ليس الأمر كما زعمتم و(من يملك من الله شيئاً)

بأنكم عاجزون عن دفع الضرر أن أراد الله إيقاعه بعيسي وأمه ومن في الأرض جميعاً

لأن الذي يملك هو الذي يتصرف في مملوكه كيف يشاء والتنكير في قوله (شيئاً) للتقليل والتحقير ولما كان الاستفهام بمعني النفي كان نفي الشيء القليل مقتضياً نفي الكثير بطريق أولي والمعني فمن يقدر علي منع شي اراده الله إذا أراد فعله فما الذي يحوله عنه

٢

أن النص يهدف إلي إثبات تفرد الله في ملكه وسلطانه وقهره وان عيسي من جملة المخلوقات يقع عليه ما يقع عليهم فهو عاجز أن يمنع الضرر عن نفسه وبالتالي فهو من جنس البشر

واستعمل حرف الشرط (أن أراد) في التعليق من غير دلالة علي الاستقبال لأن مريم قد هلكت لامحاله ولأن اهلاك المسيح أي موته واقع عند المجادلين من النصاري وعند بعض علماء الإسلام الذين قالوا إن عيسي مات ورفع الله من غير قتل أو صلب

وعليه فليس الأمر دال علي الاستقبال وانما فيه استعاره الاستقبال بمعني (ومن في الأرض جميعاً) أي حينئذ من الناس الذين كانوا في زمن عيسي عليه السلام فقد هلكوا بالضرورة واذا التزمت بأنه يدل علي المستقبل فإن هذا يكون علي طريق التغليب فإن بعضها قد وقع هلاكه وهم ام عيسي وبعضها لم يقع بعد ولكنه سوف يقع لامحاله وهو اهلاك جميع من في الارض أي أن هلاك النوع ممكن الوقوع لأن من في الارض سوف يهلكون لامحاله

الأمر الثالث

أن الإسلام يهتم بالعقل. ويحاوره بالمنطق ولهذا نجد أن النص يخاطب العقل ويحاوره فيقول له أن ذات الله ومشيئته وسلطانه تختلف مطلقاً عن ذات عيسي وأمه وكل ذات اخري فذات الله ومشيئته وسلطانه متفرده ولا يملك أحد شيئاً في رد مشيئه الله أو دفع سلطانه ان اراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض جميعاً

فهولاء عاجزون عن رد الله لو أراد أن يهلكهم ولا قدره لهم علي ذلك فدل هذا علي بطلان الوهيه من لا يمتنع عنه الا هلاك ومن كانت قوته تحت قوه الله وقهره وسلطانه وهنا يعطيهم الله صورته لملك الله وسلطانه وقهره وتدبيره لأمر الخليقه فقال تعالي (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله علي كل شي قدير)

أنظروا الي الكون فتاملوا الي حركه الكون وانضباطه فمن هو المسؤول عن حركه الكون وانضباطه بتلك الدقه أنه يخضع لله فهو مالكة ومدبره والمتصرف فيه فكل مافي السموات والأرض وما بينهما يخضع لله تعالي وقوله (ولله) أي وحده لا شريك له ملك الكون يتصرف فيه بحكمه ونواميس الله هي التي تحرك الكون فهل يليق بعد هذا أن يكون العبد المخلوق معبوداً فلا يمكن أن يكون المخلوق الها ومعبوداً فالله خالق وله أن يخلق ما يشاء

فهو لا يسأل عما يفعل وبالتالي فلا تستغربوا أن خلق الله عيسى بلا أب ف الله يفعل ما يشاء وقد خلق آدم بلا أب ولا أم وخلق حواء كذلك فمشيئه الله نافذه وقدرته لا يستعصي عليها شي

المبحث الثاني

(وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير)

يذكر الحق التصورات الفاسده لدي اليهود والنصارى التي تشكل قيود مانعه لهم من الالتحاق بالإسلام فهم يجدون صعوبه في التحول في قراءه المطلب الرباني الي الإسلام والعمل بما جاء به القرآن لا يشعرون بالقدره علي التحول واستبدال قراءه المطلب الرباني بالقران بدلا عن التوراه والإنجيل وفقا لما يقتضيها تصحيح مسار اتجاه حركه أهل الأديان في المرحله الاخيريه التي جمعت جميع الأديان فهم يرفضون التحول ويتمسكون بحضارتهم التي لم تعد صالحه لتحقيق مراد الله ويدفعون عنها لماذا يقول لك الحق (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤا الله واحباؤه)

فهم اكتسبوا مواقع شخصية معينه من خلال الانتماء الي اليهودية والمسيحية حيث أن النظام الطبقي لهذه الامه قد ادي الي التعسف في تطبيق أحكام التوراه والإنجيل وقاموا باستغلال ما نعم الله عليهم من وحي بالتوجيه السيئ وحجب الرهبان والاحبار العلم الحقيقي عن الناس وصار هذا العلم يستخدم لاستغلال الإنسان للإنسان

ولهذا فقد كان للنظام الطبقي الذي شكل طبقات اليهود والنصارى تأثير ليغوص عميقا ليقطع جذور المعرفه عن الأ فكار فصنعوا بذلك فلسفه سيقت لتبرير الطبقيه ونظامها القبيح فصارت العقيده لديهم تقوم علي العنصريه وتستخدم لتبرير اي نوع من أنواع الاستغلال الطبقي أو العنصري ولهذا يقول لنا الله مقوله هولاء الفاسده بأنهم قوا علي الله مالا يليق بعظمه الله فقالوا أنهم ابناؤا الله واحباؤه قصدوا بهذا أن يجنوا الامتيازات فهم أبناء محبوبون لله فقالوا أنهم شعب الله المختار... وهذا لتبرير الطبقيه والنظام العنصري التي شكلت هذه الأمم فصارت عقيده العوام فيهم تقوم علي الاماني بأنهم لن يعذبوا علي ما يفعلون ف الله يعاملهم بالموده فلا يؤخذهم علي افسادهم في الأرض وأما العلماء منهم فهم قله نادره وهم من صنعوا هذه العقيده الفاسده وبهذا قاموا بتطويع الدين لافكارهم العنصريه لأجل أن يخضع لهم العوام حيث صار العوام يكدون من أجل أن يعطوا الأخبارا لأموال كي يمنحهم صكوك الغفران وتكمن الخطورة أن هذه الأفكار صارت عقيده لتزكيه أنفسهم وقد شاهدنا في العصر الحديث أن أستخدم الدين اليهودي والمسيحي حتي لإثبات أن الإنسان الابيض ينتمي إلى نوع متخلف عن الإنسان الاسود وقد صار الرعب في العالم حين استخدمت حجه الامتياز العنصري في المانيا وإيطاليا حيث تعصب لهذه الفكره ألوف المومنين من النازيه فكان الانحطاط والوحشيه للمذابح التي قتل النازيون الكثير من البشر ببرود وعمد وقبلها في الأندلس شاهدنا كيف تم صناعه مذابح للمسلمين تحت عنوان محاكم التفتيش ولهذا نجد أن الحق يبين فساد هذه التصورات وخطورتها علي حمله المشروع الرباني يقول للرسول صلى الله عليه وسلم لاتحزن من مشاهده هولاء في مواقع اتباع العاملين لتحقيق مراد الشيطان لاتستغرب أن تري هولاء في موقع الثوره المضاده وبكل ما في هذه المواقع من مخاطر ويقول لنبيه ان يبين لهم فساد تلك التصورات الفاسده فقال تعالي (قل فلم يعذبكم بذنوبكم)

يأمر نبيه أن يبطل قولهم بامرين

الاول (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) لانهم قالوا بأن نصيبا من العذاب ينالهم بذنوبهم فقالوا (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) والنصارى يرون أنهم استحقوا العذاب الاخروي بسبب خطيئه ادم فقالوا إن عيسى جاء مخلصا وضحى بنفسه لتخليص البشريه من ويلات الخطيئه

ولهذا يقول الله لنبيه اذا كنتم تعترفون انكم سوف تعذبون بس أياما معدودة فكيف يكون ذلك فلو كنتم ابناء الله واحباءه لما عذبكم لأن الاب يشفق علي أبنائه ولايعذبهم وكذلك فإن المحب لايعذب محبوبه وقد استخدم الدليل المنطقي الذي لاينكروه فليس المراد هنا أن يرد عليهم بوقوع العذاب عليهم بسبب كفرهم لانهم لايعترفون به فلا يصلح للرد عليهم

وانما المراد به ما يعتقدون بحصوله في عقائدهم من العذاب سواء في الدنيا أو الاخره كما أوضحنا من قولهم (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)

والثاني

(بل أنتم بشر ممن خلق)

يقرر الحق بطلان ادعاء البنوه فهم مخلوقات من جملة البشر تسري عليكم احكام العدل والفضل مثل بقيه البشر مثل بقيه بني آدم

وأنه تعالى عادل لايحابي أحد فقال تعالى (يعفر لمن يشاء ويعذب من يشاء)

أنه تعالى عادل لايحابي أحد وقيام المغفره والعذاب عنده علي أصلها الواحد علي نسبتها الي أسبابها لاسبب بنوه أو صله شخصيه فإذا أتوا بأسباب المغفره غفر لهم الذنوب واذا أتوا بأسباب العذاب فقد استحقوا العذاب فهو سبحانه وتعالى الحاكم في عباده وهو فعال لما يريد ولامعقب لحكمه وهو سريع الحساب

ف الله سبحانه وتعالى ليس محتاجا لطاعه المطيع فلايزيد في ملكه شي مثلما أنه لاينقص من ملكه عصيان العاصي فقال تعالى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير)

فقد ورد النص فيه الاشاره الي حصر الملكيه لله وحده لما في السموات والأرض وما بينهما فهو المالك والمتصرف والمدير للكون ومافيهما فهو المستحق للعبوديه وحده لاشريك فالجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه ولن يستطيع أحد الإفلات من قهره فالجميع سوف يرجعون الي الله فيحكم بينهم وهو العادل الذي لايجور

المبحث الثالث

بعد أن تناولت النصوص مفاصد أهل الكتاب وكيف أن الانتماء لليهوديه والنصارنيه صار لأغراض المتاجرة بالاديان واكتساب الامتيازات فافترت تلك الظروف انتهازيون يتاجرون بالاديان وقد تعودوا علي تلك الأساليب في العمل الديني ولهذا لما جاء الإسلام لم يشعروا بالقدره علي تغيير قراءتهم للمطلب الرباني ولم يقبلوا أن ينطوي تحت الا سلام فلم يتفاعل هؤلاء الذين كانوا يظهرون أنفسهم أنهم أهل كتب سماويه وفضلوا أن يبقوا موصوفين بأنهم اهل دين انتهت مرحلته ولهذا يخاطبهم الله فقال تعالى (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم علي فتره من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير)

فالنداء (يا اهل الكتاب) يعني يا اهل التوراة يا اهل الانجيل أن استمرار هذه الصفه لازمه لكم تستوجب المبادرة الي الالتحاق بالإسلام فهو الدين المقبول عند الله بعد تعطيل العمل بالتوراه والإنجيل لانهم قالوا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الي الاسلام ما انزال الله من بعد التوراه كتابا فجاء الرد (قد جاءكم رسولنا يبين لكم علي فتره من الرسل)

اي يوضح لكم الاسلام والهدى وأمر الحلال والحرام والخلاص والسعاده الابديه ويرشدكم الي دين الله الذي ارتضاه الله لعباده يبين لكم ما استشكل عليكم من أمر دينكم

فَاللَّهُ يَقُولُ لَهُمْ عَلَيْكُمْ الْإِنْتِظَامُ فِي حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ وَتَحْتَ قِيَادَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ تَعَالَى (رَسُولُنَا) أَضَافَهُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلتَّشْرِيفِ وَالْإِيْدَانِ بِوَجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَإِنْ هَذَا لِرِعَايَةِ مَصَالِحِ عَمَلِ الْمُنْتَسِبِينَ لِحُرْكَه الْعَمَلِ الْإِيمَانِي فِي هَذَا الْإِنْتِظَامِ تَحْتَ قِيَادَتِهِ حَمَايَهُ لِحُرْكَه الْعَمَلِ الْإِيمَانِي مِنَ الْإِنْحِرَافِ وَمِنَ الْأَخْطَاءِ مَا سَبَقَ لِأَجْلِ تَوْفِيرِ مَنَاحٍ وَظُرُوفٍ جَدِيدَةٍ تَسْتَوْعِبُ الْحَاجَةَ لِلتَّغْيِيرِ فَلَا يَتَكَرَّرُ السَّيْرُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ مِنْ سَبَقٍ

فَقَالَ تَعَالَى (عَلِي فَتْرَهُ مِنَ الرَّسْلِ)

أَيُّ بَعْدِ انْقِطَاعِ الرَّسْلِ وَالرَّسَالَاتِ فَاسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ (فَتْرَهُ) لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْإِنْقِطَاعِ.. وَلَفْظِ فَتْرَهُ مِنَ الْفِتْرِ فَتْرَةُ فَتْرَةٍ يَفْتَرُ فَتْرًا إِذَا سَكَنَتْ حُرْكَتُهُ وَصَارَتْ أَقْلَ مَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ وَسَمِيَتْ الْمَدَّةُ بَيْنَ الْإِنْبِيَاءِ فَتْرَهُ لِفِتْرِ الدَّوْعِي لِلْعَمَلِ بِتِلْكَ الشَّرَائِعِ وَهَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ صَارُوا مَعزُولِينَ عَنِ حَقِيقَةِ الرَّسَالَاتِ وَأَنَّهُمْ أَنْتَهَتْ أَدْوَارَهُمْ وَوَجِبَ الْإِنْتِقَالُ إِلَى الْإِسْلَامِ

وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّسْلِ لِأَنَّ الرَّسْلَ كَانَتْ مَتَوَاتِرُهُ بَعْضُهَا أَثَرُ بَعْضِهَا إِلَى وَقْتِ رَفْعِ عِيسَى وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَوَاصِلٌ حَادَهُ بَيْنَ الْمَرَاكِلِ الْمَتَتَابِعَةِ لِلِاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَى تَتَابُعِهَا فَأَشَارَ إِلَى الْفِتْرِ لِبَيَانِ حَالِهِ الْجَمُودِ بَعْدَ انْقِطَاعِ الرَّسْلِ وَالرَّسَالَاتِ وَهُنَا ظَهَرَ ادْعَاءُ احْتِكَارِ الْحَقِيقَةِ بِمَا يَخَالِفُ الْحَقِيقَةَ أَصْلًا حَيْثُ تَحْوُلُ الدِّينَ إِلَى عُنْصُرٍ لِلتَّبَاهِي بِهِ فَلَمْ يَرْسَلْ مِنْ بَعْدِ رَفْعِ عِيسَى رَسُولٌ فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ هَذَا هُوَ رَسُولُنَا الَّذِي بَشَّرَكُمْ بِهِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ تَعَالَى (عَلِي فَتْرَهُ) انْقِطَاعِ الْوَحْيِ وَطُولِ مَدَّةِ الْإِنْقِطَاعِ الَّذِي فِيهِ فَسَادُ أُمُورِ دِينِكُمْ وَاخْتَلَطَتْ بِالْخُرَفَاتِ حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٠٠ عَامًا وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ ٥٤٠ سَنَةً وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ ٥٦٠ سَنَةً وَهُنَاكَ مَنْ قَالَ أَنَّهُ أَرْسَلَ أَرْبَعَةَ أَنْبِيَاءٍ بَعْدَ عِيسَى ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَاحِدًا مِنَ الْعَرَبِ وَالثَّلَاثَةُ هُمُ الْمَذْكُورِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ)

وَأَمَّا الَّذِي أَرْسَلَ إِلَى الْعَرَبِ فَهُوَ خَالِدُ بْنُ سَنَانَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نَبِيٌّ ضَيْعُهُ قَوْمُهُ)

وَقَصَهُ خَالِدُ بْنُ سَنَانَ أَنَّهُ كَانَ فِي عَدْنِ الْيَمَنِ وَأَنَّهُ خَرَجَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ مِنْ مَغَارِهِ فَاهْلَكَتِ الزَّرْعُ وَالضَّرْعُ فَاتَى إِلَيْهِ قَوْمُهُ فَأَخَذَ خَالِدٌ يَضْرِبُ تِلْكَ النَّارَ بَعْصَاهُ حَتَّى رَجَعَتْ هَارِبَةً مِنْهُ تَجَاهَ الْمَغَارَةَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ لِأَوْلَادِهِ سَوْفَ ادْخُلُ الْمَغَارَةَ وَاجْلِسْ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَامَةً فَلَاتَنَادُونِي حَتَّى تَنْتَهِيَ الْإَيَّامُ الثَّلَاثَةُ وَإِنْ لَمْ تَصْبِرُوا وَنَادَيْتُمْ فَإِنِّي سَوْفَ أَخْرَجُ وَأَمُوتُ فَصَبِرُوا يَوْمِينَ لَمْ يَنَادُوهُ فَاسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ فَنَادُوهُ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُ هَلَكَ فَخَرَجَ خَالِدٌ مِنَ الْمَغَارَةِ فِي رَأْسِهِ وَجَعٌ مِنْ صِيَّاحِهِمْ وَقَالَ ضَيْعَتُمُونِي وَأَضَعْتُمْ قَوْمِي وَوَصَيْتِي لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْبِرُوا حَتَّى تَنْقُضِي الثَّلَاثَةَ الْإَيَّامَ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَدْفِنُوهُ وَيَقْبُرُوهُ وَيَرْقُبُوهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِنَّهُ يَأْتِيهِمْ قَطِيعٌ مِنَ الْغَنَمِ يَتَقَدَّمُهُ حِمَارٌ مَقْطُوعٌ الذَّنْبُ ابْتِزًا إِذَا جَاءَ إِلَى قَبْرِهِ وَوَقَفَ فَلْيَنْبَشُوا قَبْرَهُ فَإِنَّهُ يَقُومُ وَيَخْبِرُهُمْ بِأَحْوَالِ الْبَرزِخِ وَالْعَرَبُ بِمَا عَيْنَ وَرُؤْيَاهُ فَانْتَظَرُوا أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى شَاهَدُوا قَطِيعَ الْغَنَمِ وَالْحِمَارَ مَقْطُوعَ الذَّنْبِ فَتَوَقَّفَ عِنْدَ قَبْرِهِ فَأَرَادَ قَوْمُهُ أَنْ يَنْفِذُوا وَصِيَّتَهُ وَيَنْبَشُوا قَبْرَهُ فَابِي أَوْلَادُهُ خَوْفًا مِنَ الْعَارِ لئَلَا يُقَالَ عَنْهُمْ أَوْلَادُ الْمُنْبُوشِ قَبْرَهُ فَحَمَلْتَهُمُ الْحَمِيَةَ الْجَاهِلِيَّةَ عَلَى ذَلِكَ فَضَيَعُوا وَصِيَّةَ خَالِدٍ وَأَضَاعُوهُ فَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَتْهُ ابْنَتُ خَالِدٍ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَرْحَبًا بِابْنَةِ نَبِيٍّ أَضَاعَهُ قَوْمُهُ)

فَخَالِدٌ إِذَا أَمْرُ قَوْمِهِ أَنْ يَنْبَشَ قَبْرَهُ لِيَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْبَرزِخِ فَيَدْرِكُ النَّاسَ صِدْقَ الرَّسْلِ بِمَا أَخْبَرُوا عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْقَبْرِ وَكَانَ خَالِدٌ يَعْلَمُ بِمَجِيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ رَحِمَهُ لِلْعَالَمِينَ وَلَمْ يَكُنْ خَالِدٌ رَسُولًا فَأَرَادَ أَنْ يَحْصَلَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي الرَّسَالَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ عَلَى حِظِّ وَافِرٍ وَلَمْ يَوْمَرْ بِالتَّبْلِيغِ فَأَرَادَ أَنْ يَحْظِيَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْبَرزِخِ بِذَلِكَ التَّبْلِيغِ فِي مَقَامِ الرَّسَالَةِ لِتَكُونَ أَقْوَى فِي الْعِلْمِ لِيَعْلَمَ قُوَّةَ عِلْمِهِ بِأَحْوَالِ الْبَرزِخِ فَاضَاعَهُ قَوْمُهُ حَسْبَمَا قَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ أَضَاعُوا وَصِيَّتَهُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغُوهُ مَرَادَهُ مِنْ إِخْبَارِ أَحْوَالِ الْقَبْرِ

وَلِهَذَا فَإِنَّ هَذَا لِأَيُّوْتَرِ الْإِنْقِطَاعِ الرَّسَالَاتِ وَالرَّسْلِ بَيْنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَذَكَرَ

التعليل (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)

اي إنما بعثنا لكم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد انقطاع ارسال الرسل حتي لاتعتذورا يوم القيامة أنه لم يرسل اليكم بعد أن انطمست اثار الشرائع السماوية السابقة وانقطعت اخبارها (أن تقولوا) اي حتي لاتقولوا أو كي لا تقولوا كما قال تعالى (يبين لكم إن تضلوا) أن لاتضلوا فهذه الجملة تعليل لقطع الأعدار واقامه الحجج فقال تعالى (فقد جاءكم بشير ونذير والله علي كل شي قدير)

حيث نجد أن إلقاء الفصيحه (فقد جاءكم) تدل أنه متعلق بمحذوف اي حتي لاتعتذورا بذلك وفي هذا امتنان من الله أنه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت كانوا أحوج ما يكونون له بعد أن انطمست اثار الوحي فجاء فيه التنوين للتفخيم (بشير ونذير) فلم يرسل بعد عيسى الالرسول صلى الله عليه وسلم فكان إرساله من أعظم النعم ورحمه الله وايضا تلزمهم الحجج فلا عذر لهم بأنه لم يرسل إليهم رسول من بعد عيسى فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (انا أولي الناس بعيسى ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي) والمراد بهذا نبي داع للخلق الي الله وشرعه وأما خالد بن سنان فقد أظهر بدعوه الأنبياء عن البرزخ الذي بعد الموت وما أظهر نبوته في الدنيا

وقوله تعالى (والله علي كل شي قدير)

ليبان انه قادر علي نصره دينه واعلاء كلمته ونصره نبيه صلى الله عليه وسلم

القسم الثالث

بعد أن تناولت النصوص بيان اخذ الميثاق من بني إسرائيل ونقضهم العهود وما أصابهم من اللعن والطرده والعذاب وما كان من نقض النصاري للعهد...ودعوته لهم أن يلتحقوا برسالة الإسلام ويؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم للخروج مما حل بهم وبين لهم أن الإسلام فيه سبل النجاه والسلامه والسعاده اذا اردوا الخروج مما هم فيه اذا اردوا تجاوز الازمات التي أحاطت بهم حتي يستعدوا دورهم في حمل المشروع الرباني وان في هذا اقامه الحجج عليهم حتي لايتعذروا أن طول مده الانقطاع بين الرسل كان سببا لانحرافهم فقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم وأقام عليهم الحجج وبعدها تاتي النصوص (واذقال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لا تترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال رب إني لا املك إلا نفسي وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمه عليهم اربعين سنه يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين)

اولا

لقد وردت الايات بعد بيان ميثاق بني إسرائيل والنصاري وكيف تعاملوا مع الميثاق فذكرت النصوص أنهم نقضوا الميثاق فاصابهم اللعن والطرده والعذاب والتمزق والعدواه إلي قيام الساعه بينهم ثم تناولت النصوص بعد ذلك دعوتهم الي الاسلام وأن الخلاص لما هم فيه هو بالانتظام في صفوف المسلمين فهذا هو الحل للخروج من ازمات العذاب التي حلت بهم فسبل السلام والهدايه والنجاه والفلاح والخروج من الازمات وظلمات الكفر والشرك هو بالا نتساب للإسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو الطريق اذا اردوا أن يستعدوا مكانتهم في حمل المشروع الرباني وان هذه الدعوه هي لقطع الأعدار واقامه الحجج عليهم حتي لايتعذروا أن طول مده انقطاع الرسل والرسالات هي السبب في ماهم فيه من الغفله فقد أرسل الله النبي صلى الله عليه وسلم للعالم أجمع ولهذا فلا عذر لهم ثم ذكرت النصوص قصه من واقع بني إسرائيل مع نبي الله موسى حيث نجد فيها الاتي

ابتدأت بقوله (وإذ) ظرفيه معطوفه علي ما قبلها اي واذكر يامحمد أو واذكر انت من تقرا القران إذ قال موسى ف الذكر هنا

يعين النبي صلى الله عليه وسلم علي احتمال

المبحث الأول

(اغراض ذكر هذه القصة)

الغرض الأول

ان الايات تضع بين أيدينا موقف من مواقف بني إسرائيل مع أنبياء الله الذين حملوا لهم النور والخير كيف قابلوا هذا الخير بالجحود والمكابره فالجمله مستنفاه مسوقه لبيان قبائح بني إسرائيل وموقفهم مع نبي الله موسى الذي انقذهم من فرعون وشاهدوا نعم الله ومعجزاته لتعريف الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بتمادي اليهود مع انبياءهم لبيان ان هذا السلوك قديم فيهم فهم قد اختلفوا علي انبياءهم وهذا فيه تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا لأن اليهود كانوا أشد من وقفوا في وجه الاسلام وتامروا مع المشركين ضد الإسلام واعلنوا العداء للإسلام منذو اللحظه الاولي وتولوا اثاره الشبهات حول الاسلام لصرف الناس عن الإسلام من خلال استغلا ل منزلتهم الدينيه في نظر الكثيرون وهذا الأمر قد احزن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم الذين كانوا يطمعون في ايمان اليهود لانهم أهل كتاب ولهذا نجد أن الله يذكر حلقه من قصه بني إسرائيل مع نبي الله موسى فيقول الله لاتطمعوا بإيمان هولاء ولاتحزنوا من تعاملهم وبعدهم عن الحق فانظروا كيف تعاملوا مع نبي الله موسى منقذهم من الرق والعبودية من قام بتحريبرهم من استعباد الفراعنه وجلب لهم الاستقلا ل ومع ذلك خالفوه أوامرهم ورفضوا طاعته فيما جاءهم به من أوامر من ربه ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابه حقيقه هولاء وان المكابره صار طبعيا وخالقا متاصلا فيهم فليس انكارهم للإسلام أمرا جديدا فهولاء طبعهم المرواغه ونوياهم سئيه وأهدافهم دائما تتعارض مع سنن الاجتماع البشري

الغرض الثاني

ان الحق يريد أن يعرف المسلمون حقيقه بني إسرائيل لأن الله يعلم أن المعركه الفكرية والعسكرية والاقتصادية وا لاجتماعية والثقافية فيما بين بني إسرائيل وبين المسلمين سوف تكون مستمره إلي قيام الساعه فكان من انعام الله علينا أن عرفنا باعداءنا وطريقه تفكيرهم وجوانب ضعفهم واساليبهم كي نتمكن من مواجهه هولاء الأعداء

المبحث الثاني

ان الحق يعيطننا هذه التجربه المرتبطه بتجربه لعاملين في حمل المشروع الرباني لنعيش هذه التجربه لتكون رصيذا لنا في حقل العمل فنحذر أن نقع في المزالق التي وقع فيها هولاء نحذر من اخلاق هولاء ونقضهم العهود و الموائيق فهذه التجربه كي نتمكن من علاج اي داء أو مرض يتسلل في صفوف المسلمين مثل الداء الذي حل بيني إسرائيل فالحق يعيطننا التجارب كي نستطيع أن نشخص الداء ونجد له الدواء ولهذا نجد أن الايه افتتحت بقوله تعالي (وإذ) هي ظرفيه اذكر حال موسى مع قومه اي اذكر يامحمد أو واذكر انت من تقرا القران في أي زمان عند ما قال موسى لقومه... الخ فالذكر هنا للقصة يهدف إلي استحضار أحوال هولاء القوم وهذا مما لاشك أنه يعين الداعيه علي مواجهه الازمات والتحديات التي تواجه الدعوه من هولاء الملاحده

ولهذا فإن الأمر هنا بالذكر يعني استحضار الوقت الذي قال فيه موسى لهولاء (ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

فإيجاب ذكر الوقت يعني إيجاب ذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني وهذا لا يكون إلا باستحضار ما وقع فيه كأنك حاضرا تشاهد تفاصيل ذلك عيان لتأخذوا العبره والعظه فموسي عليه السلام يخاطب قومه أن يتذكروا انعام الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود حيث انقذهم من فرعون وشاهدوا نعمه الله في البحر عندما اغرق فرعون وهامان وجنودهما وانقذ بني إسرائيل فهذه نعمه عظيمه وإخراجهم من ظلم الفراعنه فما هو الواجب علي هذه النعمه ؟

الأمر الأول

عليك ايه المومن أن تتذكر انعام الله التي انعم بها عليك لتشكر الله علي ما انعم عليك بالطاعه لله ونسب النعمه الي المنعم فموسي يذكرهم بنعمه مضت يحثهم بالقيام بواجب النعمه فالاصل أن انعام الله تجعلك تعرف الله وكماله وهذا يقود الي الشكر بطاعه الله والتقرب اليه بما يحب ويرضي فذكر الله مستلزم لمعرفة الله وشكره متضمن لطاعته يقول ابن القيم وهذان هما الغايه التي خلق لأجلها الانس والجن والسموات والأرض ووضع لاجلها الثواب والعقاب وانزل الكتب وأرسل الرسل وهي الحق الذي به خلفت السموات والأرض وما بينهما وضدها هو الباطل والعبث الذي يتعالي ويتقدس عنه فغايه الخلق والأمر أن يذكر الله وان يشكر يذكر تعالي فلا ينسي ويشكر فلا يكفر وهو سبحانه وتعالى ذاكر لمن ذكره وشاكر لمن شكره فذكره سبب لذكره وشكره سبب لزيادته من فضله فهو تعالي يقول (لئن شكرتم لازيدنكم)

ولهذا نفهم أن موسي عندما قال لهم (ياقوم اذكروا نعمه الله عليكم) قد شاهد أن هولاء لايرعون النعمه التي هم فيها ولايشعرون بمافتح الله عليهم من انعامه فهم لا يرون ما صار وا إليه من الحريه أنها نعمه ولايشكرون الله عليها ولايفرحون بالخالص من الفراعنه شاهد أنهم يتذمرون من مفارقه مصر ويسخطون ويعدون ما هم فيه مصيبه ولهذا استعمل موسي اسلوب التودد (ياقوم) يريد أن يغرس فيهم الشعور بأن أمرهم بهمهم فهو منهم وهم منه اضافه الي انه رسول الله وهو يقربهم منه بهذا النداء فأراد بهذا استجلاب القبول بنصيحته وموعظته لهم وهذا فيه أيضا تربيته المومنين بأن عليهم استخدام الألفاظ التي تستطيع أن تغزو القلوب ليحصل الاستجابه للدعوه فأراد موسي بهذا النداء معالجه خطر محقق بقومه عائدا عليهم من جحود النعمه لأن سنه الله أن ترك ذكر النعم وعدم شكر الله عليها يوجب الهلاك والضياع والعذاب والمؤخذه فالله يقول (ولئن كفرتم أن عذابي لشديد) ولهذا يحذيرهم موسي (ولا تتردوا على ادباركم فتقلبوا خاسرين)

الأمر الثاني

ان التذكير بانعام الله من قبل موسي لقومه قد تضمنت بيان ماهي هذه النعم (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

يخبرهم أن عليهم أن يتذكروا نعمه الله والمراد بها الاستماع لمنهج الله وأمره ونواهيته فذكر النعمه يقود الي الشكر ويودي الي خوف التقصير في أداء حقها وواجب النعمه فيسلبها الله عنهم فيستحي أن يستعمل النعمه في معصيه الله وبني إسرائيل قد انعم الله عليهم انعام كثيره من إنقاذهم من الفراعنه وبطشهم ونجاههم من الفراعنه وبطشهم ثم انعم عليهم بالعفو والصفح عن ما ارتكبوا من عباده العجل فالاصل أن هذه النعم تقودهم الي الايمان ب الله ب اليقين وان يصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويتبعوا الاسلام فالمنهج الذي يحقق مراد الله نعمه عظيمه

يذكر موسي قومه بنعمه أن الله جعل في بني إسرائيل أنبياء فلم يهملهم الله حيث أنه تعالي اصطفاء بني ابراهيم بذلك وبني إسحاق ويعقوب ولهذا فبرغم أن المده بين يوسف عليه السلام وبين موسي طويله فإن الله لم يتركهم فقد اصطفاء منهم موسي وهارون لإنقاذ بني إسرائيل من عبوديه الفراعنه وبطشهم فقد كانوا عبيدا لاحقوق ولا ملكيه لهم وتستحل أعراضهم من الفراعنه فانقاذهم الله بنعمه أنه جعل فيهم أنبياء فقد كان من غير الممكن الخلاص من الذل والهون والمسكنه الذي عاشه بني إسرائيل لولا تدخل القدره الالهيه فقال تعالي في سوره القصص (ان

فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعة يستضعف طائفه منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم أنه كان من المفسدين و نريد أن نمن علي الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمه ونجعلهم الوراثة ونمكن لهم)

فقد كان استنقاذهم من الفراعنة أمر مستحيل بمنطق المادة والقوه لولا تدخل القدره الالهيه من خلال ارسل موسي وهارون فهذا من انعام الله أنه جعل انبياءه فيهم

اضافه الي أن الله قد انعم علي بني اسرائيل أن جعل فيهم الانبياء حتي سيدنا المسيح عليه السلام ارسلهم الله لإ يقاظ بني اسرائيل من غفلتهم برغم أنهم كانوا يقتلون الانبياء وكانوا يخالفون أمر الله ومع ذلك كان الله يرسل إليهم رسل فقد قص الله علينا أنه أرسل إلي قوم منهم اثنين من الرسل فكذبوهما فقال تعالي (فعززنا بثالث) فلم يقل ارسلت لهم رسولا فكذبوا لقد ظلت نعمه الله تتوالي بإرسال الرسل لمدواه هولاء من امراضهم وهذه من انعام الله عليهم

مبيننا لهم أن النعمه الثانيه (وجعلكم ملوكا) ... فقد انعم الله عليهم بالحريه والكرامه والاستقلال وانقذهم من أسر الفراعنه حيث صاروا أحرارا بعد أن كانوا عبيد لدي الفراعنه حيث أن بني اسرائيل كانوا ينظرون إلي أن من كان له بيتا وخادما بأنه ملك نظرا لما عاشوه من الذل والهون والمسكنه ف الله يمن عليهم بنعمه الحريه فيقول اذكروا نعمه الله إذ جعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد ما كنتم في أيدي الفراعنه يستعبدونكم

والنعمه الثالثه (واتاكم ما لم يوت أحدا من العالمين)

اي اعطاءهم من النعم ما لم يعطي أحد من عالم زمانهم ولهذا نجد إدغام التنوين مع الميم في قوله (أحدا من) فأدخل الفضل في عالم زمانهم لاعالم كل زمان ولم يكن أوتي في ذلك الزمن من نعم الله وكرامته ماوتي بني إسرائيل فخرج الكلام عن سيدنا موسي عليه السلام علي ذلك لا علي جميع كل زمان ومن هذه النعم الإنقاذ من الفراعنه وانزال المن والسلوي والغمام وغيرها من النعم

المبحث الثالث

ان التذكير بالنعم كان مقدمه للحث علي تنفيذ أمر الله ودخول الأرض التي أمرهم الله أن يسكنوا فيها فاخراجهم من مصر كان بهدف إلي الانتقال الي ارض يعيشون فيه لتحكم التوراه حياتهم فلا بد من شعب وارض جغرافيا لمنهج الله فقال تعالي علي لسان موسي (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا علي اديباركم فتنقلبوا خاسرين)

النداء تعالوا معي نفتح بيت المقدس أو اريحا أو فلسطين والشام . فهي الارض الطاهره التي اختارها الله لتسكنوا فيها ويكون اقامه شرع الله في حياتكم ف الله كتب لكم ذلك بشرط أن تكونوا اهلا لهذه الأرض وبالوقوف علي ا لايه نجد فيها الاتي

الأمر الأول

يذكرهم بقرباه الدم والنسب (ياقوم) بعد إنقاذهم من الفراعنه وصار لهم ارده حره فموسي اتخذ من التذكير ب النعم السابقه مقدمه لنعمه جديده في المستقبل فكان تكرير النداء بالاضافه والتشريف (ياقوم) اهتمام بشأن الأ مر ومبالغه في حثهم علي الامتثال وهذا فيه تربيته للداعيه أن عليه استخدام وسائل وأساليب مرتبطه بواقع المخاطبين والقضيه المراد حثهم القيام بها لتتهيئه المناخ لتحقيق الهدف المراد تحقيقه

الأمر الثاني

وصف الأرض المامورين دخولها بأنها مقدسه اي مطهره ومباركه فمن الذي طهرها هو الله تعالي جعلها محل

استقرار الانبياء وجعلها مباركة فهي منزه بفعل الله

الأمر الثالث

طلب منهم أن يدخلوا الارض الطاهره التي فرض الله عليهم دخولها لإنقاذهم من الفراعنه فقال تعالي علي لسان موسى (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم)

استعمل تعدي كتب باللام ولم يتعدي بعلي للاشاره أن ما فرضه الله عليهم من دخول الأرض المقدسه فيه الخير لهم فما فرض ذلك إلا لأجلهم ولحفظهم ولهذا فإن قوله (كتب الله لكم) لاتعني الأمر الكوني بل الأمر الشرعي لا نه لو كان أمر كوني لما منعوا من دخولها بقوله تعالي (فإنها محرمة عليهم) فالكتابه تعني هنا الأمر كما قال تعالي (كتب عليكم الصيام) (كتب عليكم القتال) فالارداه هي شرعيه وليست ارداه كونييه فإن هم اطاعوا أمر الله كانوا اهلا لها وأن عصوا فإنهم لن يأخذونها وهي محرمة عليهم ... لماذا لأن الله قد أخبرنا في موضع آخر (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض لله يرثها عبادي الصالحين) وهؤلاء لم يعدوا صالحين ولهذا فلا صحه لما زعم اليهود أن ارض فلسطين هي أرض الميعاد لماذا لأن هنالك فرق بين الأمر الذي ورد من موسى هنا فهو كان بعدما انقذ بني إسرائيل من الفراعنه ولهذا جاء النص معين (الأرض المقدسة)

لان الأرض إذا أطلقت في النص فهي تعني الأرض كلها كما قال تعالي (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) في سوره الاسراء لم يحدد الأرض أي مكانها ليسكنوا إليه وقال تعالي أيضا (وقطعناهم في الأرض) هنا تشير الايه الي تقطيع بني إسرائيل في الأرض كلها اي فرقهم وشتتهم ولم يقل (اذنناهم) بل قطعناهم يقول الامام الشعراوي أي جعل بينهم اوصالا ولكن متفرقون في الأرض فأنت كلما دخلت أي بلد تجد احياء باسم اليهود مخصوصة فهم لا يذبون في المجتمعات اطلاقا فهذا هو حكم الله علي بني اسرائيل بعدما خالفوا الميثاق

أما الايه (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) فهذا أمر مرتبط بذلك الزمن بعد أن انقذهم الله من الفراعنه ولهذا جاء فيها تحديد الأرض بأن أسماها مقدسه اي مطهره بفعل الله ولهذا فإن اراده الله اراده شرعيه كما قلنا وليست اراده كونييه حتي يذهب اليهود الي القول فيما قالوا فلو كانت اراده كونييه لما قال (فإنها محرمة عليهم اربعين سنه)

وأما التطهير فالله قال (سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى الذي بركنا حوله) فقد جعل الله المسجد الأقصى طاهرا ومن مقدسات الاسلام... وقال تعالي (فإذا جاء وعد الاخره جئنا بكم لفيضا) أي سوف يجمعهم الله من جميع مناطق الأرض والله قد قال في بدايه السوره (وقضينا الي بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا)

والافساد هنا يكون في ارض تخص الاسلام ولايمكن القول إن ذلك متعلق بما حصل لهم علي يد بختنصر لماذا

لان الله يقول (فإذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار)

وكلمه وعد لاتاتي لشيء يسبق الكلام بل علي شي لم يأتي بعد وبنوختنصر سابق علي الوعد لأن الوعد لأمر في المستقبل وايضا أن الله قال (عباد لنا) أي مومنون وبنوختنصر ملك مشرك مجوسي

فالعبوديه هي سبيل القوه لنا والباس الذي نمنع فيه إفساد اليهود فإذا حصل تخلي المسلمون عن العباده تمكن اعدائهم منهم فقال تعالي (ثم رددنا لكم الكره عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا)

عندما يتخلي المسلم عن العبوديه لله فإن الله يسلط هؤلاء المفسدون عليهم ويمد اليهود بالمال وهذا ما هو مشاهد في عصرنا ويمدهم بقوه تنصرهم لانهم ضعفاء ولاقوه لهم إلا بالاعتماد علي الغير فنحن نلاحظ ان اقوي دول العالم تمدهم بالقوه

واذا وقفنا علي نص الايه في سوره الاسراء (فإذا جاء وعد الاخره ليسؤ وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مره وليتبروا ماعلوا تتبرأ)

من الموكد أن أول مره دخل المسلمون المسجد كان في عهد عمر بن الخطاب ولم يكن الحكم السياسي لبيت المقدس لليهود وانما الرومان ولهذا فإن الدخول الأول لم يكن نكايه باليهود فالوعد هنا شرعي وليس كوني

الأمر الثالث

ان الايه تبين لنا أن علي القائد أن يكون عارفا بأحوال الإبتاع وطريقه تفكيرهم وان يلتقط الإشارات المبكره عن رده فعل الإبتاع لما يأمرهم وأن يضع كل ذلك بالحسيان بحيث لايتفاجا برده الفعل ولهذا نجد أن موسي توقع من قومه أن يتخاذلوا عن تنفيذ الأمر فقال لهم محذرا من ذلك (ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين) انتبهوا من أي أسباب الخذلان التي تمنعكم من دخول الأرض التي فرضها الله عليكم

فهذا يدل أن موسي كان عالما بأحوال قومه وطريقة تفكيرهم ولهذا لم يدعوهم للدخول الي الارض المباركة التي فرضها الله عليهم مجردة بل ربطها بالنعم السابقه يذكرهم بماضيهم وايضا يبين لهم أن خروجهم من مصر كان له اهداف واضحه وهي اقامه دوله لهذا الشعب في الأرض المقدسة التي وعد هم الله بها وهي أرض فلسطين والأردن ودمشق وتمتد الي العراق والي دومه الجندل في الحجاز ومن الجنوب تصل الي رمل مصر والعريش ومن الغرب بحر الروم فذكرهم بالوعد الذي انبأهم به كما قال تعالي في سوره الاعراف (قالوا اودينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون)

وايضا لم يكتفي بتذكرهم بالنعم والاهداف التي ارسل موسي إليهم من أجلها بل جاء بالتحذير (ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين)

يبين لهم طبيعه المواجهه مع الخصم أنها ينبغي أن تكون وجهها لوجه فالدعوه الي الدخول فيها التقدم فانتبهوا من الاصطدام مع هذه الدعوه مثلما تنصدم الكره فترجع إلي الوراء لأن هذا يعني تخلي عن الأهداف العظيمة تخلي عن الكفاح والنضال الذي قد قطعوا فيه أشواطا من تحمل الان في مصر والصبر حتي اذن الله لهم بالخروج من مصر وماتبع ذلك من الرعايه الربانيه لهم وانقاذهم ولهذا فإن التعبير بالارتداد علي الادبار لها عده مفاهيم

١

ان موسي يريد أن يغرس فيهم الشعور بنعمه ما يدعوهم إليه فهو فيه الخير لهم فعليهم أن ينظروا الي الغايات وا لأهداف التي تحملها الدعوه لهم باقتحام الأرض ليسكنوا فيها ويقيموا شرع الله فيها لتكون هذه الأهداف نصب أعينهم لاتغيب عنهم ليعملوا علي تحقيقها لأن الرجوع عنها يكون المتقهقر كمن يمشي معكوس وعينيه مغلقة أو أنه ينظر إلي الدعوه أنها وحش مفترس فهم يسبغون إلي الوراء وابصارهم شاخصه ينظرون إلي الأمر الذي دعاهم إليه بأنه شي مخيف

٢

يقول لهم موسي أن المساله مصيره فانتم تقفون علي مفترق طريقين اما الانطلاق وتحقيق ما وعدكم الله من العز والتمكين والملك والرخاء والازدهار والرفاهية وأما الانكسار والرجوع إلي الوراء الي مصر اي يعودن الي الذل والهون والمسكنه في مصر والعبوديه فموسي بحثهم علي تشكيل فرق عمل مشترك لبناء الدوله فأراد موسي أن يصنع منهم فريقا وأمرهم بتحمل المسؤوليه والاستعداد للدخول فأراد بهذا يغرس في نفوسهم النفور من العوده الي الماضي البغيض فقال تعالي (فتنقلبوا خاسرين)

فالنصوص تضع بين أيدينا القاعده الاساسيه الفكرية التي تبني علي أساسها الجماعه المومنه فهي ينبغي أن تكره الرجوع الي الكفر كما تكره أن تقذف في النار فمعرفة الخير يكون بمعرفة الضد وهؤلاء قد ذاقوا مراره الاستعباد في مصر وذاقوا طعم الحرية ولهذا جاء ترتيب الخيبة والخسران علي الارتداد فدل هذا علي اهمية تربيته الجماعه علي الإيمان والطاعة والثقة بالله والعزم والتوكل علي الله لاستمرار التقدم فكانت المقدمه بتذكيرهم بانعام الله لتوفير قوه الصمود ومنع أي اختراق للخوف من قلوبهم فذكر الله تطمئن به القلوب فحب الله والمنهج الرباني الذي يحقق لهم الاطمئنان وبغض الكفر وأهله فأراد بهذا ازاله الهيبة من العدو لان الخوف مقرون بالخبية فأخبرهم أن الخوف من الجبابره سوف يعيدهم الي الذل والهون فاللحظه حرجه فيحذرهم من الارتداد عن الدين بالعصيان وعدم الوثوق بوعد الله فإن هذا فيه التفريط بالمكتسبات فتقبلوا بالخساره في الدنيا والآخرة لان من غضب لله غضب الله له وارضاه في الدنيا والآخرة أنها خساره ماكسبوا من عزه وكرامه فالبقاء علي العزه أمر يحتاج الي مشقه

ثانيا

مما سبق يتضح أن موسي ركز علي حشد القدرات المتاحة واراد أن يغرس تعظيم الشعور المشترك بين اعضاء المجموعه بالاطار التي تطرحها الازمه أمام انطلاق الجماعه فقام بالاخذ بالاسباب ومن ذلك جمع المعلومات عن العدو من خلال إرسال الجوسيس لرصد حركه العدو ونقاط الضعف فيهم ليكون سد الثغرات وقيل إن الذين أرسلهم موسي النقباء الاثنا عشر رجعوا فأخبروا موسي بقوه شعب الجبارين وانهم ضخام الأجساد واقوياء كما ذهبت الروايات الورده في بعض التفاسير ويبدو أن مصادرها الاسرائيليات المهم هنا لو أخذنا بهذا فإن هذا يدل علي اهمية التخطيط الجيد للمعركه وان تكون المعلومات الاستخبارية طي الكتمان فلا تخرج الي العلن حيث ذكر أن الجواسيس لما عادوا الي موسي واخبروه بما شاهدوا أمرهم أن يكتموا الخبر عن العوام فما الذي حدث أن عشره منهم خالفوا الأمر وقاموا بافشاء الخبر لبني إسرائيل عن قوه وضخامه الذين يقطنون في الأرض المقدسة وهم من بقايا قوم عاد والعمالقه وأن هنالك رجلا ن فقط منهم لم يخالفوا الأمر وهما يوشع بن نون وكالب وأن اذاعه البقيه لما شاهدوا أصاب بني إسرائيل بالوهن والضعف ولهذا بدوا يتذمرون فقال تعالي وصفا ذلك الواقع بقوله تعالي (قالوا ياموسى أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلا ن من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن

كنتم مؤمنين)

المبحث الأول

ترسم لنا النصوص خطوره مرض القلوب عندما تباعد عن ذكر الله فهذا الداء اخطر اختراق يقتل القدرات من الداخل فهذا الداء في غايه الخطوره لانه يفتح ثغره تمنح الازمه قوه اختراق في كيان البناء تحول الموسسه الي كيان هش يسوده الفوضى والاضطراب وهذا يودي الي القضاء علي عناصر القوه لاي امه في مواجهه التحديات (الثقه بالقدرات _ تكوين فريق عمل مشترك _ أن تكون القيادة مصدر إلهام)

حيث نجد في رد هؤلاء ما فيه قتل لتلك العناصر كما يتضح من الآتي

1

ان الرد والجواب منهم علي دعوه موسي لهم لما فيه الخير لهم يدل علي السفاهه وعدم احترام القيادة (موسى عليه السلام) فلم ينظروا إليه أنه مصدر الهام فهو دعاهم (ياقوم) صيغه فيها تودد وتلطف وهم يردون في غلظه وجفاء واستعلاء فقالوا (ياموسى)

فهذا فيه وقاحه وجبن ونذاله

٢

أنهم غير واثقين بقدرتهم فآخبروا موسى أنهم لاطاقه لهم بدخول الأرض المقدسة التي أمرهم موسى أن يدخلوها وذكروا العله (أن فيها قوما جبارين).

فقد صح ماتوقع موسى منهم فهم منهزمون قد تغللت الهزيمة في قلوبهم وسيطرت علي نفوسهم فقرروا أنهم لن يدخلوها فسبب ووصفوا اعدائهم بأنهم جبارين اي أقوىاء فدل هذا أن شعورهم بضعفهم أمام الخصم اي فلا قدره لنا لمنازلتهم وسموهم جبارين لبيان شدة قوه الخصم بأنهم يجبرون غيرهم لارذتهم ويخضعونهم

لما يريدون وأكدوا عدم الثقة بقدراتهم أن قولوا (وان لن ندخلها حتى يخرجوا منها) فاكذوا النفي بقولهم لن وجعلوا الغايه أن يخرج منها الأقوياء

و قالوا ليتنا ماتركنا مصر قبل أن نموت في هذه البريه ليتنا لم ندخل هذه الأرض وأن الرجل منهم كان يقول هل يوجد من يعود بنا الي مصر

٣

فقد أراد موسى أن يكون منهم فريق عمل مشترك وان يساهموا في تحقيق الهدف والغاية التي كان خروجهم من مصر لأجلها لكنهم رفضوا تكوين فريق عمل مشترك للقيام بالمهمة وتمردوا لما غلب عليهم من الذل والضعف نتيجة الاستعباد الطويل في مصر ولهذا تمردوا وحاولوا الرجوع الي مصر وقالوا أنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها وأكدوا ذلك فقالوا (فإن يخرجوا منها فإننا داخلون) فدل هذا علي منتهي الضعف وخور النفوس والعزائم فهم لا يريدون استعمال قواهم البدنيه والعقليه ولا أن يأخذوا بالاسباب فهم يريدون ان يعيشوا بالخوراق فيقولون إن قبل هولاء أن يخرجوا منها من أنفسهم وبدون سبب منا فسوف ندخلها حينئذ فقط سوف ندخل ف الله يذم من يرفض استخدام قدرته المتاحه والأسباب لمواجهه الازمات والتحديات فلا تنتظروا الخوراق والكرامات دون بذل الجهد فهذا هو سلوك الاطفال وأمانى الصبيان ولاتليق بالرجال

المبحث الثاني

ا (قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

(من هما الرجلان المنسوب لهما القول)

الاراء متعدده ولهذا سوف نبين هذه الآراء وأدلتها

من العلماء من قال إن الرجلان هما يوشع بن نون وكالب

فهما عندما رجعا الي قومهما خافوا مخالفه الأمر الذي أمرهم به موسى خافوا مخالفه أمر الله فقد انعم الله عليهما بالهداية والصلاح والتوفيق والثبات والطاعه والوقوف علي أمر الله تعالى والثقه بوعده فهذه هي صفه الرجلان فقالوا للناس لاتخشوا العمالقه فهم ضعاف القلوب فماعليكم إلا أن تهجموا عليهم في المضايق وان تقتحموا عليهم الباب فجاءه وتمنعوهم من البروز الي الصحراء فإنكم أن فعلتم ذلك فإنكم غالبون

ومنهم من قال إن الرجلان هما من قوم الجبارين اي من القوم الذين يخافونهم بني إسرائيل فقد انعم الله عليهما ب الإيمان فأراد بهذا بيان أن الأمم التي تمارس الشر لايمتنع فيها وجود عناصر الخير حتي لاتنطمس معالم الخير

فهؤلاء رزقوا الفهم من الله فقالا لبني إسرائيل عليكم أن تبدلوا ما في طاقاتكم بدخول الأرض وسوف ينصركم الله

أما الرأي الثالث :-

قالوا إن الرجلان هما موسي وهارون واستدلوا بالاتي

١

ان الرد من بني إسرائيل بعد هذا كان (قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها) فلو كان اللذان دعوها غير موسي وهارون لما كان ردهما موجها الي موسي فقد كان يكفي أن يقولوا أنا لن ندخلها أبدا..الخ

وأما أن يكون الرد موجها لموسي فهذا يدل أن الرجلان هما موسي وهارون ولم يوجه الرد لهما معا لأن موسي هو رجل الموقف وهارون كان ظهيرا له

٢

ان موسي قال (رب إنني لا املك إلا نفسي وأخى) وهذا القول قاطع بأنه لم يكن من القوم من استجاب لموسي فقال تعالي علي لسان موسي (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فكان هو وهارون جبهه وبقية القوم جبهه فلو كان هنالك آخريين معه لما قال لا املك ..

٣

ان النص جاء فيه (قال رجلان الي قوله (ادخلوا عليهم الباب ... الخ

وهذا الوعد بالنصر لا يكون إلا عن علم سماوي وهذا لا يكون إلا من نبي ورد الفريق الآخر أن قول يوشع بن نون وكالب لقومهما ذلك كان ثقة بنبوه موسي وثقه بوعد الله وان موسي لم يذكرهما لانه لم يعد يثق بأحد بعدما شاهد منهم ما حصل فلم يعد يضمن الا نفسه وأخيه

الأمر الثاني (المفاهيم في الايه)

المفهوم الاول

تبين النصوص أن العلم الحقيقي هو ذلك العلم الذي يكون مقرونا بالخشيه من الله فالله يقول في موضع آخر (إنما يخشي الله من عباده العلماء) فكل من خشيه واطاعه وترك معصيته فهو عالم فيقول الله في موضع آخر (أمن هو فأتت اناء الليل ساجدا وقائما ويرجوا رحمه ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فالعلم يوجب الخشيه الحامله علي فعل الحسنات وترك السيئات فمن لم يكن عالما ب الله فهو لا يترك السيئات ولا يتحرك لما فيه الخير له في الدنيا والآخرة

المفهوم الثاني

تبين النصوص ضروره تحويل الموقف السلبي الي إيجابي وان هذا يكون بقوه الايمان والعزم والتوكل على الله بعد الأخذ بالاسباب فقال الرجلان لبني إسرائيل خذوا بالاسباب في مباغته القوم بأن تدخلوا عليهم الباب واقتحموا المدينة فان فعلتم ذلك فإن الله سوف ينصركم فعليكم إن تثقوا ب الله ووعدده فلا تحسبوا حساب العدد والعدده فالله معكم وهو تعالي وعد بنصر أوليائه فقال تعالي في موضع آخر (وان جندنا لهم الغالبون) وقال في موضع آخر أيضا (أن تنصروا الله ينصركم)

المفهوم الثالث

إن اثبات والصدود يكون بقوة الإيمان والعزم والاعتماد علي الله (وعلي الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) يشجعون قومهم علي المضي في تنفيذ أمر الله والتوكل علي الله إن كنتم واثقون بالله وتحقيق وعده مع الأخذ بالاسباب فهذه هي قوه التفوق التي حققت الصدود للمؤمنين في كل معركهم لأن المعركة هي معركة اراده كما حصل في غزوه الاحزاب

المفهوم الرابع

إن اللازم علي كل داعيه أن يقتحم الابواب المغلقه فلا تتركوا الساحات لأعداء الاسلام وتجلسوا في المساجد امثال الذين تصوروا أن التدين يكمن في الصلاه والانعزال في زوايا المساجد ويحدث غياب أهل الإيمان في مجالات عديده وساحات العمل العام لا يأمرون بالمعروف ولا ينهاون عن المنكر فالاعداء سوف يحاولون اغلاق الابواب علي أهل الخير سوف يوصدون الابواب يريدون أن يعيش أهل الدعوة في عزله وانطواء من خلال اغلاق الابواب عليهم فالداعيه الي سبيل الله عليه الي فتح الابواب المغلقه ولو كان علي عتابها الجبابره ولو كان من يحراسها العتاه الطغاه فالواجب علي حمله المشروع الرباني الوصول إلي الابواب المغلقه واقتحامها بكل سبل متاحه ليقذفوا الحق علي الباطل فيفتح الأبواب التي صنعها الطغاه علي القلوب والعقول لصدوا أمام دعوه الحق ف الله أوحى لموسي أن يبلغ المؤمنين أن عليهم أن يدخلوا الارض المقدسه مهما اشتدت عليهم الظروف فلا يقفوا عاجزين فخشيته الله قوه وسماها الله نعمه فقال تعالي (قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما) فالخوف نعمه فقد علم أهل الخشبية مواضع الضعف من مواطن القوه فأهل العلم هم أهل الخشبه ف الله يقول في موضع آخر (إنما

يخشي الله من عباده العلماء) يقول ابراهيم بن زيد الكيلاني

في كتاب الامه العدد(١٣١) ان اقتحام الابواب سنه دعويه ومقصد ضروري

أنها سنه دعويه لقوله تعالي (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون) فمطلوب الدعوه إذن اقتحام الابواب المغلقه

كل الابواب المغلقه مما يستدعي وجود الدعاه والعاملين للإسلام أو بالإسلام في كل ساحه وباحه ومكان وميدان وبيت وناد وشارع وطريق في كل وزاره أو مصلحه أو موسسه أو مصنع او بنك أو لجنه أو مجلس فلا يلتقي ثلاثه ليس فيهم أحدهم الا ابدأ التقصير وشأن وما اجتمعت طائفه من الناس غاب فيه أحدهم الا زاد القصور وبأن مهما كان حالهم ومهما تفاوت درجات عطائهم ونفعهم وجهادهم واجتهادهم ومهما كانت مراتبهم في الفقه والدعوه لا بد من حضورهم وشهودهم بل ان اقتحام الابواب المغلقه لولوج كل ساحه ومقصد ضروري وذلك من وجوه

أولها؛_ خلو هذه الساحات والميادين في ارض الله ومجتمعات الناس عن التحقق بالإسلام إذ انفراد الشيطان واوليائه بساحه تفريغ لها من الخير والحق وضياع للدين وحفظ الدين مقصد ضروري

الثاني

خصر الدعوه والعمل في جانب أو ركن قصي ولو كان عرصه الجامع فهذا انحصار للإسلام واقصاءه عن حياه الناس وهمومهم والاسلام معني جامع لكل مافيه الحياه كما قال تعالي (ياايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)

فاخراج شأن مما يحيي الناس لا يقبله الاسلام لانه سلب لصلاحيته وجز لصلاحه وتنقيص لمهامه وذلك الرهبانيه

ولارهبانيه في الإسلام

الثالث

ان الحق أما أن يكون موجودا في كل مكان أو يجاء به لأن الحق إذا جاء زهق الباطل ونفي الباطل وإزالته ضروري

الرابع

تخفيف وطأة المخالفه للشرع أو اخمال تعاليم الاسلام وادابه بوجود حمله الحق الموافقين لمطلوب الشرع الملتمزمين بتعاليمه

الخامس

ان كذف الحق علي الباطل هو هدي الإسلام ومقصود الدعوه ولن يقوم به ولن يجيده الا حمله الحق فكان وجودهم اينما وجد الباطل مطلبا ضروريا

السادس

ان وجودهم في كل موقع يطعهم القدره علي تشخيص علل التدين وأمراض المجتمع وبالتالي القدره علي توصيف العلاج وتقدير المواقف والتعرف علي المداخل وانتقاء الوسائل في استقطاب الجماهير

المفهوم الخامس

اهميه المباغته في الحرب لأنها مهاره تستخدم لغرض التشويش علي الاعداء وتمنعهم من التفكير فهذه من أهم المهاره العسكريه والتخطيط الحربي الذي جاء به الإسلام فهذه الخطه توقع عنصر المفاجاه الذي يحدث الإرباك في صفوف الاعداء

ثالثا

تاتي النصوص مبينه إصرار وعناد بني إسرائيل وتمردهم فلم تنفع معهم الموعظه التي حاول الرجلان أن يشجعوهم علي النهوض والقيام بما أمرهم الله فقال تعالي (قالوا ياموسى أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

أنهم لن يدخلها مدي حياتهم فما دام هولاء الجبارين موجودون فنحن لاطاقه لنا بهم ولهذا لن ندخلها ابدا فقد نفوا دخولهم علي وجه التأييد (ماداموا فيها)

يعني لاترهق نفسك فنحن لن ندخلها مادام فيها العمالقه فقالوا بعدها (فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

وهذا فيه بيان الآتي

الأمر الأول

ان هولاء لم يؤمنوا حقيقه وإيمانهم منقوص من جانب الاستعانه والتوكل لان النصوص تبين أنهم عاجزون وقد بلغ بهم الخوف والجبن مبلغا جعلهم مغلوبون مع عدوهم الباطني والظاهري ولهذا لم يفهموا ما أخبرهم به الرجلان عندما قالوا(فتوكلوا علي الله إن كنتم مؤمنين) فالرجلان قد أخبرهما ان إيمانهم منقوص من جانب الاستعانه و التوكل فاخبروهم أن هذا الحال يخرجهم أن دائره الايمان وان كان قصدهم حسن فهم لايعرفون السبيل الموصل

لله والطريق المفضي إليه فعليهم أن يتوكلوا ويعتمدوا على الله ولهذا تصور لنا النصوص أنهم لم ينتفعوا بـ
الموعظه مبينه ردهم (قالوا ياموسي أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

فدل هذا أن الخوف من قوه الأعداء قد غلبهم لدرجة السخريه من قوه الرب الذي طلب منهم الاعتماد عليها والا
ستعانة بها فقالوا (اذهب انت وربك فقاتلا) فاستعمل لفظ الربوبيه لانه طلب منهم التوكل والاستعانة بالله وهذا
من أفعال الربوبيه فكان تقدير الكلام أنهم لم ينتفعوا بالموعظه التي كان حثهم عليها ليكون كمال الإيمان فكان
تقدير الكلام اي ان صحت عزيمة علي ذلك وصح ما تقول إن الاستعانه بالرب هي الطريق الموصل الي النصر
فاستعين انت بربك وقاتلا انت وربك قوم الجبارين ونحن لن نرجع الي مصر وسوف نقعد في هذا المكان
منتظرين لنشاهد النتيجة فإذا حصل ما ذكرت صدقنا ما تدعونا إليه

الأمر الثاني

تبين النصوص أن فطره هولاء قد افسدتها حياه النذل والهون والمسكنه في مصر ولهذا لم تنفع معهم الموعظه فـ
الشاعر العربي يقول لاتشتري العبد الا والعصا معه ..لأن من يعيش حياه الرق يفقد الاداب ولايحترم النظام الا
خوف سطوه العصا ولهذا فإن هذا القول منهم يدل علي منتهي الجفاء والبعد عن الاداب وهذا ليس أمر جديدا
عليهم فقد قالوا (ارنا الله جهره) وعبدوا العجل وقتلوا الانبياء وقد قص علينا القران الكثير من فساد هولاء الناس
ليبان قيمه الحريه في حياه الأمم فهم عديمي المسئولية

ولهذا فقد جهلوا حقيقه التوكل والاستعانة بالله فهم عندما أصروا بعدم تنفيذ الأمر فقالوا (ياموسي أنا لن ندخلها
أبدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)

قالوا ما قالوا بأنهم لن يدخلوا الارض حتي يخرج منها قوم الجبارين من أنفسهم دون أن يكون ذلك بسبب منهم
فقولهم (فاذهب) الفاء مفسحه اي اذا كان الأمر مثلما قلت فلتنذهب انت وربك فقاتلا فدل هذا على الاتي

المساله الاولى

الاستهانه والاستهزاء منهم برسول الله وعدم مبالاه منهم فقد قصدوا ذهابهما حقيقه كما بين عنه غايه جهلهم
فكلمه اذهب صدرت منهم علي سبيل السخريه كما شاهدنا أحد الزعماء العرب يقول لمن تحمس لقتال اليهود في
فلسطين (تعال خذ حته ارض من عندنا ورحت تقتالهم انت وجيشك) يعني انه عاجز
فالاستهزاء ناتج عن عدم الشعور بالمسئولية وقد ترتب علي هذا عدم الانتفاع من النعم والايات التي شاهدوها من
إغراق فرعون والتي ذكرهم بها موسي في مطلع القصة (اذكروا نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكا وءاتاكم مالم يوت أحدا من العالمين)

فدل هذا أن هولاء لم يتلقوا الآيات بجديه ولم يتاملوا الي ما طلب منهم موسي أن يتذكروه فلو تاملوا بجديه ولو
شعروا بالمسئليه لكان منهم اختيار ماهو احسن وافضل فالله يقول (وماهو بالهزل)

(فخذها بقوه وأمر قومك يأخذوا باحسنها)

فالاستهزاء يفسد التصور ويعمي عن رؤيه الحقيقه فبرغم أن الله عندما أخذ عليهم الميثاق قد أمرهم باخذه بقوه
فقال تعالي (وإذ نطقنا الجبل فوقهم كأنه ظله خذوا ما اتيناكم بقوه)

فإن هولاء بعد انقشاع ما كانوا فيه من شدائد نسوا ذلك لأنهم لم يتعاملوا مع العهد بجديه كما أمرهم الله لأن من
ضمن العهد أن يدخلوا الارض المقدسه ولهذا لم ينتفعوا من كل الفرص والموعظ

المسأله الثانيه

ان الايات تبين ان الهزل قد جعلهم عديمي الفائدة وافقدتهم قدره علي معرفه الضابط الذي يجدون فيه معونه الرب فقد قادهم هذا الطبع القبيح الي القول الغير محسوب النتائج فوصفوا الرب بالذهاب والانتقال وهو متعال عن ذلك فقد كان غلاظه الحس سببا لما اتصفوا به من التشبيه فنظروا الي الخالق سبحانه وتعالى بنفس ما ينظرون الي المخلوق فكان هذا الخلل الذي افسد تفكيرهم وإهمال اعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به والطاعه له فالاستهزاء داء خطير يولد حماقه والجهل بالنتائج ويوجب نتيجته حتميه وهي وقوع العذاب الذي كانوا يسخرون منه كما قال تعالى في موضع آخر (ولكني اراكم قوما تجهلون)

والاستهزاء يقلل من قيمه الإنسان لنفسه فهو ينزل الي مرتبه ادني من الحيوان لانه يتصل من المسؤوليه التي علي عاتقه والتي تميزه عن الحيوان ولهذا أخبرهم الرجلان أن المسؤوليه عن النعم والإختيار بشرف حمل الامانه توجب عليهم التعامل مع ما يدور حولهم وما أمرهم الله به ففي ذلك رفع لشانهم فاللازم عليهم القيام بأمر الله وان عليهم وضع النقاط علي الحروف والخروج من دائره الجهل والحماقه والذل فالمسؤوليه الناتجه عن الإيمان بالله ورسوله توجب عليهم الانطلاق من قاعده الايمان وان يكون لديهم ميزان ضابط للأشياء فالله يقول (اوفوا بالعقود) فانت مكلف بالقيام بواجب الخلافه وعلي عاتقكم مسؤوليه عظيمه لابد أن تبدلوا مجهودا للقيام بهذا الأمر فتوكلوا علي الله

رابعا

ان هولاء قالوا ما قالوا أنهم لن يدخلوها الا بعد أن يخرج منها الأقوياء من دون سبب منهم وهو ما عرف أن هولاء يريدون أن يعيشوا بالخوراق ولاشك أن امه كهذه لا تستحق أن تمتع بنعيم الاستقلال وان تحيا حياه العزه و الكرامه ولهذا قال تعالى (قال رب اني لا املك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)

القائل موسي عليه السلام شاكيا الي ربه تمرد قومه ومعتذرا له ما كان منهم فقال إنه لا يملك أمر أحد يحمله علي طاعه أمر الله الا نفسه وأخيه فهو لا يثق بأحد أن يطيع الله في العسر واليسر والمنشط والمكره بعد أن أخبروه (انا ها هنا قاعدون) فهذه الكلمه دلت علي خسه نفوسهم وعدم رغبتهم علي الحركه فهم لا ارده لهم لأن النفوس قد تبدلت فهي لا تنظر الي نوع الحياه التي تحيها لان الاراده والعمل من لوازم النفس فإذا كانت تعلم ما ينفعها فإن النفس السليمه لابد أن تتحرك لما ينفعها فإذا لم تبالي بنوع الحياه ولم تطلب الحياه النافعه التي خلقت لأجلها فإن حياه هولاء من جنس البهائم فهي عديمه الاحساس لأنها لم تطلب الحياه التي تنتفع بها ولهذا نجد أن موسي يطلب من الله بدعائه (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين)

والفرق هنا الفصل بين الشيبين فموسي إدراك أن مقابله أمر الله من هولاء بالخروج عن الطاعه وجحود النعم التي انعم الله بها عليهم من إغراق فرعون وهامان وجنودهما وانقاذهم وغيرها من النعم توجب العذاب ولهذا طلب من الله أن يفصل بينهم وبين هولاء الخارجون في الحكم فلا يعاقبهم بما فعلوا

فجاء الحكم من الله (قال فإنها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علي القوم الفاسقين)

وهذا فيه

١

اخبر الله نبيه موسي عليه السلام أن الأرض المقدسة محرمة وممنوعه عنهم لا يدخلونها بسبب خروجهم عن طاعه الله ورسوله

فهذه عقوبه لهم فالتحريم هنا عقاب لهم بأن يعيشوا اربعين سنة في تردد وليس تحريم بمعنى التكليف الشرعي

فإنها) إلقاء لترتيب العقوبه فذكر التيه اربعين سنه والتهيه من التحير والتردد فضرب عليهم التيه في الصحراء اربعين سنه تأديب وعقوبه لهم ومدته ذلك اربعين سنه

وحكمه ذلك هو أن ينشئ جيل جديد غير هذا الجيل الذي تربى علي الذل والهون والمسكنه في مصر

يأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن لا يحزن علي التيه الذي عوقب به هولاء القوم الذين سماهم الله الفاسقين وفي هذا لفت انتباه السامعين في كل زمان أن التيه عقاب الجبناء الذين لا يقفون أمام الطغاه ويقبلون بحياه الذل ف الله يقول لنا انتبهوا أن تنازل عن كرامتكم وحريتكم لأن الشعوب التي تقبل بحياه الذل والاستعباد تذهب اخلا قها ويذهب باسها وتضرب عليها الذل والهون والمسكنه فهم لا يمكن أن تبني بهم دوله الحق فهم اذا وجد من يحاول أن يساعدهم لمقاومه الظلم يتقاعسون ويفقون حجر عثره وعائقا أمام حريتهم لأن نظام الذل يفسد طباعهم فانظروا الي حال هولاء فبرغم ما انعم الله عليهم من الإنقاذ من الفراعنه ومع ذلك فقد رفضوا القتال والا نتقال الي الأرض التي فيها سعادتهم وقد فضلوا العوده الي حياه الذل والهون والمسكنه في مصر ولهذا فإن اقامه دوله الحق تتطلب تحرير الإنسان قبل تحرير الأرض لان ارض دوله التوحيد ينبغي أن تكون طاهره وطاقتها تتطلب أن يتطهر الإنسان من الشرك والدنس بأنواعه ولهذا فإن أول طهاره لروح الإنسان إنما يكون بالتوحيد وطهاره نفسه من الخبث وان يتخلص من كل ما يستبعد الإنسان من الهه فلا بد من تحرير الإنسان فهذا هو معني (لا اله الا الله) فلا بد أن يسبقها التخلص من كافه الأصنام وتحرر فلا تخاف الا الله وهذا يتضمن أمرين اياك نعبد واياك نستعين

والايمان باليقين الذي يعنى الثقه بالله وبالرسول لتنتقل في الكون واعمار الأرض دون وجود ضغوط تمنع الحركه فالنفس اذا خامرها ميل الي الأمر فإنها تقبل عليه وهذا لا يكون إلا بالثقه بالمصدر وهذا ما قاله الرجلان (فتوكلوا علي الله أن كنتم مؤمنين)

ولهذا يحصل الاطمئنان بالله ووعدده فهذه هي الطهاره التي تسبق تطهير الأرض ولهذا فإن وجود الاوساخ في نفوس البشر فإن هولاء ليسوا أهلا لبناء الأرض ولذلك أخبرنا الله أنه عاقب اولئك بالدوران حول أنفسهم (يتيهون في الأرض) وان هولاء لا يستحقون ان تحزن لما أصابهم من التيه (فلا تأس علي القوم الفاسقين)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث. من سورة المائدة

(وائل عليهم تبا ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف سورى سوءه أخيه قال يويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون إنما جزوا الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون أن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويفغر لمن يشاء والله علي كل شيء قدير)

القسم الاول

هذا القسم تناول قصة ابني ادم (قاييل و هابيل) الذي ذكر أن الإخوان قدم قربانا لله تعالى فتقبل الله قربان أحدهما ولم يتقبل من قاييل عندها اشتد غيظ و غضب قاييل نتيجة الحسد فقام بتهديد أخاه بالقتل فقال لا قتلنك ..وبعض الرواه قالوا إن لقاييل اخت جميله وان لهابيل اخت ذميمه الشكل لأن حواء كانت تحمل توأمان في جبه من بطنها وتومان في الجبه الأخرى ليكون تزويج الذكر من التوام الأول بالانثي من التوام الثاني و العكس ... الخ مازكرت الروايات ... فكانت هذه اول جريمه قتل في الأرض ولاجلها كان التشديد في جريمه القتل وأحكامها كما يتضح من الآيات

قال تعالي

(وائل عليهم نبا ابني آدم إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوري سوءه أخيه قال يويلتى اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين)

اولا

(مناسبة الآيات بما قبلها)

ابتدأت الايه الكريمة بقوله تعالي (وائل عليهم نبا ابني ادم بالحق)

والخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم يا اكرم خلق الله قصة ابني ادم قاييل و هابيل و حديثهم وهي معطوفه علي ما قبلها بالواو(وائل) اي قص عليهم بالقصه التي جرت علي ابني ادم بالحق فمن

هم المراد أن يتلو عليهم هذه القصة هل هم اليهود الذين هموا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما همو أن يبسطوا إليهم أيديهم ؟ ام المراد بهم المسلمون ؟

اعلم أن الابه الكريمه تخاطب الجميع لتعدد أغراضها كونها جاءت معطوفه علي ما قبلها كما أوضحنا ولهذا فهي مقدمه لما بعدها من مقاصد حفظ النفس والمال والعرض والنظام والحق والعدل ولما فيه من العبره ولهذا فإنه ب الوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

الأمر الأول

ان الايات تضع بين أيدينا نموذجان لتقسيم الناس أهل الخير وأهل الشر أهل الحق وأهل الباطل ويخبرنا الله أن هذا التقسيم يعود إلي بدايه فجر البشريه فقال تعالي (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق) فذكر ان أطراف هذا البناء العظيم الذي أمر الله رسوله أن يخبر الناس قصتهما هما ابني ادم اي من صلبه لامن ذريته من بني إسرائيل لأن الله يتعالي أن يخاطب عباده بما لايفيدهم به فأنده فالمخاطبون يعلمون أن تقرب القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم دون بقيه سائر الخلق وطالما أن هذا معلوم عندهم ولهذا فلا بد أن يكون لذكرهم بأنهم ابناء ادم الا فأنده أنهم لصلبه والا فما فائدة هذه الكنايه في مخاطبة العباد لو كان مراد به أنهم من ذريته وكذلك لا يخفي علي أحد أن بني إسرائيل كانوا يعلمون كيف يدفن الميت فلم يكونوا يجهلون ذلك ولهذا فالله يضع بين أيدينا نموذجان ليقول لنا أنه منذ فجر البشريه قد جعل الله للخير اهلا وأنصار وجعل للشر اهلا وأنصار حيث كان اعتبار ادم مشروع والخير ومدرسته واعتبار ابليس مؤسس مدرسه الشر عندما رفض القبول بأمر الله وابوه مدرسه الشر الا نونه (انا خير منه) وباعثه الحسد والكبر . وابواه مدرسه الخير هو المنهج الرباني (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون)

فالمنهج الرباني فيه السعاده والسلامه والاطمئنان والعيش في جنه الايمان في الدنيا قبل الآخرة وان مخالفه المنهج وعصيان أمر الله يعني فقدان القوي العقليه المنطقيه والعيش في التخبط والقلق والتوتر والتهيه والضياع والخوف من المستقبل وهذا هو التيه المذكور في الابه السابقه فهو عذاب مصدره غضب الله وسخطه ووفقا لهذا المعيار يمكن التمييز بين النوعين لكن نتيجه كثافه ضبايهه الرؤيه التي تعمي الناظر وتحجب الرؤيه عن الناس تأتي النصوص مبينه منابع الشر في الإنسان فذكر الله لنا هذه القصة لبيان ان اصول المدرستين مدرسه الخير المشروع ومدرسه الشر المصنوع فيخبرنا الله أن منشأ العلال ومسببات التراكم للانحدار المنهجي والفكري لدي اليهود تعود بدايتها الي قابيل الذي مؤسس مدرسه الشر في الإنسان حيث اتحدت مدرسته الشريه مع مدرسه ابليس فهو أول متلق تعاليم الشريه في العالم وأول منفذ لها وأول منفذ عمل الشيطان في ابطال التشريع الا يمانى ومخالفه المنهج السماوي فمن خلال قابيل توسع الشيطان في مشروع الافساد في الأرض فكان هذا البيان مناسباً لبيان البدايه التي حصل فيها الفساد من بني ادم بعدما تحدثت الابه قبلها فساد بني إسرائيل الذين رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهود والمواثيق التي تلزمهم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب الحسد لأن الرسول الخاتم جاء من امه العرب فذكر الحق أن منبع هذا الانحدار يعود إلي قابيل الذي حسد اخيه وقام بارتكاب اول جريمه قتل في الأرض وان هذا هو باعث ابليس في رفض الاعتراف بفضل ادم وخالف أمر الله فكان ذكر القصة لبيان منابع واصوال هذا السلوك

الأمر الثاني

ان الايات وردت بعد أن تحدثت النصوص عن مفاصد بني إسرائيل الذين رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا الانتقال الي الاسلام تنفيذاً لأمر الله فهم رفضوا القبول باختيار الله للرسول صلى الله عليه وسلم لا نه لم يكن من بني إسرائيل وهذا العصيان منهم ليس بجديد فهم لم يقبلوا بأمر الله عندما أمرهم بدخول الأرض المقدسة وكان منهم العصيان لأمر الله وهنا يخبرنا الله أن قابيل رفض القبول بحكم الله وأصر علي مواقفه برغم محاوله أخيه صرفه عن الاجرام فكان مناسباً عطف القصة علي القصة لبيان أن رفض هولاء الانتقال في قراءه

المطلب الرباني الي الإسلام يجعلهم تابعين لمدرسه الشيطان وانهم بهذا التمسك للتوراه حسب زعمهم إنما يخدمون المنهج الابليسي باسم التوراه لانه تم تعطيل العمل بها فاخبرنا الله بقصه قابيل و هابيل وحديثهما لأنهما كانا في موقف طاعه لله ومع ذلك دفعه الحسد الي ارتكاب الجريمة التي أخرجته من الخير بالكلية وصار اول من اسس مدرسه الشر من البشر والتحق بالظالمين ومدرسه الشر الابليسه وبالتالي فإن سلوك اليهود وإصرارهم علي عدم الانطوي تحت رايه الاسلام يلحقهم بقابيل وإبليس اللعين فقد فشل هولاء في حمل الامانه فكان خروجهم عن شرط الابواه الشرعيه التي

الأمر الثالث

يقول الحق أن الابواه الشرعيه هي أبواه المنهج واقامه العهد فليس العبره بالتسلل العرقي وانما باتباع المنهج الرباني الذي يكون به التسلل والارتباط في المراحل المتلاحقه رغم تباعد مسافاتهما ولهذا نجد أن هابيل في حواراه مع أخيه قابيل يقول له (إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

فأصحاب النار هم الذين يرفضون اتباع المنهج الرباني كما هو في العهد المقطوع مع ادم حينما سلم مفتاح الأرض ليكون خليفه عليها فقال تعالي (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

وإبليس قال كما ذكر الله تعالي (لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا) وقال تعالي أيضا في سوره الاسراء (الا إبليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارءيتك هذا الذي كرمت على لئن اخرتن الي يوم القيامه لاحتنكن ذريته ا لا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا... الخ

وهنا قال (ذلك جزء الظالمين) يشير إلي هذا الأمر والربط بين النص وماقبلها أن التسلل العرقي لم ينفذ ابن ادم قابيل الذي كان من صلب ادم فهو لم يلتزم بالعمل الصالح فهو وإن نسب الي ادم من جهه الدم والنسب فهو من صلبه مباشره إلا أنه صار تابعا لإبليس ومدرسه الشر الابليسه (الظالمين) وكذلك فقد فشلت اليهود فشلا ذريعا في حمل الامانه الابويه الشرعية التي كلفوا بحملها وصاروا تابعين لمدرسه الشر والابواه الانونيه الابليسه

فالخروج عن المنهج الرباني وابواه المنهج الشرعي بارتكاب الجريمة والمعاصي تنزع عن الإنسان إنسانيته قبل كل شي وتجعله من جنس الشيطان فالله يقول في سوره الاسراء (وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غورا أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيفا)

وهنا أخبرنا الله (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) وقد وصف الله بني إسرائيل أنهم قوما فاسقين فهم رفضوا الانصياع لأمر الله ولم يقبلوا بالتوكيل علي الله ليكون حمايه لهم من الوقوع في قبضه الشيطان مثلما زينت النفس الاماره بالسوء لقابيل فعلته فصار تابعا للشيطان وانقطعت صلته بادم ومدرسه الخير. كذلك كان فصل بني إسرائيل عن موسي وهارون عندما رفضوا تنفيذ أمر الله فقال موسي (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) فأراد بهذا الحق أن يبين أن الصله وقرابه الدم والنسب بالانبياء لاقيمه لها اذا لم يتم الا لتزام بالمنهج الرباني فهو مصدر التسلل الأبوي الشرعي ولهذا صار قابيل ادني منزله من الغراب عندما ترك المنهج فقال تعالي علي لسان قابيل

(ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) فدل هذا انه اعترف أنه بفعلته تلك وقساواه قلبه فقد كل مشاعر ه وعواطفه فهو فقد حتي عواطف الغرابان سوداء اللون التي قال الشاعر العربي اذا نطق الغراب وقال خيرا فأين الخير. من وجه الغراب.... فقد راي قابيل نفسه أنه صار بلا انسانيه ولا خير فيه وكذلك فإن الله قد أخبرنا أن اليهود قلوبهم اشد قساواه من الاحجار

الأمر الخامس

ان النص فيه تقبيح الحسد فالاصل أن انتماء اليهود للتوراه أن يكون دافعا الي الالتحاق بالإسلام وان ينفر من الكفر والشرك ومع ذلك اتحدت اليهود مع أهل الشرك ضد الإسلام وتمنوا لو باستطاعتهم اعاده المسلمين إلي الشرك فقال تعالي في سوره البقره (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الهدى ... الخ

فيخبرنا الله أن أصل هذا المرض بالنسبه للبشر يعود إلي قبيل اول من ابتدا الشر في البشريه ودوافعه هو الحسد فهذا الداء هو الذي دفع اليهود الي اعلان الحرب ضد الإسلام فهذا الداء الخبيث هو اصل الشر وهو الذي دفع ابليس الي رفض القبول بأمر الله فيقول الحق لاتستغربوا ما حدث من اليهود الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فالاصل أن الانتماء الي الأديان السماوية أن يولد فيهم النفور من الوقوف ضد الحق لكن داء الحسد خطير ولهذا يقول الحق لنبيه (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر) بعد أن ذكر الله ما كان من اليهود من الأعراض عن الإسلام برغم وضوح البرهان فذكر قصه ابني ادم لبيان ان الحسد الذي حمل قابيل علي قتل هابيل وهو الذي صرف اليهود عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وحملهم علي عدواه الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر الايه لبيان خطوره الحسد فإنه يودي الي سفك الدماء فقد كان باعثا لقتل الاخ اخاه فلا تحزن من سلوك من اليهود

ثانيا

بالنظر الي الايه نجد أنها تضمنت الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق)

ولم يذكر مكان القصة ولازمنها وجاء بلفظ العموم وانما أشار أنهم ابني ادم من صلبه والايات ترسم لنا الآيات نموذجين نموذج الشر قابيل الذي تصوره الآيات أنه عنوان للجريمه والظلم وبالمقابل ترسم نموذج الخير الذي يجسد صورته أهل الخير التقى الورع الذي يسعى لنشر الخير والحب في المجتمع فلماذا جاء النص بهذا العموم للقصة وأشار إليه أنهم ابني ادم وابتدا بالايماء أنه نبأ عظيم وان تلاوه القران فيه الحق

الجواب

الأمر الأول

ان عليك أن تفهم أن المراد من القصة هو أخذ العظه والعبره لتربيته المومنين بالقصة فكان إجمالها لتعريف المسلم بالخلق الفاضل والحث علي امتثاله وبيان الخلق السيئ والتنفير منه فأراد بقوله (واتل عليهم نبا ابني ادم) اي ذكرهم بهذه الواقعة فالتذكير بالخير بما في القصة من نموذج الخير ونموذج الشر للتنفير من الخلق السيئ وهذا إنما يكون بان تعيش فصول القصة وأحداثها كأنك حاضر فيها وطرفا أساسيا مشاركا فيها فالمسلم عندما يقرأ هذه القصة يجب عليه أن يعيش ظروفها بالمشاركه الشعوريه فينظر الي أفعال قابيل بالبغض والكراهية وينظر الي هابيل وأقواله نظره الحب والاحترام له ليحصل علي الفائده ولهذا قال تعالي (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق) فالتلاوه هي القراءه وتكاد لاتستعمل الا في قراءه القران الكريم كلام الله تعالي والنباء هو الخبر الهام فالله يقول في موضع آخر (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) وهذا فيه الاثارة لأن السامع عندما يسمع قوله تعالي (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق) لابد أن الميل الفطري لديه الي القصة يدفعه الي معرفه القصة فالله يدرك الميل الفطري الي القصة ويدرك مالها من تأثير ساحر علي القلوب فيستغلها لتكون وسيله من وسائل التربيه والتقويم ليكون التعريف بالخلق الفاضل

الأمر الثاني

ان القصة ليست للفكهه والتسلية والله وبل لها اغراض ولهذا قال تعالي (بالحق) اي ملتبس به بالحق والصدق الثابت لأنها من عند الله ومن اصدق من الله حديثا كما قال تعالي في موضع آخر (نحن نقص عليك احسن

القصص.. الخ ويصح أن يكون الحق هو العامل وهو الجد غير الهزل ويجوز أنه بالحق أنه فيه الحقيقة التي لا زياده فيها ولانقصان فدل هذا علي أن هنالك روايات غير صحيحة عن هذه القصة وفيه أيضا التنبيه علي اهمية استخدام القصة في التعريف بالخلق الفاضل والخلق السيئ فعرض علينا نموذجان الخير والشر ليكون التنفير من الخلق السيئ المتمثل بقبايل والحث علي سلوك الخلق الفاضل المتمثل بقبايل والتعريف هنا يكون بالتذكير بالخير بما يرقق القلب ويقوي قوه الاراده والمحبه لعمل الخير فتكون قوه جاذبيه لعمل الخير ويقوي قوه الغضب و البغض والكرهيه للشر وأهله لتكون قوه دفع لسلوك أهل الشر ولهذا ابتداء (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق) اي ذكرهم بقصه ابني ادم فهذه الواقعة تعرض لهم نموجان لحاله البشريه وتقسيم أهل الخير وأهل الشر فالقصه واقعيه حدثت في مرحله من مراحل تطور البشريه والغرض منها العظه والعبره وغرس الخلق الفاضل في النفوس والحث علي اقامه منهج الله في الحياه بأن يعيش المومن حياته كلها لله تعالي وينظم ويضبط أحواله وعلاقاته مع نفسه ومع الآخرين سواء كان فردا أو جماعه أو دول وفق منهج الله فلا يجوز الخروج عنه ولهذا لم يحدد أماكنها ولا اسماء اشخاصها ولكن أشار إلي أن أطرافها ابني ادم من صلبه فأراد بهذا من جهة الاشارة الي أنهم ابني ادم بيان الحاجه الي الدوله لمنع انتشار الجريمة وحمايه حق الفرد والمجتمع ومنع الظلم والجريمة كما تبين الآيات بعدها (من أجل ذلك كتبنا... الخ والآيات وردت بعد ذكر امتناع بني إسرائيل من تنفيذ أمر الله تعالي الذي أخبرهم به موسي أن يدخلوا الارض المقدسه التي كتب الله أمر دخولها لإنشاء دوله تحكمها شريعه الله فهذا أمر تقتضيه حاجه الاجتماع فاقامه شريعه الله لاتكون في النفوس فقط فلا بد أن تخرج الي ميدان الحياه فالعقيده ليست مقصوره علي الضمير فلا بد لها من سلطه فكان هذا مناسبا الاشاره الي هذه القصة لبيان ان تطور البشريه اقتضت ضروره انشاء دوله لمنع الظلم ومن جهة اخرى فان عدم ذكر أطرافها بالاسم ولا المكان تهدف لبيان ان الواقعة سوف تتكرر في حياه البشر لان عدم ذكر أطرافها يعني أنها واقعه سوف تتكرر بعكس لو ذكرهم كما هو شأن تلا وه قصه مريم نجد أنه يقول مريم ابنته عمران لان ولادتها لعيسي أمر لن يتكرر من امراه اخرى فأراد تربيته المومنين علي الخلق الفاضل وتهيئة الظروف للقضاء على الجريمة بما تسكب في النفوس من مشاعر كراهيه الشر وأهل وبواعثه فالمراد بهذا بناء خلق المسلم فاستعملت القصة لتربيته المومنين وتكوين الرأي العام الفاضل في المجتمع المسلم بحيث يغرس في نفوسهم وقلوبهم وتفكيرهم النفور من الحسد والتحرز من هذا الداء الخبيث

ثالثا

في إطار التعريف بالخلق الفاضل والحث علي امتناله وبيان الخلق السيئ والتنفير منه واهميه السلطه التي تنفذ حكم الله ولتحمي الخير وأهله تقدم لنا النصوص هذه القصة بأسلوب في غايه الروعه والجمال بأسلوب قادر علي تحقيق أهدافه فقال تعالي (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك قال إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

المشهد الاول

ترسم لنا النصوص في المشهد الاول الطرف والموقف الذي نشأت عنه فصول القصة بأسلوب يثير الإنتباه فقال تعالي (إذ قربا قربانا)

فالموقف لاينبئ أن ينتج عنه فعل إجرامي فالظرف (إذ) متبوع بموقف طاعه الله والوقوف بين يدي الله (قربا قربانا) فالأخوين كانا في موقف التقرب من الله تعالي فالقربان اسم جامع لكل مايتقرب به الي الله تعالي من ذبيحه أو صدقه أو صلاه أو توحيد أو طاعه

ثم تذكر النصوص نتيجة التنافس بينهما في موقف الطاعه التي كانا فيه فيخبرنا الحق سبحانه وتعالى أنه تقبل القربان من أحدهما ولم يتقبل من الاخر فقال تعالي (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر) والقبول أمر كان في الأمم السابقه يعلم من خلال علامه تدل علي قبول القربان أما أن تنزل نار من السماء فتاكله كما تذكر الروايات

أو بالعادة أو بامارات وعلامات كانت معروفة لديهم فاخبرنا الله أنه تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل والأصل أن الظرف والوقت الذي تتحدث عنه النصوص موقف طاعه فهو تنافس علي فعل الخير والأصل أن لاينشا عن هذا ارتكاب أي جريمه فهو تنافس مشروع لكن ما الذي حدث ؟

تذكر النصوص لنا في الشطر الثاني من المشهد الاول النتيجة في كلمه مختصره توجز لنا مخاطر فساد قوي الغضب والحب الموجوده في نفس الإنسان التي تشكل غرائز خطيره علي الإنسان و تفسد الاستقرار في الأرض وتسفك الدماء إذا لم يتم تزكيتها فقال تعالي للتعبير عن ذلك (لاقتلتك)

اي أن قابيل الذي لم يتقبل الله منه ماقدم من قربان اضر في نفسه الشر فترك ذكر المتقبل قربانه والمردود قربانه استغناء مما قد جري من ذكرهما عن اعادته

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

ان عليك أن تعلم أن كل ذي نعمه محسود ولهذا جاء الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيه (واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر قال لا قتلتك)

اي واذكر يا اكرم خلق الله لقومك ولليهود خبر ابني ادم لياخذوا العبره من قصه ابني ادم فظاعه الحسد وشناعته اذا استحکم من القلب فإنه يبعده عن الحق لان اليهود الذين كانوا يدعون أنهم اهل دين رباني قد أعلنوا العدواه للرسول صلى الله عليه وسلم واستخدموا كافة الوسائل لمحاربتة نتيجة الحسد لان الله اصطفاه الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة الاخيره ولهذا قال تعالي أن هذا الخبر متلبسا بالحق والصحة لانه من عند الله وموافقا لما في التوراه والإنجيل فهم يعلمون صحه ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ومقصود هذا الخبر تقبيح الحسد لان اليهود كانوا يحسدون الرسول صلى الله عليه وسلم وامه الاسلام لأن الله اختارهم لهذه الرساله العظيمه فيقول الحق أن الأصل أن التوراه والإنجيل إنما انزلهما الله عليهم لأجل أن يدلهم علي كيفية التقرب الي الله ولهذا فإن مجئ الاسلام الذي نسخ الكتب السماوية السابقه وهو جامع لجميع الديانات وصور التدين الانسانيه أن يبادروا الي الالتحاق بالإسلام فهو الدين المهيمن علي بقيه الرؤي والأفكار والمعتقدات وبالتالي فإن رفض هولاء القبول بأمر الله بقراءه مراد الله وفقا لما جاء به القرآن يعني أنهم صاروا اتباع الشيطان وقد انحرفوا عن طريق الهدايه واصبحوا خارج ميدان الدين والتدين فهم قد جمعوا بين الكبر لانهم لم ينقادوا لأمر الله وبين الحسد لانهم يكرهون ما انعم الله به علي المسلمين فهم معادون الله تعالي لانهم يكرهون ما احب الله ويحبون زوال الاسلام والله يكره ذلك ولهذا اردوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابه كما أخبرنا الله بقوله(إذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم.. الخ فافعالهم هذه مضاده لله في قضائه وقدره ومحبتة وهذا هو ذنب قابيل الذي دمجت مدرسته الشريه مع مدرسه ابليس الذي وصفه الله أنه عدوه فذنبه كان عن كبر وحسد ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى استخدم الفعل المبني للمجهول (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الاخر)

أن هذا البناء للمجهول بالفعل فتقبل ..يشير إلي أن أمر القبول من عدمه موكل الي قوي غيبية وهو الله تعالي و لامعقب لأمره فلم يكن لقابيل أن يعترض علي أمر الله في قبول قربان أخيه وكان عليه أن لايحسد أخيه لأن هذا اعتراض علي أردته تعالي وانعامه وكذلك فإن في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم واختيار هذه البقعة من الأرض مكة وأمه العرب لقياده العالم نعمه من الله فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه سيكون رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي وكان عليهم اصلاح الخلل في حياتهم بالالتحاق بالإسلام بدل من تحريف كتبهم و صرف اتباعهم عن الإسلام

المفهوم الثاني

يبين الحق سبحانه وتعالى أن التنافس علي اعمال الخير أمر مرغوب لكن لا ينبغي أن يتحول هذا التنافس الي قوه صراع بين عناصر العاملين في ميدان الدين والتدين نتيجة التزاحم علي المراكز القيادية التي تكفل بقوه القسر والقمع مصالح شخصية تسعى العناصر المتخلفة الي تحقيقها من خلال اظهار التدين وانما المطلوب التنافس الذي يودي الي تطوير القدرات والكفاءات والمواهب فتأسيس دوله الاسلام تتطلب وجود الحوافز و المكافاه فشعور العامل أن عمله سيكون محل تقدير يدفعه الي إنجازه علي اكمل وجه ولهذا كان لابد من وجود الحوافز واعتماد نظام المكافآت ليبرز كل واحد مواهبه ولهذا فلا بد أن تمكن كل واحد من فرص متكافئة كي يظهر كل منهم مواهبه وجهوده فيصل الي المكان المناسب مع هذه المواهب والجهود ومن لا يستطيع أن يبرز مواهبه أو يقوم بالجهد المطلوب فهذا لا يتساوي مع الذي أتقن العمل وهذا عليه أن يحسن من مستوي أداءه فلا يتحول الي طاغية ومجرم ولا يمكن أن يمنح مامنح المجتهد لأن هذا مخالف للعدل والانصاف ومصادم لامكانيه التطور التي تحتاج إلي ذوي الكفاءه والي جهود بناءه متناسقه ومتعاونه ومنسجمه كي يظل الباب مفتوح علي الدوام لمن يتقن العمل ليأخذ مكانه ولهذا كان تقديم القرابين يعرف منه الذي بذل الجهد المطلوب وكان منه إتقانه علي اكمل وجه لتدريب الإنسان علي كيفية التحسين في الأرض وعدم الافساد فيها وايضا تزويد الإنسان البدائي علي صقل المواهب والقدرات والمهارات بينما نحن لا نعلم اليوم هل يتقبل منا الأعمال ام لا .. فالحق قد خلق الناس متفاوتون ولم يضعهم في قالب واحد وانما ترك للمجتهدين والمثابرين أن يحصلوا علي نتائج اجتهادهم ومثابرتهم في إطار التراحم والتآخي بين أفراد المجتمع بضبط قوتي الحب والغضب فالحب لله والبغض في الله فقال تعالي في موضع آخر (ولكل درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون) وقال تعالي (ولا تبخسوا الناس اشياءهم)

وبالتالي فلا يكون التنافس علي اعمال الخير بشكل عام سببا للشقاق والاختلاف وهو مانراه اليوم في عمل الجماعات الإسلامية المتعدده التي صارت سلوك أغلبها العدواه والاحقاد رغم أنهم في مواقف طاعه لانهم يتقربون الي الله بأعمالهم وهو ما يفترض أن يكون دافعا للحب والتسامح والسلام لا الحرب والعدواه .

المشهد الثاني

يبدأ هذا المشهد ببيان رده فعل هابيل من تهديد أخيه له بالقتل عندما أظهر مافي نفسه من خبت الحسد والكبر و الغضب بقوله (لاقتلنك) حيث نجد ان هابيل سلك في رده فعله عده خطوات لإصلاح ومعالجه الآفات التي استحكمت علي قلب أخيه بعد أن شخص الداء وعرف أنها هذه الآفات صارت في كيان أخيه فكانت تلك المقدمه التي فيها تأكيد وإصرار من أخيه بقوله لاقتلنك.. بيان ان علي الداعيه أن يشخص الداء تشخيص سليم لمدواه المرضي فقد كان هذا التأكيد من قابيل بنيته قتل هابيل بهذا التهديد دليل لأخيه الطيب المومن أن هذا التهديد سبقه إضمار أخيه لبواعث هذا التهديد ناتجه من اربعه (الكبر والحسد والغضب والشهوه) ولهذا بادر الي طرح العلاج لهذه الأمراض كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

قال تعالي (انما يتقبل الله من المتقين)

يقول له ما ذنبي إن لم يتقبل الله قربانك لتقتلني اسلوب فيه تودد ومترافقا بأخيه لانه علم أن أخيه شعر أن كبريائه قد تم المساس بها فأراد أن يهدم ركن الكبر ليسهل علي أخيه الانقياد للحق ثم قدم له النصيحة و الموعظه ان عليه أن يبحث عن أسباب عدم قبول الله لعمله فأخبره أن الله لا يقبل من الأعمال الا ما كان خالصا له تعالي فعليك أن تفتش في نفسك عن القصور الذي كان سببا لعدم القبول فحاسب نفسك ف الله لا يقبل من العمل إ لا ما كان طيبا ف الله طيب لا يقبل الا طيبا فالتقوي من شروط قبول الأعمال والتقوي من صفات القلب لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (التقوي ها هنا) وأشار إلي قلبه وحقيقه التقوي أن يكون العامل علي خوف ووجل من تقصير نفسه فيما اتى به من الطاعات وان يكون في غايه الاحتراز من أن يأتي بتلك الطاعه لغرض غير

مرضات الله كان يطلب الشهرة أو الرياء فالنصيحة والمواعظة تهدف إلي هدم ركن الحسد وإزالته من قلب أخيه بتخويفه من الآخرة وإرشاده إلي الطريق لقبول القربان لان الحامل علي تهديد أخيه هو الحسد فلو هدم وأزال من قلبه الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله ولهذا استخدم هذا الأسلوب في رده فعله علي تهديد أخيه يقول له ما ذنبي فهذا القول منك معاده الله في كراهيه ما انعم الله به عليا وبدل أن يشتعل قلبك بنيران الحسد عليك أن تفتش في أسباب عدم قبول الله لقربانك في نفسك فعليك ان اردت ان يتقبل الله عملك أبصار سنن قبول العمل واستدعاء منهج الله ليكون دليل عمل وبوصله هدايه للوصول إلي مرضاه الله وان تنظر إلي الظروف التي أحاطت بعدم قبول قربانك واول هذا هو الخلوص من ذهنيه التخلف والعجز ومحاولة إلقاء بالتبعه علي فأنا لاذنب لي فإذا أردت أن تتجاوز هذه الازمه وتتمكن من اكتشاف الخلل عليك أن تروض نفسك وتمرن عقلك علي شجاعه الاعتراف بالخلل والاعتراف بالفشل والاخفاق أنه من عندك بعيدا عن المكابره بغير الحق والاعتراف بالمسؤولية عنه وعدم إلقاء بالتبعه علي من لاذنب له فعليك استشعار مسؤوليتك وإدراك ابعاد الطاعه والقربان الذي تقدمه واستبانه أسباب القصور ومواطن التقصير

فالله لايقبل طاعه الا من مومن تقي ولهذا فأنت عندما تصلي أو تصوم وقلبك ملئ بالكبر والحقد والحسد فاعلم ان الله لايقبل صلاتك وعندما تقوم بأي عمل ايه المسلم فعليك أن تراقب الله وتخلص النوايا وتفتش في نفسك عن الشوائب التي تفسد العمل حتي لاتحرم الثواب

الأمر الثاني

(يضع علاج لقوه الغضب)

يقول تعالي أن الذي تقبل قربانه قال لأخيه الذي لم يتقبل قربانه

(لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين)

ان النص في الايه الكريمه يعطي المسلم اسلوب الخطاب الذي يعالج فيه داء الغضب الذي يتحول فيه التنافس في الأعمال سواء بالدنيا أو بأعمال الخير أن تحرص علي تقويه روح الاخوه علي المكاسب الماديه وأن تعمل علي بث روح الاخوه من خلال تقويه قيم السلام واشاعه المحبه فهذه الأمور لها وظيفة اجتماعيه هامه وهو حاجه نفسيه للقضاء علي بواعث الشر والتحاسد من خلال اظهار التبشيش ولازاله الايحاش وازاله مشاعر الجفوه وإظهار الحب والالفه لمحاربه جرائم التحاسد والتنافس المذموم فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لمومن م الفه ولاخير فيمن لا يالف ولا يولف) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد و البغضاء وهي الحالقه لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لاتدخلوا الجنة حتي تومنوا ولا تومنوا حتي تحابوا أفلا انبئكم بما ينجت ذاكم لكم افشوا السلام بينكم)

ولهذا نجد أن النموذج الطيب المسالم يرد علي تهديد أخيه بأسلوب فيه اشاعه المحبه والسلام يمتص غضبه فيقول له انك لو مددت يدك لتنفيذ ما هددتنا به من القتل فأنا لن ارد عليك بمثل هذا فلن أمد يدي اليك لأقتلك فأراد اظهار الموده والاخوه التي تربطه بأخيه أراد ان يزيل قوه الغضب من قلب أخيه فبين له انه يعرف حقيقه نفسه فهي لاتستحق أن يغضب لها وينتقم لها يقول له إنى عودت نفسي أن لاتغضب الا لله تعالي سبحانه وتعالى ولما يرضيه فذكر (اني اخاف الله رب العالمين)

فانا أخشي أن يرني الله في موضع الإجرام وسفك الدماء فبين للناس اهميه احترام الدماء وحفظ الأنفس لاسيما بين الاخوه ثم ذكر أن خوفه من الله رب العالمين فذكر ربوبيته تعالي للعالمين لبيان انه ليس في قلبه العصبية التي تظهر عند غياب روح الاخوه وينتشر التحاسد والتباغض فهو يدعو إلي حفظ الأنفس للناس كلهم فمن وهب لهم الأرواح هو الله تعالي والاعتداء علي أرواحهم مفسده واعتداء علي نعمه الله علي عباده فأراد بهذا نبذ

العصبيه ولو كانت هذه العصبيه باسم الدين والتدين لأن هذا يتناقض مع حقيقه الايمان فالمسلم يدعو إلي السلام وينشر المحبه وهذا فيه

ان علي المومن وقت الفتن أن يستحضر جميع مايقدر علي استحضاره من عظمه الله وجلاله وكماله وتقديره حق قدره فقال تعالي (اني اخاف الله) ثم وصفه بالاحسان الي خلقه ليكون ذلك مانعا من الاساءه لأحد منهم

ولايعني هذا أنه لا يكون الدفاع عن النفس من الخطر المحقق فليس معني كلام هابيل أنه كان مستسلم لأخيه كي يقتله كما حاول البعض تصوير الأمر فهذا غير سليم وانما المساله فيها بيان كيفية التعامل مع الآفات التي يواجهها الداعيه الذي يحمل المشروع الرباني فقد أراد أن يزيل الغضب من قلب أخيه لانه لو حصل ذلك لسهل عليه قبول العدل والتواضع فلا أتصور أن يكون قوله ذلك لأخيه من قبيل الخضوع والاستسلام لأخيه كي يقتله الا إذا كانت تعاليم ادم لابناءه التي كانت هي شريعته الله أنذاك لاتسمح برد القاتل الصائل والله اعلم

الأمر الثالث

(بيان علاج فساد قوه الشهوه)

(إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزؤ الظالمين)

يبين لأخيه أن الفرق بينهما هو أن قابيل فتح لنفسه ابواب الشهوات وتحقيق رغبات نفسه ولهذا فهو جاهل بما ينفع نفسه فالبغي الذي اظهره بالتهديد بقتله يعود لانه قدم المكاسب الماديه علي روح الاخره فصار بنظره التنافس مادي مجرد من القيم وهذا أساس الآفات ورأس الخطيئات واصل الفتن وعنه تنشأ الشرور وماله الي فوات المكاسب الماديه فتقديم المكاسب الماديه من حب الشهره أو الرغبه في الفتاه الجميله التي كانت من نصيب هابيل لايعطي الشعور بالسعاده وهو يسلب الخير ولهذا يقول له أن نظرتي للدنيا تختلف عن نظرتك فأنا أعلم أني مسافر الي الله والدار الآخرة فأنا لن اعطي نفسي رغباتها بالانتقام منك والتخطيط لقتلك قبل أن تنفذ تهديدك لأننا أعلم انني لو اعطيت نفسي شهوتها إنما اكون ساعيا في حرمانها من أسباب سعادتها الحقيقه الابديه ولهذا فأنا قد أغلقت عن نفسي تلك الأبواب لانني أريد أن ترجع باثمي اي بذنب قتلي وذنبك لأن الله لم يتقبل قربانك فالفرق بيني وبينك أنني تغلبت علي شهوتي وغضبي لأجل أن يفرق الله بيني وبين الشيطان أما أنت فقد غلبتك شهوتك وغضبك فصار الشيطان مسيطرًا عليك ولهذا فأنت الخاسر لانك صرت تابعا لمدرسه الشر ومن الملازمين لجهنم الذين لايفرقونها فهذا هو جزء الظالمين فأراد بهذا أن يخوفه من الجريمه مبينا له أنه هو الخسران لو ارتكب جريمته فالشهوّه مثل النار تلازم صاحبها ولهذا نجد أن الايات وردت بعد قوله تعالي (اني اخاف الله رب العالمين) فهو يقول لأخيه أنني اخاف الله وعاقبه فهذا مانعا من الاساءه لأحد من خلقه فهو رب العالمين اي المنعم علي خلقه بنعمه الايجاد ثم التربيّه والأخلاق الفاضله فانا لا اريد أن اخرب ما بني الله في أرضه لأن هذا إفساد في الأ رض وانا عبد لله والعبد لايري لنفسه ملكا وحسن الخلق الذي ربي الله عليه يجعلني احتمل الانبي ولا اغضب لنفسي وطيب الكلام وما تقبل الله ما قدمت الا لأنني تعاملت مع الله وأخرجت الخلق من المعامله معه تعالي ونفسي هو أول الخلق الذين اخرجتهم

رابعا

بعد التذكير والعظه والتحذير يقول تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين)

و هذا فيه الاتي

الأمر الأول

أنه حصل تردد في نفس قابيل فوجد قوه منع تدفعه من ارتكاب الجريمة فقد كان هناك قوه مانعه ودافعه قوه

نفور من ارتكاب الجريمة وهناك قوه جذب تدفعه لا ارتكاب الجريمة وهذا يدل أن هنالك قوه مانعه من قتله خاصه بعد التذكير والعظه والتحذير التي سلكها هايبيل مع أخيه قابيل لصفه عن ارتكاب الجريمة والتي ركز فيها علي محاوله اصلاح قوه الشهوه والغضب في نفس أخيه فقال له

ان قوه الحب والارده قوه جاذبيه ينبغي أن تستغل في حصول المحبوب الحقيقي الذي فيه السعاده الابديه وهو في طاعه الله فقال تعالى (إني أريد) فالأمر بالمعروف صادر من قوه المحبه والارده وفساد هذه القوه إنما تكون بحب الدنيا وما فيها من ملذات وان قوه الغضب من قوه البغض والكراهية فهي ينبغي أن تكون قوه دفع ومنع لا ارتكاب المحرمات والمعاصي لا أن تستخدم في كراهيه الخير ثم استعمل الترغيب للحث علي فعل المعروف بقوه محبه الله والدار الآخرة واستعمل الترهيب للزجر عن المنكرات لتقويم القوه لكف نفس أخيه عن الظلم فقال تعالي (وذلك جزؤ الظالمين) ليغرس فيه كراهيه العصيان وينفره منه فيحصل اندفاع المكروه لكن دفع المكروه بدون حصول المحبوب لافائده منه خاصه اذا كان المكروه كثير والمحبوب يسير ولهذا ذكره بالجنه وأخبره أن الظالم نادم وان مدحه الناس وأن المظلوم سالم وان ذمه الناس

ولهذا تصور لنا الآيات إن هنالك صراع بين دافع الحسد ودافع الخشيه فاعلمتنا الابيه أنه تردد مليا أو تريت أو ترصد مده من الزمان فقال تعالي (فطوعت له نفسه) وطوع معناها جعله طائعا اي مكنه من المطوع وهو ضد الإكراه والتطويع محاوله القتل فشبهه قتل أخيه بشي متعاص عن قابيل ولاتطيعه بسبب معارضة التعقل والخشية وشبهه داعيه القتل في نفس قابيل بشخص يعينه ويحثه علي القتل المتعاص عليه فقد ساعدته نفسه سولت له قتل أخيه

الأمر الثاني

نسب الجريمة لنفسه الاماره بالسوء بأنها هي التي شجعت برغم وجود معارضة مانعه من الفعل بعد أن خوفه أخيه من عقاب الله وهذا لأن قوي الافعال في النفس أما قوه جذب وأما دفع فالقوه الجاذبيه الجالبه هي من قوه الشهوه وجنسها من المحبه والارده والقوه الدافعه المانعه للمنافي هي من قوه الغضب وجنسها من البغض و الكراهية وهما اصل الحركه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله) فهاتين القوتان هما الأصل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أحب لله وابغض لله واعطي لله ومنع لله فقد استكمل الايمان)

وهي صادرة من النفس ولهذا يقول لنا الحق أن نهايه الجذب والدفع في نفس قابيل انتهت بتشجيع نفسه الاماره بالسوء علي ارتكاب الجريمة فقد أزال الموانع فقتل أخيه والذي ساعده في ذلك نفسه التي زينت له القتل لأن قوه الحسد التي كان قلبه يغلي بها سهل عليه الفعل فالقتل ناتج عن فساد قوه الغضب لانه فيه إتلاف الموجود الذي اوجده الله رب العالمين كما ذكر له أخيه

ولهذا نسب الفعل الي النفس فقال (له نفسه) لأن العقل يحاول أن يمنع الانسان من ارتكاب الجريمة لكن النفس الاماره بالسوء هي التي سهلت له الفعل وهونته فقد صورت له نفسه قتل أخيه أمر سهل عليه ومتسع له لاضيق فيه ولا حرج فكان النفس صيرته طائعا لها بعد أن كان كالعاصي المتمرد

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الموعظ لاتعني من كان قلبه ملئيا بالحسد لانه يفسد الفطره والنفس فيجعل الإنسان كالسبع لا احاسيس له فقد صورت لنا الايه أن قابيل كان يهاب قتل أخيه ولكن نفسه الاماره بالسوء شجعت علي التجرد وقتله فقال تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) فكان منه عقب التطويع قتله بلا تفكر ولاتدبر بالعواقب ولهذا نجد أنه سلك في بيان ذلك مسلك الاطناب فلم يقل (فطوعت له نفسه قتل أخيه) ولكنه قال بعدها

(فقتله) للتنبية علي بشاعه الحسد وتفطيع حاله العامل في تصوير خواطره الشريره وفساد قلبه لانه حدثه علي قتل من كان شأنه الرحمه والرفق فلم يكن ذلك اطنابا

ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ذلك (فأصبح من الخاسرين)

فقد خسر نفسه بأن أوردها مورد الهلاك وخسر أخاه

خامسا

تمضي سياق النصوص في عرض بقيه مشاهد الجريمه لترسم الاعتداء الناشئ عن القوه الغضبيه في اول جريمه في الأرض القتل والقتل إفساد للجسد الحامل له وإتلاف الموجود ولهذا تصور لنا الآيات سواءه الجريمه في صورتها الحسيه حيث تعفن جسد هابيل

ووقف قابيل عاجزا لايعرف كيف يوري سوءه أخيه اي الجسد الذي اتلفه أما لانه لم يري ميتا قبل مقتل أخيه أو أنه فقال تعالي (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوري سوءه أخيه قال ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين)

لقد ارسل الله غرابا معه غرابا اخر ميت قام بالحفر في الأرض بمنقاره ثم وضع عليه التراب وعندها تعلم قابيل من الغراب كيف يدفن أخاه في التراب والبعث هنا الالهام بالمجي الي ذلك المكان وقد كان اختيار الغراب لهذا العمل للاتي

١

ليعلم الإنسان ان الله قادر أن يبعث غرابا أو غيره من الحيوانات الي الإنسان ليعلمه ما لم يعلم كما يبعث الرسل الي الناس فلماذا الاستغراب من أرسل الرسل من البشر ليعلموا الناس الحق فإن دفن الميت في التراب قد تعلمه الإنسان بواسطه غراب أرسله الي الله خصيصا لتعليم الإنسان الأول البدائي لتعليمهم كيف يدفن الجسد الذي سماه سواءه لأن الجسد يتعفن ويصبح عوره فالسوءه من الفضيحه فلماذا تستغربون أن يرسل الله الوحي بواسطه اله لائتكم لتعليم الإنسان الحق

٢

ليعلم الإنسان أنه محتاج الي التعليم حتي لو كان العلم مصدره غراب فالإنسان عجز أن يكون مثل غراب في أمر هو من أهم ضروريات حياته فهذا الغراب رمز التشاوم عند الناس لما يعتري الناظر الي سواد لونه من انقباض النفس

٣

فيها اظهار لطف الله وعطفه وإحسانه مع عباده في اسباب الحياه فهو تعالي يرعاهم فانظر كيف أن الله يرشد خلقه عندما يستشكل عليهم أمر ما الي ماينفعهم بالطاق الأسباب

٤

فيه بيان ساذجه الإنسان الأول قليل المعرفه لكن لما فيه من العقل والاستعداد فهو كان يستفيد من كل شي تحيط به

الأمر الثاني

تبين لنا النصوص حقيقه ما أخبر هابيل به قابيل وهو يعظه بأن الظالم نادم وان مدحه الناس وأن المظلوم سالم وان ذمه الناس ولهذا ترسم لنا النصوص رده فعل قابيل لما شاهد الغراب يدفن أخيه فقال تعالي (قال ياويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأورى سوءه أخى فأصبح من النادمين)

١

(ياويلتي) كلمه تستعمل للتعبير عن الحسره عند وقوع الداهيه العظيمه ولفظها لفظ النداء كأنه يقول ياهاكي تعال ايه الويل احضر فهذا أوان حضورك

٢

لماذا طلب حضور الويل ماهي الداهيه العظيمه التي دفعته لنداء الهلاك لانه لما قتل أخيه تركه بالعراء تنهش منه السباع استخفافا به ولما راي الغراب يدفن غرابا ميتا رق قلبه وقال إن هذا الغرب أخفاه أخاه في باطن الأرض افاكون انا أقل منه شفقه وهو اسود اللون ولأنه لم يعلم كيف يخفي سواه أخيه فكنت تلميذ لغراب ولهذا استعمل اسلوب الاستفهام المستعمله في التعجب الانكاري (اعجزت)

فأول عمليه للعلم اكتسابها من تقليد الغراب فقد تلقي علومه من طائر أضعف منه وهو كان متكبرا

٣

ان هذا الندم ليس ندم التوبه ولكن ندم الظالم الذي هو أحد أجزاء العذاب فالظالم لايجد السعاده كما أخبره أخاه في الايات قبلها (وذلك جزؤ الظالمين)

القسم الثاني

(من اجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)

اولا

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (من أجل ذلك) اشاره الي الحادته التي كشفت عنها الآيات عن أسلوب تقديم القرايين الذي جري عليه ابنا ادم في مرحله فجر البشريه وما تضمنته من بواعث الشر والجرائم وافات الكبر و الحسد وفساد قوتي الغضب والشهوه في بعض النفوس ومايشكل ذلك من خطوره الإنسان الشرير علي الإنسان الطيب الوديع

والمفاسد التي ذكرتها القصة أنها تولدت عن القتل العمد (كتبنا) اي أمرنا في التوراه شريعته القصاص لمنع الجريمة فالآيات فيها بيان

الآتي

الأمر الأول

تعطينا النصوص صورته عن التطور الديني في حياه البشر منذو فجر البشريه فقد كان التحول الذي طرأ علي حياه الانسان الأول قابيل وما ارتكاب من جريمه أن صحبه انقلابا مماثل في النظم الدينيه لان الدين حرص علي

تسلم زمام التوجيه في الاسره والمجتمع والدوله والعالم عن طريق التشريع فقد كانت قواعد الدين قيل هذه الجريمه عباره عن مجموعه القواعد (الأمر والنهي) التي تغرس في النفوس وتستهدف اصلاح الخلل في الاوعيه الذهنيه والنفسية والعقلية والقلبية (العقل والغريزه والروح) فالغريزه تهبنا القوه والعقل الذي يهبنا وسيله توجيه القوه الي الغايات المنشوده والروح التي توحى بالفوائد غير الشخصيه القوه التي تكون من نوع لايستطيع العقل أن يحط من شأنه بالنقد وقد شاهدنا كيف غياب التوازن بين حياه العقل والروح قد ادي الي فساد الغريزه وجعلت نفس قابيل تقود ه الي ارتكاب الجريمة كيف أن الانانيه قادت قابيل الي الاستجابة للاحاح نفسه الاماره بالسوء التي جعلته يقف أمام الاحاح من ضغوط مزاجه لإرضاء مطالبه فورا فلم يعترف بعقبه تحتجره فلم يستطع أن يلغي مطالبه فإذا بنا نري انسان مسعور تؤرقه رغباته وشهوته فمازالت نفسه تلح عليه بطلب قتل هابيل وتدفعه الي اجابته ولم تنفع معه الموعظه التي حاول أخيه جاهدا أن يغرسه في نفسه لتقهر النزاعات الشريره في نفس أخيه بتذكيره بقوه الله وقهره بأنه سوف يرجع إلي الله باثم قتله لأخيه واثم عدم قبول القربان فلم يبالي بالآثار المترتبه علي جريمته ولهذا فإن هذا التحول اقتضي وجود تشريعات فيها بعض العقوبات صيانه للأخلاق لكي تحصل الحياه الانسانيه علي الحيويه والانضباط فلا بد أن تكون النزعات الغريزيه قويه ومستقيمه لتكون الحياه لانسانيه صالحه فكان لا بد من وجود عقوبه الردع والزجر بجانب قوي الايمان التي تتولي رقبه الرغبات وتحد من الانانيه فكانت العقوبه حقا لحمايه حق حفظ النفس وهذا أمر ضروري من أجل كبح بواعث الجريمه ومن أجل صيانه حياه الانسان من أن تزهد ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد رؤية القصة والتي من المؤكد أنها تركت في النفوس اثار عميقه من مشاعر كراهيه الشر والقتل لتكون منطلقا لبيان اهميه العقوبه التي جاء بها الأديان فقد كان هذا الأمر ضروري للردع والزجر واستئصال البواعث من النفس لمن لم ينفعه الموعظه

الأمر الثاني

يقول الحق أن الموعظه ليست نافعه لكل الناس ولما كانت الأوامر في بدايه فجر البشريه عباره عن مواعظ نظرا لأ ن البشريه كانت في مرحلتها البدائيه ولم يكن هنالك علاقات ماديه تتطلب تشريعات تنظم العلاقات بينهم لأن تلك العلاقات مرتبطه بالعرمان والتقدم الذي يعيше الناس فقد كان هذا التحول مقدمه لسن تشريعات خاصه بعد انتقال البشريه الي نظام الاسره ثم القبيله فقد كان لا بد لتنفيذ العقوبه من دوله ولهذا كان لا بد من وجود سلطه تحمي النظام العام وتقوم بتطبيق القانون علي الناس وتمنع انتشار الجريمه وتحقق الاستقرار في الأرض سلطه تحمي الضعفاء من العتاه وتمنع العدوان ولهذا يقول تعالي (كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.. الخ

فقد جعل مسؤوليه حفظ الإنسان علي المجتمع كله فجعل حرمه النفس الواحده تعادل حرمه جميع الأنفس

الأمر الثالث

ان النصوص تهدف إلي غرس ثقافه واداب الاجتماع ولهذا لم تتعرض لمساله العقوبه بشكل مباشر وانما ابتدأت بذكر مخاطر الجريمه مبينه أن علي الجميع الشعور بخطورتها وان عليهم أن آثارها تمتد الي كل فرد من أفراد المجتمع فهي تمس كيان الجماعه كلها لأنها تحول المجتمع الي وحوش ويفقد كل انسان إنسانيته وادميته وان علي الجميع أن يسعوا الي احياء النفس واستبقائه بدفع الشر عنها وان عليهم محاربه الجريمه واتخاذ الإجراءات لاحترازية لمنع انتشارها فمن انقذ نفسا واحده عادل إنقاذ الناس جميعا واستحيها يكون بدفع المجرم حال حياتها وبعد موتها بالقصاص لها من المجرم ف الله سبحانه وتعالى يقول (ولكم في القصاص حياه يا اولي الألباب)

ويدخل في هذا عمل الأطباء الذين يقومون بعلاج المرضى وانقاذهم فهذا يعد كمن انقذ الناس جميعا فالنصوص فيها شحذ تفكير الإنسان والارتقاء بوعيه وتنميه ملكاته وتشكيل رؤيته للحياه والكون وكل علاقاته بشكل عام ف جاء تعظيم أمر القتل عمدا وعدوانا كما يستعظم الناس قتل كل الخلق فالمقصود مشاركته الأمرين في الاستعظام وكيف لا يكون مستعظما والله يقول (ومن قتل مومنا متعمدا فجزاه جهنم خالدا فيها .. الخ

وجاء بالتشبيه (فكأنما قتل الناس جميعا) (فكأنما أحيأ الناس جميعا) اسلوب مبالغه في تعظيم أمر القتل بغير حق والترغيب في الأحياء ودفع الضرر عنها لان الباعث علي الإنقاذ هو الشفقه والرحمة واحترام الحياه الانسانيه و الوقوف عند حدود الشرع وهذا فيه ارشاد الي مايجب من وحده البشر وحرص كل واحد منهم علي حياه الجميع والابتعاد عن كل ضرر يلحق بالفرد أو الجماعه فالجميع مشارك في دفع الجريمه

الأمر الرابع

تبين النصوص أن القتل المذموم هو الذي يكون عمدا وعدوانا أما الذي يدافع عن نفسه من الصائل الجائل فهذا لا إثم عليه لقوله تعالي (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل) هنا يقول (أنه من قتل نفسا بغير نفس) فيجوز لك قتل المعتدي وكذلك يجوز قتل المفسد في الأرض من قاطع طريق أو المحارب لدين الله وانما المحرم هو القتل بغير سبب لانه إتلاف الموجود الجسد الحامل بدون وجه حق ولهذا نجد اقلاب التنوين مع الباء في قوله (نفسا بغير) منسجما مع المعني

ثانيا

ضروره وجود السلطه التي تقوم بصيانه حقوق الفرد والجماعه فاخبرنا الحق أن تطور البشريه وما طرأ عليها من تغيير اقتضي وجود سلطه تحمي الخير وأهله لأن غياب السلطه يعني انتشار الفوضى والعشوائيه وسفك الدماء ولهذا تبين لنا النصوص أن الله تعالي شرع علي بناء إسرائيل عقوبات لمنع ارتكاب الجريمة بعد الاشاره لهذه الوقعه التي في الأصل بينها وبين بني إسرائيل مده زمنيه طويله فلا يعني هذا التتبع الزمني بين قابيل وبني إسرائيل فهذا ليس هو مدلول الايه وانما الايه فيها الاشاره الي ما يغلب طبع بني إسرائيل أن فسادهم من جهه قوه الغضب فقد انتشر فيهم القتل وسفك الدماء فهم قتلوا الرسل عليهم السلام ومن جهه ثانيه لان الايات قبلها تحدثت عن قول موسي لهم (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم.. الخ

فقد كان إنقاذهم من الفراعنه وإخراجهم من مصر من أجل بناء الدوله التي سوف تباشر تحقيق مراد الله في خلا فه الدوله لا خلافه الفرد فخلافه الفرد كان في الماضي قبل أن تحدث المتغيرات في حياه البشريه وظهور الحضارات فهذه المتغيرات باتت فيها مساله اقامه الدوله من الأمور المطروحه بقوه والحاح فكان لابد منها باعتبارها من وسائل حمايه القيم والمبادئ وحفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض فقد كان لابد من تربيته الإ نسان المومن وإعداده للانتقال الي العمل المؤسسي فهذا التطور للأحكام في مراحل تطور المجتمعات حتم ضروره وجود سلطه يتنازل فيها الفرد عن سلطته في حفظ حقوقه للدوله ولهذا فإن الجهاد الذي أمر به بني إسرائيل عندما أمروا بدخول الأرض المقدسة هو لأجل حمايه حق الإنسان ومنع الظلم فالمومن يشعر أنه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين بغض النظر عن اديانهم ولهذا ارسل الله الرسل لاقامه العدل بين الناس ومنع مخالفه منهج الله فقال تعالي (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) فيه بيان الآ تي

الأمر الأول

أنه تعالي جعل مهمه الرسل والدعوه هي استنفاذ الناس من الافساد وسفك الدماء فهي من أشرف المهام التي ارسل الله بها رسله وان مهمه الرسل معالجه الخلل الموجود لدي اقوامهم ليعبدوا الله وبني إسرائيل اقرتفوا جرائم من جهه فساد قوه الغضب وان مهمه الرسل ليس محصورا علي أن يبينوا للناس العبادات فقط أي الشعائر التعبيديه ثم يتركوا الناس لينطلقوا في الحياه ويفعلوا مايشاؤون في بقيه سائر شؤون حياتهم وانما تأتي الرسل لا قامه العدل وإصلاح الخلل في جميع جوانب الحياه فالرسل يقومون منهج الله ولهذا نجد أن أصحاب الجاه و الحكم والسلطان يقفون امام الانبياء ويحاربونهم لأنهم يرون أن مصالحهم وقوانينهم تمس فليس الدين مقصورا علي الموعظه فلا بد للنبي من سلطه تحمي النظام والحق والخير ولهذا

أرسل الله الرسل ومعهم الحجج والبراهين والاداله القاطعه من المعجزات الظاهره والمنهج الرباني الذي يحقق مراد الله

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص في تقريع وتوبيخ اليهود علي تمردهم علي رسل الله ورفضهم القبول بأمر الله ونقضهم العهد فقال تعالي (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون)

ان نفوس اليهود الخبيثه جعلتهم يحاولون تطويع المنهج الرباني لمصالح الشخصيه فاستخدام (ثم) للتراخي من الربيه ووقوفهم ضد الرسل ومنع اقامه دوله الحق لانهم ينظرون أنها تمس وتقهر سلطانهم وهم يشاهدون الاداله التي جاء بها الرسل تنري عليهم فلايبالون بعظمه الله فأشار الي الاسراف في كل أمر بالتباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاه بأن هذا سببا للخروج عن منهج الله برغم وجود الاداله القاطعه لبيان مخاطر فساد قوي الإنسان وغرائز ه وأضرارها علي الحياه

القسم الثالث

(إنما جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

اولا

ابتدات الآيات باداه الحصر الجزء والعقوبه (إنما) بعد أن تناولت النصوص قبلها بيان حرمة النفس وأنه يجب صيانتها فلكل انسان له حق الحياه وقرنت هذا الحق بأن لا يكون صاحبها مفسدا في الأرض بأسلوب فيه استثناء من صيانه حق الحياه (أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض) فهذا الاستثناء مرتبط بأمن دوله الاسلام وشعبه ونظامه الذي يحقق الاستقرار والأمن والعمران والتطور فلا فوضي في المجتمع المسلم لان ذلك يؤدي الي الافساد للنظام العام الذي تسمتع الجماعه في ظلّه بالأمان والطمأنينة ويعيق التنميه والتقدم والتطور للإسلام صان كرامه الانسان وحماها من العدوان علي نفسه أو ماله أو عرضه وجعل الاعتداء علي ايان منها جريمه خطيره يستحق فاعلها اشد العقوبه

وهو القصاص فكيف بالذي يهدد أمن الامه كلها أو بالذي يهدد قيم ومبادئ الشريعة التي يكون اقامه العدل و ضمانات حمايه هذه المقاصد فالحق يقول لنا أنه أرسل الرسل وانزل معهم الكتب التي فيها التشريعات التي تمنع الجريمة بازاله البواعث من خلال ما تغرس في الضمير وايضا بالعقوبات التي تحقق الردع والزجر وأنه لايجوز التفريط والافراط بها ولحمايه هذا كان لابد للرسول ومن يأتي بعدهم من سلطه وقوه تضمن اقامه منهج الله في الحياه واداره شؤون الناس في جميع المجالات ولهذا كان لابد من وجود سلطه تحمي النظام وتمنع الفوضي سلطه تستمد شرعيته من المنهج الرباني اي من الدستور فلا تكون سلطه وصلت بالقوه والتغلب بل وفقا لقيم الاسلام التي تبني بها (الشوري) وفقا لعقد بين الحاكم والمحكوم كما قال تعالي (واطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم)

فاللازم احترام النظام وعدم الخروج عنه ولا يجوز عصيان ولي الامر ولهذا قال تعالي (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا)

فجعل الحق للافساد في الأرض عقوبه لماذا ؟

لانه المفسد يريد اخراج الشئ الصالح عن صلاحه وافساده ولهذا فإن الافساد في الأرض له صور متعددة أهمها ا

لآتي :-

الصراع علي السلطه ومحاولة الاستيلاء عليها بالقوه والتغلب علي السلطان الشرعي المختار من الشعب وفقا لمبدأ الشوري فإن حب الرئاسة شهوه تولد الاسراف في العدوان وهذا الطبع لدي الكثير من الناس فناسب هذا مجئ الآيات بعد قوله تعالي (ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون) فدل هذا أن هذا الداء منتشر بكثيره المتجاوزن لحدود الله وشريعته بالتغيير والاهمال فلا بد من سلطه تحمي النظام الديني وقواعده فالمواعظ وحدها لا تكفي ولهذا استعمل لفظ (يحاربون) والمحاربه من المضاده والمخالفه

فالذي لايقبل بالشوري والعدل ويعلن التمرد علي ولي الامر الشرعي ساعيا الي الانقضاء علي السلطه والاستيلاء علي الدوله ومقدرتها بالقوه المسلحه يكون محاربا لله تعالي ورسوله

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

لماذا سمي محاربا لله ولرسوله؟ مع أنه مثلا لو وصل إلي السلطه سوف يلتزم بتطبيق الحدود والشريعه

؟

الجواب

ان هذا يريد الاستيلاء على سلطان الله وملكه وهو حقه تعالي في التشريع فهو تعالي قد أنزل القرآن الذي فيه التشريعات والأحكام المبينه أسس تدوال السلطه التي تقوم بتطبيق منهج الله في الأرض وبالتالي فإن هذا يريد تزييف تشريع الله ويحارب القواعد التي وضعها الله لتصون البشريه من الأهواء والشهوات والله فالاجتراء علي الآئمه الذين اختارهم المسلمون يعني أنهم يحرمون قيام الآئمه من تطبيق منهج الله وبهذا فهم يحاربون منهج الله الذي وضع القواعد التي تحقق التحسين والاستقرار في الأرض وتحقق عباده الله في ذلك وهم يحاربون رسوله صلى الله عليه وسلم أي سنته وكذلك فإن من صور الافساد في الأرض اضافه الي البغي بالقتل والسلب والاعتداء علي الامنين... الكفر الذي يكون فيه إفساد القوي العقلية الناطقه الايمانيه لانه إفساد القلب والروح الذي هو ملك الجسد والقتل إفساد للجسد الحامل له وإتلاف الموجود ونهب الأموال إفساد لانه يخرج الشئ عن صلاحه ناتج عن حب وارده فاسده جذبته الي جلب مال بالنهب والسلب فاعتداء المحاربين اعتداء علي الحق والعدل الذي أنزله الله علي رسوله صلى الله عليه وسلم

فجاء التعبير واصفا أفعاله وجرائمه بأنها محاربه لله ولرسوله فيه الشده والتقويه حتي يقف منهم المجتمع الموقف الايماني العام موقف القائم علي هذا الأمر مع السلطه الشرعيه لمواجهه الأمر فمن يحارب أولياء الله ورسوله ويسعون في الأرض مفسدين أي يعملون بالمعاصي والقتل وأخذ المال فهؤلاء يحاربون الله ورسوله لانهم يرفضون الإذعان لدين الله وشرعه في حفظ الحقوق كما توعد الله اكل الربا فقال تعالي في سوره البقره (فأذانبوا بحرب من الله ورسوله) لانهم لم يذعنوا لأحكام شرع الله ويجب علي الامام الشرعي الذي يقيم الحق والعدل أن يقابلهم علي ذلك كما فعل ابوبكر الصديق مع أهل الرده

الأمر الثاني

(من هي الجهه التي تقوم بتنفيذ العقوبه)

هو الإمام الذي يقيم الحق والعدل أي السلطات التي تقوم علي شريعته الله وسنه رسوله السلطه الشرعيه التي اختارها المسلمون وفقا لمبدأ الشوري وليس السلطه التي تستولي علي السلطه بالقوه فهذه السلطه إنما يكون صراعها مع الخارجين عن سلطانها صراع مصالح شخصية ولايكون الخارج هنا خروجا عن حكم الله وانما يكون

مفسدا في الأرض إذا تعرض للناس بالقتل والسلب والنهب بحكم الشرع في نظر المسلمين ولهذا فإن محاربه هولا
ء لله ولرسوله إنما يكون بالخروج عن حكم الحاكم الشرعي ولأنه اعتدي علي أهل دوله الاسلام فهذا لا يحارب
الحاكم الشرعي وحده بل يحارب الله ورسوله لانهم يتمردون علي شريعته الله ويعتدون علي الامه

أما الحاكم الذي لا يحكم بشريعته الله فهذا يكون مفسدا في الأرض وهو في المقام الأول محاربا لله ولرسوله ف
الله يقول لنا في موضع آخر محذرا من وصولهم إلى السلطة فقال تعالي (وإذ تولي سعي في الأرض ليفسد فيها
وبهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

المبحث الثاني

شروط المحارب

ان يكون مسلح _ وان يكون في صحراء أو ماشبه وان يتخذ القوه للاخلال بالنظام سواء كان داخل المدينه او
خارجها ولهذا فمن قال بشرط الصحراء غير صائب _ أن يرتكب جرائم أما القتل أو سلب المال أو اخافه السبيل ..
فالحرايه عقوبه الذي يخرج عن النظام المسلم وبشكل عصابه مسلحه تخل بالنظام والقانون ولهذا لابد له من قوه
تردعه لانه يعتدي علي ارواح الناس وأموالهم وحررياتهم ويحدث الفوضى في المجتمع والاضطراب ولهذا كان لابد
من استئصال هذا العنصر الخبيث

الأمر الثالث

(تبيين النصوص الأحكام الجنائية والعقوبات المتعلقة بالحرايه)

هذه الأحكام متعلقه بما يصدر من المكلف بشأن الحرايه ويقصد بها حفظ الدين والنفوس والأموال وتحديد الا
جرايات التي تنظم العقوبه وحقوق المجني عليهم أفرادا وجماعات ودوله حيث نجد

المبحث الأول

أنه وضع عقوبات المحارب فقال تعالي (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأ
رض)

النص فيه عقوبات اربع عقوبات (القتل _ الصلب _ قطع اليد اليمنى والرجل اليسري _ والنفى من الأرض)

المبحث الثاني

(هل النص فيه تخيير للحاكم بالعقوبه ام أن هنالك عقوبه معينه لكل حاله تقع علي الجناه)

الرأي الأول

ان تكون العقوبه بالتخير للامام لمن قال بالتخير :-

اذا كان المحارب ممن له الرأي والتدبير فوجه الاجتهاد قتله وصلبه لأن القطع لاتدفع ضرره ..

وان كان لا رأي له وانما هو ذو قوه وباس فإن قطعه من خلاف

وان كان لا رأي له ولا قوه ولاباس فيكون النفي أو الحبس علي افتراض أنه لم يقتل ولم ينهب ولم يخيف فكان

النفى إجراء احترازي وقائي لمنع وقوع الجريمة مستقبلا قبل وقوعه

الرأي الثاني

من قال بالترتيب للتخيير

أصحاب هذا الرأي هم المالكيه

فقالوا إنه إذا قتل وجب قتله وليس للامام التخيير في قطعه أو نفيه وانما التخيير في قتله وصلبه

وان الذي يأخذ مالا ولم يقتل فلا تخيير في نفيه وانما التخيير في قتله أو صلبه أو قطعه

وان من اخاف السبيل فقط فيكون الامام مخيرا بين قتله أو صلبه أو قطعه أو نفيه

الرأي الثالث

ان تكون العقوبه بحسب الجرائم وليس علي التخيير ولا علي الترتيب

بل بحسب الجنايه فكل جريمه تقابلها عقوبه

فالذي يقتل ولم يأخذ مالا يجب قتله وليس للامام التخيير وان الذي يقتل ويأخذ المال يصلب لتحقيق الردع و الزجر وان الذي يأخذ مالا فقط تقطع يده اليمني ورجله اليسري وان الذين اخافوا الناس ينفون من الارض حتي تظهر توبتهم وهذا هو الأرجح

المبحث الثالث

سبب الابتداء بالاثقل في حدود المحاربين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه لم يكن علي التخيير ولا علي الترتيب بل بحسب الجرائم للاتي

لانه ليس في لفظ الايه ما يقتضي التخيير كما يتوهمه طائفه من الناس فإنه لم يقل الواجب أو الجزء هذا أو هذا أو هذا وانما قال إنما جزاءهم هذا أو هذا أو هذا فالكلام فيه نفي وإثبات تقديره ما جزاؤهم الا أحد الاربعه القتل أو الصلب أو القطع أو النفي

وقد تقرر أن مثل هذا الخطاب يثبت المذكور مانفاه عن غيره فقد نفي أن يكون ماسوي أحد هذه جزاء فأثبت أن يكون جزاء المحارب أحد هذه العقوبات والمحاربون جمله ليسوا واحدا ومع ذلك ذكروا باسم الجمع ومقابله الجمع بالجمع تقتضي توزيع الأفراد علي الأفراد وبالتالي فهذا لا يقتضي التخيير في كل معتدي بين هذه العقوبات بل توزيع العقوبات علي انواعها

والمقصود بهذا نفي جواز ماسوي وإثبات ضده ومفهوم أو إثبات التقسيم المطلق اي التشريك المطلق بين المعطوف والمعطوف عليه فما الترتيب فلا ينفيه ولا يثبتته إذ الدال علي مجرد التشريك لا يدل علي التميز وكذلك أو هي للتقسيم المطلق وهي ثبوت أحد الأمرين مطلقا وهذا أعم من أن يثبت علي سبيل التخيير بينه وبين الآخر أو علي سبيل الترتيب او علي سبيل التوزيع وهو ثبوت هذا في حال وهذا في حال فالمراد بهذا حسب الجريمه

المبحث الرابع

معني النفي من الأرض وهل يحقق الحبس معني النفي ؟

النفي كما ذكر الشعرواي رحمه الله تعالى هو الطرد والأبعاد والطردي لايتاتي الا لثابت مستقر والأبعاد لايتاتي الا
لنتمكن وبالتالي فانه قبل النفي كان هذا ثابت له موضع مستقر فيه المسكن أو الوطن أو المكان الذي يقيم فيه
فأخرجه من وطنه ومن مسكنه الي مكان لايبيح له الافساد فيه من الأرض وهذا يشمل الكره الارضيه كلها بالمعني
العام أما بالمعني الخاص فالمراد نفيه من الأرض الذي كان مستقرا فيه يرتكب فيها جريمته)

ولهذا فإن النفي يعني أبعاده عن كل ما الفه واعتاد عليه وطرده من المكان الذي افسد فيه فيمكن أن يطلق علي
المحبوس منفيًا لانه لاينتفع بشئ من ملذات الحياه فلا يري أحد من أحبابه فصار منفيًا عن جميع الشهوات و
الطيبات

المبحث الخامس

(اول نفي حصل في الإسلام)

ان اول نفي حصل في الإسلام هو نفي الحكم بن العاص من المدينه الي الطائف والذي نفاه هو الرسول صلى الله
عليه وسلم والسبب يعود إلي ما فعله الحكم بن العاص من تقليد مشيه الرسول صلى الله عليه وسلم باستهزاء
حيث كانت مشيه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا مشي تكف تكفوا كأنما يتحدر من صب فقد كانت مشيته
مشيه خاصه فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويوما التفت الرسول فراي الحكم يقلده استهزاء فنفاه
الرسول صلى الله عليه وسلم الي الطائف وظل فيها حتي وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم وانتقله للرفيق الا
علي فلما كان خلافه ابوبكر جاء أهل الحكم يطلبون من ابوبكر العفو عنه فقال ما كنت لاحل عقده عقدها رسول
الله وكذلك فعل عمر رضي الله عنه ولما كانت خلافه عثمان استغلت اسره الحكم حياء سيدنا عثمان فعفا عنه و
الحكم هو والد مروان بن الحكم الذي ينتسب له عبدالملك بن مروان ومن جاء بعده من حكام بني اميه

الأمر الرابع

(الغرض من العقوبه)

تحقيق الردع والزجر لأنها تقتلع جذور الشر وتقضي علي الجريمه في مهدها وتودي الي استقرار المجتمع المسلم
واطمئنانه ولهذا يقول تعالي (ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)

اي النكال والقضيه والعار والذل عقوبه لهم في الدنيا قبل الآخرة علي ما أفسده ومعارضته تنفيذ شرع الله
وإقامته في الأرض وان ما ينتظرهم من العذاب الذي أعده الله لهم في الآخرة بما يفوق الوصف والتصور فهو
عظيم في شدته وكيفيته وكميته

ولهذا فلا يجوز التهازن فيه ولا التساهل فيه فلا بد أن تقوم الدوله بالقضاء علي الخارجين ولا بد أن يشاركهم
المجتمع في ذلك ولهذا فإن أعداء الانسانيه هم الذين يستعظمون قتل المحارب وصلبه وقطع يده ورجليه ونفيه
ان عدواه هولاء تمثل خطر علي الانسانيه وعلي دين المسلم فعليك أن تحذر من سهام الأعداء للتشكيك بدينك
فإنهم يسعون الي القضاء علي مصدر عزه الامه وقوتها وسر بقائها ووسيلتهم في ذلك تخريب الثقافه الاسلاميه لإ
يقاف تأثيرها وتعطيل فاعليتها من توجيه السلوك وإضعاف التزام المسلم بالقيم وإحلال ثقافه بديله باسم الا
نسانيه فيظهرون الرحمه بالمجرم ولايرحمون المجتمع من شرور المجرم وخطاره علي المجتمع فانتبه ان يخترق
هولاء عقلك ووجدانك لأن هولاء يريدون استبدال الشخصيه المسلمه بشخصه حائره تائيه فانظر الي تلك
المجتمعات كيف أن الانحلال الأخلاقي قد تمكن من واقعهم وكيف انتشرت الجريمه فيهم فلا وسيله لردع
المجرمين الا بتطبيق شرع الله وان هولاء الأعداء بترويج تلك الأقاويل يسعون الي طمس هويه الامه ولهذا
فعليك تحصيل ثقافتك فلا تتأثر بما يردده الأعداء

ثانيا

لقد تناولت النصوص احكام عقوبات الحرايه وأحوالها وظروفها وأركان الجريمه وشروطها واقتلع بواعثها وهنا تأتي النصوص مبينه الأحوال والظروف والملابسات التي تمنع الحاكم من ايقاع العقوبه بشكل قاطع

فقال تعالي (الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

الأمر الأول

ان الذي يتوب عن أعمال التخريب والحرايه قبل أن تناله يد السلطان فقد سقطت عنهم العقوبه فلا يجوز مؤخذته هكذا هو ظاهر الايه وان ذهب البعض للقول إن من تاب قبل القدره عليه تسقط عنه العقوبه بالحق العام أما الحق الخاص بالادمي المقتول والمنهوب فلا يسقط وقالوا إن الذي يسقط عنه الحق العام والخاص هو المحارب الكافر إذا أسلم لكن هذا القول لا يستقيم وظاهر النص وخصوصيه النزول كونها نزلت في نفر من المسلمين العرانيين وايضا لأن الله قد أعطاهم الامان فقال تعقيبا علي ذلك (فاعلموا ان الله غفور رحيم) ومعني هذا أنه تعالي اعطاءهم وكتب لهم الامان ولم يقل والله غفور رحيم كما ذكر في أغلب الآيات بل قرنها بقوله (فاعلموا) فأراد بهذا التأكيد علي حقهم بالأمان بانه منحه من الله الغفور الرحيم بعباده فحدد علاقه المجني عليه بالجاني في هذه الحالة بأن عليكم أن تتخلقوا بأخلاق الرب فهو غفور رحيم واذا كنتم تطمحون وترجون أن يغفر الله لكم ويرحمكم فعليكم التعامل مع التائبين من عباده بالعفو والصفح والرحمه

الأمر الثاني

ان الايه فيها تنظيم اجراءات محاكمه هولاء والحالات الموجهه للعقاب ولهذا فإن اشتراط ايقاع العقوبه أن يكون القبض علي المجرم قبل أن يتوب عن جريمته يعني اهميه تحرير محضر ضبط به عند القبض عليه وهذا من الأ مور التي يقتضيها النص فدل هذا علي أن الإسلام جاء بتنظيم القانون الجزائي والعقوبات قبل الف وأربعمائة وخمسه واربعون عاما فالاسلام سبق النظم القانونيه في الوقت الحاضر التي تتباهي بما وضعت من قواعد تضمن سلامه العدالة وكفاله حق الدفاع بينما الإسلام قد جاء بها في عصر كان العالم في ظلمات فضلا عن ما سبق ذكره من اجراءات الاثبات والشهاده وحياديه القضاء (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم...الخ

تدل علي ان هذا النظام هو رباني فيه الرحمه للبشريه

الأمر الثالث

(الحكمه من إسقاط عقوبه الحرايه)

المساله الاولي

ان توبتهم حصلت في وقت يمتلكون القدره علي العدوان فهذا يدل علي صلاح قلوبهم

المساله الثانيه

حرص الإسلام علي فتح باب التوبه والتشجيع للتائبين وفتح الآمال تنميه لجوانب الخير والقضاء علي جوانب الشر من خلال اشاعه أجواء الخير وهذا فيه القضاء علي أجواء الإحباط التي تفسد حياه الناس وتوردهم موارد الهلاك

المسالة الثالثة

توفر مؤنه الجهد من قتالهم فطالما عاد تائباً وهذا يتطلب منه اعلان ذلك من خلال تسليم نفسه الي جهة امنيته وإثبات ذلك بما يفيد أنه سلم نفسه طواعيه حيث أن هذا السلوك منه يعني توفر عنصر الوطنييه فيه بالشعور بالا نتماء الي الوطن وحرصه علي قيم الإسلام ومبادئ الشريعة فدل هذا علي صلاح الغرائز الفطريه لديه وقوه المعتقد وبهذا يكون اندماج حياه التائب وهو راض النفس في حياه الامه وربطه بالتوبه تعني أن يكون متعبدا لله بفعله هذا ومستعدا للتضحيه بنفسه في المستقبل من اجل حياه الامه وبهذا يكون هذا الشعور هو عنصر الوطنييه وهو عنصر جوهرى لقوه الدوله ومن هنا كان التحذير (فاعلموا أن الله غفور رحيم) اي امنحوه فرصه للاندماج في المجتمع المسلم

فالله انزل المنهج الرباني الذي يتعامل مع طبيعة البشريه ومع مشاعرها ومسالكها فهو الخبير بها والعليم بما يصلحها وبطبيعتها فهو عليم بما

خلق

القسم الرابع

بعد أن تناولت الآيات الوعيد الشديد للمحاربين في الدنيا والآخرة والتي بينت أن تلك العقوبات صيانه للأخلاق الفاضله وحمايه لها وان العقوبه في الدنيا سوف تتبعها عقوبه عظيمه في الآخرة تفوق التصور واختتمت بفتح باب التوبه وهنا تأتي النصوص بالنداء للمومنين (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون أن الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ماتقبل منهم ولهم عذاب عظيم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم

اولا

ان الايات فيها النداء للمومنين وهذا يهدف إلي تهنيه الأجواء المناسبه للحياه الاخلاقيه الفاضله في النظام الإسلامى مي من خلال هذه التشريعات التي فيها نظام حكم وسياسي محكم ونظام اقتصادي كامل ونظام اجتماعي دقيق فإذا كان المنهج الرباني قد حدد دور الحاكم في تنفيذ الأحكام الشرعية والتي منها العقوبات التي سبق ذكرها من القتل والصلب والقطع والنفي فإنها فيها صيانه للأخلاق الفاضله وحمايه لها وفيها زجر وردع من لاينفع معه الموعظه فمثل هذا لابد من قوه تردعه لكن في المقام الأول فإن الإسلام يعتمد منهج تربيته القلب والضمير والفرد والجماعه علي الإيمان ومحبه أوامر الله والتنفير من أعمال الشر واهلها ليحصل نبذ الشر وهذا هو أهم مجالات المنهج الرباني الذي يكون به تزكيه النفوس وتقويم السلوك وكفها عن الانحراف باستئصال البواعث من النفس ليكون اخراج بواعث الجريمه من داخل نفس الإنسان وكيانه ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

وهذا فيه

الأمر الأول.

(دور التقوي في صيانه قوه الغضب وقوه الشهوه من الفساد)

ابتدأت النصوص بالأمر بالتقوي بعد أن تناولت النصوص قصه ابني ادم ثم ذكر بشاعه جريمه القتل والعقاب عليها ثم يأتي التوجيه بدعوه المومنين الي أن يجعلوا بينهم وبين ما سمعوا من وعيد الله للمفسدين وقايه تقيهم من سخط الله وغضبه والخطاب للمومنين يقول لهم أنتم من اقررتم بعظمه الله التي هي جديره بأن تخشي ويجب أن تقدروه حق قدره بأن تخافوا مخالفه شريعته الله ثم أمر بطلب رضاء الله ومحبتة

وهذا فيه الآتي

المبحث الأول

تربيته المومنين علي الشعور بوجود الله تعالى ورقابته علي كل فعل يفعله المسلم ليكون هذا الشعور أساس الحركة التي ينطلق منها المسلم في كل حركه يتحركها فتحقق للحركة فاعليتها الإيجابية تستمد قوتها من داخل الضمير بخوف الله ومراقبته وخشيته فهذا أن وجد في الضمائر فإنه يكون اقوي من السوط والسيف لأن الشعور برقابه الله تودي الي الانضباط واحترام القانون والنظام خوف من الله تعالى فلا يتحايل علي القانون حتي لو وجد فرصه أمامه لأنه يشعر أن الله يراه ويسجل أعماله فيلتزم بأمر الله ونواهيته فتشكل قوه دفع لبواعث الجريمه خوفا من الله تعالى فهذا الخوف من الله هو اللائق بالإنسان وكرامته أما خوف السيف فهو خوف الهابط الذي كان تشريع العقوبه لضبط هولاء أما المومنين فهو يخاف الله ولهذا ابتداء الخطاب يايها الذين آمنوا بالترغيب بعد أن حذر من المفاسد علي عاده القران في تخلل الاعتراض بالموعظه والترغيب والترهيب وهي طريقه فن الخطاب لاصطياد النفوس فكان مناسبا أن تأتي النصوص بعد ذكر حكم المحاربين من أهل الكفر الذين كانت حركتهم سلبيه الفاعليه فجاء الأمر للمومنين بالتقوي وطلب ما يوصلهم الي مرضات الله وقابل ذلك بمثال مذموم لمن كانت فاعليته سلبيه

المبحث الثاني

لان فعل المأمور به صادر من القوه الارده الطلبيه وترك المنهي عنه صادر عن القوه الكراهيه البغضيه الغضبيه النفريه وكذلك الترغيب في المعروف والنهي عن المنكر إنما يصدران عن تلك القوه فلا تكف النفوس عن الظلم الا بالقوه الغضبيه الدافعيه وبذلك يقوم العدل والقسط في الحكم كما أن الاحسان يقوم بالقوه الجاذبيه ولأن دفع المكروه بدون حصول المحبوب لافائده منه ولهذا كان الأمر بترك المنهيات ثم ذكر السعي في طلب الوسيله التي تقربكم من الله فقال تعالى (وابتغوا إليه الوسيله) اي فعل المامورات فهذا هو طريق الفلاح

ولأن المقتضي لكل واحد من المحبوب والمكروه الذي هو الخير أو الشر ولهذا فإن الحق يقول إن ترك المكروه وفعل المأمور يحصل بهما النصر الفلاح فقال تعالى (لعلكم تفلحون)

فحصول النصر والرزق مقرون بخوف الله وبذل الجهد المطلوب فالشرع والنفس في هذه الحاله تعظم دفع المكروه فبالشرع بالتقوي التي اجرها عظيم فالمقصود الأساسي جذب طاعه الله بفعل المامورات فإن المانع هو لوجود عارض وهو أن النفس تحب الشهوات وتكره الانضباط خاصه أن امه العرب لم تكن تعرف الدول ولهذا فإن المأمور به السمع والطاعه للسلطه القائمه بشرع الله وعدم جواز الخروج عنها ولهذا ذكرت النصوص العقوبه (ولهم في الاخره عذاب عظيم) وبعدها عقب الحق (فاعلموا أن الله غفور رحيم)

فأراد بهذا القضاء علي التمرد والعصيان علي النظام والقانون

المبحث الثالث

لماذا إذن عظمت التقوي في النص وفي كل موطن حتي أن البعض اعتبر ان قوله تعالى (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

فمن قال إن الوسيله متعلقه بالتقوي ذهب الي القول ان الامر بالتقوي كي تتقوا المفاسد والمهالك التي تأخذ المفسدين بأنواع النكال فطريق السلامه والنجاه والفلاح هو بالتقوي وان الوسيله المأمور بأخذها والتوسل بها هي متعلقه بالتقوي اي ان التقوي علي تمامها مطلب صعب المنال غالي الثمن لا يقدر علي الوفاء بها إلا أصحاب الهمم العاليه من كان قوي الايمان باليقين ولديه عظيمه وهمه عاليه فقالوا إن الابيه (وابتغوا إليه الوسيله) معطوفه علي التقوي اي اتقوا الله بطلب الوسائل الموديه الي التقوي فعليكم الأخذ بالوسائل التي تحقق التقوي كالزهدعن الدنيا بالاشتياق الي ما عند الله والاشفاق من الآخره وما فيها من عذاب وتراقب الموت في أي لحظه ولهذا قال تعالي (وجاهدوا في سبيله) فالأمر فيه مشقه ويحتاج الي قوه صبر تمدك بالطاقه والنشاط

ولهذا فإن الجواب علي لما عظمت التقوي ؟ يقول شيخ الإسلام

لأنها هي تحفظ الفطره وتمنع فسادها ولهذا احتاج العبد الي رعايتها لأن المحبه الفطريه لاتحتاج الي محرك فهي تعترف بالله ولهذا فإن أعظم ما دعت إليه الرسل الاخلاص والنهي عن الشرك لأن الإقرار الفطري حاصل لوجود مقتضيه وانما يحتاج العبد الي إخلاصه ودفع الكفر والشرك عنه ولهذا كانت حاجه الناس الي السياسه الدافعه لظلم بعضهم عن بعض والجلابه لمنفعه بعضهم البعض فاصل الدين هو عبادته الله الذي أصله الحب والانابه والاعراض عما سواه وهو الفطره التي فطر الله الناس عليها

الأمر الثاني

(وابتغوا إليه الوسيله)

ابن عباس قال إنها القربه وقال قتاده أن تتقربوا من الله بطاعته والعمل بما يرضيه ومنهم من قال اطلبوا أو خذوا وقيل انها اعلي منزله في الجنه وهي منزله الرسول صلى الله عليه وسلم وهي أقرب أمكنه الجنه من العرش كما ورد في صحيح البخاري بحديث أنه من سمع نداء الاذان أن يقول مثلما يقول الموزنالي قال ان تقول اللهم رب هذه الدعوه التامه والصلاه القائمه أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الوسيله والفضيله... الخ

وحديث أبي هريره في الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي ...وسلوا الله لي الوسيله واخبرهم إن الوسيله درجه في الجنه ليس ينالها الا رجل واحد وارجوا أن أكون أنا

ولهذا فإن الوسيله هي التي يتوصل بها الي تحصيل المقصود هنا في هذا المقام فأراد بها

المبحث الأول

ان الامر هنا بان يطلبوا الأسباب التي تصلهم الي الاعمال الصالحه التي يتقربون بها من الله فجعل طلب فعل الطاعات وسيله القرب من الله فالوسيله اريد بها ما يبلغ به القرب من الله وقد علم المسلمون أن البلوغ الي الله ليس بلوغ مسافات ولكن بلوغ رضي اي بالقيام بالاعمال التي تقربهم من الله و لا يزال العبد يتقرب بها الي الله حتي بحبه فإذا احبه كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله دعاءه

المبحث الثاني

ان ابتغاء الوسيله بطلب من الله الحاجه لمن قال بهذا المعني يعني أن يفرس في النفس الافتقار والحاجه الي الله علي الدوام فتشعر بضعف نفسك وعظمه ربك فمن عرف نفسه بضعفها وافتقارها وعرف ربه بقوته وعظمته وكماله

كان اقدر علي تقويم طبعه وإصلاح سلوكه فهذا يكون في طريق يوصله الي الفلاح لانه اقدر علي تحمل المشقه ومجاهده نفسه وعدوه الباطني والخارجي

المبحث الثالث

التعريف بالوسيله تعريف الجنس اي كل ما تعملون من الطاعات التي تقربكم من الله لتنالوا رضا الله وقبول اعمالكم فقد ورد في الحديث القدسي (ما تقرب الي عبدي بشيء احب إلي مما ارضيه لله

ولهذا نجد أن تقديم (وابتغوا إليه الوسيله) قدم الضمير علي متعلقه للاهتمام بالتقرب الي الله بجميع الوسائل الممكنة وايضا للحصر اي لايتوسل الا إليه سبحانه وتعالى لا الي غيره وهذا فيه تعريض بالمشركين الذين كانوا يتخذون الأصنام وساطه بينهم وبين الله فالتوسل لا يكون بالأشخاص احياء أو اموت فهؤلاء لا يكونون وسائل الي الله كما تصور أهل العقائد الفاسده فهذه طرق تفضي إلي الشرك ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما شرع للناس زياره القبور جعلها وسيله للتقوي بأن يكون في زياره تذكر الآخره والإحسان الي الموزور بالدعاء و التراحم عليه والاستغفار وسؤال العافيه له فيكون الزائر محسنا لنفسه وللميت وليس كما صارت عليه عقائد البعض بالبدع التي حولوا القبور الي أصنام تعبد من دون الله حيث جعلوا المقصود بالزيارة الميت ودعاوه والدعاء به وسؤال حوائجهم واستئزال البركات منه ونصره لهم علي الأعداء ونحو ذلك فهذا نوعا من الشرك فالله يقول (أن الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم)

فالوسيله مايتقرب بها الي الله تعالي لا الأشخاص فالله يقول (وان ليس للإنسان الا ماسعي وان سعيه سوف يري ثم يجزيه الجزء الاوفي) والله يقول إن دعاء المومن لآخر قده ينفع الإنسان العاصي وقد لاينفعه فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصا أن يومن عمه ابوطالب فقال تعالي (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)

الأمر الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن التقوي منشأ الاخلاق وبه يخلص العبد من الأخلاق المذمومه ويتخلص من المعاصي وان ابتغاء الوسيله فيها السعي الي طلب رضاء الله تعالي و هذا كله يحتاج الي الجهاد ولهذا قال تعالي (وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)

والجهاد من الجهد وبذل المجهود وهذا لا يكون إلا عند وجود مشقه وهو يشمل جهاد النفس و جهاد الأعداء وسبيل الله هو طريق الحق والعدل والفضيله والخير والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب والنجاه من كل مرهوب فقال تعالي (لعلكم تفلحون)

وهذا فيه

الأمر الأول

(اهميه تزكيه النفس وإصلاح الحالات الروحانية)

ان النفس بحاجه الي قوه لدفع المكروهات والقيام بالمأمورات بجهاد النفس بإخراج الانانيه منها والكبر والحسد وقمع الأهواء والملذات وان يحل محلها حب الله ورسوله والجهاد في سبيله بالتضحيه بالنفس والمال في سبيل الله وطريقه وهذا يحتاج الي تزكيه النفس فهذا هو طريق الفلاح الذي اقتضت مشيئه الله أن يكون سبب الفلاح و النجاه إنما يكون من نفس الإنسان لا من خارجها فالله يقول (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)

لتظفر بالجنه وانت في الدنيا بالاطمئنان الي ربك وتجد في طاعته السلوان والسرور والذنه في الله فعبادته هي

الغذاء الروحاني لتكون حياتك كلها لله وبهذا تكبر نفسك وتنميها بتنظيفها من الدنس فالتزكية تعني النمو والزيادة للوصول إلي الكمال

(ماهو كمال النفس)

ان النفس أما اماره بالسوء والله قد أخبرنا أن قبح هذه النفس هي التي سولت لقابيل قتل أخيه فقال تعالي (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله)

ثم أخبرنا الله بأحوال العصاه والبلغاه الخارجين عن القانون فذكر عقوبه جريمه (الحرابه) ثم ذكر إسقاط العقوبه عن التائب طواعيه من قبل أن تقبض عليه السلطه فقال تعالي (الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)

فدل هذا أن التائب طواعيه إنما دفعه الي الندم عن فعله النفس اللومه فهي وان فشلت في تحريك الرغبات الحسنه ولم تولد النفور إزاء الرغبات الشريره الا أنها قد جعلته يعود تائباً فالنفس اللومه تلؤم صاحبها وتجعله يتوقف تاره عن الجريمه احيانا فالاحساسيس لديه حيه ولم تموت كما هو حال النفس الاماره بالسوء

ولهذا نجد أن الحق يخاطب المومنين أن الوصول بالنفس اللؤامه الي الكمال وهي النفس المطمئنة يبدأ من تقويه خوف الله والشعور بوجوده وطلب الوسيله التي يكون بها القرب من الله تعالي وتزكيه النفس وتطهيرها من الاوساخ فالتزكية تعني الانتقال الي مرحله النفس المطمئنة ويبدأ من الشعور بأن غذاء الروح هو بالعباده والطاعه في حياتك كلها فيكون هذا حافظاً مباركاً لتطوير النفس فلا يكون هنالك فشل في تحريك الارده وطلب الاعمال الصالحه ويتولد النفور الحقيقي إزاء الرغبات الشريره عند ذلك تمتلك القدرة الكامله للتمسك بالفضيله ولا تشعر بـ المشقه بل تتلذذ بالطاعه ومتي وصلت إلي هذه المرتبه تكون قد حزت الفلاح الكامل فقال تعالي (لعلكم تفلحون)

(الغرض من هذا النداء)

يهدف النداء الي فتح الامل أمام التائبين طوعيه ليكونوا مساهمين في اقامه الحق والخير والفضيله والعدل و القضاء علي بواعث الشر والنوزاع الاجراميه من خلال الدعوه الي تنميه لجوانب الخير والقضاء على الشر ونوزاعه فبين لهم أن مرحله النفس اللؤامه التي يمر بها الإنسان تجعله يثبت علي الخير تاره ويتعثر تاره بعد اخري ومرات كثيره حتي أنه يقنط احيانا أن يصلح حاله فيظن أن مرضه لا علاج له ولهذا يقول له الحق أن هذا أمر طبيعي فلا تقلق وانما عليك أن تتقي الله وتطلب مرضاته وتجاهد نفسك بتزكيتها فإن حصل ذلك نلت الفلاح الكامل فتخمد الشهوات من تلقاء نفسها وعندها يرزقك الله نور يصل الي قلبك فتري الحقيقه ويرزقك الله الاخلاص وقبول العمل عندئذ يحدث في حياتك انقلاب عجيب يحدث تغير في حياتك فتكون حياتك كلها لله وتبتعد عن حالاتك السابقه (اللؤمه) تدريجياً ويغسل الله قلبك ونفسك وروحك ويطهرها من الدنس ويحبب الله الايمان في قلبك ويزينه ويذهب عنك الرجس ويستولي الاخلاص علي قلبك وكيانك

(كيف يهتدي الي سبيل الله)

أخبرنا الله أن كل شي وعمل في الحياه له أسباب وعلي هذه الأسباب يتوقف الوصول إلي طريق الهدايه ولهذا أخبرنا الله أن ذلك يبدأ بعلم حكم ماتقول وماتفعل قبل صدروه منك فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا) ثم تعظيم أمر الله وخوفه سبحانه وتعالى وان الامر الثالث ان تطلب الوصال والقربه بالله وهذا لا يكون بقوه عقولنا وانما يكون بمساعده الله تعالي فما هي الوسيله لاجلاف أنها الطاعه لأمر الله ولهذا قال تعالي (وجاهدوا في سبيله) ف الطاعه تتطلب معرفه الحكم للفعل هل طاعه لله ام لا؟

فإذا لم يكن طاعه فلا يفعله إلا أن يكون مباحا يستعين به علي الطاعه وحينئذ يصير طاعه واذا كان طاعه فينظر هل هو قادر عليه ام لا فإذا لم يكن قادرا عليه فلا يقدم عليه فإذا كان قادرا عليه فاللازم أن يأتيه من بابه يقول ابن القيم رحمه الله فهذه الأمور الثلاثه (الطاعه والاعانه والهدايه) اصل سعادته العبد وفلاحه وهو معني قوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين هدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فاسعد الخلق أهل العباده والاستعانة والهدايه الي المطلوب واشقاهم من عدم الأمور الثلاثه

ولهذا نفهم اننا نحتاج الي مساعده الله بأن نطلب من الله أن يحمينا من سلوك طريق غضب الله عليهم ويحمينا من طريق الضالين وأن يهدينا الي سبيله بأن ننال مرضاته ونعمته (التوفيق والنجاح والفلاح)

التي حظي بها النبيون والصديقين والصالحين والشهداء

ولهذا فإن الدعاء والتضرع لله تعالى هو الوسيله التي لا يبرح الصالحين أن يتوسلوا بها الي الله ليحموا أنفسهم من السيئات وان يتقبل الله أعمالهم بأذعان وإجلال وحب وخوف وخشيه فالله يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ا لاولي في الدنيا بازاله القلق والالام والاوساخ من قلبه وتوفيقه الي صالح الاعمال وتقويه العزائم والهمم والثانيه في الاخره

ولهذا أطلق علي طلب القرب منه الوسيله وهي الأعمال الصالحه أن تكون عبادته لله وان يطلب القرب بها من الله اشارة الي سنه الفعل ورد الفعل التي جعلها الله وسيله القرب منه فهو يقول (واذا سالك عبادي فاني قريب اجيب دعوه الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)

فالذي يريد الوصال ب الله والقرب منه وإصلاح الحالات الروحانية للوصول إلي الكمال عليه أن يفتح أبواب الهدايه كي يستقبل انوار الحق لتدخل الي كيانه فما يترتب علي أفعالنا من نتائج إنما هو عقوبه من الله فمن أراد الوصول إلي الفلاح عليه أن يكون في مكان يسخط الله وعليه أن يحرص أن يراه الله فيما يحب ويرضي وهذا يتطلب بذل مجهود يجاهد فيها نفسه وأن يبيع نفسه لله تعالى وهذا يتطلب أن يكف نفسه عن اهوائها وعليه حملها علي المشقه والعدل في جميع أحوالها وان يضحي بنفسه في سبيل الله وحمايه دينه واعلاء كلمته ليجد الفلاح الكامل في الدنيا والآخرة فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا) فالذين يبذلون الجهد في ابتغاء مرضاة الله سيجزئهم مقابل ذلك هدايتهم الي طريقه المستقيم الذي فيه النجاه والسلامه والسعاده والفوز والظفر وأما الذين اعوجوا ولم يسيروا في طريق الهدايه فهولاء يجعل الله طريقهم معوج ويورث في قلبه الاعوجاج فقال تعالى (فلما ازغوا ازغ الله قلوبهم)

ثانيا

ان الذين كفروا لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه ماتقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم)

وبالوقوف علي الابيه الكريمه نجد الآتي

أن ظاهر الجمله أنها متصله بجمله (ولهم في الاخره عذاب عظيم)

اتصال بيان فهي مبينه لتلك الجمله وتهويلا لهذا العذاب الذي توعد به المحاربين التي نزلت الآيات بشأنهم وذكرت النصوص العفو عن التائبين وهنا عقبته بذكر تفصيل جزاء الذين يحاربون الله ورسوله المشار إليه سابقا وهنا نقف علي مدلولات النصوص من خلال الآتي

الأمر الأول

(لماذا اطلق عليهم كفارا اذا كانت الايه متعلقه بالمحاربين)

الجواب لأن الايه قبلها قد بينت أن ترك الاوصاف الثلاثه (التقوي_ وطلب الوسيله_والجهاد) مزيلا للوصف الأول الايمان فكان مناسباً للتحذير من تركها ذكر حال الكفار من خلال هذا التصوير لحال الكفار الذين لا يرقبون الله ولا يطلبون الوسيله ولا يجاهدون أنفسهم ولا يطلبون طريق الفلاح بهذا الأسلوب الرائع الذي يرسم مشهد متحرك لحالهم يجسد قبح حالهم فتاتي الآيات بافتراض يفوق الخيال في عالم الافتراض (لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامه)

أنه لو جمع مافي الارض من ذهب وكنوز وكل مافيها من أموال ومثله معه وسلمه عوضا عن عقوبه العذاب في نار جهنم فانه لن يقبل منه لبيان حاجتك ايه الإنسان الي ربك في أن يوفقك الي الهدايه أكثر من حاجتك الي الطعام والشراب لأن السعاده والسلامه هي بالهداية الي الصراط المستقيم فأخبر الحق انه لو قدموا بهذا المال كله ما قبل منهم عوضا عن عذابهم وعقابهم بل هو معذبهم في حميم يوم القيامه عذابا موجعا خالدا لا يخرجون منه

الأمر الثاني

(فائده هذا اسلوب الافتراض بأنه لو أن لهم مافي الارض جميعا ومثله معه لما قبل منهم يوم القيامه عوضا عن العذاب)

ان الايه ترسم مشهد متحرك لحالهم يجسد شخصية الكافر واطماعه وانشغاله في الدنيا بالشهوات والملذات فهذا هو حال كل من لم يعرف الغايه من وجوده وهو عباده الله فانه يجعل لنفسه غايه وهدف في الحياه لا يخرج عن نطاق الشهوات والملذات فتكون نظرتة محصوره في هذا النطاق لانه لا يوقن بالبعث والنشور والحساب والجزء ولهذا تأتي النصوص بهذه الصوره التي تجسد نظرتة للحياه فهو ينهمك منشغلا بجمع المال والمناصب لأجل أن يجد الامان في المستقبل وان لا يتعب وان يجد السعاده والسلامه فالكافر يعيش في عالم الخيال التي تجعله يبحث عن السعاده من خلال جمع المال فيقول له الحق لو أنه جمع مافي الارض من أموال وكنوز فاستعمل الماضي (لوا أن لهم مافي الارض) وأكد ذلك بافتراض استغراق الظرف والمظروف فقال (جميعا)

وزياده فوقه مثله ثم يصورهم وهم يحاولون الاقتداء بهذا لينجوا من عذاب يوم القيامه لترسم الآيات في النفوس منظرهم وهم في الدنيا وبايدهم الأموال الذي اعتبروه وسيله النجاه والسلامه والسعاده في دنياهم ثم تعرض منظرهم يوم القيامه وهم مخيبوا الطلب غير مقبولي الرجاء منظرهم وهم يدخلون النار ولا يخرجون منها فأراد بهذا

المفهوم الاول

بيان أن ما كان يطلب منهم في الدنيا أمر يسير جدا وهو التصديق و الإنعان وعمل الحسنات وترك السيئات فهذا هو الرصيد الحقيقي الذي سوف ينفعهم

المفهوم الثاني

تحقير شأن المال وغيره من الأشياء التي ينهمك الإنسان في جمعها وينشغل عن أمر الاخره لترسم في النفوس حقايره شأن الدنيا ومافيها من كنوز بالنسبه لعظمه يوم التغابن فلا سبيل للكافر للنجاه من احوال يوم القيامه ولا ينفعهم ما كانوا قد جعلوه غايه أمرهم وهدف حياتهم فجاء بهذا التمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لاسبيل لهم الي

النجاه من عذاب يوم القيامة وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال يقال للكافر يوم القيامة رأيت إن كان لك مل الأرض ذهباً أكنت تفتدي نفسك به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ... من ذلك)

المفهوم الثالث

تهويل العذاب ويوم القيامة ليكون دافعا الي خوف الله لانه لو كان الإنسان مومنا باليقين أنه لو خالف لحل عليه العذاب في الحال لما ارتكب الجريمة فالذي يعلم أنه لو شرب السم لمات فمن المؤكد أن هذا يجعله يخاف شربه فلن يشربه ولهذا فإن الذي يؤمن بيقين أنه عندما يحارب الله ورسوله ويسعي بالأرض فساد أنه سوف يعاقب ويحرق بالنار لن يسلك طريق الجريمة ولهذا لن يندفع وراء جمع المال الحرام ولهذا صرح بنفي القبول (ليفتدوا به) اي لن يجدوا الاقتداء ولا في اي لحظه فالعذاب ملازم لهم

ولما كان المراد تهويل الامر برده وخيبه من نظر أن المال وسيله السعاده جاء النص مبني للمفعول (ماتقبل منهم) لبيان ان المدفوع إليه تام قدره وله الغني المطلق فلا رشوه ولا محسوبيه ولا وساطه ولاشفاعه فإذا أردت أن تنجو من العذاب فعليك بالإيمان والتقوي وطلب الوسيله والتضحيه بالنفس والمال في سبيل الله وابتغاء سبيل الفلاح فكان ذكر الرد لبيان ان العذاب واقع لامحاله بالكفار ولا بد أن يمضي فقال تعالي (ولهم) اي بعد ذلك (عذاب اليم) اي عذاب موجه مولم لان محل وزمان الاقتداء قد فات فالحرز يكون اتخاذه في الدنيا بتقوي الله والأعمال الصالحه اما يوم القيامة فلم يبقي الا العذاب الموجه المولم الدائم الذي لاينقطع

المفهوم الرابع

ان هذا التمثيل يهدف إلي نقل القارئ الي مشهد يوم القيامة فيري مافيها من احوال ليحذر هذا العذاب ليكون الزهد عن الدنيا ولأجل أن يجد قلبه الحياه ليكون حذر العاقبه التي تصير إليها وحذر العاقبه يكون بأن تعمل عملا لنفسك يحفظها من سوء المصير لتقدم لنفسك ما يحرزها فما كلفكم به تعالي يسيرا وان ثوابه كبير فلم يقبل من العصاه مافي الارض جميعا ومثله معه ولهذا قال قبلها (اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيله)

ولهذا تظهر الآيات شده ايلائم العذاب فقال تعالي (يريدون أن يخرجوا منها) ترسم محاولات الخروج من النار لبيان ان النيران تحيط بهم من كل جهه سواء في الدنيا أو الاخره لايجدون مخرجا فهم يرغمون علي البقاء فيه فالله يقول في موضع آخر (كلما اردوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وهنا نجد نفي الخروج علي سبيل التأكيد (وماهم بخارجين منها) واستعمل الجمله الاسميه للنفي فيه اشاره انه يتجدد محاولتهم للخروج ولكنهم يرغمون علي المكوث فيه فقال تعالي بعدها (ولهم عذاب مقيم) اي ماكتين فيه علي الدوام فالعذاب لايفارفهم ولا ينقطع عنهم

القسم الخامس

(والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

اولا

تعود سياق النصوص الي مناقشه قواعد حفظ الأموال وصيانه الحقوق فهي من مقاصد الشريعة الإسلامية وهنا تعرض لنا النصوص العقوبات المقرره علي جريمه السرقة وشروطها وحالات وقف العمل بهذه العقوبه ومراعاة الظروف والملابسات التي تحيط بالجريمه فقال تعالي (والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزاء

بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)

فجاءت في إطار تناول الجريمة من الذين هم في قبضه دوله. الاسلام فكان برفعهما علي الابتداء عند سبويه وخيرها محذوف فكانه قيل وفيما فرض عليكم عقوبه السارق والسارقه ومن في حكمهما والسرقه معروفه عند العرب وهي تختلف عن الغضب والخيانه وهي أخذ ما ل الغير المحرز خفيه فإذا لم يكون محرز أو كان مسموح له بالدخول إليه لم يكن سارقا وان يكون المسروق مال له منفعه لايتسامح به الناس وقوله (فاقطعوا أيديهما) فالفاء عند البعض تتضمن معني الشرط كانه قال والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما فالاسم الموصول تضمن معني الشرط فهذه هي عقوبه السرقة ولم يذكر في القران وصحيح السنة عقوبه السرقة سوء قطع اليد وقد قطع حكما في الجاهليه قضي به الوليد بن المغيرة وقد أقره الاسلام ولم يريد حكما بقطع قدم الرجل واول رجل قطعت يداه في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف واول امرأه قطعت يداها المخزوميه مره بنت سفيان وبالنسبه لمن يكر. ر السرقة قال الجمهور أنه يقطع رجله المخالف ليده المقطوعه أما سيدنا علي فقال لا يقطع وانما يجبس وقضي بذلك عمر فقال اني استحي أن اقطع يده الأخرى فييا شي يأكل واستحي أن اقطع رجله فعلي اي شي يعتمد وراي ابوحنيفه أنه لايجد أن كرر أما الشافعي فقد ذهب الي قطع يداه ورجليه ولكن القضييه متعلقه بحد ومعلوم أن الحدود تدرء بالشبهات واي شبهه أعظم من اختلاف أهل العلم في هذا الأمر وفي الايه الاتي

(الغرض من هذا التشديد في العقوبه)

ان المقصد هو حفظ حق المال وصيانته الملكيه والحقوق والقضاء علي بواعث وخواطر الجريمه من داخل النفس ليكون غرس احترام حق الملكيه الفرديه والعامه وتربيته الشعور بأن هذه الملكيه تعود بالنفع والمصلحه للمجتمع كله ولهذا فإن هذا يولد قوه مانعه من المساس باملاك الآخرين

وايضا فإن هذه العقوبه كما يقول لنا الحق (جزء بما كسبا نكالا من الله)

فيها أن السارق يستحق هذه العقوبه علي فعله الشنيع ليكون هذا ردع وزجر لفاعله فهو يتناسب مع الفعل القبيح كما يقول المولي سبحانه وتعالى (وجزء سئيه سئيه مثلها) وقال تعالى أيضا في موضع آخر (أن للمتقين مقازا _____ الي قوله (جزء من ربك عطا حسابا)

والنكال العقاب الذي من شأنه أن يصد المعاقب من العوده الي الجريمه مره اخري وهو من النكول عن الشيء أن النكول عنه والخوف منه فالنكال ضرب من الجزء وهو أشده فالله يقول في موضع آخر (فجعلناها نكالا) و النصب نكالا بدل من جزء بدل اشتمال فحكمه مشروعيه القطع الجزاء علي السرقة يقصد منه الردع وعدم العوده فهو ليس جزء انتقام ولكنه استصلاح لهذا الضال

وايضا فيه تربيته المجتمع علي الكسب الحلال بالعمل المشروع

فالإسلام يحرص علي أن يغرس في الضمير المسلم الاقتناع بما يبرزقهم الله وأنه إذا أراد تحسين مستوى معيشتة فإن هذه الطموحات مسموحه وليست عيبا لكن إنما يكون هذا من خلال الكسب الحلال وبالتالي فلا يقبل المومن الخواطر التي تدعوه الي الكسب للمال بالطرق المحرمه كالسرقة

الأمر الثاني

الاجراءت التي شرعها الاسلام لتطبيق العقوبه

لقد جاءت شريعته الاسلام بأمر الدوله أن تكفل لكل فرد حق العيش بكرامة وحقه في الاكل والشرب والسكن

وتوفير فرص العمل وأن يعلمه كيف يعمل وإذا لم يجد العمل فتقوم الدولة بتوفير احتياجاته

الضروريه من الخزينه العامه من اموال الزكاه وغير ها

ولهذا نجد أنه تم وقف العمل بهذا الحكم في زمن القحط في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يقطع يد السارق في عام الرماده وكذلك اوقف عمر قطع غلمان حاطب عندما سرقا وعلم أن حاطب لا يطعمهم وألزم حاطب بتسليم قيمه الناقه والزمه بإطعام غلمانه

ولهذا فإنه في مثل هذه الأحوال لماذا يسرق السارق في دولة الاسلام فليست السرقة للحاجه وانما هي نتيجة الطمع في الكسب السريع من دون بذل مجهود فهو يريد أن يرتاح من المتاعب ويامن مستقبلها بأي طريقه كانت ولو بالسرقة وهي تبدأ بخواطر قبيحه ولهذا فإن عقوبه القطع تجعل الإنسان يفكر الف مره قبل أن يقدم علي ارتكاب الجريمة لانه يعلم أنه سوف تقطع يده فهو يدرك أنه لن يزيد كسب المال زياده كبيره وبسرعه بدون بذل جهد بل سوف يكون قطع يده سببا لنقص الكسب فسوف يصير عاجزا عن الكسب وكذلك فإنه يشعر أنه لن يظهر أمام الناس بأن لديه مال وافير يتباهي به بل سوف يظهر أنه سارق كلما شاهد الناس يده المقطوعه وكذلك فإن المستقبل سوف يكون مخيف ولهذا فإن هذه العقوبه تسائل البواعث علي الجريمه من الخواطر وتولد بواعث العمل والكسب الحلال وهذا فيه حكيمة عظيمه بالقضاء علي الجريمه واقتلاع جذورها ولهذا نجد أن التعقيب بقوله تعالي (والله عزيز حكيم)

أشار إلي أن أحكامه فيها الحكمة فلا تفرطوا فيها بالتهاون والتساهل في عقوبه السارق والسارقه فإن هذا يعرضكم لعقوبه الله فهو عزيز لا يغلب ولا يقهر وينتقم من الذين يخالفون أحكامه فلا تهاون فيها حيث وان الايه نزلت بشأن المخزوميه التي سرقت وقد كانت العرب تنظر إلي اقامه القطع للمراه أمر فظيع ولهذا جاء جمع الأيدي لدفع التواهم أن تكون صيغه التذكير في السارق فلا يكون اقامه الحد بالانثي نظرا لأن العرب كانت لاتقيم الحد علي المراه ولهذا لجأوا الي زيد بن حارثه ليشفع لها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندما جاء زيد أنكر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وقال له اتشفع في حد من حدود الله فإنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وان سرق الضعيف حدوه فوالله لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطعت يدها

الأمر الثالث

لماذا تم تقديم ذكر السارق ثم عطف عليه السارقه

الجواب

لان جريمه السرقة غالبا ما يقوم بها الذكور دون النساء ولهذا ابتداء بالذكور قبل الإناث مثلما أن الزني من أفعال النساء نجد أنه قدم ذكر النساء علي الذكور فقال تعالي (الزانيه والزاني)

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تناول مساله السرقة وأحكامها وتبين أن العقوبه لاتسقط العقاب الإلهي في الاخره الا التوبه فقال تعالي

(فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فإن الله يتوب عليه أن الله غفور رحيم)

فقد دلت النصوص ان السرقة ظلم لايسقط العقوبه في الاخره وان التوبه لاتسقط العقاب في الدنيا فالسارق و

السارق أن تابا فإن العقوبه لاتسقط فالأمر ليس مثل المحاربين الذين يتوبون قبل أن يلقي القبض عليهم لأن المحارب مستند لقوه فيصعب علي الامام القبض عليه إلا من خلال الخيل والركاب فكان إسقاط العقوبه عنه كما فعل بشأن الكافر الذي يسلم فيغفر له جميع ماسلف أما السارق والزاني فهما في قبضه الحاكم ولهذا لايسقط عنه العقوبه بالتوبه

وانما الذي يسقط عليه بالتوبه هو العقاب في الاخره بشرط اضافي الي كف الظلم أن يقوم بعمل صالح وهذا كي يجد كسب حلال فلا يعود مره اخري للسرقه فهذا يقبل الله توبته فالله غفور رحيم

ثالثا

يعقب الحق علي ماسبق ذكره بالمبدا الذي تقوم السموات والأرض فالكون محكوم بسنن ونواميس فالله هو مالك الكون والمتحكم به والمدبر لشؤونه ومصائرهم إليه سبحانه وتعالى فقال تعالى

(ألم تعلم أن الله ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شي قدير)

فهو له السلطان المطلق والقدره المطلقه والملك والجزء والثواب لامعقب لحكمه

المقطع الرابع من سوره المائده

هذا المقطع ورد بعد أن تناولت النصوص قبلها احكام متعلقه بالقضاء الجنائي في الاسلام واهميه السلطه والدوله لاقامه العدل وتطبيق منهج الله في الأرض واختتمت الآيات بقوله تعالى (الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شي قدير)

وبعدها يقول تعالى

(ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتننته فلن تملك له من الله شيئا اولئك لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون السحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص بربطها مع ما قبلها من الآيات نجد أن النصوص تناقش عدده قضايا

المبحث الاول

أولها (قضية الدين....والإنسان علي الارض

فالإسلام يعطي المسلم فكره عن حقيقة مركزه في الكون دون تهوين أو تهويل ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يدعوا المسلم الي التفكير في هذا الكون بما أعطاه الله من حواس تجعله ينظر إلي وجود الله من خلال المنهج العقلي في الكون الفسيح فقال تعالى (الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شي قدير)

فهذا الكون الفسيح بأرضه وسماه وافلاكه محكوم بين منضبطه لاتشد ولاتخطي فالله لايعجزه شي فهذا الكون فيه المنهج العقلي الذي يقدم لك الحق به الحجة والدليل للرد علي المنكرين فالله هو الخالق للسموات والأرض ومافيهما وهو المدبر والمالك والمتصرف للكون ومافيهما فهذا الانضباط يدل علي أن له اله واحد فرد صمد لا يشاركه في ذلك أحد ولهذا فإن للإنسان والكون والحياه تخضع لسنن ونواميس وقوانين والكون لا ارده له ولا اختيار أما الإنسان فله حريه الاختيار والعقل والاراده ولهذا فإن عليه الجزء والحساب فالله له القدره المطلقه علي اعاده الإنسان الي الحياه فقال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شي قدير) لبيان ان هنالك مسؤوليه عن حريه الاختيار ولهذا فإن لهذا ارسل الله الرسل حاملين المنهج الرباني للبشر ليرشداهم الي سبيل الهدايه والقيام بأمر الله وتزويدهم بدليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم ليكون الإنسان بهذه المعرفه علي بينه من أمره وفعله وليكون مسؤولا عن اختياره

والاسلام يحترم هذه الاراده التي سوف يحاسب عليها الإنسان فلا يرغم الناس علي الإيمان فدعوه الناس الي القبول بالمنهج الرباني تأخذ طريقتين الاولى: بالنسبه للقبول به كدين يومن به العبد فهذا لا يكون بالإكراه وانما لايمان ثمره الاقتناع فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (لا إكراه في الدين)

الثانيه: بالنسبه لمن يعيشون في دوله الاسلام فعليهم الخضوع لقوانين الاسلام في جميع جوانب أمورهم التي تنظمها شريعته الاسلام مثل عقوبات المحاربيين والسرقة وكافه القوانين التي تنظم العلاقات الماليه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والسياسية واختيار الحاكم الشوري والعدل والعلاقات مع الدول الأخرى وغيرها من القواعد فاللازم علي رعايا دوله الاسلام الانصياع لها وان كانوا علي اديان اخرى فلهم حريه التدين والعباده لكن ليس لهم

مخالفه قواعد الإسلام في نظام الحياه فالإسلام ينظر للإنسان والحياه نظره انصاف ويحترم كرامه الانسان ولا يتعرض لحرية معتقده وفيه ضمانات تحفظ كرامته وحقوقه

ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يتوجه بالخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم (يا بها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم) وهذا فيه

الأمر الاول

ان النداء هنا من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (يايها الرسول) بصفه الرسول ولم يناديه الله بشخصه كان يقول (يامحمد) مثلما قال (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) وكما قال (يا نوح اهبط) وكما قال (ياموسي اني انا الله) وكما قال (يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالنداء لهم باشخاصهم وذواتهم أما الرسول صلى الله عليه وسلم فإن النداء له في عدة مواضع (يايها النبي) وهنا (يايها الرسول) وهذا النداء ورد في القرآن مرتين فقط في هذه الايه وفي قوله تعالى (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) وهذا فيه الآتي

المساله الاولى

ان الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل للعالم أجمع فهو الرسول الخاتم ورساله الاسلام للعالم أجمع ففي القرآن الكريم المنهج الروحاني لمعالجه امراض البشريه كلها فهذا نوع من أنواع التكريم والتشريف لتأديب المومنين أن يخاطبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بوصفه كما كان يخاطبه أصحابه إذ كانوا يقولون يارسول الله ولهذا عندما جهل الاعراب ذلك فنادي الأعرابي يامحمد نتيجة خشونه الاعراب وساذجه فطراتهم انزل الله قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) فكفوا عن ندائه باسمه

هي البلاغ والبيان وليس إجبار الناس علي الإيمان

المساله الثانيه

تبين النصوص أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم هي البلاغ والبيان وليس إجبار الناس علي الإيمان والخطاب بعنوان الرساله للتشريف ولبيان نسخ جميع الكتب السماوية التي جاء بها الرسل

حيث كانت الرسل تحمل مناهج الي اقوامهم لمعالجه امراضهم ولاقامه حكم الله في حياه الناس لكن الرساله الا خيره جاءت لمدواه امراض البشريه كلها فناسب هذا مجيء الآيات بعد طلب حضور العقل لفهم ما يجري في الكون لبيان حاجه الإنسان الي المنهج الذي تنسجم حركته مع حركه الكون فكان توجيه الإنسان الي اتباع الرسول والأخذ بما جاء فيه من ربه فقد قدم الله البرهان العقلي علي المنهج الروحاني مبينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مهمته البلاغ واقامه الحجج عليهم

الأمر الثاني

تصور لنا النصوص الرسول أنه إنسان يمتلي حياه وحركه تزخر نفسه بالمشاعر والأحاسيس انسان حريص علي نجاح دعوته بكل سبيل أنه داعيه يتشوق لانتصارها ويتطلع لمستقبلها ويقلق من ارجيف الخصوم ومكائدهم فهذه النفس صاحبها الرسول المؤيد المعصوم فالنصوص تبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في ضيق وحزن شديد أما من شده حرصه علي الخلق الذين كانوا يتسابقون الي الكفر أو أنه حزن خوفا علي الدعوه من فتنه المنافقون الذين اتخذوا ديناهم لعبا ولهوا يلبس أحدهم الدين كما يلبس الثواب حسب الأحوال وهم في الحقيقه عراه من مفاهيم العقيد

المهم أن الايه الكريمه ترسم لنا صورته عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إنسان فهو لا ترابطه بالسماء أسباب

غير الوحي الذي ينزل عليه يقرئه القرآن وهذا فيه النموذج الذي تحتاجه البشرية ليفتدوا به فعلي قدر واقعيه الرساله يكون نصيبها من النجاح وعلي قدر إنسانية الرسول يكون إدراك الناس لطبيعته الرساله الواقعيه فمعرفة الرساله للناس إنما تكون من خلال شخصية من حملها فلو أرسلت ملائكة لانبهر الناس بها لفتره من الزمن لكنهم لن يستريحوا لصحبتها علي الدوام وسوف يولد عن ذلك المغالاه وقد تنبهر الناس بالكرزما لشخصيه المستبد الطاغيه فقد عاش الكثيرون امثال تلك الأحوال وصفق الكثيرون لزعماء القوميات لكن مثل هذه الشخصيات أن صلحت للزعامة الموقوته لاتصلح للهدايه الموصوله والرساله الخالده ولهذا فان اظهار وإبراز القرآن لشخصيه الرسول الإلهي نسان الذي يضيق ويحزن فيه خير دعايه ودعوه برسالته فيها عرض الرسول صلى الله عليه وسلم علي كل انسان ليكون المثل الاعلي القريب للعقول والنفوس اننا ونحن نقرأ الآيات نحس اننا نقف أمام الرسول الإنسان الذي تتبادله مشاعر الخوف والرجاء والاشفاق والثبات أنه لايدعو بعجرفه الداعي المتعظم أو الفارغ الاحمق

وهذا بحد ذاته دليل علي صحه ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو لم يدعو الناس الي شي خاص به وانما يدعوهم الي عبادته الله فهو رحمه للعالمين فالبشريه بحاجه الي بعثه الرسل من البشر أنفسهم

المبحث الثاني (الدين وحرية الإنسان)

أن نظره الاسلام للإنسان وللحياه كلها انصاف فالإسلام يعرف قدر الإنسان ولهذا يدعو الي التفكير في الكون لكن الإسلام لايسلم الإنسان للاهواء ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يصون الطاقه الانسانيه من التبديد بالبحث فيما لافايده منه فقد ارسل الله الرسل يحملون المنهج الذي يحرر الطاقه من الانقياد للاهواء والا له الباطله صانها حينما وجهها الي عبادته الله وحده لترضي بها اشوقها الخفيه دون أن تبيع بذلك كرامه العقل أو مصالح الدنيا فالله غني كريم لايريد منا رزق فهو تعالي لايزيد طاعه المطيع في ملكه شيئاً فأرسل الرسل رحمه بنا

وهذه الاعماق البعيده لا يصل إليها إلا الدين القادر علي اقتلاع الجرائم التي يستتبتها الطغاه والظالمون لكن الإسلام لايرغم الإنسان علي الإيمان فالله يريد توحيد صادرا من نفس خالصه لله وحده برضا واختيار وعلي أساس هذه الاصول عرض الاسلام نفسه علي الناس ولهذا فإن مساله التصديق والايمان أمر متروك لمن يقبل به فلا يرغم الناس علي الإيمان لكن مساله الحريه فبالاحتكام لمنهج الله في جميع شؤون الحياه أمر لايجوز الخروج عنه من ايان من رعايا الدولة الإسلامية فلا يرغمون علي اعتناق الإسلام لكن لايسمح بمخالفه القواعد التي تنظم الحياه ولهذا نجد أن النصوص تناقش هذا الأمر من هذه الزوايا فنجد أنها احتوات علي الآتي

الأمر الأول

تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لايضيق ولايحزن من حال الذين يسارعون بالتسابق الي الكفر فقال تعالي (من الذين) بيان للمسارعين في الكفر ثم أشار إليهم أنهم فريقان الاول الذين يظهرون الايمان بألسنتهم في حين قلوبهم تكذب ذلك الايمان من الذين يتلاعبون بالدين والمراد بهم المنافقون فأشار إليهم بقوله (من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم) فأشارت النصوص أن الجرائم مازالت تسكن قلوبهم ولم يتحرروا منها ولهذا جاء التعبير بالقول إنه من الأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم واللسان واراد بهذا بيان أن ألسنتهم ليست معبره عما في قلوبهم وان ما يصدر عنها لاتتجاوز افواههم فان ما ينطقون به لايعتقدون به في قلوبهم فآخبرنا الله (ولم تومن قلوبهم) وعطف عليها (ومن الذين هادوا)

فهؤلاء هم الذين يسارعون في الكفر وحزن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبه لما متعلق بالمنافقين هو صنع هؤلاء الذي يقعون فيه رغم اظهار الايمان

اما بالنسبه لليهود فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون يطمعون ان يؤمن أهل الكتاب فينظرون لهم أنهم اقرب لهم فهم يعلمون الحق كما أخبرنا الله عن ذلك في سورة البقره

(افتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد عقلوه وهم يعلمون)

فالله سبحانه وتعالى يخبر عباده أن يقطعوا الطمع في ايمان هولاء فلا امل في إيمانهم فهم يحرفون كلام الله عن عمد وعلم فهم قاموا بالتحريف والتبديل البعيد عن دائره ما تحمله النصوص وبالتالي فمن باب أولي فهم ينحرفون عن الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا نجد أن الحق استخدم لفظ (يسارعون في الكفر) ولم يقل يسارعون الي الكفر باعتبار أن المسارعه تكون من الشيء لافي الشيء كما قال تعالى (وسارعوا الي مغفره)

فأراد الحق باستخدام (في) لبيان ان كلا الفريقين يسارعون في دائره الكفر وفي قطرها. فهم في دائره التخلف والاختلاف يتسابقون داخلها كما قال تعالى (لاصليكنكم في جذوع النخل) فالمراد بهذا تهديد فرعون السحره الذين آمنوا أنه سوف يصلبهم حتي يدخل المصلوب في المصلوب فيه ولهذا استخدم في ولم يستخدم علي ..وهو ما استعملته الايات هنا لبيان ان هولاء يتحركون في دائره الكفر واقطارها فقد انتقلوا الي أعماق مافي الكفر فالإيمان محله القلب ولهذا لما قالت الاعراب امنا قال الله (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) فهولاء لم يؤمنوا بقلوبهم وبالتالي فهم لم يخرجوا من الكفر بعد وكذلك فإن اليهود قد انحرفوا منذ فتره زمنيه بعيده ودخلوا في الكفر ولهذا فلا يستحق هولاء عناء الحزن لتسابقهم الي الكفر والمكائد كلما وجدوا فرصه لذلك

الأمر الثاني

تأتي سياق النصوص متضمنه أوصاف ذم لهذه الأصناف فقال تعالى (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن موضعه)

وهذا فيه الآتي

المساله الاولى

وهذا أما ان يكون الوصف يعم الجميع المنافقين واليهود بكونهم سماعون للكذب وأما أن يكون الكلام تم عند قوله تعالى (ولم تؤمن قلوبهم) بشأن المنافقين ثم ابتداء الحديث عن اليهود والمعني أنهم قائلون الكذاب فهم يسمعونه من رؤساءهم ويقبلونه منهم فالسمع هنا يراد منه القبول كما تقول لاتسمع من فلان أي لاتقبل منه وقيل إن معناها لأجل فهم كانوا يسمعون الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل نقله وتحريفه ولهذا فإن الأرجح أن النص فيه وصف كلا الفريقين اليهود والمنافقين باعتبار أن قوله (سماعون) خبر مبتدأ محذوف تقديره هم اليهود والمنافقين ف الجميع كان يسعى الي نشر الاشاعات الكاذبه وأثاره الشبهات وتزييف الحقائق لأجل النيل من الإسلام ومن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فالآيات فيها تثبيت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم وتقويه قلبه ليتفرغ للتبليغ بعزيمه قويه وهمه نافذه لاتساوه الاحزان ولاتحتل ساحات الهموم والاكدار قلبه لأنها تكسر شوكة العزيمه وتضعف قوه الاراده وتطفي جذور النشاط الملتهب وتقعّد الإنسان عن السير نحو الهدف الاعلي الذي يتوخاه في عمله وهو اصلاح البشريه وتهذيب الفطره وتوجيه العالم الي طريق الهدايه والرشاد ولهذا انزل الله الآيات لتثبت فواد الرسول صلى الله عليه وسلم في مواجهه عواصف الفتن التي ثارت بالمدينه بفعل دسائس اليهود والمنافقين الذين كانوا يتبادلون الأدوار في حياكه المومرات ويولبون عليه الأعداء وينقضون العهود في احراج الأوقات ويبثون الشبهات بين ضعفاء المسلمين ليفتنوهم عن اتباعه ويدبرون المكائد لاغتياله فوصف الله اجتماع اليهود و المنافقين (وإذ خلو الي شيطانهم قالوا انا معكم ..الخ

المساله الثانيه

يقول الحق لئيبه لاتحزن لعدم استجابته هولا لدعوه الايمان فمثل هولا غير صالحون للبناء فالبناء يحتاج الي تعاون وتضامن بين سواعد البناء والسواعد الموجوده في صفوف هولا لاتتعاون من أجل البناء في وضح النهار وانما تعمل في الظلام في مجال التخريب والنسف والتدمير... و لهذا نجد أنه وصفهم بقوله(سماعون) وهو ما يفهم ان هنالك صوت صادر فيه توجيهات فالمتكلم أما أن يكون صادق وأما أن يكون كاذب والخبر أما أن يكون حقا وأما أن يكون باطلا

وهنا يكون حال المتلقي فهو عند سماعه للحديث أما أن يقبل به دون فحصه ومعرفه صدقه من كذبه واما أن يفحصه ويدقق في صحته ..وهذا يعود إلي ميل النفس والثقه بالمصدر فإذا كانت النفس تميل الي الحق فإنها سوف تبحث عن صحه الحديث فإذا كان المصدر موثوقا فيه فإنها تسارع الي القبول به ..أما إذا كانت النفس فاجره فإنها تكره الصدق والحق وأهله ولهذا لاتقبل به فهي وان سمعت كلام أهل الصدق فإن غرضها من ذلك تحريفه وتأويله معني أو لفظ بما يوافق اهوائه أو أنها إنما تحضر مجالس اهل الحق والصدق لأجل أن يسمع ليكذب بما سمع أو يسمعون لينقلوا ماسمعوا الي قوم آخرين فهم جواسيس ولهذا قال (سماعون) ولم يقل سامعون لبيان ان حرفه هولا هي التسمع فالنصوص ترسم لنا تصورا دقيقا عن طباعهم ان نفوسهم اعتادت سماع الأكاذيب وقبوله وهم يطيعون قوم آخرين فقال تعالي (سماعون لقوم آخرين لم ياتوك) فالذم لهؤلاء أنهم يقبلون الباطل كما قال تعالي (هل أدلكم علي من تنزل الشيطان تنزل علي كل افتك أئيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) فإنما انزلت بالسمع الذي يخلط فيه بكلمه الصدق الف كلمه من الكذب علي من هو كاذب فاجر فيكون سماعا للكذب من مسترقه السمع

فاخبرنا الله أن هو لاء يسمعون الاشاعات الباطله سماع ميل إليها بحب وارده نشرها وان الأكابر الذين ارسلوهم منعهم من حضور مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم الكبر والغرور وخوف أن يحدث ذلك أثرا في نفوس اتباعهم فأشار الي الاحبار والرهبان الذين كان المنافقون يعملون بالتجسس لحسابهم والايه نزلت بخصوص أن رجل وامراه من أشرف اليهود ارتكبا جريمه الزنا فأرسلوا أناس منهم الي الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم فيهم بعد أن سمعوا عن حكم الجلد فأرادوا أن يتهربوا من حكم الزاني المحصن في التوراه والأمر الثاني بشأن الديات حيث كان نظام هولا أن القبيله الغالبه يكون القتييل منها ديه مائه بينما القتييل من القبيله المنهزمه هي خمسين فلما جاء الرسول رفضت القبيله المنهزمه ذلك النظام وقالوا لنحتكم الي محمد فأرسلت اليهود اتباعهم وقالوا لهم أن قال بالجلد فخذوا الحكم وان قال بالرجم فلا تاخذوه فدل هذا أنهم اردوا الاحتيال علي حكم الله ولم يطلبوا الحق المهم انهم عندما جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم انزل الله جبريل يكشف حقيقه اغراض هولا فبعد أن أخبرهم الرسول برجم المحصن الزاني فانكروا ذلك قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا ابيض امرد أعور يسكن فدك فقالوا ابن سوريا فقال نعم هو فقال لهم أي رجل فيكم هو قالوا هو أعلم اليهود علي وجه الارض بما في التوراه فقال أرسلوا إليه فاتاهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم انت ابن سوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسي ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق فرعونأن تذكر حكم الزني المحصن الرجم ام لا فقال ابن سوريا نعم فوثبت عليه اليهود وقالوا له خفت أن كذبت علينا ثم سأل ابن سوريا عن أشياء كان يعرفها ثم أسلم ثم أمر الرسول بالزنيان فاقم عليهما الحد وهذا فيه

المفهوم الاول

التحذير من الالتواء علي أحكام الشرع فاحذر فإن هذا إنما هو سلوك أهل الفجور الذين اعتادوا علي قبول الكذب والباطل فالله يعطينا هذا المثال عن الذين اعتادت نفوسهم علي قبول الكذب من الذين حضروا يريدون التخفيف في الحكم ولم يطلبوا الحق والعدل بان هولا غير صالحون لاستقبال انوار الله نتيجته اتباع الهوى وتعوود السير في طريق اللف والدوران بالالتواء علي الشرع فهذا لايصدر الا عن شخص لا يخاف الله ولايستقبل أمر الله بـ

التعظيم والاحلال وانما هولاء يخافون من البشر ولهذا لايتورعون عن اختراق أحكام الشرع اذا شعروا أنهم بأمان من لؤم الناس فهولاء عندما حضروا الي الرسول لم يكونوا يطلبون الحق وانما يبحثون عن مداخل يلبي رغبتهم ولم ينظروا الي الثواب والعقاب الإلهي

المفهوم الثاني

ان الحق سبحانه وتعالى يأمر عباده بتحري الصدق والابتعاد عن الكذب فالكذب طريق الفجور وأما الصدق فهو طريق البر ولهذا فإن الحق يحذر من تحول الالتزام للشرع الي عادات وتقاليد اجتماعيه نتيجته تعاقب الأجيال فلا بد أن تشعر انك تعبد الله بها تشعر انك في امتحان واختبار في كل تكليف وفي كل قاعده شرعيه انزلها الله سواء في العبادات بمفهومها الضيق الشعائر الدينية أو في المعاملات مع نفسك أو أفراد أسرتك أو المجتمع من حولك أو في العلاقات مع الدول الأخرى فالله جعلها اختبار لك سوء كنت في موقع الحاكم أو المحكوم فنحن اذا سألنا اي شخص هل تفضل اقامه العدل ام النظام الطبقي فمن المؤكد أن كل شخص نصادفه ونطرح عليه السؤال سوف يرد أن اقامه حكم الله العادل هو الذي يتمناه ويطالب باقامته لكن عندما يحصل لهذا الشخص الامتحان كان يتولي منصب ما فإنه سوف يحاول تبرير الجوار منه وكذلك إذا وضع في الامتحان كان ارتكب جريمه وصار في قفص الاتهام فانه سوف يحاول ازاحه العقوبه عنه بأي حال من الأحوال فلا ينظر إلي أنه بذلك يعارض شرع الله ولهذا يحذر الله عباده من الابتلاء والامتحان في هذه المواقف فقال تعالى (ومن يرد الله فتننته فلن تملك له من الله شيئاً)

فالله يضع العبد في مواقف حرجه ليظهر معدنه وهل هو صادق في ايمانه فاستعمل (ومن) شرطيه فالذي يخفي حقيقته كذبه وعدم صدقه فإن الله عندما يريد أن يكشفه ويفضحه يضعه في اختبار وامتحان فإذا كان غير صادق في ايمانه فإنه يظهر للناس ابتعاده عن الحق ويظهر فشله علي السطح والعلن

فكم نحن اليوم بحاجه الي إدراك هذه الحقيقه واستحضار هذه الايه في أذهاننا وقت الاختبار فعندما يحصل لنا موقف صعب ونجد في أنفسنا رغبه في البحث عن ثغرات القانون التي نري أن فيها النجاه ونحن ندرك أنها لا تنطبق علي الحاله التي نحن فيها ففي هذا الموقف علينا أن ندرك أننا في امتحان ونتيجته هذا الامتحان متوقفه علي سلامه قلوبنا وطهارتها وان عمليه البحث عن الثغرات للتوصل عن التزامتنا دليل الفشل لتراجع عن هذا التفكير حتي لاتتسخ قلوبنا فنحن نري الكثير من الناس من يدرك أنه قد طلق زوجته بينونه كبري وأنها صارت محرمة عليه ومع ذلك يحاول جاهدا أن يحصل علي فتوي من أحد المشايخ يحل له إعادتها الي عصمته برغم أنه قد طلقها ثلاثا فهذا الشخص إنما يريد الاحتيال علي شرع الله فهو لا يخجل من الله وانما يخجل من الناس فهذا لايري أنه يتعامل مع الله ولهذا فإن الحق يحذر المسلمين من الانزلاق في المزالق التي وقع فيها اليهود

المفهوم الثالث

يبين الحق سبحانه وتعالى أن كل أمر من قول أو فعل لابد له ظاهر وباطن فقال تعالى (من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم)

فالظاهر قول اللسان والباطن مايقوم بالقلب من حقائق ومعاني الايمان فالظاهر لابد له من باطن يصدقه ويوافقه فالمنافق لما اتى بظاهر الاسلام دون حقائق الإيمان التي توافقه لم يقبل منه ولم ينفعه ذلك فالله يقول (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون)

فمن قام بالظاهر من غير تصديق بالباطن فهو منافق

ومن ادعي باطنا يخالف الظاهر فهو كافر منافق بل باطن الدين يحققه ظاهره ويصدقه ويوافقه ويتطابق الظاهر مع الباطن ويحققه مثلما أن الإنسان له جسد وروح فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن فالباطن الباطن من الإ

يأتي التعقيب علي ماسبق (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)

الآيات مازالت تناقش مساله تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزن علي مسارعه هولاء في الكفر وان لا يطمع في ايمان هولاء فأخبره الله إنه لا يملك لأحد نفعاً وانما عليه البلاغ وليس إجبار الناس علي الإيمان وهنا تبين النصوص عله هذا الجحود من هولاء بأن النفوس الخبيثه التي دنست قلوبهم لا يريد الله أن يطهرها من اوساخها وهنا قد يقول البعض أن الحكم قدريا عليه فنرد علي ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

ان أردته تعالي إنما تتعلق بما اقتضته سنته العادله في نفوس البشر وهي أن هذه النفوس اذا اردت الباطل وتوغلت فيه فإنها كلما أوغلت ازددت أحاطت الخطايا بها حتي تضيق عليها المخرج فلا يبقى لديها نور فتكون مظلمه معتمه وتصبح نوافذها مغلقة فلا تصل إليها الانوار وتصبح غير قابله للحق وان لهذا قال تعالي في موضع (قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دسها)

فهذه هي الوسيله للهدايه والتوفيق والسداد أما هولاء فإنهم لا يقبلون الحق ولا يرغبون فيه فطباعهم لاتقبل سوي مايلقي عليهم الأكابر والاحبار ولهذا لا يريد الله تطهيرهم فتلك هي سنته تعالي ولن تجد لسنة الله تبديلا قال تعالي (أما من بخل واستغني فنيسيره للعسري)

الأمر الثاني

عليك أن تفهم ايه المسلم أن القلب بيتا ومحل الفهم ومعاني القران لاتذوقها الا القلوب الطاهره وهي قلوب المتقين ف الله سبحانه قد أخبرنا في هذه السوره (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام)

وقال تعالي في سوره البقره (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لاتدخل الملائكه بيتا فيه كلب ولاجنب)

والقلب هوييت الإنسان وبالتالي لاتدخله حقائق الإيمان اذا كان فيها ماينجسه من الكبر والحسد ف الله يقول هنا (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال تعالي في سوره الاعراف (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وأن يروا كل ايه لا يؤمنوا بها وأن يروا سبيل الرشدا لاتخذوه سبيلا وأن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)

وقال تعالي (لايمسه الا المطهرون) مثلما أنه في اللوح المحفوظ لاتمسسه الا الأبدان المطهره فمعاني القران وعلومه ومافيه من العلم بمعرفه الله ومحبتة والإخلاص له وخشيته والتوكل عليه والرجاء والرضاء بحكمه والا نابه الي الله والأخلاق التي يغرسها في النفوس من التواضع والحياء والحب في الله والبغض في الله إنما ينتفع بها من كان طاهر الباطن والظاهر ف الله يقول في موضع آخر (شفاء لما في الصدور وهدى ورحمه للمومنين)

فالقلب ملك وبقية الاعضاء جنوده فإذا صلح القلب صلحت الجنود واذا فسد القلب فسدت الاعضاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إلا أن في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله الا وهو القلب) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (الاسلام علانيه والايمان في القلب)

ولهذا فالله يفتح علي قلوب أوليائه المتقون وعباده الصالحين سبب طهاره قلوبهم مما يكرهه وأتباعهم مما يحبه ما لا يفتح به علي غيرهم بأن يزين الله الإيمان لهم ويحبه في قلوبهم وهذا إنما يكون بالعمل الذي يقرب العبد من الله فالله يقول في موضع آخر (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ولا ينجسهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما)

فدل هذا أن من فعل ما أمر به يهديه الله صراطا مستقيما فقال لنا في موضع آخر (والذين اهتدوا زادهم هدي واتباعهم تقواهم) وقال تعالى أيضا (أنهم فتنه آمنوا بربهم وزدناهم هدي) وقال تعالى أيضا (هذا بصائر للناس وهدى ورحمه لقوم يوقنون)

واخبرنا أن اتباع اليهود ما يكرهه تعالى ادي الي صرفهم عن العلم والهدى فقال تعالى (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) وقال تعالى أيضا

(واقسموا بالله جهد إيمانهم لنن جاءتهم ايه ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها ان جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

اي وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها ونقلت افئدتهم اي يتركون الايمان ونحن نقلب افئدتهم لكونهم لم يؤمنوا بها اول مره

فمن التزم بالسير وفق أمر الله ونواهيه بالعمل بما يعلمون دون إفراط ولا تفريط فهذا يسهل له الله الطريق أما الذي يخالف الشرع وهو عالما بحرمة هذا يعاقبه الله بأن يجعل الظلمات تحيط بقلبه فالله يقول (والله لا يهدي القوم الكافرين) فالذين قلوبهم مليئه بالاحقاد والحسد والكبر لا يرشدها الله الي الهدايه قال تعالى في موضع آخر (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا بما كانوا يكذبون)

ولهذا نجد أن الحق يستعمل الضمير (اولئك) يكشف لنا حقيقه هولاء بأن هولاء واقعين تحت نعمته وسخطه فاخبرنا بأن لهم ذل الخزي والفضيحه في الدنيا (لهم خزي في الدنيا) المنافقين بظهور نفاقهم وكشفهم واليهود بالجزيه والافتضاح بإظهار كذبهم والتهديد بالعذاب بالآخره (ولهم في الآخره عذاب عظيم)

المبحث الرابع

تمضي سياق في وصف انحراف هولاء وبعدهم عن الهدايه فقال تعالى (سماعون للكذب اكالون السحت)

النصوص فيها تشخيص أسباب عدم قابلية هولاء لنور الايمان لأن اسماعهم قابله للكذب ورغبه فيه فهولاء ميؤس من صلاحهم لأن الكذب قد صار خصله لهم طبعت نفوسهم علي حب الباطل وسماع الكذب فاخبرنا الله أن عمل هولاء الاستماع للكذب واكل السحت وكأنهم يرهقون اذا أكلوا المال الحلال فالنصوص تبين أن غذاء أجسادهم وقلوبهم هو الغذاء الحرام بخلاف من يأكل الحلال ولا يقبل الا الصدق فإن هذا يحرص علي أن يكون غذاء جسده حلال وغذاء روحه الصدق طالبا أن يكتب عند الله صديقا وفي هذا ذم لمن يروج للكذب ويقبله ومن يؤثر هواه لا سيما إذا اقتران بذلك قبولها لأجل العوض الرشوه أو الجاه أو السلطان كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال تعالى (أن كثير من الاحبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

ولهذا جاء بصيغه المبالغة (اكالون) السحت واصل السحت الاستئصال فيقال سحته اذا استأصلته وسميت الرشوه في الحكم سحت لانه يستأصل دين المرتشي والسحت اكل حرام يحمل شدة الشره فلا يكون له بركه ولا لمن

أخذه مرؤه ومن يتعامل بالرشوه فإنه ينصت بالإستماع للكاذب وينصرف عن سماع الصادق

ولهذا اقتران بالسماع وايضا فيها معني اخر أن من جعل التجسس صنعه له فإن هذا يكون عينا لغيره وهذا يكون ناقلا لامانه المجالس ونقل اخبارهم وجميعها آتام وهذه الأمور قول الإثم وسماع الكذب واكل السحت اعمال متلا زمه في العاده ف الله يقول في موضع آخر (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

فمن تعود أخذ المال الحرام يكون قابلا لسماع الكذب والقول به وخاصة الحاكم بين الناس فإنه إذا ارتشي سمع الشهاده الزور والدعوي الكاذبه فصار سماعا للكذب اكالا السحت قائلا للاثم

ومن هنا فإن علي المومن الاحتياط في أموره كلها حتي لا يقع في البهتان والحرام وهذا إنما يكون بالحرص علي تنظيف جسده من الاكل الحرام وروحه من أن يسمع الحرام فالإنسان يختلف عن الحيوان فلا يأكل إلا من الطيب الحلال أما الحيوان فهو يأكل أي شي اذا جاع ولهذا فعليك أن تقنع بالحلال وان كان قليلا

المبحث الخامس

تأتي الآيات بعد هذا التشخيص عن حال اليهود والمنافقين لترسم للرسول صلى الله عليه وسلم اسلوب التعامل معهم فقال تعالي (فإن جاوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين)

ذهب البعض الي القول أن الايه منسوخه لانه ورد فيها التخيير للرسول صلى الله عليه وسلم إذا جاء إليه اليهود وسألوه أن يحكم بينهم أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم

والحقيقة أن الايه محكمه وليست منسوخه علي الاطلاق لأن الآيات نزلت في وقت مبكر من انشا دوله الاسلام في المدينة المنورة ولم يكن بني قريظه وبني النضير واليهود عموما خاضعين لدوله الاسلام وانما كانت هنالك معاهدات بينهم وبين المسلمين فتلك المعاهدات تصور لنا أنهم دول مستقلة فالآيات ترسم لنا قواعد التعامل الدولي في دوله الاسلام مع الدول الأخرى ورعايا الدول التي بينها وبين دوله الاسلام معاهدات وهو مايفهم منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له ولايه عليهم ليفرض الزامهم بالاحتكام إليه فلم يكونوا من رعايا الدولة الإسلامية وبالتالي فالايه تتناول مساله مختلفه عن الآيات التي تناولت حكم أهل الذمه الذين يدخلون تحت سلطان الاسلام والتي توجب عليهم الخضوع لأحكام وقضاه الاسلام في المسائل المتعلقة بالمعاملات التي بينهم وبين غيرهم اذا وصلت الي القضاء المسلم وكذلك في المسائل المتعلقة بالاعتداء كالسرقة وغيرها من المفاسد التي تخالف قواعد النظام العام أما في عبادتهم وعقود النكاح بينهم فهذه تخضع لشرائعهم

ولهذا فإن الآيات تناقش هنا

الأمر الأول

(تناقش قضيه التحكيم)

لانه في زمن نزول الايات لم يكن اليهود من رعايا الدولة الإسلامية ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت (فإن جاوك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم)

فالفاء هنا مفصحه بانه اذا كان حالهم أنهم لم ياتوك لأجل معرفه الحق ولارغبه في ذلك بل اردوا التخفيف في الحكم ولهذا فلك حريه الاختيار أن تحكم بينهم أو تعرض عنهم فالتخيير هنا بخصوص المعاهد الذي لا يخضع لنظام وقانون الدوله الاسلاميه

ولا يقيم فيها

ولهذا فإن هذه الآيه تعطينا صوره لما قدمه الاسلام من قواعد تنظم هذه الأحوال والتي سبقت النظم القانونيه الحديثه في صياغه قواعد هذه المسائل حيث نجد فيها

١

أنها بينت أن عقد التحكيم اختياري أي برضاء الطرفين المتخاصمين فلا يكون ارغام أحد علي الاحتكام فقال تعالي (فإن جاوك)

فعبّر عن ذلك بما يفيد الاختيار بمجي المتخاصمين الي الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يكون له سلطه إجبارهم علي الاحتكام إليه وهذا لا يكون إلا في التحكيم لان المحكم لا يكون له ولايه الحكم عليهم أما في حاله ما يكونون خاضعين لولايه القاضي فلا يحتاج الي اختيار تحكيم لأن له ولايه الحكم وهم ملزمون بالاحتكام إليه

٢

بينت أن قبول المحكم أن يحكم بينهم أمر يعود إلي اختياره وتقديره وهذا لا يكون إلا في حاله التحكيم أما القاضي الذي له ولايه علي أطراف الخصومه فلا يجوز له رفض القيام بالحكم لأن هذا يعد نكول عن العداله

٣

ان علي المحكم أن يكون عارفا بأحوال وعادات وظروف وثقافه المحكومين ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى ذكر له أنهم سماعون للكذب اكالون السحت... فهذه هي عوائدهم فهم لم ياتوا اليك لأجل الحق وانما طمعا في التخفيف

الأمر الثاني

تمضي سياق النصوص مبينه مبادئ وقواعد التحكيم

(وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط أن الله يحب المقسطين)

اول هذه المبادئ أن لا يكون في وثيقه التحكيم شرط يخالف النظام العام لأن هؤلاء كانوا قد أخبروا اتباعهم أنهم عندما يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم فعليهم أن لا يقبلوا ما سوف يصدر عنه إذا قضي بالرجم... وكذلك في شأن الديه اذا خالف عوائدهم ولهذا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إذا قضي بينهم بحسب عوائدهم فسوف يلتحقون بالإسلام فأخبره الله إنه إذا اعرض عنهم لن يضروه شيئاً فجاءت (شيئاً) نكره للتحقير من شأنهم

ثم أخبره أنه أن حكم أن يحكم بينهم بالعدل والعدل الحكم الموافق لشريعته الاسلام فقاعده التعامل مع الله هو أن تسعى إلي تطبيق ما يحب الله تعالي ويرضاه (أن الله يحب المقسطين)

فهذه هي القاعده التي يجب مراعاتها وانت تحكم بين الناس بغض النظر عن أفكارهم وتصورتهم وان كانوا أعداء فأنت تتعامل مع الله فلا تتأثر بما يصدر عنهم من عدواه فالسعي لما يحب الله ويرضاه هو الكفيل بتحقيق العدل ففي الحديث (أن المقسطين عند الله علي منابر من نور عند الرحمن... الخ

المبحث السادس

ان الاسلام هو الدين الذي يحقق العدل والقسط ولما كانت التوراه منسوخه بالإسلام فإن الرسول صلى الله عليه

وسلم حكم بينهم بالإسلام وانما أشار إلي التوراه وما فيها من حكم بشأن الرجم الزاني المحصن لبين لليهود حقيقه شرعهم في التوراه وبيان خطوره العادات والتأويل الفاسد فاتضح بطلان ما كانوا يحكمون به لعدم موافقته لشرعهم فكان في هذا كشف وفضيحه لليهود لكتمانهم التوراه واخفاءها ولهذا تأتي النصوص بعدها بأسلوب الاستفهام الانكاري (وكيف يحكمونك وعندهم التوراه فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمومنين)

فهذا استفهام ينكر الله عليهم ارائهم الفاسده ومقاصدهم الزائغه فهم يدعون الايمان والتمسك بالتوراه ويزعمون أن الذي يمنعهم من الالتحاق بالإسلام هو التوراه ومع ذلك تركوها لما سمعوا بحكم الجلد للزني الغير محصن وجاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران لبيان ان طلب هولاء هو الهوي وارضاء الشهوات الفاسده فهم لا يطلبون الحق ولهذا عندما حكم بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم العدل رفضوا القبول بالحكم ولهذا جاء باسم الاشاره الذي فيه نفي ايمان هولاء باي كتاب علي الاطلاق لتشنيع ما هم عليه فقال تعالي (وما اولئك بالمومنين)

القسم الثاني

بعد أن تناولت النصوص في الايات السابقه حال الذين لايقبلون بالاحتكام الي شريعته الله في حياتهم تأتي النصوص متناولها حال الذين لا يحكمون بشريعته الله ومبينه الغايه التي جاءت بها الكتب السماوية فقال تعالي (انا انزلنا التوراه فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق فهو كفاره له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراه واتيناه الانجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه وهدي وموعظه للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون)

اولا

ابتدأت النصوص بتناول المراد من الكتب السماوية بذكر التوراه بقوله تعالي (انا انزلنا التوراه) بعد أن ذكرت النصوص قبلها عجائب حال اليهود من تركهم التوراه وهم يعلمون وكيف أنهم يتبعون اهوائهم فجاءوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين التخفيف لما في حكم الزني المحصن فعرض ما فيهم من الفساد وعدم تلقي أوامر الله ونواهيته بالتعظيم والاجلال ولهذا ابتدأ (انا انزلنا التوراه) ولفظ انا فيها بيان أن الله هو الذي أنزل التوراه علي موسى عليه السلام فمصدر التوراه هو الله سبحانه وتعالى فأراد بهذا أن يبين الحق أن التشريع والأحكام في جميع القضايا والمشكلات وجميع جوانب الحياة للناس أمر اختص الله به نفسه ومرتبطة بالالوهيه والربوبيه و العبودية لله تعالي ولهذا وصفها بالنزول لتدل علي انها وحى من الله

وبالتالي فإن هذا الأمر كان يقتضي عليهم الشعور بعظمه ما فيها من أحكام ومقابله أمر الله بالتعظيم والاجلال و التقدير فدل هذا أن العيب فيهم يعود إلي عدم حفظ مقاصد الدين وعدم مراعاة حق الله عليهم بخوفه وتعظيم امره فأراد بهذا التحذير من هذا السلوك فإن هذا يدل علي الخروج عن دائره الايمان ولهذا نجد أن النصوص تتناول هذا الأمر من خلال المواضع الاتيه

الأمر الأول

تأتي بأسلوب المدح علي التوراه (فيها هدي ونور)

الهدى أنه تعالي انزل فيها الأحكام والاداله والبراهين القاطعه اي أن في التوراه كل ما يهدي الي سبيل الرشاد

ويؤدي الي الحق فقد جاء فيها بيان كل شي وبالتفصيل لكل شأن ومن ذلك ثبوت نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وعطف علي ذلك النور وهو الكاشف للشبهات الموضح للطريق والنور احيانا يستعمل للايمان والحكمه كما قال تعالى (يخرجهم من الظلمات إلى النور) فهناك بين النور والهدى عموم وخصوص والعطف بها هنا من المغايره بالعموم

الأمر الثاني

دلت النصوص أن الكتب السماوية منزله من عند الله لتكون منهج هدايه ليكون هذا المنهج هو القائد الذي يقود البشريه وينظم أحوالها فهو منهج هدايه وهو دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ولكن ليس انزال الكتب لتبقي في النفوس فلا بد أن تخرج الي الحياه وتحكم جميع جوانبها هذا يعني أن النفس تتحرر من سلطه الدنيا ومنهج الحياه البشريه الوضعيه تتحرر من الدنيا وملذاتها فالهدي يعني ترك كل المناهج ليكون المؤمن خاضعا لمنهج الله والاتجاه لله ولسلطان الله فقال تعالى (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا)

فالانبياء الذين ارسلهم الله بعد موسي الي بعته عيسي عليه السلام قيل إنهم الف نبي فهؤلاء جاوا لاقامه التوراه في حياه الناس فهم لم ينزل الله معهم كتب وانما بعثوا لاقامه التوراه

فدلت النصوص :-

ان الكتب السماوية إنما انزلها الله غذاء روحاني للاتصال بالله ودليل عمل وتعامل مع الحياه تنير لهم الطريق ولتحكم واقع الحياه في جميع شؤون الحياه

ولهذا خص الله بالذكر ان الانبياء بعثوا ليحكموا بني إسرائيل بالتوراه لبيان انه لا بد من سلطه تقوم بتطبيق منهج الله وأحكامه في حياه الناس فهذا هو الهدف من انزال الكتب السماوية

وصيغه الجمع لبيان ان الله أرسل الرسل والأنبياء يحملون المنهج الرباني الذي يحكم حياه الناس في جميع جوانب الحياه السياسيه والاقتصاديه والاجتماعية والثقافية وفي كل شأن والأنبياء كانوا يقومون بالقضاء بين الناس وادراه الدوله وفقا لشريعته الله وكذلك الحال لمن جاء بعدهم من الحكام والعلماء فهذه هي قاعده الحكم الإلهي علي الارض أن جميع الناس يخضعون ويستسلمون لأمر الله بالاذعان لشريعته الله عزو جل فقال تعالى (الذين اسلموا) اي انقادوا وخضعوا لأمر الله ولم يبقي لهم اختيار اصلا أمام أمر الله فليس لهم في أنفسهم اي رغبه في السلطه والحكم وانما هي سلطه كلها لله لا يريدون علو في الأرض وانما يقومون بتنفيذ أمر الله وتطبيق منهج الله فهم منقادون للتكاليف الربانيه فلا انحراف فيه لأن الانحراف يعني خروج عن الانقياد والاذعان وهذا فيه اعتداء علي الواهيه الله فيما لم ياذن به الله

الأمر الثالث

تبين النصوص أن أساس القوامه في الأرض وحياه الناس في جميع شؤون الحياه تقوم علي الخضوع والانقياد لأمر الله فالاستسلام والاذعان لأمر الله هي القوه التي تستمد منها السلطات قوتها والقواعد التي تحكم بها الناس هي شريعته الله ومبادئ الشريعه وقيمها وبالتالي فإن هذا يعني أنها لاتخضع للاهواء المتقلبه والمصالح التي لا ترجع الي أصل ثابت من شرع الله بل أنها تخضع لمنهج الله فهذا هو الأساس الذي قامت عليه الامم التي جعل الله الاستخلاف الإلهي في الأرض فجعل ذلك مرتبطا بقاعده التوحيد فهو الأساس الذي يربط الجزئيات والكليات فليس لأحد من خلقه أن يشرع للناس ما لم ياذن به الله

فيخبرنا الله أن الانبياء الذين ارسلهم لبني إسرائيل من بعد موسي كلهم كانوا منقادون لاوامر الله في التوراه وقاموا بتطبيق التوراه في حياه اليهود فقال تعالى (للذين هادوا)

وذلك فيه اشارة الي أن التوراه خاصه بامه اليهود وهي منسوخه بالإسلام والقرآن الذي جاء للناس كلهم وليس لقوم معين بل للعالمين في كل زمان ومكان

الأمر الرابع

عطفت النصوص (والربانيون والاحبار) علي النبيون ويقصد بهم العلماء والحكام أو الحكماء الذين تخلقوا بأخلاق الرب فنسبوا إليه أنهم كانوا هم أيضا منقادون لأمر الله وهذا فيه تعريض بأن اليهود ليسوا علي الطريق الذي كان عليه انبياءهم وعلماهم ف الله أخبرنا أن وصيه ابراهيم لبنيه فقال تعالي (فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال تعالي بلسان يوسف (توفني مسلما والحقني بالصالحين)

فاخبرنا الله أن الربانيون والاحبار والأنبياء كلفوا بالمحافظة علي التوراه والرقابة علي تطبيق أحكامه أمرين (حفظ ورقابه)

فقال تعالي (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)

اي أنه بسبب ما استمانوا من امانه حفظ كتاب الله بفهمه حق الفهم وان يحفظوه من التحريف والتبديل والتغير في ألفاظه ومعانيه من الزيادة أو النقصان وجعلهم شهداء من الكتمان ليرجع إليهم الناس

والحكم عام هو أن الله قد حمل العلماء ما لم يحمله الجهلاء فيجب عليهم القيام باعباء ماحملوا فانتهبوا أن تفعلوا مثل ما فعل العلماء المتأخرون من بني إسرائيل الذين اخفوا الامانه وكنتموا نعوت وصفات النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم

الأمر الخامس

ان حقيقه الايمان التي كان تعاقب هذا الرتل من رسل الله تستحق منك أن تقبل عليها بقوه فهي امانه الله التي أمر عباده بحملها والحفيظ علي الشي هو الأمين الذي يجب عليه حفظ الامانه وهذا يحتاج الي قوه فلا يخشي أحد من القيام بأداء الامانه ولكنه يخشي الذي استمانه فقال تعالي (فلا تخشو الناس واخشون)

فهذه هي صفات العلماء (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

والخطاب يجوز أنه من الله للانبياء والربانيون والاحبار ويجوز أنه لليهود في زمن نزول الايه ويجوز أنه خطاب للمومنين للتحذير من سلوك اليهود وقدم الخشيه لأنها حامل علي الإنعان والانقياد لأمر الله ثم ذكر التحذير من الرشوه التي تدفع الي التنازل عن أمر الله فقال تعالي (ولاتتشتروا باياتي ثمنا قليلا) والاشترء استبدال السلعه بـ الثمن اي اخذها بدلا منه بأن تأخذوا الرشوي مقابل أن تغضوا الطرف عن العمل بها أو تخالفوا أحكام الله والايات تتناول المحافظة علي اقامه كتاب الله وتطبيقه في الحياه وهذا إنما يكون في حاله أن تكون السلطه بأيدهم ف المراد بهذا أن وصولكم الي مركز القرار في النظام يجعلكم مسؤولين عن امانه احترام المبادي والقيم التي تعبر عن النظام الإسلامي في جميع مجالاته دون استثناء اي امر منها في شأن من شؤون الحياه فلا يجوز التفريط بـ الشوري الذي هو أساس اختيار الحاكم في الإسلام وأساس النظام الإسلامي رغبه في الرئاسه أن تحتكر في اسره من وصل إلي الحكم فإن هذا أن فرط بهذا الأساس مثلا لا يكون نظامه اسلامي وان أقام الحدود مثل الزني وحد السرقة وجميع مبادئ الشريعة فالتفريط باي أمر من أوامر الشريعة يفقدها صفه النظام الإسلامي هذا في السلطه السياسيه والتزام الحكام وكذلك فإن القاضي المكلف بالقضاء في الخصومات بين الناس عليه أن يكون شجاعا ف لا يخاف الا الله فلا يخاف من تهديد أصحاب النفوذ والسلطان فيخالف منهج الله فعليه أن يستحضر قوه الله وعقابه أن خالف منهج الله في حكمه وكذلك لا يتأثر بالمال أو المناصب فلا يتأثر بالاغراء فهذا لايساوي شيئا أمام ما عند الله من نعيم فأراد بهذا غرس الزهد عن الدنيا وملذاتها بالنظر الي ما عند الله

وكذلك فإن الشهادة تعني الرقابة وهذا يعني أن أهل الحل والعقد أو المجلس التشريعي عليه أن يقوم بدوره الرقابي للقانونيين التي ترد من سلطته التنفيذية واللوائح هل تتفق ومنهج الله الذي هو الدستور الأساسي فإذا وجد هناك تجاوز فاللازم وقف ذلك فلا تخافوا غضب السلطان ف الله أولي أن تخافوه وكذلك لاتتاثروا بالاغراءات فانظروا الي ما اعد الله للمومنين من نعيم فقال تعالي (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)

جاء فيها الحسم أن الذي يفرض الاحتكام لشرع الله بأن هولاء هم الكافرون والحكم هنا عام في كل زمان ومكان ويدخل في هذا التفريط بقيم ومبادئ وأسس الشريعة التي يكون فيها بناء النظام الذي تقوم به الدولة اي التفريط بالدستور الأساسي الذي يحدد شكل النظام ومبادئه الاساسيه مثل (الشوري العدل والمساواة الحريه و الشرعيه الدستوريه .. شرعيه الامه الوحده الاخوه ... الخ

القواعد الاساسيه الذي تقوم عليه دوله الاسلام فمن رفض القبول بها وصنع للناس قواعد تنخرف عن أسس الاسلام م بحيث جعل شكل نظام الحكم مغاير لما رسمته النصوص في منهج الله فإن هذا يعني أن هنالك دوله لكن كما قال مالک نبي أنها ليست دوله الموحدين وان كان التوحيد في الصدور فذلك يعني أن الخلافه انتقلت من خلافه دوله الموحدين الي خلافه الافراد وكذلك فإن المخالفه في بعض الأحكام التي يكون فيها الالتواء علي حق العباد كالقصاص وغيرها فإن هذا يعني الظلم ولهذا سماهم الله الظالمون ومنهم جحد أو استهان بأحكام الله فهو كافر

ثانيا

بعد أن ذكرت النصوص مفهوم الدين والتدين الموافق للمطلب الرباني وهو أن تكون الحاكميه لله في الأرض وفق منهج الله فالحضاره التي تستمد قوتها من الاذان الرباني من خلال انزال المنهج الرباني الذي يحقق ويجسد مراد الله في كونه الفسيح هي الحضاره التي تتصف بخضاره الايمان وتتصل بحلقات موكب المومنين وتقوم بامانه الخ لافه علي الارض ووفق الغايه من وجود الإنسان فهذه الحضاره تستمد شرعيتها من التوحيد الذي يكون هو أساس النظام الذي تقوم عليه وتتصل في العقيدة والعبادات والمعاملات وفي جميع شؤون الحياه ولهذا أخبرنا الله أن الذي يرفض الحكم بما أنزل الله فهو كافر فاساس الحضاره ان تقوم بالاعمار والتحسين وفق منهج الله وان تقصد بذلك عباده الله وان يكون ذلك عن علم واحترام للقيم والمبادئ التي جاء بها الكتاب السماوي وهذا يتطلب وجود سلطه تقوم بتطبيق منهج الله وتتولي تنظيم المجتمع والدوله وتعمل علي تحقيق الاهداف الاساسيه للدين وحمايته وحمايه الامه وقد بينت النصوص اهميه أقامه السلطه علي اساس الاذعان والانقياد لله تعالي (الذين اسلموا) وانه يجب التقيد بالدستور الرباني الذي يحكم جميع جوانب الحياه وأن الخروج عن هذا الدستور سواء في بناء السلطه أو أداءها يعني الخروج من الايمان الي الكفر وهنا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يعطف علي ماسبق (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفاره له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون)

وهذا فيه بيان الآتي

الأمر الأول

ان من ضمن ما احتوته التوراه في أحكامها التي فرضها الله عليهم معالجه مساله الدماء جرائم القتل والاعتداء علي سلامه الجسم فقد جاء في التوراه تفصيل لذلك بأن الذي يقتل انسان معصوم فإنه يقاد به وان الذي تقفا عينه يكون الاقتصاص منه وهكذا في كل ما يمكن إتلاف من جسمه مايقابل العضو الذي اتلفه

فهذه هي شريعه الله علي بني اسرائيل في التوراه ولم يكن في شريعتهم الديات وانما كان القصاص أو العفو بدون مقابل فقال تعالي (فمن تصدق به فهو كفاره له)

ولهذا يفضح الله اليهود أنهم لم يلتزموا بالتوراه فجاء التوبيخ لهم بأن هم خالفوا شريعه التوراه عمدا وعنادا

عندما عدلوا الي الديه مثلما خالفو التوراه في الزاني المحصن حيث أن الايه نزلت بمناسبة الخلاف بين قبيله بني النضير وقريظه بشأن الديات للقتلي من كل قبيله عن القتلي في الصراعات التي سادت بينهم فقد جعلوا ديه القتل من القبيله المنتصره مائه ناقيه وديه القتل من القبيله المنهزمه خمسين ناقيه فذم الله مخالفه هولاء التوراه ووصف تلك المخالفه بأنها ظلم لانه ظلم للنفس لانها تعدت حدود الله وظلم للناس لانه طبق عليهم شريعه غير شريعه الله فأقام حياتهم علي منهج مضطرب وترك مافيه تحقيق مصالحهم

الأمر الثاني

تبين النصوص أن شريعه الله تقوم علي اساس المساواه بين الناس فالمقصد الأول من وجود السلطه في الإسلام هي اقامه نظام حكم عادل يحترم كرامه الانسان ويصون ويحفظ حق الانسان في الحياه فانزال الكتب السماويه التي تحقق هذا الهدف فهي منزله من الحق سبحانه وتعالى الذي يعلم مايصلح أحوال الناس وشؤونهم فحضاره لاسلام والأديان كلها بالأساس هي حضاره انسانيه تقوم علي تكريم الإنسان دون تمييز ويتحرر فيها الإنسان من الخوف والأوهام ولهذا نجد أن الكتب السماويه جاءت تدعوا الي التوحيد وتؤكد علي قاعده ان جميع الأحكام والقواعد ينبغي أن تتصل باساسها العقائدي التوحيد (لا اله الا الله) وهذا فيه التحرر من كل الأصنام فلا تخشي الا لله ولهذا ومعني الاحتكام الي منهج الله وفقا لما سبق هو إعلان المساواه بين جميع الناس أمام شرع الله يعني المساواه الانسانيه فالشريعه تحفظ كرامه الانسان وتحفظ حقه في الحياه

ولهذا يذم الله بني إسرائيل الذين انحرفوا عن مبدأ المساواة وقاموا بصنعه عقيدته عنصرية وطبقه لاتمت لما حملته التوراه بصله

الأمر الثالث

ان المتأمل للنصوص يجد أن السعاده والسلامه والنجاه من افات جرائم القتل إنما تكون في تطبيق منهج الله وان من عظمه شرع الله أنه يكافح الجريمه ويستاصل بواعثها وهو أيضا يربي النفس علي قمع بواعث الشر والنزاع لاجراميه من قلب المومن حيث أن مشاهده المومنين للقاتل وهو يعدم قصاصا علي ما اقرن من جريمه من الموكد ان كل من فيه نوزاع اجراميه أنه سوف يفكر مائه مره قبل أن يرتكب الجريمه والذي يعلم أنه أن كسر يد شخص أنه سوف تكسر يده فانه قبل أن يقدم علي ارتكاب الجريمة سوف ينظر إلي النتيجة والعقوبه التي سوف يعاقب بها وبالتالي سوف يردتعه وهذا ما لا يحققه السجن

فالحق سبحانه وتعالى يأمر بالعدل والقصاص ويلزم الحاكم بعدم التساهل ويرتب علي التهاون في الأحكام الشرعيه وصف الحاكم بالظلم وهذا فيه اضافه الي جريمه الكفر لانه لم يحكم بما انزل الله فكان الوصف الأول متعلق برفض وجود أمر الله (كفرا) وأما الوصف الثاني فهو مضاف الي الكفر وسماه ظلما لانه اعتدي علي حق البشر فأراد بهذا التنبيه أن الترغيب في العفو الورد في الايه (فمن تصدق به فهو كفاره) لا يعني الاستهانه والا ستخفاف بحكم القصاص وابطال العمل به فحكم القصاص شرع لحكمه عظيمه فيها الزجر والردع وجبر خاطر أولياء الدم ومنع التردد من أولياء الدم ومنع الفوضى الناتج عن الانتقام ويودي الي استاصل جذور الشر واقامه الحياه علي معاني الايجابيه والخير وبناء مجتمع مستقر ومنظم قائم علي النظام والقانون والانضابط وابطال العمل بحكم القصاص يعطل هذه المصالح فالتعطيل للحكم يعني إهدار حقوق المعتدي عليهم تعطيل المصالح أما العفو عن الجاني من المجني عليهم أمر يحقق المصالح السابقه فهو يودي الي المحبه لانه عن طيب خاطر ونفس

ولما كان غباء حكام بني إسرائيل قد أصابهم بسوء الفهم للترغيب في العفو فجعلوا ابطال حكم القصاص بمنزله العفو فكان هذا وجه اعاده التهديد عقب استحباب العفو وجاء التنبيه من هذا التفسير والتأويل الفاسد بقوله (ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الظالمون)

يقول ابن عاشور أن المراد بالظالمين هم الكافرين لأن الظلم يطلق به الكفر فيكون هذا موكد لما ورد في الايه السابقيه ويحتمل أن المراد به الجور فيكون إثبات وصف الظلم لزياده للتشيع عليهم في كفرهم فهم كافرون وظالمون

ثالثا

تمضي سياق النصوص في بيان تاريخ الأديان والهدف منها واغراضها بأنها كلها انزلت من الله لاقامه الحياه كلها علي شريعته الله تعالى في حياه الفرد والمجتمع والدوله فقال تعالى (وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم)

الأمر الأول

يخبرنا الله أنه تعالى ارسل بعد أنبياء بني إسرائيل عيسي ابن مريم فجاءت النصوص معطوفه علي جملة (انا انزلنا التوراه)انتقالا من أحوال اليهود الذين ذكر أنه أرسل الانبياء إليهم لاقامه التوراه الي أحوال النصاري لقوله (ليحكم أهل الانجيل) فالنصوص تبين نوع اخر من افات وأمراض بني إسرائيل وتعاملهم مع الكتب السماويه فذكر ان ذلك يعود إلي تحريفهم للتوراه كما أخبرنا الله في الايات السابقيه وانهم بسبب ذلك عاشوا في ريبه وشك من بعد ما حرفوها وقست قلوبهم ولذلك جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم قاصدين الالتواء علي أحكام التوراه وطالبين التخفيف ثم إنهم أعرضوا عن حكمه ولم يتحرجوا من ابطال حكم القصاص وان النوع الثاني من فساد بني إسرائيل فهو أعراضهم عن أمر الله لهم باتباع عيسي عليه السلام فقد كذبوا رسالته ولهذا قال تعالى (وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم)

والتقفيه مصدر قفاه اذا جعله يقفوه اي يأتي بعده ومعني قفاه سار نحو قفاه والقفا الظهر اي سار وراه فالتقفيه ا لإتباع مشتقه من القفا مثلما التوجه مشتقه من الوجه والباء في قوله (بعيسي) لتأكيد معني (آثارهم) لتأكيد أنه سار علي طريقتهم اي الانبياء الذين ذكر أنهم (اسلموا) وهديهم ولهذا قال بعدها (مصدقا لما بين يديه من التوراه) والمصدق المخبر بتصديق الخير واريد به هنا المويد المقرر لصدق التوراه وجعلها بين يديه لأنها تقدمته فهو شاهد بصدق هذا الطريق ولهذا انتقل من مدح عيسي عليه السلام الي مدح الانجيل فقال تعالى (واتيناه الا نجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه)

ان الله أعطاه الانجيل فيها من الأحكام التي ترشدكم الي سبيل الهدايه اي بيان ماحله الناس في زمانه من حكم الله ونور ضياء ينير لهم الطريق وهي مكمله للتوراه

الأمر الثاني

والجملة (فيه هدي ونور) حال ومصدقا حال أيضا من الإنجيل ولهذا فلا تكرر في قوله (ومصدقا لما بين يديه من التوراه) لأن هنا حال من الإنجيل أما في الاولي متعلقه بحال عيسي فهناك اختلاف لأن تصديق عيسي للتوراه متعلق بأحياء أحكامها وهو تصديق حقيقي

أما تصديق الانجيل التوراه فهو اشتماله علي ما وافق أحكامها وهو تصديق مجازي وهذا التصديق لايتنافي مع أنه ناسخ لبعض أحكامه كما قال تعالى (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) لان الفعل المثبت لاعموم له

الأمر الثالث

تبين النصوص أن المنتفع بهديه الكتاب وموعظ الله هم المتقون الذي يخافون الله فهم الذين تنتفع قلوبهم بالعلم فقال تعالى (وهدي وموعظه للمتقين) والله يقول في موضع آخر (إنما يخشي الله من عباده العلماء) لأن القلوب القاسيه لاتنبت بها النبات فلا تنتفع بالعلم الا القلوب الطاهره الصالحه لتنمو فيها الموعظه فهي التي تنذوق طعم الموعظه والطاعه فالموعظه هي الكلام الذي يلين القلب ويزجره عن فعل المنهيات وهذا يحتاج الي أن تكون

منافذ الهدايه مفتوحه لاستقبال الانور فالذي يغلق نوافذ منزله كيف له أن ينعم بدخول ضوء الشمس الي منزله لتقتل الجراثيم فعليه أن يفتح النوافذ والأبواب لدخول اشعه الشمس وكذلك فإن القلوب التي تبغض الحق وتكرهه لايمكن أن تنتفع بهدايه الله فمن أراد الانتفاع بنور الايمان أن يفتح منافذ الهدايه

الأمر الرابع

تأتي النصوص مبينه أن جميع الكتب السماوية انزلها الله لتكون دستور حياه ولتحكم حياه الناس وواقعهم فقال تعالي (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه)

فجعل الله الانجيل شريعه تحكم أحوال الناس من بني إسرائيل فشانه شأن التوراه ورساله كل رسول ماعدا الاسلا م فهو دين للبشريه كلها وختم الله الايه بقوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون)

ان الذين يرفضون الحكم بشريعه الله هم فاسقون اي خارجون عن طاعه الله فمشروع هولاء ابطال المشروع الرباني بالخروج عن منهج الله وهذا هو مشروع ابليس الذي خرج عن طاعه الله فالشيطان ومدرسته يسعون الي ابطال المشروع الرباني

وهنا قد يقول قائل لماذا ذكر في الاولي الظالمون ..وهنا الفاسقون .

وقبلها ذكر فاولئك هم الكافرون)

إذا تأملنا للنصوص نجد أنها وردت في إطار تناول تطور البشريه في الأرض ابتداء من ذكر ابني ادم حيث لم تكن هنالك دوله تقوم بتنفيذ أمر الله فلم تكن هنالك عقوبات فكان الانتقال الي بني إسرائيل لبيان ان الاجتماع الإ نساني ضروري للنوع الإنساني ولذلك كان نشاه الدول مع نشاه العمران والانتقال الي حاله المدنيه ولذلك كان لابد من قوانين وشرائع تنظم أحوال الناس لمنع الظلم ولتحقيق الاستقرار والأمن والعمران فمن المستحيل تنظيم احوال الناس بدون دوله يتم رعايه المصالح للمجتمع والموازانه بين المصالح العليا والخاصه وبين مطالب الدنيا وا لآخرة ولهذا فإن الأمم والدول تنمو وتتطور وتكبر وبنفس الوقت تموت ولها صورتان للوفاه الذي يقضي علي العمران فالصوره الاولي تنتج عن الظلم حيث أنه يدمر العمران لانه اعتداء علي دماء الناس واديانهم ومعتقداتهم وأموالهم وحررياتهم وبذلك تذهب آمالهم في اكتسابها وتحصيلها وهذا يحدث انقباض أنفس الرعايا في الكسب و الحركه فيقل الإنتاج حتي وان كان الظلم يسيرا فهو يقتل المواهب والقدرات ويفسد الحياه وينشأ عنه فساد العمران وخرابه والافساد في الأرض لانه يوضع الشئ في غير محله وهذا يكون ناتجا عن قساوه القلوب فأشارت النصوص الي فساد اليهود نتيجته قساواه القلوب

وكذلك فإن الترف يقضي علي العمران حيث أنه يولد جرائم تحصيل الملذات والشهوات ويرفض أن يمنعه مانع من ذلك فيكثر منهم الفجور والمجاهره بالفسق دون أي حياء ومن مفاسد هذه الحضاره الانهماك في الشهوات والا سترسال فيها لكثره الترف فيكون تدمير الحضاره قال تعالي (واذا أردنا أن نهلك قريه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

فأشارت النصوص الي أن الظلم يدمر علي العمران وان الفسق يقضي علي الحضاره بعد أن بين أن كلا الفريقين كافرون لانهم لم يحكموا بما أنزل الله

القسم الرابع

قال تعالي (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوأهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امه واحده ولكن ليلوكم لي في ماء اتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما أنزل

الله ولا تتبع أهوهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض مآزل الله اليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)

اولا

بعد أن جالت الآيات المتقدمه في بيان اغراض انزال المناهج الربانيه وإرسال الرسل مبينه أنها انزلت من عند الله لاقامه الحياه كلها علي أساسه في حياه الفرد والدوله فهي الدستور الذي يحدد شكل الخلافه علي الارض وكيف يكون الاعمار والتحسين علي الارض بما يودي الي التطور والاستقرار ويمنع الفساد والافساد في الأرض وبما يحفظ كرامه الانسان ويصون طاقاته ويوجه نشاطه وقدرته عن علم ومعرفه فالمنهج هو الوسيله والاليات التي يتوصل بها الي الغايه والمقصود من الوجود الإنساني علي الارض بحيث تكون الحضاره موافقه للمطلب الرباني فجعل المنهج الرباني هو الصله التي تربط الانبياء والرسل ومن اهتدي بهديهم وتناسل منهم علي منهجهم مدرسه الابواه الشرعيه التي توصف أهلها بالإيمان فابواه الايمان اتباع المنهج واقامه العهد وبها يتم تسلسل الارتباط وبدونها ينقطع الارتباط وينفصم التسلسل فقال تعالى (ومن لم يحكم بما انزل فاولئك هم الكافرون... الظالمون... الفاسقون)

ولهذا عطف علي الانبياء والرسل (وقفينا بعيسي ابن مريم) ولتأكيد هذا التسلسل والارتباط في المراحل المتلاحقه رغم تباعد مسافاتهما يقول تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق)

فكان المقصود من ذكر التوراه والإنجيل هو انزال القران الكريم فكان كرد العجز علي الصدر لقوله تعالى (يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر)

ليتبين أن القرآن جاء ناسها لما قبله وان مؤخذه اليهود والنصاري علي ترك العمل بالتوراه والإنجيل مؤخذه لهم بعملهم قبل مجئ الاسلام فلا يطمع هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم بينهم بغير ما شرعه الله في القران فوقع قوله تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق انما لترتيب نزول الكتب السماويه وتمهيدا لقوله تعالى (وان احكم بينهم بما أنزل الله)

وأما الاتمام به لترتيب نزول الكتب السماويه فأراد بهذا بيان أن القرآن هو الكتاب المعتمد في قراءه مراد الله وان الاسلام هو الوراث لجميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإنسانية وأنه بالمقابل قد دامج مشروع الانحراف الشيطاني مع بعض في كل صورته التاريخيه فالاسلام هو الدين الحق الذي يحقق المطلب الرباني والقرآن هو الصراط المستقيم الذي امرت الأمم الانسانيه باتباعه في المرحله الاخيريه ولهذا قال تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بـ الحق مصدقا لما بين يديه من الكتب)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ان القران منزل من عند الله ليكون دين للبشريه كلها ولتكون شريعتيه للبشريه كلها وليهمن علي كل ما كان قبله فهو ناسخ لجميع الكتب فهو الصراط المستقيم الذي امرت الأمم كلها باتباعه في المرحله الاخيريه وهذا أمر خالق البشر سبحانه وتعالى فهو سبحانه وتعالى يقول (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)

فالبشريه كلها ملزمه باتباعه واقامه حياتها ونظامها ونشاطها وفقا لما جاء به فقوله تعالى (انزلنا) يعني أن نزوله ليحكم الأرض فلا بد من انشاء دوله يحكمها القران الكريم لا لمجرد القراءه والدراسه وليس أن يكون مجرد ثقافه ولكن لأجل أن يحكم الأرض وأن تقام الحياه علي أساسه فلا بد أن يعيد خلق الانسان به علي الصوره التي يرضاها الله لا بد من إنشاء المجتمع المسلم والدوله المسلمه التي يحكمها القران دوله التوحيد

الأمر الثاني

يقول الحق لنبيه لا تحزن من هذا الذي يسرع في الكفر ويريد أن يتجاوز الاسلام وتطويعه للاهواء وتطبيعه وترويض اتباعه بأن هولاء قد خرجوا عن الدين والتدين واصبحوا خارج ميدان الدين وانقطعت صلتهم بالانبياء و الرسل فلا تحزن من فعلهم لان هولاء أصبحوا تابعين لمدرسه الشر الشيطانية التي تسعى لابطال منهج الله وتسعي لنشر العشوائية والفوضى في الحياه وترفض القبول بالحق فقال (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) اي أنه نزل بالحق من حيث الجبهه التي أصدرته فهو الله سبحانه وتعالى من يملك الحق في أنزله ومن الجبهه التي تملك حق التشريع علي البشر وهو الله جلا جلاله ومنزل بالحق لانه يفرق بين الحق والباطل وأنه مشتملا بالحق في كل ما جاء فيه

الأمر الثالث

ان الايات تضمنت اعلان أن الإسلام هو دين العالمية الحقه فهو جامع لجميع مراحل الديانات والتدين في تاريخ الإ نسانية كلها

ولهذا قال تعالي في وصفه (مصدقا لما بين يديه من الكتاب)

فالكتاب الاول (وانزلنا اليك الكتاب بالحق) هو القرآن فال فيه ال التعريف للعهد أما في الثاني (من الكتاب) فهي ال الجنس لتشمل جميع الكتب المتقدمه والمصدق بموافقته لما جاء ت به الكتب السماوية فهو جامع لجميع الديانات السماوية وصور التدين ومحقق ومقرر لما فيها فهو الدين المهيمن علي بقية الرؤي والأفكار والتصورات في الخليقه فهو مصدر مهيمن علي المصادر الأخرى فعلي المسلم أن لايقبل من اي مصدر آخر ما يخالف القرآن باي صوره من الصور ولا ينبغي رفض أي شي منه لانه الكتاب الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف والتبديل ولم يدخله اي تغيير فكل ما فيه منزل من عند الله تعالي لفظا ومعني فهو لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فكل ما فيه من مبادئ وقواعد وقيم وقوانين حق لامرء فيه ولاخطا ولهذا فهو المعمول به ولانه مثبت لبعض الأ حكام وناسخ البعض الآخر فهو المرجع عند الاختلاف فهو ميزان عدل في إبراز موقع الصدق الايماني في المتدين أو إبراز موقع الكفر والخيانه لمن يرفض القبول به

ثانيا

بعد أن أقام الدليل علي أن القرآن الكريم هو المنهج الرباني المعتمد الذي أمر الله تعالي جميع أهل الكتب السماوية بقرائه مراد الله منه والتحول والانطواء تحت هيمنه القرآن الكريم فقد تعطل العمل بالكتب السماوية رتب الله سبحانه علي ذلك أن يكون الحكم علي أساسه فقال تعالي (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امه واحده ولكن ليلوكم في ما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

الأمر الأول

أنه يجب تطبيق أحكامه في حياه الناس ونظام الحياه كلها فيجب أن يحكم العالم كله فهو الكامل الذي لانقص فيه ولاتبديل فالهيمنه تعني أن تكون قيم الإسلام ومبادئ الشريعة أساس النظام العالمي في رعايه حقوق الناس وحرية وكرامته فقد أوجب الحق سبحانه وتعالى رفع الظلم عن المظلومين حتي اولئك الذين ليسوا من أهل الإس لام فقال تعالي (وقاتلوهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا علي الظالمين) فالمراد ب الدين هنا هو هيمنه الاسلام علي العالم بارساء ما جاء به من قيم ومبادئ الحريه والعداله والمساواة و الحرية... لرفع الظلم عن المظلومين ليكون النظام العالمي خاضعا لقيم الاسلام ومبادئه ولايعني هذا اعتناق الإسلام فالإسلام لايرغم الناس علي الإيمان فالله يقول (لا إكراه في الدين) ولهذا عندما قصد اعتناق الإسلام قال تعالي

(وقاتهم حتي لاتكون فتنه ويكون الدين كله لله) في الحديث عن القضاء عن الشرك في جزيره العرب أما الايه في سوره البقره فهي تتحدث عن إرساء نظام العدل والمساواة الحريه التي جاء بها الاسلام فقد وردت الايات بمناسبه الحديث عن حق الحصانه والتعامل مع الدول الأخرى في الحرب والسلم

والنصوص وردت هنا في هيمنه الاسلام علي العالم فكان مناسباً التحذير من أن يؤدي الانفتاح علي الثقافات الأخرى التهاون والتساهل في اقامه العدل في الارض وفقاً لحكم الله الوارد في القران فيحذر الله من الأعذار و التبريرات التي سوف يحاول البعض إثارتها تحت مزايم السياسه والحاجه الي المرونه لخدمه الاسلام وتحت شعار تأليف القلوب فياتي الجواب من الله للرد علي مثل هذه الهواجس أن قياده العالم ينبغي أن تكون وفق منهج الله فلا إفراط ولا تفريط في هذا الأمر ولا يعد التساهل في الأحكام تسامح

ولا يخدم الاسلام وانتشاره وهذا لان اليهود عندما حكموا الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا طامعين أن يحكم عليهم لما يقرره من عوائدهم فجاء النهي عن الحكم بغير ما أنزل الله مبيناً أن القران نزل مهيمناً ناسخ لما قبله فابطل كل ما خالفه والرسول صلى الله عليه وسلم لا يجوز له أن يحكم بغير شرع الله

فكان المقصود من النهي اعلان هذه الحقيقه لتعليم الناس بأن أسس حضاره الاسلام تقوم علي ١ احترام كرامه الانسان وحقه في الحياه والعيش ٢ التحسين والاعمار في الأرض بوضع كل شيء في محله وعدم الافساد فيجب التزام الحق في كل شيء والابتعاد عن الباطل والفساد ٣ الاستقرار في الحركه بالابتعاد عن العشوائيه والأهواء التي لاضابط لها فلا يكون ترك منهج الله والنزول عند أهواء البشر لأن ذلك يؤدي الي الاضطراب ءوان معرفه الحق يتطلب العلم بما أنزل الله في كتابه ولهذا كان هذا الاعلان ٥المخافظه علي القيم ولهذا اغلق الحق المداخل التي تدعو الي التفريط بالاحكام تحت شعار التسامح وغيرها أو وحده الصف بأنه لايجوز التضحيه بأي جزء من شرع الله ٦:السلطه التي تكون مقيدته بتطبيق منهج الله ولهذا جاءت النصوص لتيأس الطامعين أن يحكم لها بما تستهويه فخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لكل من يتولي الحكم في الاسلام (ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق)

فأراد أن يتقرر ذلك في علم الناس كما قال تعالي (لئن اشركت ليحبطن عملك) او لتبين للرسول صلى الله عليه وسلم وجه الترجيح عند تعارض دليلين بأن لا يكون لاهواء الخصوم طريق للترجيح فلا يكون شده الرغبه في هدايه الناس سبباً لوقف الفصل ولا موثراً علي الحكم فالحق أحق أن يتبع

الأمر الثاني

انه لما بعث الله الرسل علم أحوال العباد وما يطرأ علي مراحل الوجود الإنساني من تحولات وتقلبات فعدد الله الأ نبياء للأمم وعدد وسائل تبليغهم بل عدد حتي معجزاتهم فجعل لكل نبي معجزه تتناسب مع عقليات أهل زمانه لتقوم عليهم الحجه فجميع الكتب السماويه وان كانت حاويه في مجموعها معني واحد فيما هو مطلوب وهو التوحيد الأساس الاعتقادي الذي تقوم عليه الحياه لكنها عدت الأساليب ونوعت الوسائل في إقناع العقل البشري واقامه الحجه عليه فالشريعته هي السبيل والمنهاج هو السنه والطريقه فالطقوس والعبادات التي كان اختلاف الأديان فيها هي وسائل أما الغايه فهي واحده وهي عباده الله والتوحيد قال تعالي (وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

وان التحديث والتجديد للوسائل شأن له أثر في قبول الفكره ورسوخ أهدافها ولو أراد الله أن يجعل الوسائل والأ ساليب ثابتة غير قابله للتجديد ولجعل ادم ينقل لابنائه الدين جيلاً بعد جيل ولن يعدد الانبياء والرسول ولن يعدد وسائل عباده الله تعالي ولم ينوع الأساليب أو أن يجمعهم علي دين واحد مثلما أن اشكال الناس الاساسيه في الخليقه متميزه بالثبات فوحده النوع لاتقبل التجديد فالناس كلهم لهم أوجه وأيدي واقدم ورأس... الخ

لكن المتغير في الإنسان التطور الفكري والعقلي وأساليب الحياه حيث أنها تقبل التحسين وتتأثر بما يطرأ علي مراحل الوجود الإنساني من تحولات وآثار الاحتكاك مع أهل الباطل ولهذا جعل مساله التجديد للرؤي والأفكار واستنباط المفاهيم ممكنه علي شروط تتسم بالثبات فعدد الانبياء للأمم وجعل الرسالات ومعجزتها متناسبه مع عقول الناس وحدود وعيهم المعرفي لتقوم عليهم الحجه ولهذا يقول تعالي ان هذا لحكمه (ولكن ليبلوكم في ما اءتاكم)

ان هذا متعلق بالامتحان والإختيار لأجل تقسيم الناس إلي قسمين أهل الخير وأهل الشر كلا بحسب استعداده لقبول الحق أو رفضه فمن كان مستعد لقبول الحق منحه الله التوفيق والنجاح والفلاح وأما الذي ليس لديه استعداد بالخذلان وبذلك يظهر أهل الخير فمن ينحرف عن الحق وعن منهج الله يلتحق بمدرسه الشر ومن يمتثل لأمر الله يكون منتسبا لأهل الخير والايامن

الأمر الثالث

بعد أن بينت النصوص أن انزال القران هو الابتلاء والامتحان لمن يأخذ به ومن يرفض القبول بأمر الله فيه وان الإ سلام جامع لجميع الديانات السماوية وصور التدين الانسانيه فهو الدين المقبول عند الله وهو رساله للعالم كله فهو الوراث لجميع مراحل الديانات الانسانيه كما قال تعالي (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذان الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها)

فتبين النصوص أن المسلمين سيكون منهم الظالم لنفسه الذي تزيد سيئاته علي حسناته ومنهم المقتصد...ومنهم السابق بالخيرات .

ولهذا تأتي الآيات تحت المومنين علي التسابق علي الخيرات فقال تعالي (فاستبقوا الخيرات) فيامرهم بالاسراع في الاعمال الصالحه التي تقربهم من الله بالخيرات الشامله في كل أمر وهذا فيه الحث علي المبادرة إليها واستغ لال الفرصه فهذا فيه التحفيز علي اعمال الخير وتحسين الأداء فلا يكتفي بالقروض بل يجب أداء الواجبات و المستحبات فالتنافس هنا بالتسابق أنه به يكون ظهور اثر التوفيق بشكل اوضح وجلي والتسابق مجازي والعامل لا يمنع غيره من فعله فاستعمل الاستباق لانه لا يكون إلا الي أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفه الجته ومافيه من نعيم ف الله يقول عليكم أن تدركوا أن رساله الاسلام هي اخر الرسالات وهي من علامات الساعه فاليوم هو المضمار اي الميدان الذي يكون فيه العمل الرصيد الحقيقي الذي ينفع في الاخره حيث انكم سوف تموتون وتعودون الي الله الأمم كلها السابقيه واللاحقه وسوف يحاسب الله علي أعمالهم فيثيب أهل الحق والعمل الصالح ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ فقال تعالي (الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

ثالثا

تعود النصوص الي بيان هيمنه الاسلام علي جميع الأديان ولتأكيد عدم التهاون والتساهل في الحكم فيما جاء به القرآن تأتي النصوص لتأكيد الأمر بالحكم بما أنزل الله وعدم التأثر بالاهواء والرغبات فقال تعالي (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون)

الأمر الأول

ما المراد بالتكرار في الايه (وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ذهب البعض للقول انها ناسخه لقوله تعالي (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)

وذهب البعض أنها تأكيد لما تقدم باعتبار أن هذا عطف جمله (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما

جاءك من الحق) يقول ابن عاشور: فيكون ذلك رجوعا الي ذلك الأمر لتأكيدهِ وبني عليه قوله (واحذرهم أن يفتنوك) كما بني علي نظيره قوله (لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا) فتكون (أن) تفسيريه تقويه ارتباط التفسير بـ المفسر لأنها يمكن الاستغناء عنها بصره أن تقول ارسلت إليه أن أفعل كذا وكذا.. كما تقول ارسلت إليه افعل كذا فلما ذكر الله أنه أنزل الكتاب الي رسوله رتب عليه الأمر بالحكم بما أنزل الله واستعمل حرف الفاء فقال (فحكم) فدل أن الحكم بما فيه هو من آثار تنزيله وعطف عليه ما يدل علي أن الكتاب يأمر بالحكم بما فيه بما دلت آياته التفسيرية في قوله (وان احكم بينهم) فجعل أن مصدره داخله في فعل الأمر كما قال تعالي (انا أرسلنا نوحا الي قومه أن أنذر قومك) اي أرسلناه بالأمر والانداز

الأمر الثاني

ان التحذير الأول جاء بعد ذكر تفوق الاسلام علي الأديان والحضارات فهو جامع لجميع الديانات السماوية وصورها وناسخ لها فهو مهيم علي جميع الأديان ولهذا فإن منهجيه الاسلام في التعامل مع الحضارت وما فيه من أحكام وشرائع يقوم علي قاعده الفحص والدراسه لكل ما يرد عليه من الشرائع السابقه بأن يعرضه علي مبادئ وقواعد وقيم وقوانين الشريعة الاسلاميه فما وافقها قبل وما خالفها رفض وان شريعته قبلنا شريعته لنا اذا لم يوجد في شريعتنا ما يخالفها إنما تكون لما ذكر في القران عن تلك الشرائع وليس اخذها من مصادر الكتب التي في يد اليهود والنصارى لأنها تعرضت للتحريف والتبديل والتغير فلم تعد محل ثقه...وهنا تأتي النصوص لتأكيد هيمنه الاسلام علي جميع الأديان لبيان رفض الاسلام التهاون أو التساهل في مجال التشريع بالتخلي عن شريعته الله أو التساهل في مساله الحكم بما أنزل الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الي أي تشريع من وضع البشر لأن ذلك يعني اتباع الهوى ولهذا جاء التحذير هنا بشكل أدق وا شد سؤاء في مقام الحكم أو الفتوي للنبي صلى الله عليه وسلم من الانحراف الي حكم غير حكم الله وما كان للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخالف أمر ربه وانما هذا التحذير ليكون تعظيم الأمر الإلهي من قبل المسلمين فإذا كان الله قد خاطب نبيه بهذا التحذير وهو المعصوم لتنبئه أن يتخذ الاحتياطات اللازمة التي فيها الوقايه من الفتنة التي ينزلق فيها من لم يغلق الباب أمام التسييس لهذه القضية تحت اي مسمي ولو كان ذلك تحت شعار مصلحه الدعوه والمرونة حيث أن الداعيه يطمح في انتشار الدعوه وكثره أنصارها ولهذا قد ينظر أن التساهل مع الأعداء في بعض الأحكام وسيله تدفعهم الي الايمان بالرسالة فينظر أنه إن قدم بعض التنازلات سوف يولد فيهم حب الاسلام ولهذا يحذر الله المسلمين أن ينتهوا من هذه المداخل ويخبرهم الله أن مساله الرغبه منكم في التحاق هولاء بالإسلام لايعني التنازل عن قيم ومبادئ الشريعة وأحكامها فعليكم اقامه الشريعة ومساله ايمان الناس لايكون بالتقريب بقيم ومبادئ الاسلام

ولهذا يقول المولي سبحانه وتعالى لنبيه (فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)

فليس عليك حرج إن لم يقبل هولاء بحكم الله مبينا أن ازمه هولاء تعود إلي اراده الله عقاب هولاء لذنوب سابقه ارتكبوها فدل هذا أن الخذلان من الطاعة يعود إلي ذنوب اقترفها الإنسان....ولهذا فإن عليك ايه المسلم إذا وجدت نفسك غير موجود في موقف الطاعة كان تتأخر عن صلاه الفجر مثلا أن تدرك أن هنالك ذنوب اقترفها كانت وراء هذا الخذلان فحاسب نفسك وتفقد أحوالها لتعرف سبب الإخفاق اسال نفسك ماهي الأخطاء عليك أن تعرف جنائيات نفسك

عليك أن تتذكرها لتخاف الله والوقوف بين يديه لتكون في يقظه دائمه ولتولد النشاط والرغبه في الاعمال الصالحه التي تمحو الذنوب لتكون دافعا علي تحمل المشقه والمتاعب لترويض النفس علي الطاعة لتبحث عما يرضي الله ويبعد عن سخطه ليكون الا

دمان علي مناجاه الرب وطلب التوبه ومعاقبه النفس بعد مراقبتها وايضا عليك أن تدرك أن وجودك في مواقف الطاعة تعني أنك في نعمه الله الذي وفقك وهذا يوجب عليك أن تشكر الله علي نعمته

الأمر الثالث

(وان كثيرا من الناس لفاسقون)

وردت الاية الكريمة في مقام التحذير من التنازل عن قيم الإسلام ومبادئ في الحكم والفتوي فخص هذا التعقيب ببيان ان الحكم بالشريعة الإسلامية والتمسك بالقيم والمبادئ أمر واجب فلا تنظر إلي آراء الاغلبية من الناس في التشريع لا علاقة له برأي الاغلبية كما ينظر إليها دعاه الديمقراطية فيحذر الحق من ذلك فيقول إن المساله ليست اغلبيه أو اقلية بل هو منهج الله وان القبول بالمنهج الرباني أمر شاق علي النفوس لانه يتعارض مع رغباتها في أغلب الأحوال ولذلك تجد أن أغلب الناس ينحرفون عن أحكامه في أغلب الأحوال لأن النفوس ترغب بالملذات و الشهوات العاجله ولذلك يخرجون عن منهج الله ف الله يقول في موضع آخر (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) ويقول تعالي أيضا (وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين)

وهو ما يفهم منه

المفهوم الاول

أن علي الداعيه ان لايركز علي الكم من الناس الذين يلتحقون بالدعوه وانما عليه أن يركز علي الكيف هل لدي اتباع الدعوي القبول بالإسلام وأحكامه ام لا فهذا هو الأساس الذي تبني عليه الجماعة الاسلاميه الكيف لا الكم

المفهوم الثاني

ان علي الداعيه وهو يعرض علي الناس الاسلام أو يدعو إلي تطبيقه أن لا تقيمه في أذهان الناس كافكار مبعثره واجزاء متناثره ولايكون إقامته في ميادين الحياه جزئيات وتفاريق منفصله عن أساسها الاعتقادي الذي يثبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها فهو نظام جامع محكم الأسس ويقوم علي مبادئ حكيمه وأركانه الكبيره والجزئيات الصغيره الدقيقه كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا منطقياً

رابعا

تبين النصوص أن الذي يرفض القبول بحكم الله فهذا هو الجاهل الذي يتشبه بتقاليد صنعتها الجاهليه المتخلفه ثم جمدها احكام طباعها الفاسده فصارت مصبوغه بتخلف الطباع والطبيعه وهذه المجتمعات يصعب عليها التخلص من التخلف لأن طباعها المتخلفه وطبيعتها الجامده تشكل عائقا أمام التقدم فهي تجد صعوبه في الا تتقال الي اوضاع جديده ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (افحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)

فالفاء مرتبطه علي مضمون فإن تولوا فاعلم... استفهما علي مرادهم من ذلك التولي والاستفهام انكاري لانهم طلبوا حكم الجاهليه وحكم الجاهليه كل ما خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحكم الجاهليه يعني الظلم والجور والبغي بينما جاء الاسلام بمنهج الوسيطيه والاعتدال الذي فيه العلم والعدل والهدى و السعاده هذا هو الفرق بين حكم الاسلام وحكم الجاهليه والموافق هو الذي يعرف هذا الفرق فما دام حكم الله هو الاحسن فلماذا يريد هولاء العوده الي الجاهليه ولهذا أشار إلي المساله تعني الوقوف عند مفترق طرق أما الانطلاق الي مافيه التقدم والتطور أو العوده الي الورا فربط اعتبار النظره الي افضليه حكم الله بأن هذه المساله داخله في الايمان فالذي يشك في ذلك يكون من أهل الجاهليه فهو لم يومن حقيقه لان مساله الافضليه لاتتكشف لكل الناس وانما تكون لمن كان مومنا باليقين القاطع فهذا يرزق نورا يري فيه مظاهر الافضليه التي حملها القران الكريم في تشريعاته

ولهذا فإن أول خطوات إنجاح مبدأ الوسيطة والقدرة علي رويه افضليه هذا المشروع إنما يكون من خلال العمل

الواعي الدؤوب علي تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبية من مخلفات ركام الفكر الجاهلي فالامم لا
تتطور الا برفض أبنائها لواقعهم المتخلف الجاهلي وليس برضاءهم عنه وقناعاتهم به والجاهليه صفه ولها صور
واشكال متعدده في الازمنه والامكنه كلها إلي قيام الساعه فقد أزال الاسلام الجاهليه الاولي فقال تعالي محذرا
من عوده الجاهليه (ولاتبرجن تبرج الجاهليه الاولي) ولهذا فقد عادت الجاهليه الي واقع المسلمين بصورتها
(الجاهليه الثانيه) ولهذا فإن الامه بحاجه للخروج من الجاهليه الثانيه وازاله آثارها بما أزال الرسول صلي الله
عليه وسلم الجاهليه الاولي بالشريعه المطهره وبتوحيد قرار المسلمين والعوده الي منابع التوحيد وبناء الامه التي
يحكمها القران الكريم فهذا هو الامل الوحيد الذي يمكن استعادته كرامه المسلمين فالعزه بالقران فهو الذي يحكم الأ
فراد والجماعه والدوله فالمساله تحتاج إلي الوحده حول هذا الهدف ببذل الجهد من المجموع من خلال كراهيه
الكفر وأهله والنظر الي كل ما يخالف الاسلام أنه فيه التخلف والانحطاط والهون وان عزتنا هي بالعوده الي الاسلا
م فالخطاب هنا للمسلمين اي ولا احسن منه تعالي حكما إذ لافائده من خطاب اليهود بهذا ليكون هذا دافعا علي
خلق باعث العمل علي اقامه شرع الله في الحياه كلها بعد قطع الصله بالجاهليه وعاداتها وتقاليدها التي تتعارض
مع قيم الإسلام الحنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الخامس من سورة المائدة

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهولاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين

يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين اعزه على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتهم الي الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون

قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن ءامنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان اكثرتمكم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واصل عن سواء السبيل واذا جاء ءوكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتنون وتري كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ولولا ينهاهم الربانيون ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الي يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون)

القسم الاول

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين)

اولا

وردت الآيات بعد أن تناولت أن وصف الخلافه لاينطبق الا على الإنسان المسلم الموحد فالخلافه لاتطلق الا على المسلمين فقال تعالي (يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) فوصف الانبياء الذين أرسلوا لبني إسرائيل بأنهم مسلمون وكذلك يقول الحق (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)والإنسان في الأصل يولد على الفطره والإسلام دين الفطره وبعدها يفرض أبويه عليه اليهودية والنصرانية فمن اختار الإسلام فقد صار خليفه في الأ رض ولهذا أخبرنا الله أنه الدين المهيم على جميع الأديان السماوية وأمر اليهود والنصارى الي التحول في قراءه مراد الله الي القران والانتواء تحت رايه الإسلام اذا اردوا الحفاظ على انتسابهم الي أهل الدين واخبر أن الرفض منهم لحكم الإسلام يعني أنه ينحرف في مساره الي الجاهليه فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون ومن احسن من

الله حكما لقوم يوقنون)

وهنا بعد تقرير هذه الحقائق يأتي الخطاب موجها للمومنين (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء.... الخ

ومن هنا ندرك الارتباط بين الايه السابقه التي اختتم بها المقطع السابق وبين ما تناولته الآيات في هذا المقطع بـ الوقوف علي الآتي

الأمر الأول

يعلمنا الحق الأسلوب الفعال في تثبيت المعلومه في ذهن السامع والمتعلم والطريقة التي نحتاجها في تربيته الجماعه الاسلاميه وانشاءها وإعدادها وتأهيلها وتزويدها بالخبرات والمهارات وكيفيه غرس القيم في أعماق النفس المسلمه أن هذا لابد أن يسبقها تهئيه النفوس لقبول النهي عن موله أهل الكتاب ولهذا نجد أن الآيات وردت بعد أن سمعوا من الاضطراب الحاصل من اليهود والنصارى ومحاولتهم تضليل المسلمين وكتمان حقيقه ماورد في كتبهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ليفهم المخاطب أن هؤلاء فقدوا العلم فأصبح حالهم ادني من أهل الجاهليه برفضهم الانصياع للحق وحكم القران فاخبرنا الله أن فساد الارده لديهم هي دفعتهم الي كراهيه الحق وحب الجاهليه فأراد بهذا تصحيح التصورات الفاسده بما يسمي القواسم المشتركة كما تسمع اليوم من ينادي بـ العهود الابراهيمييه بين اليهود والنصارى ومن يدعي الاسلام من حكام العرب ولهذا نجد الآيات ورد فيها

١

النهي عن موله اليهود والنصارى فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) والنهي عام لجميع المومنين في كل زمان ومكان وليس كما حاول البعض القول انها خاصه بقوم هموا في أحد أن يلتحقوا بـ اليهود لحمايتهم من المشركين وقال آخر أنه سوف يلتحق بالنصارى ويتنصر كي يجد حمايه... بينما ذهب البعض الي قصرها علي واقعه عباده بن الصامت رضي الله عنه الذي تبرأ من حلفه مع اليهود بينما تمسك عبدالله بن أبي بن سلول بذلك الحلف وغيرها من الروايات التي هي في الحقيقه تؤكد أن النهي عام وليس مقصورا بفئه محدده من المومنين بل هو نهى إلي قيام الساعه

٢

تبين النصوص أن الولاية إنما تبني علي الوفاق.. والوئام... والصله وليس هؤلاء بأهل لولايه المسلمين لبعده مايبين الصله بينهم وبين المسلمين ولاضمارهم الكيد والشر للمسلمين فقال تعالى (أولياء) اي تنصرونهم وتستنصرون بهم وتعاشرونهم معاشره المومنين ثم علل ذلك النهي (بعضهم أولياء بعض) إنما يتوالي بعضهم البعض لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه الاسلام من مولاتهم

٣

رتب علي ماسبق بيان حكم الذي يصر علي موله اليهود والنصارى أنه ينتقل الي دينهم ويخرج من الإسلام

٤

وبين أن الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فوالي اليهود والنصارى مع عدواتهم لله ورسوله والمؤمنين فهذا يكون مخذول

الأمر الثاني

ان الايات تبين للمومنين أن هنالك قوي تسعى للعودة بالمسلمين الي الورااء اي الجاهليه البغضيه وما فيها من فساد وظلم وتخلف وجهل وتمزق بعد أن أزال الاسلام بثورته جميع تلك المظاهر ومن هنا نفهم تكرر النداء (يايها الذين آمنوا) لان هذا لا يكون إلا في حاله أن الثوره لم تنجح في تحقيق أهدافها أو أن هنالك فسادا جديدا قد وقع وظلما آخر قد ضرب جذوره في الاعماق يدعي أنه قريب من المومنين وأنه يحمل نفس الأفكار وهو في الحقيقة بعيد عن فكره الدين والتدين ويشكل خطر علي الامه وأهدافها ان هذا العدو يعمل من داخل كيان الامه وباسمها ومحسوب عليها وايضا لأن البعض لم يستوعب مساله التسامح مع المخالفين لنا في الدين وايضا لأن البعض قد فهم التكليف بالدعوه بالنبي هي أحسن أنه يندرج ضمن مفهوم ذلك التنازل عن بعض الأمور لأجل تأليف القلوب ولهذا جاءت النصوص ترسم الطريق الذي يحقق الأهداف وتبين كيف يكون جعل الأهداف سلوكا عاما يلتزم به الحكام والمحكومين فكان النداء (يايها الذين آمنوا) لبيان اهميه التنظيم الذي يتوسط النظرية والممارسه بما يحقق الهدف فكان التنبيه من احتضان عناصر انتهازيه تسعى لنخر الدوله من داخلها بالتنسيق مع الأعداء من الخارج ولأنه لا يتم اكتشافها عاده بسرعه المطلوبه ولهذا بينت النصوص اهميه الولاء والبراء فهذا المبدأ هو المعيار الذي يكون به معرفه من له حق الانتماء الي جماعه الايمان ومن لا يكون له اهليه العضويه وان صلي وصام وحج البيت فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فيها النهي عن مولاة اليهود والنصارى اي أنصار وحلفاء علي أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم أولياء وحلفاء من دون الله ورسوله و المومنين فإنه منهم في التحزب علي الله ورسوله والمؤمنين وان الله ورسوله منه برئان

الأمر الثالث

تبين الايات اهميه خلق الشعور المشترك بالخطر الذي يمثله الأعداء للامه قاطبه ولهذا نجد أن التوجيه بالنهي عن مولاة اليهود والنصارى جاء بأسلوب استنفاي وسبب النهي ما وقع من اليهود ولكن النهي لم يقتصر علي اليهود فعطف عليهم بالنصاري حتي لايتوهم البعض ان النصاري مأذون في مولاتهم فكان دفع هذا التوهم لأن السبب الداعي لعدم المولاة واحد في الفريقين فهم وان لم يحدث من النصاري اذيه والله يقول (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) لكن الخطر مفترض فالمنهي عنه هو التناصر والتحاليف فذلك خروج عن الإس لام... فأراد بهذا غرس حصر الولاء بين المومنين في عقولهم وقلوبهم ليكون الشعور بالمصلحه المشتركه بين جميع المومنين والحفاظ عليها ومواجهه الأخطار التي تهدد كيانهم ودولتهم ليصير هذا الشعور قوي تنبض بها قلب كل مومن بأن وجوده أصبح مهدد بالخطر

فالله قد أخبرنا أن الحسد والكبر قد دفع اليهود الي ترك امانه حمل المشروع الرباني اعتراضا علي اختيار الله النبي الخاتم من امه العرب ولهذا بدوا يخططون للقضاء علي قوه المسلمين ويبحثون عن الوسائل التي يعيدون فيها المسلمين الي ما كانوا عليه قبل الاسلام اي الي الجاهليه فقال تعالي (افحكم الجاهليه يبغون...الخ

وقال تعالي في موضع (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)

حيث أنه عندما جاء الإسلام كان العرب قبائل متناحرة ممزقه متصارعه فجمع الاسلام شملهم ووحده بينهم بنعمه الاسلام صاروا دوله وقوه ولهذا فقد كانت امنيات أهل الكتاب أن لو يستطيعون اعاده المسلمين إلي ما كانوا عليه من الذل والهون

فجاء التحذير للمومنين من التهاون في الولاء والبراء يقول لهم انتبهوا من استغلال هولاء الظروف الموضوعية التي أشعلت الحروب في الماضي بينكم وان تعودوا الي الجاهليه فقوتكم هو بالاخوه والوحده والايمان والا عتصام بحيل الله وقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف أن غياب مشاعر الخطر المشترك بين أقطار العالم الإسلام مي ادي فقدان اهتمام المسلمين بالمصلحة المشتركه وصارت دول العالم الإسلامي العوبه بيد اليهود والنصارى لقد أصبحنا نشاهد دولا عربية وإسلامية تتآمر علي بعضها البعض بل لقد أصبحنا نشاهد من يتآمر علي المقاومه في فلسطين دون خجل لماذا لانهم لاينظرون الي الخطر علي الاسلام نظره قوميه جماعيه بل ينظرون إليه أنه

يهدد حماس وحدها أو يهدد المقاومه الفلانية أن غياب عنصر قوميه الخطر عن مشاعر الدول العربية والإسلامية اليوم هو السبب الذي أوصل الامه الي ما وصلت إليه من الذل والهون

وتكمن أهمية (قوميه الخطر) ليكون شعورا مشترك بين جميع عناصر من ينتسبون الي الاسلام أنه يشكل قوه تحصن كيان الامه من الانهيار والضعف وقد أثبت التاريخ أن غياب هذا العنصر من روح الامه عندما ظهرت القوميات العربية والكردية والتركيه ...

لقد تسبب بتمزق الامه الي أقطار متحاربه وعاجزه عن مواجهه العدو الإسرائيلي الذي تم صناعته وزرعتها في قلب الامه فعندما مزقت الروابط العضويه بين أبناء الامه صارت لقمه سائغه الأعداء

كما أن وجود الشعور بالخطر المشترك يعني أن يكون هنالك هدف واحد تسعى الامه الي تحقيقه في الحياه ومعرکه الهدف تبدأ بمعركه المعرفه بالنفع والضار ولهذا يقول الله (أن الله لا يهدي القوم الظالمين)

اشاره الي أن الذي يفرط بمبدأ الولا والبراء يكون ظالما لانه قد وضع الشيء في غير موضعه فهذا محروم من الهديه الربانيه لأن الله لا يمنحها للظالمين وانما هي منحه من الله الي أولياءه وهذا فيه تحذير من التميع باسم التسامح بأن من يفعل ذلك فإن هذا لم يعد في الصف المسلم لأن أهدافه لم تعد تتفق وأهداف المسلمين فهذا أهدافه قد تحولت في مسارها الي اتجاه يودي الي طريق الظلم والهلاك فالذي يتولاهم ينتقل الي دينهم وان كان هذا التوالي قليل فإنه يدعو إلي الكثير ثم يتدرج شيئا فشيئا حتي يكون منهم فاخبرنا الله أن حكمه هو حكمهم (فإنه منهم) فهو كواحد منهم في الكفر والعذاب والعقاب لأن (من) شرطيه تقضي أن كل من يتولاهم دخل في ملتهم لأن من تبعيضه تقضي أنه تارك لدينه لأن المسلم لابد أن يشعر بألم أخيه المسلم فكيف له أن يناصر اليهودي ضد أخيه المومن في غزه مثلا ويدعي أنه مازال مومنا ويقول إن القضية تخص الفلسطينيين وانا لست فلسطينيا فهذا ليس بمسلم وانما صار صهيونيا بشهاده الله تعالي القائل (ومن يتولاهم منكم فإنه منهم)

ثانيا

ان قضية الولا والبراء قضيه عامه تجتمع فيها المعاني الاعتقديه الايمانيه والمطلوبات العمليه من وجوب التناصر والتآزر والتآخي بين المسلمين علي نطاق الامه في كل بقاع الأرض كما توجب البراءه والمفاصله و التجافي بين المسلمين وغيرهم علي اساس العقيدته الا في اطارات محدوده فلا بد من التجافي والتباعد بين المسلم والكافر ولهذا نجد أن الحق يذم من يتمسك بالعلاقات مع الكفار فقال تعالي (فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشي أن تصيبنا دائره فعسي الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا علي ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا... الخ

فالنصوص تبين لنا الآتي

الأمر الأول

ان الايه قبلها قد ورد فيها النهي عن مولاه اليهود والنصاري ولما كانت المولاه من الإنسان لغير قومه تكون في غايه الصعوبه تحتاج إلي مجاهده النفس ولا بد لها من مقدمات يعملها الإنسان ولهذا استعمل الحق صيغه افتعال فقال (لاتخذوا) فدل هذا أن الأمر لايتاتي بسهولة فالله يقول لو كان الأمر سهلا لاينبغي لكم إن تفعلوه فكيف وهو لا يكون الابذل الجهد فلا يقبل العاقل سليم العقل أن يفعل مع هولاء الأعداء ما يفعل مع القريب وهم أكثر الناس استخفافا بكم وازدراء لكم ولهذا يقول الحق احذروا من تسلل عناصر مريضه في صفوفكم تطمح أن تصل

الي مراكز القيادة فهؤلاء لو وصلوا لما يطمحون فسوف يؤثرون سلبا علي قرار الامه وإصابتها بالشلل فهؤلاء لا يمثلون ارداه الاسلام والمسلمين ولا تطلعاته فأنت تري حالهم عجيب وهم يسارعون في مولاه اليهود والنصاري فهؤلاء في قلوبهم مرض الشك والريبه هواء لم يؤمنوا حقا لا يثقون بنصر الله فهؤلاء فالمومن الحقيقي لا يستمد عزته من جاه ولا مال وانما يستمد عزته من العبودية لله التي حررتة من الطمع فيما عند غير الله ومن الخوف من غير الله فلا تراه خاضعا ذليلا ولا مستخديا طامعا لاتذله الأحداث ولا تجني جبهته الازمات

أما الذي لم يعمر قلبه الايمان لا يصمد في وجه الازمات ولهذا يقول لنا الله أن مولاه اليهود والنصاري لا يقبلها الا المريض الذي يري انه بذلك يضمن القوة والاستعلاء وهذا هو واقع الكثيرون من الحكام العرب اليوم فقال تعالى (فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم)

الأمر الثاني

يخبرنا الله أن مولاه الكفار لا يصدر الا عن المغشوش المريض الذي امتلي قلبه بالأمراض فقال تعالى (فتري) اي أنه بسبب حرمان هؤلاء من الطاف الهدايه الربانيه بسبب ظلم أنفسهم بمولاه الكفار انك تري الذين في قلوبهم فساد يهرولون مسرعين بسبب الاعتماد علي الناس دون الله (فيهم) اي في مولاه أهل الكتاب حتي بيدوا لك هولاء كأنهم داخلون فيهم من شده ملابستهم كأنهم قد ذابو في كيانهم فالمولي يبين انه بسبب هذا المرض الذي يسكن قلوبهم صاروا يتحركون في مسار محدد الاتجاه لدرجه انك تراه كأنه اجباري الاتجاه وكأنهم لا ارداه لهم إلا السير في الخطوط التي رسمها لهم اليهود والنصاري وهذا ناتج عن انفصل اردتهم عن الأهداف الحقيقية التي تمثل امانى الامه وهذا هو حال الكثيرون الذين يبتعدون عن أهداف الامه ولا ينظرون الي مصالح الامه ومن لا هدف له في الحياه ولا يكون الاسلام هو النظام الذي يحكم حياته فالايات تتحدث عن واقع المنافقون وعلي رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول الذي رفض قطع علاقته مع اليهود والنصاري ولهذا يعيطننا القران علامات المصاب بمرض النفاق (يقولون نخشي أن تصيبنا دأثره)

ان علامات المنافقين أنهم يحاولون تبرير أفعالهم أنهم يقصدون بذلك خدمه الاسلام خوفا من المصائب التي قد تحل بالمسلمين ليكونوا لهم يدا يدفعون عن المسلمين الضرر وهذا يدل علي ضعف الايمان وعدم الثقة بنصر الله ووعده

والنصوص تشير الي أن الأحوال والظروف التي كانت عليها جماعه الايمان وقت النزول أن هنالك قوه مازالت لدي اليهود فالواقعه تدل أن ذلك كان في وقت مازالت بني قريظه وبني قينقاع وقبائل اليهود مازالت في المدينة ولديها قوه كان المنافقون يحاولون اخافه المسلمون بقوه اليهود ويصفون أن ارضاءهم لليهود فيه منافع تخدم المسلمين قائلين اننا نخاف من دائره تدور علينا من الأعداء فالايات تدل أيضا أن هنالك مصالح وعلاقات اقتصادية واجتماعية وتجاريه يرتبط بها المسلمون مع اليهود فكان لابد من المفاصله فنزلت الايه لتغرس عنصر الا نتماء للايمان باعتباره هو الوطنييه التي جسدها الاسلام في اجتماع المسلمين ليكون التضحيه بالنفس والمال في سبيل الله فهذا هو الوطنييه بمفهوم الاسلام وهو ما يعطي قوه للدوله لانه يدفع بالإنسان الاندماج في المجتمع المسلم برض وقناعه واختيار ليكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء مما سواهم في جميع تعاملات المسلم ونشاطه ولهذا جاءت النصوص مبينه أحوال المنافقين وأقوالهم لكشف صورتهم فهذا إنما يصدر عن عنصر فاسد ولهذا يعقب الله علي ذلك بقوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا علي ما أسروا في أنفسهم نادمين) وهذا فيه الاتي

قيل إن الفتح هو القضاء اي الفصل لقوله تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا) وقيل هو فتح مكه لانه أعظم الفتوحات وعموما فإن اللفظ فيه التبشير بالفتح والنصر والظفر بانتصار المسلمين سوء في فتح مكه او غيره

(أو أمر من عنده) أي أمر من عند الله يقطع شاقه اليهود ويجلبهم عن بلاد الإسلام

٢

(فصبحوا علي ما أسروا في أنفسهم نادمين)

ان عندئذ يندم المنافقون علي تامرهم وخيانتهم لانهم كانوا يشكون في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لكن النص يبدوا أنهم أسروا الكفر فندم هولاء ليس لأنهم شكوا فمن سكن المرض قلبه لا يندم عندما تنجلي له الحقائق ندم التوبه . وانما الندم من هولاء لانهم حرموا الغنائم ولان خطتهم لم تنجح في القضاء علي الاسلام لانهم كانوا لهم طموحات أن يستولي علي السلطه بعد القضاء علي الاسلام خاصه ابن أبي فقد كان يسعى من حياكه المومرات مع اليهود أن يستقوي بهم وباعداء الاسلام ليظهر نفسه أنه المنقذ لهم

فالايه فيها تهديد لمن يستقوي بالاعداء بكشف أمرهم وإظهار حقيقه ما اخفوه ولما كانت المصيبه عند الاصبح أعظم داهيه فقال تعالى (فأصبحوا) اي بسبب كشف خيانتهم أن يصبحوا مكشوفين فهم كانوا يرون الفتح أمر محال فكان النصب اشاره الي ما يخفون من ذلك (علي ما أسروا) لان الاسرار ما يخشي إظهاره لما فيه من فساد وهو ما يطلق علي ما يدور بين جماعه علي وجه الكتمان عن غيرهم وهذا يعود إلي خوفهم من إظهاره لانه يمثل فضيحه لهم

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول بعدها عن حال المومنين وهم يشاهدون حقيقه هولاء وخيانتهم فقال تعالى (ويقول الذين آمنوا هولاء الذين اقسما بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين)

لما انفضح حال المنافقين وانكشف أمرهم للمومنين يتعجب المومنون من أمرهم كيف أنهم كانوا يظهرون الايمان وانهم مع المومنين وهم يتأمرون عليهم مع أعدائهم يتعجبون من التملق الذي كان المنافقون يحاولون إظهاره ويقولون كيف استطاع هولاء اخفاء كل هذه الخيانه اشاهدتم كيف أنهم كانوا يبذلون كل جهدهم لظهار أنهم مخلصون حتي لايشك أحد بهم فيؤكدون ذلك بالحلف بالله الايمان المغلظه وإطلاق الجهد هنا تدل أنهم كانوا يعملون الاعمال الصالحه مثل الانفاق وغيرها من الاعمال الخيرييه لأجل إقناع الاخرين أنهم أهل خير قاصدين أن يخدعوا المومنين ولهذا يخبرنا الله أن أعمالهم هذه ذهبت بلا فائدة لم ينتفعوا بها فقال تعالى (حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) خسروا الدنيا والآخرة

القسم الثاني

تأتي النصوص مبينه أن الذي يرفض المفاصله بالبراءة من الكفار ومن يرفض ترك مولاة اليهود والنصاري بأن هذا قد اختار طريق غير طريق الهدايه فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله

اولا

يأتي الخطاب للمومنين بأن الذي يرفض التوقف عن مولاة اليهود والنصاري فإن هذا مرتد قد خرج من دائره الايمان والاسلام وانتقل الي الكفر اي عاد الي الجاهليه فهذا الاصرار رده عن الإسلام وان التزم بالصلاه والصيام و الحج والزكاة...فالتداء تأكيد لقوله تعالى (ومن يتولاهم فإنه منهم) وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد أنها تتناول عده قضايا

الأمر الأول

ان النصوص تهدف إلي القضاء علي دوافع الرده واستئصال بواعت الرده ومهادنه أهل الكفر

حيث أن البواعث الدافعه لذلك متعدده منها أهمها الآفاق الضيقه الناتجه عن العصبية والشليه والقوميه وأحزابا حيث يكون تداعي القلوب إلي اهواء الباطل والميل الي الدنيا والتنافس عليها حيث ينقض ميثاق الاخوه ويصير الصراع علي المناصب والسلطه وينتج عن ذلك عدم احترام الهيكل التنظيمي والاداره فيجد الفاسدون ثغرات ينفذون منها وحينها يتحول الأمر الي صراع علي المصالح ويتحول الهدف الذي يمثل امنيته واراداه الحكام و المحكومين وهو الإذعان والانقياد لأمر الله و اظهار سلطانه باقامه الحياه وفقا لمنهج الله الذي يليي المطلب الرباني ويحقق الغايه من الوجود الإنساني عندها يصبح الهدف والغايه هو السلطه والزعامه والمصالح الشخصية واراداه التغلب فيكون تدمير القيم من واقعهم فلم يعودوا يعيشون لتحقيق القيم النبيلة بل يعيشون لذاتهم ومصالحهم الغريزيه ويكون الاستعلاء بالجاه والمناصب والمال ولهذا نجد أن هولاء يلجأون الي الأعداء اليهود و النصاري لطلب الاستقواء بهم علي إخوانهم المومنين لهدف تقويض سلطه الطرف الآخر ولأجل أن يحل محلهم

ولاينظر الي فعله أنه كفر...لانه ينظر إلي الصراع أنه صراع مصالح لاعلاقه للإسلام به...أنه صراع شخصي مع الحاكم أو الاداره فاساس الرده أنه يبدأ من انحراف وفساد قوي الحب والغضب حيث تجد المسلم يعيش بثوابت غير ثوابت الاسلام ويتحول الكتاب والسنة الي سلاح فتوي وسلاح سياسي وحزبي يستفرغ كلا طرف به حقه ضد الآخر ولهذا نجد أن الله تحدث مخبرا عن قدرته العظيمة في استبدال قوم آخرين غيركم اذا لم تقبلوا أن يكون هدفكم في الحياه طاعه الله وان تبيعوا أنفسكم له تعالي وحده لا شريك له مخبرا أنه اختار الجماعه المومنه لتكون التنظيم الذي يحقق قدر الله في الأرض من خلال انشاء دوله يحكمها القران في جميع شئون الحياه ونشر الخير الذي أمر الله به فالاصل أن هذا الاختيار دافعا للنهوض بالتكاليف وحمل الامانه فهذا فضل من الله وهو تعالي يختار من يعلم أنه اهلا لهذا الفضل ولهذا فإنه تعالي بيده أن يسلب هذا الفضل عنكم كما قال (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم) وقال تعالي (أن يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك علي الله بعزیز)

فأراد الحق بهذا الاخبار عن عظمه قدرته أن يعرف العبد أنه مملوك لله وأنه في قبضه الله وان الملك هو ملك الله وأن الهدف والامنيه التي فيها سعادتهم وعزهم هي الاستعلاء بالعبوديه لله فهذا هو الهدف الذي يسعون الي تحقيقه في الحياه وهو إرضاء الله تعالي ولهذا فإن فاعليه المومن إنما تكون من خلال استحضر وجود الله وعظمته

فالحق يريد أن تكون ارداه الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين صادرة من اراده حره فجعل الولاء هدف وامنيه ينبغي أن تكون ارداه الحكام والمحكومين في المجتمع المسلم تعبير تنفيذي لامنيه الولاء الحب في الله والبغض في الله..فيكون اتصال الاراده بالهدف عن طريق الاختيار الناتج عن اراده حره فيكون هنالك ارتباطا عضويا بين الارده والهدف فالنصوص تتناول موهلات العضويه ويحذر أن تسلب الامه اردتها من خلال خضوعها لاراده الأعداء يحذرها من مولاه اليهود والنصاري فقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف صار حال المسلمين عندما صارت الشعوب منصاعه لمشئيه القوي الاجنبيه عندما فرطت الامه بمبدأ الولا والبراء عندما سمحت الامه للذين في قلوبهم مرض الوصول إلي مركز القرار

أنظروا الي حالنا اليوم عندما استولت قياده خاضعه لليهود والنصاري علي زمام الأمور في الحياه فالنفوذ الصهيوني للاسف صار يحكم ويتربيع علي جميع كراسي الحكم في العالم الإسلامي

عندما اوجد قياده اجلسها علي مقاعد السلطه ورسم لها حدودها الاقليميه واوجب عليها التشبث بتلك الحدود وحدد لها النظام الذي تسير عليه وبشكل اجباري في مسيرتها باتجاه محدد رسمه الاستعمار لقد شاهدنا كيف أن أمريكا قامت بتغيير الانظمه التي تمردت عليها وقامت بقتل من تمرد عليها والبعض الآخر كان نفيه وكيف أن الحكام العرب ازدادوا ذل وهون بعد مقتل صدام حسين

فإن المتأمل في تاريخ العرب والمسلمين يجده حافل بمسيره الكثير من الحكام الذين صنعهم الاستعمار لحكم المسلمين فإن شاءت فانظر لمن حالك واسأل نفسك كيف جاوا وكيف خكموا وكيف ذهبوا فسيطره اليهود والنصارى علي مركز القرار في أمتنا جعلت الحكام المصابون بمرض النفاق كما وصفهم الله يتسابقون علي كسب رضاء اليهود والنصارى ومحاربه الاسلام والعلماء أنهم يقدمون الطاعه لليهود والنصارى لقد اصبحت صورته الامه في تخلف وذل بسبب عدم امتثال أمر الله بعدم مولاة اليهود والنصارى لقد اصبحت خيرات الامه مسخره لخدمه اهل الكفر والمسلمين في جوع تشاهد الصراعات بين أبناء الإسلام في حين يظهر الصداقه والموده لاهل الكفر لقد تزحم الأوصياء علي الامه الاسلاميه يبثون فيها الأمراض والصراعات وينزعون عن الامه مصدر قوتها من خلال تميع الشعوب وتسليم الحكم لمن هم صهاينه في سلوكهم أكثر من الصهاينة انفسهم وهذا ما حذر الله منه

الأمر الثاني

اعلم أن التوحيد الذي جاء به جميع الرسل إنما يتضمن إثبات الالهيه لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله لا يعبد إلا إياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله ولهذا لما نهى الله عن مولاة اليهود والنصارى أخبرنا أن هولاء أعداء لله ودينه ورسوله وبالتالي فإن الذي يصير علي مولاة أعداء الله فهو مرتد وقد أخبرنا الله تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم فدل أن هذا لا يتذوق حلاوه الايمان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوه الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان بكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار

وهو ما يفهم منه أن الحد الفاصل بين القلب السليم والقلب المريض هو تغلغ حب الدنيا وشهواتها في القلب وتفضيله علي حب الله ورسوله ودينه حتي لو كان هذا الحب في الأمور المباحه فإن هذا عليه أن يدرك أنه صار هدفاً لأمر الله باستبدالهم باخرين ف الله يقول (قل إن كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجاره تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

ولهذا قال تعالى (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومه لائم)

والارتداد عن الدين هو باي صورته سواء كان الارتداد عن القيم التي يتم بها بناء السلطه السياسيه كالشوري التي تم التضحية بها من قبل بني اميه أو التضحيه بالعدل في نظام الحكم أو مولاة الأعداء فالدين يشمل جميع اوامر الله ونواهيه في جميع شؤون الحياه فيجب أن يكون تنفيذها طاعه الله ومحبه الله وطلب إرضاء الله تعالى

ثانياً

انه بالوقوف علي التهديد من الله سبحانه وتعالى لمن يرتد عن دينه نجد أنه لم يتوعده بالنار الحارقه وانما يهددهم بأن يستبدل بهم قوما يحبهم ويحبونه فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فجعل القيمه الوحيده التي تقف علي نقيض الرده والشرك...هي حب الله لهم ومن هنا كان لابد من الوقوف علي مدلولات ذلك.....

الأمر الأول

ان التهديد يدل أن الذي يرتد لن يضر الله شيئاً وانما يضر الإنسان بنفسه لأن الإنسان هو المحتاج الي حب الله و

اللَّهُ غَنِيٌّ فَاللَّهُ يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَى رَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ وَعَطَاةٍ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا يُودِي إِلَيْهِ أَنْ يُحِبَّهُمُ اللَّهُ
فَحُبُّ الْعَبْدِ لِسَيِّدِهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ بِالنَّظَرِ إِلَى عَطَاةٍ وَإِحْسَانِهِ أَيْ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ الْعِبَادُ لَكِنْ الْأَعْظَمُ هُوَ
حُبُّ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعَبْدِهِ فَهَذَا الْحُبُّ لَا يَدْرِكُ قِيَمَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بضعفها وافتقارها وحاجتها إلى ربها
ومولاه ومن عرف عظمه الخالق سبحانه وتعالى وجماله وجلاله وكماله وبالتالي فإن هذان العلمان هو الذي يجعل
العبد يتغذى على طاعه الله وتنفيذ امره طلباً لحب المتفضل الذي يملك الإنسان وكل شيء فيكون ذلك مصدر
للطاقة والنشاط والانس والخروج من الغربة فعندما تشعر أن لك رباً يمنحك الانعام فإنك حينها سوف تنطلق وانت
تأنس بالله فتخرج من وحشه الغربة إلى رحاب الايمان بالاتصال بالله فتحرر من الخوف وتحرر الطاقات من
السكون بالثقه بالله والتوكل عليه

الأمر الثاني

ان قانون الحب الاعلى يعرف أنه العطاء ولهذا قال جلال الرومي ان العشق هو المحبه بغير حساب ولقد قيل إنه
صفه حقيقه لله أما اتصاف العبد به فمن قبيل المجاز وقال إن كلمه (يحبهم) هي حب حقيقه أما كلمه
(يحبونهم)

فمن ذا الذي يصدق عليه الوصف

لان الله هو المعطي وحده في الحقيقه فقد اعطي الإنسان الحياه بأن اوجده من العدم واعطي للإنسان القدرات
التي تمكنه من استغلال الأرض وسخرها له وانعم عليه بنعمه الايمان والادخال في رحمته فماذا يعطي الإنسان بـ
المقابل

ان الانسان لو أنفق كل ما يملك فإنه لم يعطي شيئاً لأن ما أنفقه هو المال الذي حق ملك الله وانما هو لدي الإنسان
امانه وبالتالي فإن اعاده الحق لمالكه لا يسمي عطاء ولو قدم الإنسان روحه في سبيل الله ومزق جسده وروحه كل
التمزيق فإنه لم يعطي شيئاً لأن الجسد والروح هو ملك الله فأنت لاتملك شيئاً

فقانون العطاء حقيقه لا يسري الا على الله ف الله هو المحب لعباده ف الله يقبل الشكر بدلا من العطاء ويجعله
رحمه منه سببا في زياده العطاء فقال تعالى في موضع آخر (وإن تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم)

ولهذا يخبر الله المرتد أنه لن يضر الله شيئاً وانما هو يضر بنفسه فهو الخاسر وأنه تعالى قادر على استبدالهم
بعباد مخلصين له تعالى وصادقين يتكفل الله بهدايتهم فهم احسن أخلاقاً وأكثر طاعه منكم

الأمر الثالث

تبين النصوص أن العباده في قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) لها قمتان قمه العقل (المعرفه)
وقمه الحب فحضاره الاسلام تقوم على حب الله قال تعالى (والذين آمنوا اشد حبا لله) وهذا الحب يكون بامتثال
ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

فاساس اي حضاره هو الحب ولهذا نجد أن أدعياء الحضارات يرفعون شعارات الحب لكن هذا الحب هو للماده و
الحب العابر السطحي الذي يخضع للصدقه والموثرات التي يقع فيها الإنسان وهذا يعني أنه إحساسا عابرا وقتيا
يزوال بزوال المؤثر والذي يكون مجهولا ولا يمكن دراسته أما حب الله فهو حب عظيم وحي دائم لا يموت

ولهذا يخبرنا الحق أن حب الله يعود إلى الروح ومن لوزام حب الله أن تعرفه باسماءه وصفاته وكماله فتقدره حق
قدره ومعرفته إنما تكون من خلال منهج الله ثم ان هذا العلم النظري في محبه الله يتطلب الانتقال إلى التطبيق بـ
القيام بأمر الله والتقرب من الله والاكتثار من ذكره تعالى فالحب بدون معرفه تكون ناقصه ومن عرفه ولم يذكره

كان حبه ناقص ولهذا فإن الحب فن يتطلب الجد والاجتهاد وبذل الوقت والجهد والمال والنفس في سبيل إرضاء المحبوب فهو يرتبط بالعمل والمعرفة لأن الذي لا يعرف وفقد القيمة أن يحب لأن الحب هو الحجر الأخير في هرم القيم ومن المستحيل أن يوجد الحجر الأخير والهرم نفسه غائب لأنه لا يقدر على الحب إلا من يقدر على الفهم واله للاحظه والاحساس والعطاء فكلما زادت معرفته زاد حبه وهذا يتطلب اخراج الانانيه من الذات ليكون محبا لله وللرسول والمومنين يحب فكره عباده الله ويعيش لاجلها ويموت لاجلها فاتصاله بالله علمه إن لا يخاف من أحد فالله معه ولهذا قال تعالي (اذاله علي المومنين اعزه علي الكافرين) فاخراج الانانيه من ذاته تعني أن يحب المومنين فهو يحزن لحزنهم لين في تعامله معهم ودودا وليس في ذله من مذله ولا مهانه وانما هي علاقه الاخوه التي ترفع التكلفه بينهم بالشعور بالانتماء إلى الإيمان وعطف علي ذلك (اعزه علي الكافرين) وهذا ناتج عن الاستعلاء بالعبودية لله انها ليست عزه نسب ولا عزه واستعلاء للذات وانما عزه العقيدة والاستعلاء بالله تجعله يعادي الكفار ويقف في وجهه الكفار بالتوكل علي الله والثقه بما عند الله واعلاء كلمه الله فالغلظه علي الأعداء مما يتقرب بها الي الله فقوه الحب لله وقوه الغضب لله فالمسلم عنده ارقى انواع الحب هو حب الله ..والمسلم يحب الانسان والكون ولهذا فإن الباعث للجهاد هو حب الله واعلاء كلمه الله ولأجل اقامه الحق ونشر الخير في الأرض باقامه الحياه وفقا لمنهج الله الذي يرفع الظلم والاضطهاد والطغيان لأن الطغاه والملوك والجباريه يمنعون عن الناس ضوء الحقيقه ويمنعون الناس عن الاتصال بالله ويقفون ضد رقي العقل البشري وينتكسون به الي عباده الكفته والاصنام ولهذا فإن المسلم يحزن للبؤس الإنساني ويحس بالعار عندما يري التعاسه والباس في الأرض و الفساد والتخلف ولهذا يضحى بنفسه وماله للتقليل من كميته الحزن في العالم ويسعي لرفع المظالم والعمل علي اء لاء كلمه الله فقال تعالي

(ويجاهدون في سبيل الله)

الجهاد في طريق ليس طريق العصبية ولا لأجل طلب السلطه ولا لأجل القبيله ولا لأجل الوطن وانما العلاء كلمه الله وتقدير سلطانه تعالي

فحب الله هو الباعث علي التضحية بالنفس والمال شوقا الي لقاء المحبوب فحب الله جوهر الأديان وهو أصل خشوع القلب وطهر اللسان وحركه الجوراج فالحب العظيم لا يليق الا بالعظيم وهو الله الحي الدائم الذي لا يموت ولهذا فان ربط حب الله بالجهاد في سبيل الله تعني قطع كل ماعدا الله ولهذا فقد تحررت نفوسهم وقلوبهم من الوهن والضعف فقال تعالي (ولا يخافون لومه لائم)

فلماذا يخافون الناس ولومهم وقد تحررت قلوبهم من كل المخاوف فلم يبقي فيها الا الله وحده لاشريك له فلا مصالح شخصية يخافون عليها فهم يسعون الي رضاء الله ومن كان هذا هدفه كيف له أن يخاف لوم البشر طالما أن طريقه يصله بربه تعالي فلا يردهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد بالنفس والمال والقلم اي قوه في الأرض

ولهذا يشير الحق سبحانه وتعالى أن هذه السمات التي منحها الله لعباده المؤمنين الذين يناولوا حب الله وعطاءه الامحدود فقال تعالي (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم)

ان هذا الفضل الذي اختصكم الله به هو من عطاء الله وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم ولتذكيرهم ان الله جعل علب عطاؤه كله واجب الشكر فقط ليزيدهم من فضله والله واسع هذا العطاء الذي يختار من يشاء وهم عليم بمن يستحق هذا الفضل ف الله اعلم حيث يجعل رسالته

ثالثا

تمضي سياق النصوص في مناقشه مساله الولاء والبراء وتبدأ بتحديد الجبهه الوحيه التي يجب عليك أن تبذل لها

الولاء المطلق وان تتبرء مما عداها فقال تعالي علي سبيل الحصر (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)

فقد جاءت قضية الولاء محمولة علي ادوات الحصر يعني وجوب حصر الولاء في أهل الإيمان وان يكون ذلك لله وان الابواه الشرعيه هي أبواه المنهج بعد النهي عن مولاة غير المسلمين وان كانوا أهل كتاب تأكيداً لوجوب توجه الولاء للمؤمنين وحدهم فجاء وصف منهم المومنون (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون)

واقامه الصلاة تعني القيام بحق الله بتقديره حق قدره وتلقي امره بالخشوع والاذعان والخضوع وأما آتياء الزكاة فتعني القيام بحق الناس بالاحسان إليهم فالإيمان اتصال بالله وحب نظري والصلاة في الإسلام هي التطبيق العملي للحب النظري فهي حركات يقوم بها المسلم يذكر الله فيها ويقف بين يديه مستسلماً له تعالي وفيها أيضاً الا تتظام في الصف أمام الله لافرق بين غني ولا فقير ولا كبير ولا صغير وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر

والزكاة في الإسلام تصرف اقتصادي ينطوي علي فعل من أفعال الحب هدفه انتشار الفقراء من الفقر واسعادهم بـ الحياه الكريمه وهم راعون اشاره الي الركوع الذي فيه تميز طقوس الصلاة بالمسلمين لأن اليهود والنصارى ليس في طقوسهم ركوع فالآيات تبين أن الإيمان مقرون بالوجل والمهابه التي تملأ قلوبهم فالإيمان الذي يحدثنا عنه القرآن هو اعتقاد عقلي يوتر في احاسيس القلب وهو عمل تقوم به الجوراح في العبادات وهو سلوك اقتصادي يطبع تصرفات المومن ولهذا يأتي بعد التعقيب الذي فيه الوعد من الله بالغلبه والنصر والظفر لمن يتولي الله ورسوله والمؤمنين فقال تعالي (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

فالشرط الأول (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) من الجملة اسلوب شرط بأن تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءه من الكفار أسباب لتحقيق النصر والغلبه

فقال تعالي (فإن حزب الله هم الغالبون)

فأراد الحق بهذا أن يبين لهم أن عليهم الأخذ بالاسباب وان النتيجة بالعز والتمكين للإسلام في الأرض فهي من ثمرات ذلك تأتي لتحقيق قدر الله من تمكين هذا الدين فأنت ملزم بالأخذ بالاسباب وأما احداث النتيجة فهي بيد الله تعالي فأنت تعمل لله فإذا حصل التمكين فإنه لايعني أنه للذوات بل هو انتصار للحق انتصار للبشرية كلها لانه فيه اقامه العدل وازاله الظلم من الحياه ولهذا فإن عدم تحقيق النصر والتمكين والانهازم في بعض المواقف لا يؤثر في ايمان المومن لانه يأخذ بالاسباب ويترك النتيجة لله تعالي فالمسلم يدرك أن تأخير التمكين يعني أنه ليس أهلاً بعد لفضل الله في الوقت الحالي فالذي ينبغي أن يفهمه أن الوعد من الله في جواب الشرط فيه بيان أن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو الطريق المؤدي لتحقيق وعد الله في نهايه الطريق

القسم الثالث

لما نهى الله في الايات السابقه عن مولاة اليهود والنصارى وارشد المومنين الي خطر ذلك وأنه يخرج المرء من الإسلام الي الكفر فالرده إنما تكون بالعوده الي الكفر بعد الإسلام وحصر الولاية في الله سبحانه وتعالى وختم الله ا لايه قبلها بأن الأعداء سوف يخسرون فالغلبه والظفر لمن يتولي الله ورسوله والمؤمنين تأتي النصوص بعدها بـ التنبيه من عله اخري توجب البراءه من الكفار واليهود والنصارى وتوجب معادتهم فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتهم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

ان الايه وردت في إطار بناء الشخصية الإيمانية ولهذا نجد

ان الايات ورد فيها استناف تأكيد لمضمون الكلام قبله المتضمن النهي عن مولاة اليهود والنصارى وان الناس

ينقسمون إلى قسمين لثالث لهما الاول حزب الله وهم الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا والقسم الثاني هم حزب الشيطان مهما تعددت عقائدهم وأفكارهم فهم خدام الشيطان .. ولما كان قد ذكر أن الغلبه هي لحزب الله وان أعداء الله سوف يهزمون وان مولاتهم لاتورث الا الخساره والهلاك وهذا فيه الدعوه للاستعلاء بالحق وعدم الا نخداع بالمظاهر الخادعه فالنصر للمومنين وهذا من اهم عناصربناء الشخصيه المومنه فجاءت الآيات هنا فيه تحريض المومنين علي معاداه كل من يسخر ويستهزي بدين الله وكل من يتخذ الدين والانتماء له هزوا مبينه أن ولايقابل ذلك الالتزام بالجد والاجتهاد في اي أمر من أمور الدين كان فجميع قيم الدين وأحكامه سواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو الشعائر الدينية كلها تنطلق من عقيدة التوحيد لايقبل المومن السخريه باي منها

ولهذا استخدام صيغه الافتعال (لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم) اشاره الي أن هولاء يبذلون جهودا حثيثة للنيل من دينكم الذي هو شرفكم وايمانكم الذي يميزكم عن غيركم فعليكم الإنتباه لأن الذي يتخذ عقيدتك ونظام حياتك هزوا فإن هذا يحتقر عنوان عقلك ويزدريك وبالتالي فإن هذا غير جدير بعلاقه الود والاحترام منك ولا يمكن أن يكون وليا لك فذكرت النصوص تعريف هولاء فقال تعالي (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار) وجاء بناء الفعل للمجهول (أوتوا الكتاب) وهويشمل جميع أهل الكتب السماوية اشاره الي أن تعاقب الأجيال وتطاول الأزمان تولد العصيان والتمرد فاستعمل مافيه البعد الزمني وأكد ذلك (من قبلكم) اشاره الي فعل هولاء يعود إلي العناد والمكابره والحسد بعد تحققهم من صحه الدين الاسلامي

ولما خص عم بعده فقال (والكفار) لأن كلاهما اجتمعوا علي الحسد الذي جعلهم يزدرون الاسلام وهو ما يوجب مراقبه الذات ومحاسبه النفس هل هي ملتزمه بأمر الله وعليك استحضار أن الله مطلع علي أفعالك واقوالك وعلقت امتثال ذلك بالإيمان لانه هو الذي يدفع العبد الي الالتزام بأمر الله تعالي فالاتصال بالله يجعل المومن مطمئن لربه والانس بجوراه والأمن في حماه

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

التشديد في النهي عن مولاة الذين يسخرون ويستهزون بالدين في أي جزء منه لأن ذلك كفرا وان صدر من مسلم فإنه يخرج عن الدين بالكلية ف الله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل اب الله وآياته ورسوله كنتم تستهزون لاتعتذروا فقد كفرتم بعد ايمانكم) فمن هذا بشي فيه ذكر الله أو القران أو الرسول فقد كفر فقد ذكر ابن كثير في تفسيره عن محمد بن كعب وغيره أن رجل من المنافقين في غزوه تبوك قال ما رأينا مثل قرائنا هولاء ارغب بطونا ولا اكذب لسانا ولا أجبن عند اللقاء يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه القرا فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لآخبرن الرسول صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الي الرسول صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق

فالاستهزاء بالدين رده عن الإسلام وكفر فهناك فرق بين العفو الذي يحبه الله ويرضاه وبين الغلظه علي أعداء الله فلا يجوز التساهل بها فهذا لايعد عفوا بل هو ديوته لايقبل بها المسلم

الأمر الثاني

أن الحق جمع في هذه السوره النهي عن مولاة ليهود والنصاري والكفار لان عدواتهم الدين الاسلامي جمعهم علي محاوله النيل منه من خلال السب والسخرية من أحكامه وقواعده لانهم أهل ضلال والاستهزاء أما أن يكون

صريح مثل قول المستهزي دينكم أخرج ورجعي ومن يستهزي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول جاءكم
العلامة ناصحا وكذلك القول بأن احكام الإسلام وحدوده وحشيه أو أنه يظلم المراه وغيرها من الأقوال وقد
يكون غير الصريح بالغمز واللمز عند رويه أهل الإيمان

ولهذا فإن الجمع لاهل الكتاب والكفار من المشركين لانه وقعت المولاه بينهم علي معاده الاسلام واجتمعوا علي
الفسق والعصيان كما قال تعالي (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا موده بينكم في الحياه الدنيا ثم يوم
القيامه يكفر بعضكم ببعض... الخ

الأمر الثالث

ان المعلوم أن الكفار عندما يشاهدون الملتزم ديننا أو يشاهدون الشعائر الدينية التي ترسم اجتماع المسلمين مثل
صلاه الجمع او الحج أو غيرها من القيم والمبادئ الإسلامية فإن هذا يغيظهم ويدفعهم انفعال الرغبه في صرف
المسلمين عن دينهم فيلجأون الي استعمل وسائل الدعايه الممتزجه بما يثير السخرية بتشويه سمعه النشاطات وا
لأعمال الاسلاميه فتجد هولاء يلجأون الي تفسير اي تقدم فكري او سياسي أو اجتماعي اسلامي بطريقه تظهره
بمظهر الجهل والتخلف قصدهم من ذلك عزل الاسلام عن الحياه والباعث لذلك هو الحقد والكراهية للاسلام

فالاعداء يستقبلون مافي الاسلام من قيم ومبادئ بلون من السخرية فهم لايفهمون أن ذلك فيه خير لهم وهم
يسعون لأجل أن ينحرف المسلم عن هذا الطريق فهم يريدون أن يترك أهل الايمان الحق ويصيروا مثلهم علي
الباطل فإذا لم يستطيعوا تحقيق ذلك قاموا بتشويه صورته الحق التي حملها القران الكريم للبشرية فالمومن عليه
أن يدرك أنه سوف يجد مضايقه من الأعداء ف الله يقول (أن الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا
مروا بهم يتغامزون) وقال تعالي(واذا انقلبوا الي اهلهم انقلبوا فاكهين)وقال تعالي (واذا رواهم قالوا انا هولاء
لضالون)

ولهذا فقد أراد الحق أن يربي المومنين علي اليقظه فلا يوالي الأعداء ولايسمح الاستهزاء بالدين من اين كان فأول
خطوه في اليقظه هو أن ينفذ المومن المنهج فلا يخجل من ذلك فعليك أن تعتز بدينك

الأمر الرابع

ان القران هو اداه التغيير التي حدث في امه العرب فهو المنهج الذي احده ذلك الانتقال في امه الاسلام فقد أعاد
تشكيل المجتمع المسلم وبناء عقولهم وقلوبهم وتفكيرهم وحصل ذلك التغيير الذي انتقلت إليه الامه عندما
تمسكت بالقران ولهذا نجد أنه بعد أن وعد الله عباده بالنصر والظفر وبين لهم أن الطريق الموصل الي الفلاح و
الغلبه هو مولاه الله ورسوله والمؤمنين دون غيرهم ولهذا جاء بعدها النداء مبينا أن الاستعلاء بالحق يقتضي من
المومن أن يكون فيه غيره وحميه علي دينه فاحذر من التغاضي عن كل ما ينافي الحميه والغيره فلا يصح أن
ينسب الي الصف المومن من يقبل أن يعيش بلا كرمه ويقبل أن يهان دينه وعقيدته وصلاته ولايتخذ موقفا ممن
يسخر ويستهزي بعقيدته فكيف بمن يتخذهم أولياء فإن هذا التصرف مما ينبغي أن يخجل منه المومن وان
ينهض لمواجهه الأعداء الذين يقدحون بالإسلام فلا يكون مسلما من سمح الاستهزاء بالإسلام وقيم وقوانين
الشريعه وسكت فالشخصيه المتقيه التي تكون الحاله النفسيه والعقليه للفرد المسلم والمجتمع والدوله المسلمه
تجعل كل فرد في يقظه دائمه لكل تصرف من قول أو عمل يقومون به فالتقوي هي السياج لمنظومه القيم و
المبادئ الإسلامية في حياه المسلم بجميع أبعادها وجوانبها ولهذا فإن مراقبه الله ومحاسبه الذات توجب اليقظه
والحذر من مخالفه ما أمر الله باجتنابه ولهذا علق النهوض للدين ورفض أي استهزاء أو سخرية له أو لرموزه بالإ
يمان (إن كنتم مؤمنين) فالإيمان يوجب الغيره والحميه لدين الله ولهذا فإن غياب الايمان من الحكام العرب و
المسلمون نجد أنهم لا يخجلون من استمرار العلاقات الدبلوماسية مع دول قامت بانتهاك حرمة الدين الاسلامي
مثل احراق الدنمارك للقران والرسوم الكارتوتيه التي فيها اساءه للرسول صلى الله عليه وسلم فدل هذا السكوت

منهم علي ابتعادهم عن الإيمان وخوف الله والله يقول في موضع آخر (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم) وقد ورد عن سفيان قوله إن الفتنة الشرك وعلق الامام أحمد علي ذلك بأن الفتنة الشرك لعله اذا رد بعض قوله إن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) وهذا فيه أنه يؤؤل الي زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرا وبهذا تعم البلوي بهذا المنكر خصوصا من أهل العلم فالاصل أن يستقبل أمر الله بـ التعظيم فمن بلغه أمر من أوامر الله بدليل من كتاب اوسنه وفهم معني فعليه أن ينتهي به ذلك الي العمل به وان خالفه من خالفه من الناس وان يكون معتزا بدينه وعقيدته كما قال تعالي (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالي (أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلي عليهم أن في ذلك لرحمه وذكرني لقوم يؤمنون) فإذا كان الله قد قال (فليحذر الذين يخالفون عن أمره... الخ

يقول ابن تيميه رحمه الله في معني ذلك فإذا كان المخالف لأمره قد حذر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم دل علي أنه قد يكون مفضيا الي الكفر والعذاب الأليم ومعلوم أن افشاءه الي العذاب الأليم هو لمجرد فعل المعصيه فافشاءه الي الكفر إنما هو لما يقتربن به من الاستخفاف في حق الأمر كما فعل ابليس لعنه الله تعالي ولهذا يقول الحق احذروا من الاستخفاف بأمر الله فإن ذلك يتناقض مع الايمان ويفضي الي الخروج عن الإيمان فقال تعالي (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين)

ثانيا

بعد التعميم (الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا... الخ.

تأتي النصوص بصيغه التخصيص فقال تعالي (وإذا ناديتهم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

فالاستهزاء منهم بالصلاه والاذان فذكر ابن عباس أن قوما من مشركي المدينة واليهود اجتمعوا يوما أثناء سجد للصلاه فسخروا من ذلك وكذلك كانوا إذا سمعوا الاذان قالوا صياح مثل صياح العير وتضحكوا فأنزل الله الايه الكريمه فالايه فيها الآتي

المبحث الأول

اظهار سفاهه ودناءه هولاء القوم الذين نهى الله المومنين من اتخاذهم اصدقاء وأولياء فهم لا يحترمون الشعائر الدينيه التي تميز المسلمين فقد وصلت بهم الوقاحه الي اتخاذ الطقوس الاسلاميه محلا للسخرية فكيف يمكن لمسلم أن يوالي هولاء فالحرص علي قيمه ودينه وايدلوجياته لايمكن أن يقبل بعلاقه أو ارتباط مع هكذا طرف اين كانت المصالح التي ترتبط بينك وبينه فلا تحرص علي صداقه اي دوله لاتحترم مبادئك ونظامك فالحاجه الي كسب صداقه جميع الدول إنما يكون لتلك الدول التي تحترم وترحب بصداقتنا ولاتفرض عليكم قيودا او شروطا يلغي أو ينتقص من وجودنا العقائدي ولهذا جاء التحذير من مولاه من يتخذ الاسلام ونظامه مصدر للسخرية فلا تحرص علي صداقه هذا النوع فجاء النهي مشتملا علي صور تنفر من التقرب الي هولاء وهذا فيه

بيان أن سياسات الأعداء لانتزاع قوه المومن يبدأ من خلال الدعايه الممتزجه بالسخرية من قيم ومبادئ المجتمع لترويض الناس علي قبول فكره نقص وعدم صلاحيه القيم والمبادئ لحكم المجتمع المسلم فإذا حصل السكوت من المسلم كان لهذا الغزو أثره في غرس اهتزاز الثقه بمصدر الهام الامه ثم الشعور بالهزيمه الفكرية فيكون المسلم في موقع التلميذ وأهل الكفار في موقع كرسى المعلم وهذا هو حال الكثيرون في هذا الزمان.. ولهذا جاء التحذير من مولاه كل من يتناول علي دينك فلا تسمح له بذلك وعليك اظهار الغيره والحميه لدين الله وان تظهر اعتزازك به فلا تقبل أي تناول من الأعداء لانك أن تساهلت فسوف يصل التماذي الي السخرية بالصلاه والاذان الذي هو لغه الإعلام ولهذا تبين النصوص خطوره الإعلام في الصرعات فهو سلاح مهم ينبغي علي المسلمين أن ينتبهوا الي

ذلك فالواجب عليهم أن يكونوا متفوقين علي العدو في هذه المعركة فلا يسمحوا لاي كان أن يتناول علي قيم الإسلام ومبادئ الشريعة الإسلامية فيجب الوقوف بحزم أمام كل من يحاول المس بالدين الاسلامي ولهذا تبين لنا أليات ان الأعداء لهم برنامج وأهداف وخطط وسياسيات في معركتهم مع الحق وأن لديهم خبراء يقومون بصناعة المشروع الاستعماري وأهدافه وغايته وان اول خطواته هو خلق مجتمع استهتاري غير شاعر بالمسؤوليه مجتمع متبلد لا يخجل أن يشارك الأعداء في تناقل الدعايه والفكاهه التي تمس دينه وعقيدته فالاعداء لديهم خبراء يقومون بصناعة وسائل تحقيق أهدافهم ليكون توظيف طاقات المجتمع المسلم في خدمه المشروع الاستعماري ليكون الانفصال بين القيم والمبادئ الإسلامية وبين واقع حياه الناس فأراد الحق أن يزود المسلمين بهذه المعلومات لتكون هذه المعرفه مناعه لوقايه المسلمين من التأثير بما يسعى إليه الأعداء

المبحث الثاني

ان تخصيص استهزاء هولاء بالاذان والصلاه يعود إلي مافي الاذان من معاني معبره عن الإسلام فالاذن لغه الإعلام م وشرعا الإعلام بوقت الصلاه بألفاظ مخصوصة يقول القرطبي أن الاذن علي الرغم من قله ألفاظه فإنه مشتمل علي مسائل العقيدة لانه بدا بالاكبريه وهي تتضمن وجود الله وكماله ثم ثني بالتوحيد وأنه لاشريك له ثم بإثبات الرساله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء الي الطاعه المخصوصه عقب الشهاده بالرساله لأنها لاتعرف الا من جهه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دعا الي الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الاشاره الي المعاد ثم أعاد ما أعاد توكيدا حيث يحصل من الاذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء الي الجماعه وإظهار لشعائر الاسلام وفي الاذان التمييز للمسلمين عن النصراري واليهود فقد ذكر عن أنس قال ذكروا النار والناقوس فذكروا اليهود والنصارى فأمر بلا ل أن يشفع الاذان ويوتر الاقامه) وذكر في صحيح البخاري عن نافع أن ابن عمر كان يقول كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحننون الصلاه ليس ينادي لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصراري وقال بعضهم بل بوق مثل قرن اليهود فقال عمر اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد للصلاه)

ولهذا نجد أن انزعاج اليهود من الاذان يعود إلي الشعور بالغيرة لما تميز به الاسلام ولهذا نجد أن الحق يعقب بقوله تعالي (ذلك بأنهم قوم لايعقلون) ولهذا فإنه لمعرفة المراد بنفي العقل عنهم هنا لابد أن نقف على الآتي

الأمر الأول

ماهو المراد بنفي العقل ؟

ليس المراد رفع التكليف عنهم كان تتصور أنهم غير عقلاء علي الحقيقه كما هو حال المجانبيين فالعقل له ثلاث معاني الاولى علي الحقيقه باعتباره غريزه وضعها الله في الإنسان ويعرف العاقل بأفعاله وهذه الحقيقه يشترك بها أهل غريزه العقل المكلفين دون استثناء... اما بقيه المعاني للعقل هي صفوه الروح أو خالص الروح ويسمي (اللب) ولب الشئ خالصه وسمي العقل لب قال تعالي (إنما يتذكر أولوا الألباب) والمعني الآخر البصيره اي نور القلب مثلما أن البصر نور العين فمن رزق هذا النور رزق الفهم

والمعنيان الاخرين متعلقان بموضوع الفهم والاصابه للمعني وهو البيان كما قال تعالي (فاستمع لما يوحي) اي اعقل لما اقول لك فيقول الحق أن هولاء سمعوا الاذان لكنهم لم يفهموا المراد به فهم ليس لديهم وعي وليس لديهم استعداد للفهم ولم ينتفعوا بمعرفه الكتاب فلم تحدث المعرفة تنميه لعقولهم فمحل الفهم هو القلب وهذه المساله يشترك فيها أهل غريزه العقل من أهل الهدى والضلال من أهل الكتاب لما تقدم عندهم من علم الأديان

ويجتمع عليها أهل كل ايمان وضلال في أمور الدين والمطيع والمعاصي وهو فهم البيان قال تعالي في ذم أهل الكتاب (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)

والعرب تسمي الفهم عقلا لأن ما فهمته فقد ثبته بعقلك وضبطته كما يضبط البعير بشده الي ساقه وفخذه فيقال عقلته ويقال اعقل لسانك واحبسها

الأمر الثاني

ان الامور بمنافعها وأضرارها وهذا فيه الناس متفاوتون بتفاوت الفهم والإدراك وأثر المعرفه في الإنسان من خلال نظرته للحياه فالبصيره والمعرفه أساس تنظيم قدر الاشياء النافعه والضاره في الدنيا والآخرة ومنه العقل عن الله تعالى فالاذان ابتدأ بالاكبريه (الله اكبر الله اكبر) ثم ثني بالتوحيد (اشهد ان لا اله الا الله) وحده لاشريك له فلا صل أن معرفه الله أن تولد قوه تعظيم قدر الله تعالى فمن كان معظما لله كان لله مجلا هابيا ومن كان مجلا هابيا كان مستحيا أن يراه الله في معصيه وكان مسارعا الي طاعته وتجنب المساخط فمن كان معظما لما ينال به النجاه من العقاب والظفر فإنه يكون مسرعا الي الايمان ويكون لديه رغبه في الفهم والعقل عن الله اكثر فتقوي همته فيكون جادا ومنتجا ومن زال عنه ذلك ومعه غريزه العقل التي منحها الله له ليكون من العقلاء فهو غير عاقل عن الله تعالى وهو عاقل للبيان الذي لزمته من أجله الحجه فقد وصف الله هولاء أنه ليس لديهم عقول يفهمون به (لهم قلوب لا يفقهون بها) وقال تعالى (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) يعني عقل البيان لكنهم لا يعقلون معانيه بالفهم له أما مشركين العرب فوصفهم (أن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا)

وهنا جمعهم بنفي العقل اي اليهود والمشركين العرب لجهلهم بحقيقه الاذان وما أوجب الله فيه من تعظيمه فهم قد عطلوا العقول التي منحها الله لهم ولهذا قابلوا الدعوه الي ما فيه الفلاح والنجاه والسعاده بالسخرية والا ستهزاء وعدم الجديه فهم لم ينتفعوا بعقولهم

الأمر الثالث

تبين النصوص أن سبب هذا الانحراف وعدم العقل عن الله

لان هولاء متمردون عن الطاعه ولهذا فإن الاستهزاء بالاذان عندما يسمعونه يعود إلي تجنيد هولاء في حركه العمل الشيطاني فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توداي للصلاه أدبر الشيطان له ضراط حتي لا يسمع التاذين)

فهو يتعمد اخراج ذلك اما ليشتغل بسماع الصوت الذي يخرج عند سماع المودن أو يصنع ذلك استخفا كما يفعل السفهاء ولهذا يخبرنا الله أن هولاء السفهاء يلجأون الي الاستهزاء بالاذان لسفاهتهم وحماقتهم فعدواتهم للإسلام دفعتهم الي الاستهزاء فكلامهم مثل شرط ابلis عندما يسمع الاذان فهم مطايا للشيطان وتابعين له

القسم الرابع

(قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امناب الله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن اكثركم فاسقون قل هل أنبيئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل سبيلا

اولا

في إطار التعقيب الذي وصف أهل الكتاب والكفار الذين يسخرون ويستهبزون بالدين بأنهم قوم لا يعقلون تأتي النصوص بحوار تطلب فيه حضور العقل باسئله تطلب مشاركته في صناعه الجواب فقال تعالى (قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امناب الله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون)

فالاسئله تتضمن إنكار لواقع اليهود وتكشف البواعث الحقيقه الدافعه لعدواتهم للإسلام والمسلمين حيث وان

معرفة كل هذا ومعني الايه الكريمه التي تضمنت اسلوب رد قاطع وقاسي لاهل الكتاب مع أن الله تعالى يقول في موضع آخر (ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتتي هي أحسن)

فهذه الغلظه عليهم تدل أن هنالك مواقف منهم تتطلب الرد والمواجهه لهم بهذه القوه فالموقف يتطلب الحزم ولهذا فإنه بالرجوع الي سبب النزول يتضح لنا شدة الموقف حيث ذكر الواقدي أن سبب النزول يعود لمجي بعض اليهود الي النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه عما يؤمن من الأنبياء والرسل فأخبرهم أنه يؤمن بجميع الرسل ومنهم عيسى عليه السلام فلما سمعوا ذلك قالوا لانومن بعيسي ولانعلم دينا شرا من دينكم وما أنتم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة فأنزل الله تعالى الايه فيها ذم اليهود وكشف ما لحقهم من اللعنه والسخط الإلهي وما حل بهم من المسخ ..وابتدا بالاستفهام الانكاري (يااهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن امنا بالله وما انزل انزل من قبل)

اي ما هو العيب الذي لكم علينا لتطعنوا فيه بديننا لماذا تكرهوننا فهل تنظرون الي التوحيد الذي هو ايمان المسلمين بالله وحده لا شريك له وايماننا بالقران والكتب السماوية هل تعتبرون ذلك عيبا لانكم تعتقدون بعقيدته التشبيه والتعطيل ولانكم تكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم رغم أنه في كتبكم ما يؤكد صدق نبوته ولانكم تكذبون بالرسل وانتم متعصبون في عقيدتكم فانتم تكرهون أمور لا تكره فهذا يدل علي فساد الطباع لديكم فقد اختل لديكم بواعث الحب والكراهية فانتم تنظرون القبيح بأنه حسن وتنظرون للأشياء الجميله أنها قبيحه وهذا يعود إلي فساد الفطره التي خلق الله بها الناس نتيجة التعصب للجنس وادعاءكم انكم أبناء الله واحباءه ثم تبين النصوص أن جذور هذا الادعاء منهم وحقدهم الي أساس التسلسل العائلي المذموم الفاسقون الانوييه الابليسه التي رفضت الاعتراف لادم بالفضل وألزمت نفسها الرؤيه الانوييه القائمه علي التحدي المتمثل في الشعار الابليسي (انا خيرا منه)

وطرح فكره التمايز المادي للعناصر المتفاوته دون اعتبار للأمر الإلهي وما يضعه من خصوصيات في خلقه وهي ما تسمي في عصرنا العقلانية المجرده فهذه سياسيه مدرسه الفسق المسؤوله عن الانحراف التاريخي في الأرض فقال تعالى (وان اكثركم فاسقون)

اي خارجون عن طاعه الله فليس لكم من الدين إلا العصبية والتقليد وقوله اكثركم اشاره الي أن هذا هو سلوك الا غلبيه بأنهم حاملون للتمرد والفساد وان كان هنالك مطيعون فهم قله فالنصوص تبين ان المعركه بين الحق و الباطل مستمره إلي قيام الساعه وان أهل الكتاب يسعون الي محاربه الاسلام للانتقام لان القيادة الدينيه انتقلت الي امه العرب فهؤلاء غارقون في التعلق بالدنيا والسلطه وفقدت شعورها بالمسؤولية وتحولت الي عصابه مقفله كل همها أن تحتكر السلطه الدينيه لأنها تري في ذلك مكاسب ومصالح سياسيه لهم فقد أصبح عملها الأساسي و الوحيد ان تستبقي سيطره اليهود علي القيادة الدينيه لتكون مصدر للسلطه وهذا الطبع مورث من حياه الذل والهون لدي الفراعنه ولهذا يخبرنا الله كاشفا لنا ماضي هولاء بأن هولاء جعلوا من الانتساب للدين مجرد هدف وصول للسلطه وليس هدف انطلاق ولهذا لما جاء الإسلام بالحق الذي يرفض كل أشكال الانحراف والشرك ويرفض المتاجره بالاديان ولهذا كان من هولاء هذا الانتقام علي الاسلام لانه قد جاء يهدم كل الأفكار المنحرفه التي وضعها الاحبار والرهبان في كتب الله جاء لازاله كل تلك اللطخ التي شوهت الاديان

ثانيا

تكشف النصوص حقيقه ارتباط هولاء بالاديان بأنه تدين مغشوش فهم لم يتوجهوا إليه بإخلاص وانما اردوا جني ا لأموال والامتيازات فقال تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل سبيلا)

الأمر الأول

فالخطاب استنفا في من الله لنبيه يعلمه الحجة التي يواجه بها اساءه أهل الكتاب للإسلام ورفضهم القبول بدعوه ا
لايمان وسخروا منها فابتدات الآيات هنا بأسلوب فيه التهكم من تصورات اليهود الاسلام فجاء الاستفهام الا
نكاري (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله) ولهذا استعمل (شر) وهي اسم تفضيل أصله اشر وحذفت
الهمزة تخفيفا لكثرة الاستعمال والمراد بها التهكم لأن اليهود قالوا للمسلمين لادين اشر من دينكم والمراد بهذا
التهكم باليهود وطريقه تفكيرهم فأمر المسلمين بمقابله الغلظه بالغلظه لكشف أحوالهم فالآيات قبلها قد أوضحت
فسادا معايير الحسن والقبيح لدي هولاء وبما لايقره عاقل ولهذا استعمل اسم الاشارة (من ذلك) اشارة الي
قدحهم بالإيمان الذي هو حال المسلمين وطريقهم المستقيم الذي تناوله اليهود بالقدح كما ورد في قوله (هل
تنقمون منا إلا أن امانا ب الله... الخ باعتبار أنه منقوم علي سبيل العرض والتقدير لما كان شأن المنقوم أن يكون شرا
بني عليه التهكم في قوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك)

اي هل أخبركم بما هو شرا في الحقيقه نتيجه فساد تفكير هولاء لبيان مخاطر العنصريه والعصبيه عندما تصير
عقيدته فإنها تكون معول هدم تقوض أسس الاعتقاد الذي تأتي به الأديان السماوية يقول الحق أن مرض هولاء و
الخواء بين العقل وبين الوعي الناتج عن المعرفه التي حملتها الكتب السماوية يعود إلي اتخاذ هولاء الانتساب الي
الانبياء والتوراه قوه يستمدون منها المنزله والمكانه التي صنعتها الأفكار العنصريه بأن أدخلت تلك النظريات
للتوراه لتبرير الاستغلال الطبقي والعنصري وليكون مقبولا من العوام حيث وجد الإنسان العادي في المجتمع
اليهودي نفسه محاطا بتلك الأفكار المزيفه المنسوبة للدين كذبا وبهتان وتورثها الأجيال يتشرب من وجهه النظر
الخطئه التي صاغها الرهبان والاحبار ونسبوا الي الله كذبا فقد شكلت تلك النظريات عقليه هولاء وهي الاسس
التي ينطلق منها هولاء فقد كان فسق وانحراف الاحبار والرهبان سببا في إسقاط جميع القواعد والقيم التي
جاءت بها التوراه فاتخذ هولاء الدين وسيله لإثبات كل عنصر منهم امتيازه فنظريه العنصريه هي السياج الذي
أحاط به الجهله والمتعصبين أنفسهم ولهذا فسدت المعايير لديهم واجتمعوا مع المشركين في الاستهزاء والسخرية
وهم يدعون أنهم اهل دين وكتاب ولهذا كان توجيه الخطاب لهم لأن انتسابهم

للأديان تعني أن عليهم المبادره للإيمان فهم أهل علم ولهذا نجد التهكم موجه لهم بأن حقدكم غير مبرر فما
ندعوكم إليه فيه الخير والصلاح وليس هنالك مايعيب فيه فلو عقتم عظمه الله وجلاله وكماله وقدره لما تجراتم
علي السخرية من منهج الله فبحودكم ناتج عن طلب الدنيا والإعجاب بالنفس والتقليد فقد اعمالكم ذلك عن طلب
الحق فلم تعقلوا البيان الذي جاء به القرآن وأقام عليكم الحجة ولهذا أشار أنهم انقطعت الصله بينهم وبين الأديان
والانتساب الي مدرسه الخير التي تقوم علي اساس المنهج الرباني واقامه العهد وهولاء رفضوا الانطواء تحت رايه
الاسلام وخرجوا عن طاعه الله بالوفاء بالعهد فقال تعالي (وان اكثركم فاسقون)

فهذا هو الباعث لرفض الايمان ويبين الحق أن الفسق لدي اليهود صفه لاصقه فطبيعه هولاء عدم الامتثال لأمر
الله فهم لم ينظروا الي أن الإسلام والإيمان هو الذي يحقق مراد الله فلم يقصدوا إرضاء الله واتقاء غضبه لم
ينظروا الي الثواب الذي عند الله فهم لم يعتنقوا اليهوديه عن إيمان ب الله حتي يكون منهم التصديق والايمان ب
القران والاسلام وانما كان اعتناقهم اليهوديه لأجل الاغراض الدنيوية فلم ينظروا الي أن الهدف من الأديان الإذعان
والانقياد لأمر الله ونشر الخير وان الثواب في الاخره فدللت الايه أن الانحراف فيهم ليس وليد اللحظه التي ظهر
فيها الاسلام فالأمر ليس كذلك بل لها جذور قديمه من عهد نبي الله موسي عليه السلام ولهذا تأتي النصوص
تكشف لنا الخواء والانحراف الذي أصاب العقل اليهودي وسقوط الوعي لديهم بأن هذا يعود إلي ماضي هولاء
فيكشف لنا الحق جزء من هذا الماضي فقال تعالي (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبه عند الله) لبيان ان العقليه
العنصريه هي التي شكلت عقليه هولاء وان خبت النفوس ودنائتها قد أفسدت فطره هولاء فهولاء لم ينظروا الي
الخير الذي عند الله في اليوم الآخر والذي يولد الشوق فيكون الزهد عن الدنيا ولكن هولاء نظروا للدين أنه وسيله
لجلب المصالح الشخصية في الدنيا فقد اردوا تطويع المنهج ليلانم لذاتهم ورغباتهم واهواهم ولهذا فلا غرابه
عداءهم العنيف للإسلام واحتقارهم الشرعيه التي أختص الله بها الاسلام باعتباره الدين المقبول عند الله ولهذا
استعمل كلمه (مثوبه)

للتعبير عن ما حل بهم من عقاب وما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة للتهكم عليهم لأن مَثوبه لاتستعمل الا في الخير يقول ابن عاشور (ان الكلمه مشتقه من قلب يثوب اذا رجع فهي بوزن مفعوله سمي بها الشي الذي يثوب به المرء الي منزله اذا ناله جزء عن عمله أو سعي سعاه وأصلها مَثوب بها فهي تطلق علي الجائزه أو العطيه ثم حذف المتعلق لكثرة الاستعمال وهي لاتطلق الا علي شي وجودي يعطاه العامل ويحمله معه فلا تطلق علي الضرب و الشتم لأن ذلك ليس مما يثوب به المرء الي منزله ولأن العرب بينون كلامهم علي طباعهم وهم اهل كرم لتنزيلهم ف لا يريدون بالمثوبه الا العطيه ويصح إطلاقها علي الشي النفيس والحقير ولهذا كان التهكم لبيان ان اتجاه هولاء أثناء التحولات يتغلب عليهم اتجاهات الوهم والرياء في حدهما الاقصي والوحشيه واليأس في حدهما الاقصي من الناحية الأخرى فيلجأون لذلك للهروب من مواجهه الآفات والأمراض التي فيهم فهم واقعون تحت تأثير الفكر العنصري

الأمر الثاني

تبين النصوص أن هولاء يعرفون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الله فقد كانوا يستفتحون علي الكفار بمجي الرسول الخاتم فلما جاءهم من امه العرب وليس منهم كفروا واخبرنا الله أنهم نبذوا التوراه وراء ظهورهم ولجأوا الي اختيار بديل عنه وهو الكتب الشيطانية كما ورد في سوره البقره (واتبعوا ماتتلوا الشيطان علي ملك سليمان... الخ فدللت الآيات إن طبيعه هولاء أنهم ينطلقون من اصول المطلب الشيطاني مؤسس مدرسه الشر والفسق وهذا الاصول هي مخالفه المنهج وابطال التشريع الايماني والقدرح في كل أمر لا يلبى رغباتهم ويحاولون تطويعه لما يشتهون ولهذا فإن هولاء قد استحقوا اللعن (الطرد من رحمه الله) واستحقوا السخط الإلهي وعاقبهم بأن مسخ أسلافهم الي قرده وخنازير وعاشوا في الذل والهون خاضعين للطفاه وانظمه الفساد فكانوا عبيد الطاغوت فالطاغوت يطلق علي كل حكم لغير منهج الله والسبب أن هولاء يعتمدون في اختيار البدائل علي الاصول الشيطانية فقد أخبرنا الله أن اليهود اختاروا لأنفسهم طعاما وشرابا يرغبونه ويوفي بحاجه غرائزهم

فسماه الله بالقران مطلب ادني بديل سي فقال تعالي

(اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير) ولهذا فقد اوكلهم الله الي اختيارهم الغريزي فقال (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذله والمسكنه)

ف الله يقول أن هولاء قد إصابتهم لعنه الله اي ابعدهم عن رحمته والسخط الإلهي فكيف يدعون انهم ابناء الله واحباوه ثم يذكروهم بما حل بهم من المسخ (وجعل منهم القرده والخنازير) وان خبتهم جعلهم عبيد للبشر اذلاء محكومين فاي ذل وهون وغضب أكثر من تعيش محكوم ولهذا أشار إليها الحق سبحانه وتعالى فقال (اولئك شرمكانا واضل عن سوء السبيل)

فالولئك الذين اتصفوا مما ذكر من المخازي وشنيع الأمور شر مكانا ولامكان لهم في الاخره وهم اضل عن مصدر الهدايه ولا الطريق المستقيم ومثل هذا لا يحمله علي الاستهزاء بالدين المستقيم الا فساد قوي العقل والحب و الغضب وعمي البصيره

ثالثا

تمضي سياق النصوص في كشف فساد اليهود وعدواتهم العنيفه في مواجهه الاسلام حيث أنهم استخدموا كل الحيل للنيل من دعوه الاسلام ومن ذلك أنهم قالوا لبعضهم البعض ادخلوا في الإسلام اول النهار واكفره آخره لا جل احداث فتنه في صف المسلمين بالذات ضعاف النفوس منهم كما ورد في سوره ال عمران ولهذا يذم الله ذلك منهم هنا علي ذلك فقال تعالي (واذا جاءؤكم قالوا ءامنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا

يكتمون)

وهذا فيه بيان الآتي:-

الأمر الأول

أن الآيات ترسم صورته متحركه لدخول هولاء بالكفر وخروجهم به والمقصود بهم هم اليهود علي الأرجح الذين استعملوا الدخول في الإسلام وسيله محاربه الاسلام من خلال إعلان الايمان ثم الرجوع لأجل اتخاذ ذلك وسيله دعايه ضد الاسلام بأنهم اكتشفوا أنه ليس ديننا من الله مستغلين ما يحظون به من سمعه أنهم اهل دين كما قال تعالي في سوره ال عمران (وقالت طائفة من أهل الكتاب ءامنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون... الخ وعلي هذا فإن العطف عائدا علي ما قبله بأن اليهود كانوا يدعون الاسلام لأجل التشكيك بالإسلام ويجوز أن العطف في الايه عائدا علي قوله (وإذا ناديتهم الي الصلاه اتخذوها هزوا ولعبا.. الخ

وخص بها المنافقون من اليهود من جمله الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا فاستعمل هذا للتحذير منهم باعتبار أن العطف لا يصح علي حيثات أهل الكتاب في قوله (منهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل عن سوء السبيل) لعدم استقامه المعني علي ذلك عند البعض

ويجوز أن يدخل في هذا المعني المنافقون باعتبار أن الضمير عائدا علي اليهود والمنافقين لأن النصوص قد وصفت أنهم سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك... الخ

والله يقول (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا الي شيطانهم قالوا... الخ بشأن اجتماع اليهود والمنافقين وتامرهم علي الاسلام

الأمر الثاني

يقول الحق سبحانه وتعالى لعباده احذروا أن تغتروا بالقول الحسن الذي يظهره هولاء وادعائهم الايمان بقولهم بألسنتهم (امنا) وقلوبهم كافره وجاحده فهم قالوا ذلك نفاقا ومكرا فيخبرنا الله أن الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفه عين فقال تعالي (وقد دخلوا بالكفر) فاعلانهم الاسلام إنما كان من قبيل المكر والمكائد لأجل تشكيك المسلمين بدينهم فقد دخل مستصحب بالكفر في قلبه ثم خرجوا به فهم لم ينتفعوا بما سمعوا من الرسول من الموعد ولم يتأثروا بما سمعوا وذلك يعود إلي قساوه قلوبهم لانهم محرمون من العناية الالهيه فالكفر مستقر في قلوبهم لا يتزحزح فالمحل غير صالح لاستقبال انور الله ولهذا استخدام الجملة الاسمييه (وهم قد خرجوا به) لبيان أن ازاله اللطخ التي شوهدت أرواح هولاء قد أصبحت طبيعه كامنه فيهم وجوه زوات هولاء هو الكفر فهم قانعون راضون متشبثون بالتقاليد التي صنعتها البئيه المصريه فيهم ثم جمدها احكام طباعها وتورثت الأجيال هذه التقاليد منفعله بسهوله الإتياع والتقليد فكان تواصل التخلف في الطبيعه والطباعه فهم لم يتأثروا بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم الجميل ودينه العدل وهديه الحسن فلم يتأثروا لما عندهم من الحسد الموجب للعناد اخبر عن ذلك بابلغ من الجملة التي أخبرت بكفرهم تأكيدا للاخبار عن ثباتهم علي الكفر لانه أمر ينكره العقل ولهذا ادخل حرف التوقع (قد) وهو متعلق بقوله (قالوا امنا) فذكر في الثانيه الجملة الاسمييه (وهم قد خرجوا به) فاستغرق كفرهم الزميين الماضي والحاضر لأن ذلك هو المتوقع من النفاق إذ حالهم لا يتبدل ولا يتغير فقد دخل ب الكفر وكذلك خرج فكان تأكيدا اتحاد حالهم نتيجه تصورهم الفاسد أنهم أن اضمرو

الكفر فانهم قادرون علي اخفاء ذلك في نفوسهم ولما كان هذا التصور عائدا الي سوء الظن بالله وهذا إنما يكون عن من لم يعقل احاطه الله به علما يأتي التعقيب للتهديد بكشف ما في قلوبهم من فساد فقال تعالي (والله اعلم بما كانوا يكتمون) بأنه تعالي محيط بما يخفون فاستعمل لفظ (اعلم) فعل تفضيل لانه لا يمنع أن أحد من الناس يعلم بنفاق هولاء لكن علم الله أعظم فهو محيط بما يخفون في نفوسهم فهو يطلع علي ذلك فقال تعالي (بما كانوا

يكتمون)

والكتم الحبس للنفس أن يخرج أو أن يظهر واضحا وهي عملية غير طبيعيه لان الكفر يكاد أن يظهر ويخرج لكنهم يكتمونه ويخفونه فهم حريصون الا ينكشف أمرهم ولهذا جاء التهديد للمنافقين من جهه ومن جهه تطمئن المومنين أن الله يتولي حمايتهم ورعايتهم وحفظهم من كيد أعداءهم

رابعا

تستمر النصوص في تعداد معاييبهم انتصارا منهم لما افتروا ضد دين الله وعباده المومنين فقال تعالي (وتري كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)

المبحث الاول

ارتباط الايه الكريمه بما قبلها :-

لما كذبهم الله بدعوي الايمان وهدد بفضح ما يخفونه أقام الدليل علي كفرهم فقال مخاطبا نبيه صلي الله عليه وسلم أن هذه هي علامات تعرف بها المنافقون كما قال تعالي في موضع آخر (ولتعرفنهم بسميهم) (ولتعرفنهم في لحن القول) فاستعمل هنا لفظ (وتري) فعل مضارع لبيان ان هذا الحال سوف يتجدد باستمرار ولهذا نجد أن النصوص تنقل صورتهم بما ترسم لنا من مشهد يجسد حركاتهم

لتجعل القارئ يشاهد الصورة ماثله أمامه فحالههم هذه ظاهره فاضحه لهم فهي لاتخفي علي أحد والخطاب لكل من سمع فجاء التعبير بالمسارعه من المفاعله فهذه الجملة قادره علي إيصال الصورة الي الذهن بما ترسم من صوره الانحطاط الذي وصل إليه هولاء حتي صار سلوكا يعيبه جميع أفراد هذا المجتمع الأقوياء والضعفاء علي السوء فهم يتسابقون علي المعاصي ومخالفه منهج الله والاعتداء علي حدود الله وأحكامه وعلي حقوق الناس فلا يباليون ولايتورعون عن الظلم فهم مجبولون علي حب المعاصي والتسابق عليها فقد وصل بهم الانحطاط أن صار الفساد والظلم هدفا يتسابقون عليه حتي اولئك الذين لايقدررون علي العدوان فإنهم يبحثون جاهدين عن الفرصه التي تجعلهم يمارسون الظلم والعدوان واكل السحت وهو المال الحرام فهم اذا تمكنوا من فرصه تمنحهم القدره أن يمارسوا الظلم والعدوان فإنهم لن يترددوا من القيام به وهذا فيه بيان أن الفساد والرياء بضاعه ازدهرت في هذه المجتمعات لأن الثقافه التي شكلت عقولهم قد وصل فيها الانحطاط في القيم والمبادئ ما جعلت الناس ينظرون إلي أهل القيم أنهم حمقاء حيث صار اللص فيهم ذكي والظالم رجل دوله فهذه هي حال الناس عندما يتربح الشر علي السلطه السياسيه والدينيه علي الحياه فإن الفاعليه للحركه تكون سلبيه فيها إفساد الحياه الروحانيه فلا يتورعون عن ارتكاب الآثام وهو الكذب والكفر والعدوان والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والكل يتسابق علي ذلك ولاينظرون الي أعمالهم أنها أفعال قبيحه بل ينظرون إليها انها حسنه ولهذا قال تعالي يسارعون في الإثم ولم يقل الي الإثم للدلاله علي أنهم مستقرون في الإثم وان مسارعتهم هي في دائره الإثم ومراتبه و الجمع بين الماضي والمستقبل في صيغه (لبئس ما كانوا يعملون) للدلاله علي الاستمرار فأقسم لبيان ان عملهم القبيح بأن كفرهم صار غايه لعملهم ولاينظرون إليه أنه قبيح بل ينظرون إليه أنه أمر حسن وجميل

المبحث الثاني

تشير النصوص الي خطوره فساد الرئاسه السياسيه والرئاسه الدينيه فعندما يفسد العلماء والحكام فإن هذا يكون شرا تفسد الرعيه فصلاحيهما يودي الي صلاح الرعيه وفسادهما يودي الي فساد الرعيه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الإثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون)

لولا تخصيص اريد منه التوبيخ واقتصر علي توبيخ الربانيون والاحبار وهم الحكام والعلماء لتركهم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف فدل هذا التوبيخ أن الانحطاط وصل إلي الحكام والعلماء فلم يعودوا ينظروا الي المنكر أنه أمر يوجب النهي عن فعله فدل هذا أن المنكر صار مالوفا فلم يعودوا يشعرون بقبح تسابق الناس في دائرة الشر والعدوان والرشاوي.

أراد الحق بهذا بيان أن الرقابه لها صور واشكال وانواع الأول في الضمير الإنساني بالشعور برقابه الله لتكون الفاعليه ايجابية لكن احيانا الناس يصابون بالغفله والنوم وهنا يأتي دور العلماء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورقابه المجتمع لحراسه تطبيق منهج الله في الحياه وكذلك رقابه سلطه التي تقوم بحمايه المنهج من خلال تنفيذ العقوبات بحق المخالفين وضبط الحياه ليكون إقامتها وفق منهج الله ولهذا فإن دور هؤلاء النهي عن قول الزور والاثم فلا يجوز الحكم من بعد أن يحكم الله لأن هذا يعني أنهم اتخذوا الدين وسيله للمتاجره والله يقول (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم... وويل لهم مما يكسبون) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (أن كثير من الا حبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله)

والله يقول في موضع آخر (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.. الخ

وقد أخبرنا الله عن انحطاط أهل الكتاب فقال تعالي (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه)

وقد ذكر عن الامام علي رضي الله عنه قوله ايها الناس إنما هلك من قبلكم أنهم كانوا لايتناهون عن المنكر.. الخ

تبين النصوص أن السكوت عن إنكار المنكر يودي الي إفساد الفطره حيث أن النصوص يرتكبون الجرائم ويتصورن أنهم يحسنون صنعا فقال تعالي (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فالتقليد والإعجاب بالنفس والتعصب الديني يولد الانحراف في المجتمعات ويولد الانحطاط الأخلاقي والقيم في الإنسان ولهذا نجد اللؤم علي الحكام والعلماء ياشد العبارات من تلك التي خاطب بها العوام فقال تعالي هنا (لبئس ما كانوا يصنعون) بينما قال في الاولي (لبئس ما كانوا يعملون) فالذي ارتكب المناكير لم يسمي صناعا بينما الساكت عن المنكر من الحكام والعلماء سمي سكوته أنه صناعا للاثم والعدوان والرشاوي اشاره الي أن صناعه الفساد ليكون ثقافه وسلوك اجتماعي يعود إلي موافقه السلطان والعالم وفعلهم اشد قبحا لأن مرتكب الجريمة يجد اللذه والشهوه والمتعه وبالتالي فإن الذي يفرط في الإ نكار اشد حالا من الموقع لانه لاتوجد شهوه تحمله علي السكوت ولأن العالم هو الملمزم أن يذكر الناس مما علمه اذا نسوا وعليه أن ينبه المتهاون فكان تقبيح سكوتهم بصيغه الصناعه لأن الصنع اقوي من العمل فلا يسمي الفعل صناعه الا إذا صار راسخا فجعل ذنبا العاملين ذنبا غير راسخ أما ذنب التاركين للنهي عن المنكر ذنبا راسخا ولهذا ذم الخواص لان ترك الإنكار للمعصيه أقبح من مواقعه المعصيه من الجاهل وهذه الابيه اشد ايه فيها التخويف للعلماء في القران من أن يغفلوا عن القيام بدورهم فهم ورثه الانبياء

بعد أن تناولت النصوص انحطاط القيم الروحانيه في حياه المجتمع اليهودي وجراتهم علي الله ومخالفه منهج الله فصار المنكر أمر مألوف لاينظر إليه أنه قبيح ولهذا تستمر النصوص في نقل جانبنا من هذا الفساد الذي شكل حياه اليهود فقال تعالي (وقالت اليهود يد مغلوله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه كلما

اوقدوا ناراً للحرب اطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين)

المبحث الأول

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة)

وهذا القول أما أن يكون معطوفاً علي قوله (واذا جاءكم قالوا ءامنا) فيكون هذا من قبيل ايضاح ازدهار تجاره الرباء والوحشيه والياس في حياه اليهود فكان ذكر سوء معتقداتهم وخبث طويهم ليظهر فرط التنافي بين معتقداتهم وبين معتقدات الاسلام وهذا قول اليهود الصرحاء غير المنافقين منهم ولذلك أسند الي اليهود القول لبيان دناءتهم فعبر عنهم باداء التأنيث (وقالت اليهود)

لبيان ان الحضاره اذا لم تقترن بالقيم الروحانيه فإنها تودي الي ولاده حضاره ماديه منحرفه مصحوبة بالانحطاط بالقيم الروحانيه حيث أن الانحطاط يشدها الي أسفل السافلين نتيجه تقديس الماده والمال في حياه المجتمعات المنحرفه فتكون حركتهم كلها تسابق علي المال والجاه والسلطان لانهم ينظرون إليه أنه مصدر القوه والاستعلاء ولهذا ذكرت النصوص نموذجاً لقولهم الإثم باعتبار أن الايه معطوفه علي ما قبلها وهو يتفق في المفهوم مع المعني السابق فالآيات تبين سوء ادبهم مع الله وان هولاء لايعقلون عن الله تعالى ما عرفوه من عظمه الله وجلاله وكماله وتوبه وعقابه وانعامه وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان فالآيات تبين سوء تصورهم وظنهم ب الله فقالوا (أن الله فقير ونحن أغنياء) عندما أمر الاسلام بالزكاه وهنا يقول الحق أنهم قالوا (يد الله مغلولة)

اي أنهم وصفوا الله سبحانه وتعالى بما لايليق ب الله وكماله فهذه الجراءه منهم تدل علي الجهل وعدم عقلهم عن الله عظمته وعطاءه الامحدود فلم يخلوا أن يستعملوا هذه الوصف ويطلقوها علي الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً وقد استعملوا استعاره مغلولة وهذا فيه قبح بكمال الخالق لأن ويدل علي فساد الطباع وقساوه القلوب وغل لاطله الحس لأن مغلول اليد لا يستطيع بسطتها في الازمات ولهذا تستعمل في التعبير عن البخل الشديد كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك) ولهذا فلا يجوز أن يطلق هذا الوصف علي الله تعالى ولهذا فقولهم هذا أما أن يكون قد صدر علي سبيل التهكم والسخرية بالمسلمين خاصة في بدايه الهجره حيث كان الفقر صفه اساسيه في حياه المهجرين فيحتمل أن اليهود كانوا يسخرون من الحاله الماديه للمسلمين أو أن ذلك بسبب فرض الصدقات

ا.و الأمر متعلق بمساله طلب اعانه المسلمين بيده المقتول حيث قال اليهود أن رب محمد فقير لما نزلت الايه (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) وقد أخبرنا الله عن ذلك فقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء... الخ

أو أن ذلك القول قد صدر من اليهود في زمن القحط والجوع الذي تعرضوا له فربما أنهم بدوا يتذمرون فقالوا إن الله امسك يده عن العطاء والرزق حتي يرفع عنا الجوع أو أن يكون هذا قد صدر علي سبيل العجره والتفاف و الضجر من أحوالهم المعيشية فلم يتادبوا مع الله فأراد الحق أن يربي المومنين علي اجتناب كل تلك المظاهر السلبيه التي شكلت ظروف جلافة القلوب لدي اليهود وسوء الاداب منهم في التعامل مع الله تعالى فعقيدته التجسيد فيهم قد أفسدت فطرتهم فالله ليس كمثله شيء

المبحث الثاني

تأتي سياق النصوص برد الله علي القول الباطل الذي وصف به هولاء الله بما لايليق بجماله وجلاله وكماله وقدرته وعطاءه الامحدود للإنسان وانعامه وإحسانه فقال تعالى (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا)

تضمنت بيان العقوبه لما نطقوا من المقوله التي قالتها اليهود بحق الله بأن جعلهم الله اشد الناس بخلا وطردهم

من رحمته سبحانه وتعالى جزء علي قولهم وبالوقوف علي مدلولات ذلك نجد الآتي

الأمر الأول

يحذر الله عباده من سوء الظن بالله واساءه الاداب مع الله لأن ذلك يوجب العقاب الغليظ فاللازم عليك أن تصدق في قولك وان تعلم أن الله مطلع علي دخيل امرك سره وعلايته فاللازم عليك بوعد الله وتطمئن الي ضمانه ثقه منه بوفائه ورضاء بقضائه وقدره واستسلاما منك لأمره فهذا من الآداب التي تودب بها نفسك في تعاملك مع الله

فتكون واثقا بالله ثقه من حسن ظنه به وقلت تهتمته له وصدق بوعدك وسكن قلبك عن الاضطراب الي وعده وعظيم وعبيده ولهذا تبين لنا النصوص أن اليهود لم يكن منهم مراعاة قواعد الاداب مع الله فقالوا إن الله بخيل وهذا قول لا يليق بالله وكماله فدل هذا علي أن هولاء لم ينتفعوا بالمعرفه التي جاءت بها التوراه إذ كيف يصدر هذا القول ممن يدعي معرفته بالكتب السماوية التي أقامت الاداله علي وحدنيه الله وربوبيته ونفاذ مشيئته وقدرته وإحسانه وعطاءه الامحدود للإنسان ولهذا فقد استحق هولاء العقاب بان جعلهم اشد الناس بخلا وطردهم من رحمته سبحانه وتعالى جزء علي قولهم الغير لائق علي الله

الأمر الثاني

تضمنت الايه معني الدعاء بقوله تعالى (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) قال المفسرون أن المراد به الدعاء عليهم بـ البخل والنكد فكانوا يبخل الناس واقلهم احسان واسوهم ظنا بالله وابعدهم عن رحمه الله التي وسعت كل شيء والقول بان الايه تضمنت الدعاء بصيغه الاطلاق لا يتفق وكمال الله عز وجل لأن الدعاء بالمعني المطلق إنما يكون من ادني الي أعلي وهذا لا يمكن وصف الخالق سبحانه وتعالى وايضا يستحيل أن يدعو عليهم بالبخل لانه لم يرد

وانما يراد به أنه تعالي خلق الشح في قلوبهم والقبض في أيديهم فهو الداعي والخالق فهو خلق فيهم البخل ويتقدس عنه سبحانه وتعالى فهو (لايسال عما يفعل وهم يسألون) فالدعاء تضمن معني الخلق لأن الله له الخلق والأمر والايات وردت في إطار مناقشه انحراف اليهود عن الطريق المستقيم فقال تعالي (اولئك شر مكانا واضل عن سوء السبيل) فذكرت النصوص أوجه لفشل اليهود في حمل الامانه وبواعثه فذكر الحق أن الله خلق في الإنسان غرائز كما أخبرنا فقال تعالي (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطره... الخ

والمراد بهذا انه لم ظهر من هولاء الجراءه علي الله وعدم خوف الله وهم يعرفون شدة نقمته وكثره انعامه وعطاءه

فإن ذلك إنما كان بسبب فشل هولاء في الاختبار حيث أن الله خلق في الإنسان غرائز الشهوه والغضب فقال تعالي

(أن الإنسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعات الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون)

فالايه تدل أن الله خلق الانسان جبانا هلوعا يفرع وبجزع إذا أصابه شر كما خلقه شحيحا حريصا يبخل ويمنع إذا أصابه خير وما يدفعه الي الجبن والبخل الا شدة حبه لنفسه وماله وولده فقد جعل الله هذه الغرائز ابتلاء للإنسان واختبارا لصدق إيمانه وقوه أردته في طاعه ربه بقوه هذا الحب الغرئزي الذي يسيطر علي نفسه وعقله وهذا إنما يكون من التقى الذي يقيم الصلاه ويخشى الله ويخافه خوف من عرف شدة نقمته ولذا نزهه تعالي عن الخضوع لغرائزه والاستسلام لجبنه وبخله وإغراءه فقال تعالي (الا المصلين الذين هم علي صلاتهم دائمون)

ولهذا أخبرنا الله تعالي أن اليهود فشلوا في الاختبار لانهم لم يتقوا الله ولهذا تجروا علي الله فقالوا ما قالوا ولهذا عقابهم الله بالحرمان من التزكيه بالمنهج الرباني فلم ينتفعوا بالموعظه والمعرفه بالله الوراده في التوراه

الأمر الثالث

يخبرنا الله أن الإنسان أما أن يحب الله ويتحرر من كل القيود التي تمنع وصوله ب الله وهذا يكون بالقيام بحق الله فلا يسكن قلبك الا الله أما الذي يحب الشهوات والملذات فإن هذا الحب يكون سببا للنقمه عليه فذكر سنه الله في ذلك بأن الذي يفشل في هذا الامتحان ويضل السبيل فإنه يقضي حياته أسيرا لماله يحرسه ويسهر علي استثماره فيحول السعاده به الي شقاء في الدراين اذ يعاقب في الاخره علي منعه كما يعاقب علي طريقه جمعه ف الذي يتعلق قلبه بحب المال والشهوات فإن ذلك يغريه بالجراه علي ربه لأجل أن يرضي من يحب سواء نفسه أو زوجته أو ولده ولا يبالي بغضب الله كما يبالي بغضب من يحب فقد جعل الأموال والأولاد فتنه يختبر عباده بحبهما الشديد الذي يغري علي العصيان لأوامره تعالي فقال تعالي (إنما أموالكم وأولادكم فتنه والله عنده اجر عظيم)

ولهذا فإن عليك ان تشتاق الي ما عند الله وتتق بوعده وان تجعل حبك خالصا لله وتطلب رحمه الله فما عنده من نعيم يفوق التصورات فلا مثيل له ولهذا قال هنا (ولعنوا) اي طردوا من رحمه الله لانهم لم يرغبوا بما عند الله من اجر يجعلهم يزهدون عن الدنيا فقال تعالي في سوره التغابن (والله عنده اجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم

الي أن قال (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

الأمر الثالث

استعمل الحق سبحانه وتعالى (غلت أيديهم) للتعبير عن حاله حب المال انه يدفع الي الشح ويغري بالبخل فعاشق المال يبخل به حبا في ازياده وادخاره فيكون أسيرا للمال لا يقدر علي إخراجة كانه مقيد اليدين غير قادر علي الانفاق من شدة خوفه علي ضياع المال وحرصه علي جمعه وادخاره ولهذا استعمل غل اليد والبسط للتعبير عن البخل والجود وهما حقيقتان معنويتان ولهذا استخدام التعبير المجازي لأجل نقل الصورة الي الذهن لأنهما لا يدركان بالحس ولهذا كان استعمل المجاز للايضاح والانتقال من المعنويات الي المحسوسات بان الشح صار قيذا مانعا من البسط ولهذا فإن التقوي هو اداة التغلب علي قوه غريزه الشح فخوف الله هو الذي يغلب الغرائز ويغلب العقل الهوي ولهذا وصف هؤلاء بأنهم قوم لا يعقلون لانهم لم ينتفعوا بهدايه الله وموعظه ولهذا فقد حرموا أنفسهم الطاف الهدايه والرحمه لأن الله سبحانه وتعالى خلق الغرائز لتنفع الإنسان فاوجد الخوف والحرص علي الحياه وحب النساء والبنين لأجل أن يحافظ الإنسان علي حياته ولأجل بقاء النوع والحياه ولأجل أن يرقب نفسه ويحاسبها لانه يدرك أن هنالك حياه هي التي فيها السعاده أو الشقاء كما اوجد حب المال في الإنسان لأجل أن يسعى في طلب رزقه ورزق أولاده بالعمل الدؤوب وكذلك العمل لما فيه الرزق في الاخره

المبحث الثالث

يخبرنا الحق انه من عبد هواه وخضع لنفسه الاماره بالسوء فإن هذه النفس تقوده الي ما يغضب الله وعندها تكون غرائزه نكبه اضلته عن سبيل الرشده واختياره وتقذف به الحجبم وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فإن الجنه هي الماوي لانه اثبت جدرته بحب الله واستحقاقه لنعيمه بأن اتقاه حق تقاته فالغرائز مواد امتحان الإنسان في الحياه الدنيا التي أوجدها الله تعالي ليثبت الإنسان جدراته بحب الله وتحفظ كرامته وتدل علي درجه استحقاقه بمقدر جهاده وسعيه لتأديه واجباته وبمقدار إحسانه ومساعدته في الخيرات ليقدّم لحياته ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يبين للناس الطريق المستقيم ليكون ضبط الغرائز وفق منهج الله وبه يعرف العبد حق الله عليه وحق الناس وحق الله يكون بالتقوي والخضوع والاستسلام لأمر الله بتعظيم أمر الله وتنزيهه الله وتوحيده في الأسماء والصفات والالوهيه والربوبيه والعبودية..وأما حق الناس برحمتهم وهذا يكون بالاحسان إليهم ولهذا يقول الحق لنا (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثير منهم ما نزل اليك من ربك طغيانا وكفرا)

وهذا فيه

الأمر الأول

تصحيح التصورات الخاطئه التي أوردت هولاء في الهلاك والطرده من رحمه الله عندما قالوا يد الله مغلوله...

فجاءت النصوص مبينه ابطال تلك المقوله (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) لتنزيه الله تعالى عما قالوا
فاخبرنا الله بانه واسع الفضل وجزيل العطاء فكل ما في الكون هو من عطاءه وإحسانه فأنت تتنافس من هواء الله
وتاكل من انعامه وتشرب من ماء الله أنك تعيش في ارض هي ارض الله وقد خلقك الله فأنت موجود بفضل نعمه
الايجاد التي انعم الله بها عليك أن نعم الله لاتعد ولا تحصي قال تعالى

(وان تعدو نعمه الله لاتحصوها)

وهو وجود علي أولياءه بالتوفيق للأعمال الصالحه

الأمر الثاني

يخبر الله عباده ان مشيئته وقدرته نافذه وهو لايسال عما يفعل وعطاءه ينفقه كيف يشاء يعطي اقوما ويمنع عن
اقوام فهو المعطي والمانع ولهذا قال (كيف) اي كما يشاء يبسط ويقبض وجاء تثنيه اليدين (يداه مبسوطتان)
بينما ذكر في قولهم (يد) مفرده وذلك ليكون إنكار لقولهم وأبلغ في الدلالة علي السخاء والجود فما من شي الا
عنده خزائنه ولأن العرب تعبر عن السخاء بالعطاء بكلتا اليدين وهو استعمال مجازي فلا يكون التشبيه تعالى الله
علو كبيرا

المبحث الرابع

يحذر الحق المومنين من سلوك اليهود وقبح أقوالهم واستغناهم عن الله الذي الناس كلهم محتاجون إليه فنحن
فقراء الي الله والله غني حميد ليس محتاج من عباده شي

وعطاء الله ورزقه وجود به علي المومن والكافر علي السوء

ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى لو يعامل اليهود علي ما قالوا لهلكوا فهم يتنافسون وياكلون ويشربون من عطاء
الله ولكن الله يمن ويجود بعطاءه لعباده كيف يشاء أما الهدايه فهي رحمه خاصه يمنحها المومنون الذين لديهم
استعداد للايمان وقبول الهدايه الخاصه أما الذين ليس لديهم استعداد ولايستقبلون أوامر الله بالتعظيم والاجلال
فهولاء غير جديرين بالرحمه الخاصه وأنه لاجر علي عطاء الله وإحسانه فلا مانع لما أراد فقال تعالى (وليزيدين
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه)

تبين النصوص الآتي

الأمر الأول

أن من أعظم العقوبات علي هولاء هو أن القرآن الكريم الذي أنزله الله علي النبي صلى الله عليه وسلم رحمه للناس
سوف يكون نقمه بحق اليهود فكلما زاد المومنون صلاحا وهدايه واستقرار النفس لشعورها برضا مولاها عنها لأنها
قامت بما أمرت خير قيام وسعت للاخره سعيها لأن نفوسهم رضيت عن الله كما رضي الله عنها فلم تسخط ولم
تتذمر ولم تتبرم بما قضاء الله بل صبرت واحتملت في سبيل الله فإن رضا الله عنه أعظم من الجنه واطمئنان
النفس برضاه أعظم متعه واكبر نعمه

لكن اليهود والكفار عموما يزددون حقد وحسد به فلا

ينتفعوا بنعمه الله من الذكر الذي أنزله الله علي رسوله الذي فيه حياه القلب والروح فهو أعظم النعم والعطاء وكان المفترض أنهم أهل علم أن يبادوا الي قبوله والاستسلام لأمر الله ومع ذلك بالغوا في إنكار ماجاءهم مع أنهم يعلمون صحه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحه ما جاء به القرآن لكن الحسد دفعهم الي (الطغيان)

المبالغة والمجاوزه للحد مع علمهم بصحته وإدخال في تجاوزهم الحد (وكفرا) داخل فيه دال علي ذلك ادغام التنوين مع الواو في (طغيانا وكفرا) لبيان أنهم لم يكتفوا برفض ما فيه الرحمه والهديه وماهو عطاء من الله وأعظم انعامه بل سعوا الي ستر الحقيقه واخفاءها عن الناس بكل ما أتوا من قوه نتيجته الحسد الذي سكن قلوبهم فهذا المرض سبب عدم انتفاعهم بهدايه القران قال تعالي (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرا وهو عليهم عمي اولئك ينادون من مكان بعيد)

وقال تعالي (ونزل من القران ماهو شفاء ورحمه للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا)

ولهذا ذكر صيغه التبويض (كثيرا منهم) لأن هنالك القليل منهم مومنون امثال عبدالله بن سلام ف الله يقول في موضع آخر (ليسوا سواء من أهل الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات اولئك من الصالحين)

الأمر الثاني

اخبر الله نبيه أن الحسد اعمي بصيره اليهود لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم ولهذا زادهم طغيانا وكفرا اي عنادا وتمردا جعلهم لا يدعون للحق مع انهم علموا صحته فقد حملهم الحسد علي العناد والحقد ولهذا فإن عدواتهم للإسلام والمسلمين سوف تستمر الي يوم القيامه فعطف علي ذلك (والقينا بينهم العدواه والبغضاء الي يوم القيامه) لتطمئن المسلمين أن لا يخافوا من المكائد التي يصنعها اليهود والنصارى للإسلام والمسلمين فعليهم الحذر والله يتولي رعايه المومنون ورد كيد أعداءهم حيث

قدر الله لهم من التعادي والتباغض والشقاق بينهم ما فيه ابطال كيدهم فهم مهما اجتمعوا يخذلهم الله وقدر أن لا يجتمعوا الي يوم القيامه وهم كلما أشعلوا نار للحرب علي المسلمين خذلهم الله فقال تعالي (كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله)

اشاره الي الاستعداد الذي يسبق الحرب وهو التهيؤ للحرب والاستعدادات لها والعزم في أمرها فشبه هذه الحاله بحال من يوقد النار لحاجه لها فتتطفي لانه شاع استعمال النار للتعبير عن الحروب فيقال حمي الوطيس ومسعر حرب وغيرها والمراد بها أنهم كلما عقدوا اسبابا يكيدون بها وكلما ابرموا أمورا لمحاربه المسلمين ابطها الله ورد كيدهم في نحورهم فلا يلتئم لهم امر حرب ولايستطعون النكايه بالمومنين فهم كلما حاربوا انهزموا فلا يكون لشهرهم فائده ولايلحق بالمومنين ضررا ف الله يخذلهم لانهم يسعون في الأرض لنشر الشرور فهم اصل الشر و الفساد في الأرض فقال تعالي (ويسعون في الأرض فسادا) أنهم مجتهدون اجتهاد الساعي علي سبيل الاستقرار لما فيه ابطال المنهج الرباني ومخالفته وهذا مخالف للفطره فالاصل أن الإنسان يتحرك لما فيه الخير لكن هؤلاء فسدت فطرتهم فأصبح الفساد من طباعهم والسعي له سجيته من سجيتهم ونحن نشاهد الان صدق هذه الايه فنري أن أصل الفساد في الأرض يعود لليهود فهم المروجون للدعاه في العالم ومراكز القمار والخمر يملكها اليهود والفساد المالي والبنوك الربويه ملك اليهود وهم من يعبثون بالكره الارضيه ويقفون ضد مكارم الاخلاق فهذا هو عملهم في الأرض ولهذا يخبرنا الله أنه يخذل كل مشاريعهم لأن الله يبغض المفسدين فقال تعالي (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)

ولهذا إذا شاهدنا انتشار فساد بني إسرائيل واجتماعهم فاعلم أن ذلك يعود لأننا ابتعدنا عن اخلاص العبوديه لله

وأنا انحرفنا عن منهج الله فإذا أردنا وقف فسادهم فعلينا أن نعود الي الله ومنهج الله القرآن الذي هو مصدر العز لهذه الامه فالعالم الاسلامي اليوم يشكو الضعف والدهون نتيجة اجتماع اليهود والمنافقين والنصارى علي المسلمين ولم يبحثوا عن السبب والمخرج من هذا الحال لأننا لا نقرأ القرآن الكريم كما ينبغي فلو وقفنا عند هذه لايه الكريمه لعرفنا أن الله وعد بأنه سوف يطفئ النار التي يوقدها هولاء ضد الإسلام ويخذلهم لكن بشرط أن نكون حاملين مشروع الإصلاح في الأرض نحمل رساله الاسلام للعالم ونلتزم بمنهج الله فهو تعالي لا يحب المفسدين أما ونحن اداه من أدوات الفساد فإنه من الموكد أن الله سوف يجمع المسلمين مع المفسدين من اليهود لأن الله قد أخبرنا أنه يبغض المفسدين بشكل عام بغض النظر عن اديانهم

القسم الخامس

تأتي النصوص بعد ذكر معايب أهل الكتاب ومفاسدهم نتيجة مخالفه المنهج الرباني الذي انزل إليهم يخبرنا الله كيف نتجنب تلك المفاسد التي كانت وراء النقمه التي حلت بأهل الكتاب فقال تعالي

(ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون)

اولا

تبين النصوص أن الإيمان والتقوي هما اداه النجاه من المهالك والفوز والظفر بالجنه لانه اذا وجد الإيمان الصادق ب الله ورسوله والقرآن والكتب السماوية والجنه والنار والملائكه وتقوي الله بأن تخافه خوف من قد عرف سطوته وشد نعمته واليم عذابه ومثلته وآثاره ووقائعه بمن خالف امره وعصاه تودي الي محو السئيات مهما كانت لان اجتماع الايمان والتقوي يعني أن يختلط الخوف بالإيمان فيكون مفارقه المعاصي والذنوب وذلك يولد رضاء الله عن عبده ويمحو ذنوبه حيث تزول الوحشه التي بينه وبين الله وتقرب منه الملائكه وتبعد عنه الشياطين فيجد طعم الإيمان ويتذوق حلاوه الطاعه ويجد حلاوه الايمان وتتنزل عليه الملائكه ف الله يقول (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري) ويقول تعالي (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا) وبذلك يحصل خمول للنفس الاماره بالسوء ويطرا علي الإنسان انقلاب تصل فيه نفسه في الغذاء الروحاني الي أعلي مراتب السعاده النفس المطمئنة حيث تنشأ بداخل الإنسان جنه ناتجه عن إيمانه وأعماله الصالحه ومحاسبه النفس تبدأ بالتلذذ بامتثاله أمر الله فتصبح تلك هي الجنه التي يعيش بها فالمومن يدخل الجنه وهو في الدنيا فيكون في أمن من الخوف ولايحزن لثقتة بوعد الله

ثانيا

تبين النصوص أن القاعده الثانيه للسعاده وفق التصور الإسلامي هي اقامه منهج في الحياه فإنه فيه تحقيق سعاده الإنسان في الدنيا والآخرة فقال تعالي (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)

الأمر الأول

بأنهم لو عملوا بها دون تحريف ولاتبديل ولاتغيير لقادهم ذلك إلي اتباع الحق والعمل بمقتضي ما فيه من الإيمان ب الرسول صلى الله عليه وسلم لأن كتبهم ناطقه بذلك وتامر باتباعه

فالنصوص تبين أن منهج الله هي الذي يحقق احتياجات الإنسان الجسديه والروحانية لأن الإنسان مخلوق من الأ رض شي مادي وهنالك الروح فالجسد يحتاج الي الغذاء من الأرض والروح يحتاج الي غذاء روحاني بالاتصال بمصدره فهو نفخه من الله ولهذا فإن القرآن الكريم فيه الغذاء الروحاني فمهمه الدين مزدوجه تحقق للناس

الضرورات لكي يجدوا الفرصه للتفكير في الكماليات فالدين يريد الارتقاء بمستوى الإنسان فلا يعيش في الحياه في صراع من اجل اللقمه للإسلام يجعل مطالب الحياه الكريمه فرض يجب توفيره لكل إنسان وجعل الكفاح من أجلها عباده لله فجعل العقيده حارسه لهذا الكفاح لان الله جعله خليفه في الأرض وقد ربط الحق التمكين والا ستخلاف الشرعي مرتببا بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المجتمع المسلم فقال تعالى (يعبدونني ولايشركون بي) وقال تعالى (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاه واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)

فالسعاده كلها باقامه منهج الله

الأمر الثاني

يخبرنا الله أن الإيمان بالله وخوف الله واقامه منهج الله في الحياه لايعني أنه يسرق الإنسان من الدنيا وان الإنسان لم يخلق في هذه الحياه ليكون كل عمله فيها أن ينسرق منها حثيثا لكي يتجنب غضب الله فالدنيا هي دنيا نحن ويتوقف علينا أن نجعلها فردوسا أو جحيما وكلا الأمرين يتوقف علي حسن فهم المنهج الرباني وإقامته في الحياه فإذا حسن فهمك لمراد الله وأحكامه في هذا المنهج فإنك حينها سوف تعيش حياه الرفاهيه و الرخاء والازدهار والسعاده لان الانسان خلقه الله خليفه في الأرض والاسلام لايجعل الصوره المثاليه بالعكوف علي شعائر العباده والانقطاع عن الدنيا فلا يصرف الإنسان عن الدنيا ولايحجزه عن العلم وانما يأمر بالعلم وجعله فريضه مثلما جعل العمل فريضه وحث علي الإنتاج وأمر بالعمل الإيجابي الذي يودي الي الاعمار والتحسين فالإيمان والمنهج يوجب الإصلاح في الأرض وازاله الفساد فغايه الدين هي نفع العباد فالله غني عن العالمين وهذا النفع محقق في الدنيا التي فيها تطبيق الرسالات التي انزلها علي الرسل قبل أن تحقق النفع في الآخرة التي يتلقي فيها العبد الجزء من الله فالإسلام لايحارب الفطره وهو يوافق المنطق فهو يكفل سلامه الاداه الانسانيه في الحياه ويشترط علي الخليفه أن يكون منتجا ولهذا جاءت قواعده بأحكام تضمن استقرار الأوضاع واقامه الحياه علي ميزان العدل فطريق صلاح الآخرة مرتبب بصلاح الدنيا ولهذا فإن الإسلام يرفض التدين المغشوش الذي جعل البعض ينظر أن الخلافه هي التفرغ للعباده وترك الآخريين إمكانيه النظر والتفكير وبلوغ العلوم والتكنولوجيا و الصناعات وإتقان تدابير الحياه ليكونوا في خدمه عباد الله الصالحين يعالجون قضاياهم ويقومون نيابه عنهم في عماره الأرض ليتفرغوا هم في عباده فإن هذا تدين مغشوش لايرضي به الإسلام فالواجب علينا أن نقوم بعباده الله وان نشارك في عماره الأرض فهذا هو الخليفه الذي يريده الله وانزل الكتب السماويه إليه لعماره الأرض وفق منهج الله ووعدهم الله أنهم لو فعلوا ذلك (لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) مما ينزل من السماء من خيرات ومن تحت أرجلهم أي من باطن الأرض وما فيها من خيرات اذا قمنا بالآخذ بالاسباب فهذا هو التكامل الذي أمر الله به ولهذا ذكر (منهم امه مقتصده) جماعه عملت بالتوراه والإنجيل وامنت بالرسول صلى الله عليه وسلم (وكثير منهم ساء ما يعملون) أن المسي منهم هم الكثيرون فجاء الذم لافعالهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السادس من سورة المائدة

(يا ايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس علي القوم الكافرين أن الذين آمنوا والذين هادوا و الصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنه فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل أعيدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر اني يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون)

اولا

ابتدأت الآيات بالخطاب الإلهي لرسوله جاء النداء فيه بعنوان الرسالة (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس أن الله لا يهدي القوم الكافرين)

وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تضمنت الآتي

١

الأمر الحاسم بتبليغ جميع احكام الله التي انزلها دون نقص ولا تفريط باي شي منها

٢

التحذير من المداهنه في أمور الدين وعدم كتمان اي شي منها

٣

الثقه بوعد الله و ضمانه في حمايه الرسول صلى الله عليه وسلم من الأعداء فلا يخاف من أحد عند قيامه بتبليغ أمر الله

٤

أنه تعالي لا يوفق الكفار الي الهدايه

فالآيات تتناول واجبات يجب القيام بها و بنفس الوقت تطمئن برعايه الله و حمايته للرسول صلى الله عليه وسلم

عند قيامه بتبليغ أمر الله وحدود المهمة البلاغ وهنا لابد أن نقف علي الآتي

ان الايه نزلت في سوره المائده وهي من اخر السور وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبليغ الوحي اولا بأول فلو نزلت في بدايه البعثة لقلنا أن هذا يهدف لتثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر في قوله (فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين...وقوله (انا كفييناك المستهزين) لكن الايه نزلت متاخره وهذا يدل انها نزلت بشأن خاص اقتضي اعاده تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم علي تبليغ رسالته أو أنها اريد بها بيان واجب الرساله ليعلم الناس بما يجب عليهم لأن المسلمين هم الذين يجب عليهم إبلاغ دين الله بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم وبالوقوف علي الأحوال التي نزلت بها الايه نجد أنها وردت بعد أن تناولت الآيات قبلها ماكان من أهل الكتاب من التمرد والعصيان وعدد معاييهم وكيف أنهم استحقوا اللعن والطرده من رحمه الله والتي ورد ذكرها بمناسبه قوله تعالى (ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بفواهم ولم تومن قلوبهم ومن الذين هادوا... الخ وذكر فسق وانحراف أهل الكتاب وانهم يسعون في الأرض فسادا جاءت النصوص بهذا النداء للنبي صلى الله عليه وسلم فيه الأمر الحاسم بتبليغ جميع ما اوحى إليه

المفهوم الأول

أن الأصل بالدعوه أن تكون جهارا في اعلان وإظهارها للناس بلا تخف من أحد ولا اسرار وكنمان لان ما يدعو إليه الداعي الي الله لأعظم أمر وانفع أمر واصلح أمر ودين الاسلام كله خير ونفع وصلاح وعدل فلم يتخفي دعيه وعلام يكتنم والشريعلن والباطل يجهر به وأهل الباطل يرتكبون الرذيله بلا خجل والظلم يمارس جهارا فأهل الدعوه عليهم أن ينطلقوا بالدعوه جهارا بها وإظهار لخيرها ونفعها للعالمين مبشرين ومنذرين ولهذا بعد تناول أحوال الكتاب نجد أن الحق يرسم لنبيه الوجبات التي يجب عليه في هذا الحال فقال تعالى (بلغ ما أنزل إليك من ربك) انت مكلف بالبلاغ جميع ما قص عليك من اخبار معايب أهل الكتاب فأنزل القران ليس للتلاوه و التعب فقط بل لابد أن نأخذ الدروس من القصص وان نوجه هولاء بالحقيقه دون اخفاء شي منها وان اللازم إيصال البلاغ الي الناس فقال تعالى (من ربك) اي المحسن عليك بما أنزل ففي ذلك الترييه الناس والرعايه وفيه تشريف للرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء التهديد (فإن لم تفعل فما بلغت رسالته) انك أن قصرت بتبليغ شي فإنك لم تمتثل أمر الله ولم تقوم بالواجب ويطمئنه الله أنه سوف يحفظه ولن يصل إليه أحد من الأعداء ف الله متكفل بحمايته (والله يعصمك من الناس)ولما كانت الايات السابقه قد تحدثت عن إشعال الحروب والفتن ومعاداه الاسلام من أهل الكتاب وأخبر أن كيدهم معروف وانهم مخذولون ف الله يطفا النيران التي يشعلها هولاء ولهذا قال (أن الله لا يهدي القوم الكافرين) اي يخذلهم فلا يستطيعون الوصول اليك براي من ذهب أن معني الهدايه ليس هدايه الإيمان وانما أنه لا يوافقهم للاذيه ف الله يخذلهم ولن يجعل للكافرين علي المومنين سبيلا

المفهوم الثاني

عليك أن تعلم أن الواجب نشر العلم من العالم فالذي يخفي شيئا فإنه يرتكب أمر فظيعا فإذا كان الله يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا النداء الذي فيه كل هذا التهديد وهو المعصوم ولايتصور من الأنبياء أن يحصل منهم اخفاء أي أمر من أمور الدين عن الناس لانه لو وجد هذا الاحتمال لانعدمت ثقه الناس بالرسول ولبطلت كمال الرس الات بنظر الناس ولهذا فالحكمه بتوجيه النداء للرسول صلى الله عليه وسلم وبعنوان الرساله (يا بها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)اعلام المومنون أن مساله العقيده وما يتعلق بأمر الشريعه من أحكام لايجوز كتمان أي شي منها ولا تأخير شي منها ولو علي سبيل الإجتهد الي أن يقوي استعداد الناس لقبول ما فيه من أوامر كان تقول إن الوقت غير مناسب لأن رده الفعل سوق يكون فيها إيذاء الاسلام فيقول الحق أن الأمر حاسم ولهذا فعلي الناس أن يعرفوا هذه الحقيقه فلا يعذروا إذا اختلفوا في بعض المسائل وان كان الاختلاف في الرأي طالما وجد الدليل فيجب اظهار الحق ولهذا ذكر الأمر بالبلاغ والتبليغ المأمور به ما أنزل الله في القران من تقرير اليهود والنصارى وأنهم لم يودوا الامانه ونقضوا العهود ولهذا فالواجب اظهار كل هذا الي الناس ولا تخشوا من رده فعلهم فالداعي

يجب عليه أن يكون شجاعا في الله لا يخاف لومه لائم

المفهوم الثالث

إن الآية فيها إبطال مزاعم الروافض الذين ذهبوا للطعن في القرآن أن ما بيدنا ليس كاملا وأن هنالك أجزاء خص الرسول صلى الله عليه وسلم بها عليا بن أبي طالب وأنه ورثه لأولاده وكذلك فيه إبطال لمزاعم من قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخفي باطن ما في الآيات عن الناس وعلمها أناس محددين ومن قال إن القرآن فيه شفرة لا يقدر علي فك رموزها إلا آل البيت وغيرها من الأقاويل فإن هذه الأقاويل مدحوضه بهذه الآية في الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل شيء أوحى إليه ولم يخفي حتى حرف واحد فالله قد هدده أنه إذا أخفي حرف منه فإنه لم يبلغ الرسالة كلها فلا تجزئه في البلاغ فعدم تبليغ القليل يعني بطلان البلاغ بالكلية في الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتمل شيء فالله يقول (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) فهو لم يخفي ما هو متعلق به شخصيا فالرسول قد بلغ الأمانة وقد شهدت له أمته بذلك وقد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع أيها الناس أنكم مسئولون عني فما أنتم فاعلون قالوا نشهد أنك قد بلغت واديت فجعل يرفع إصبعه في السماء وينكسها إليهم ويقول اللهم هل بلغت... وفي رويته أنه قال لهم يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال أي شهر هذا قالوا شهر حرام قال أي بلد هذا قالوا البلد الحرام فقال فإن أموالكم ودماءكم واعراضكم عليكم حرام كحرمه يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وكررها مررا ثم رفع يده الي السماء فقال اللهم هل بلغت مررا ثم قال (فليبلغ الشاهد الغائب لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم عنق بعض)

ولهذا فلا صحه لمن قال إن الرسول صلى الله عليه وسلم خص كل قوم بخطاب يختلف عن القوم الآخر؟

فالجواب إذا كان يقصد بهذا أن هذا متعلق بالأعمال المشروعه التي يختلف فيها الناس بحسب اختلاف أحوالهم فمعلوم أن خطاب الصحوه غير خطاب الغفله والأحكام بالنسبه للحائضه تختلف عن الطاهره وما يجب علي الغني لا يمتد الي الفقير بشأن المال مثلا ولاتומר الرعيه بما تומר به الولاه فأمر العباد يتنوع بحسب اختلاف أحوالهم وكذلك الخطاب يتنوع الواقع والمرحله

أما الشريعه نفسها فلا يكون فيها تناقض فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يخص أحد من أصحابه بخطاب علم الدين قصد كتمانهم عن غيره لكن كان يسأله قوم عن أمور لاتدخل ضمن علمه ومهمته الاجابه عليها مثل الأعرابي الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تحديد زمن قيام الساعه فسأل متي موعد قيام القيامة فقال له الرسول ماذا اعددت لها فقال الأعرابي ما اعددت لها من عمل ولكن احب الله ورسوله فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم يحشر المرء مع من احب

فالجواب بالمقصود من علمه بالساعه فهذه هي مهمته والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يخاطب أصحابه بما لا يفهمونه بل كان هنالك تفاوت بينهم في فهم كلام الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختر ذلك العبد ما عند الله فيكي ابوبكر وقال نفديك بأنفسنا وأموالنا يارسول الله فجعل الناس يعجبون من ذكر الرسول عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة... فما الذي يبكي ابوبكر الصديق فقال الروي فكان ابوبكر أعلمنا لانه فهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يموت

أما بالنسبة لحديث أن حذيفه أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بالمنافقين وقالوا إن هذا كتمان عن بقيه الصحابه وما ذكروا أن عمر كان لا يصلي علي ميت لم يصلي عليه حذيفه

فالواقع وردت الروايات أنها كانت في احدي الغزوات حيث أراد بعض المنافقين اذيه الرسول صلى الله عليه وسلم فقام يرخوا حزام ناقه الرسول كي يسقط من ظهر بعيره ويموت فاوحى الله إليه يخبره بما فعل المنافقون

وكان حذيفه قريبا من الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك... فإن هذا الأمر ليس من حقائق الدين ولا من الباطن الذي يخالف الظاهر كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.. حيث أن الله قد أخبر المسلمين عن أوصاف المنافقين ونزلت بذلك سورة براءة التي سميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وسميت المبعثرة فإذا قرأ المؤمنون القرآن أدركوا أن فلان تنطبق عليه الاوصاف فإن هذه المعرفة تجعله معروفا فالقران شاهدا عليه وكذلك فإن حديث أبي هريرة بقوله (حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرين مامن أحدهما... واما الآخر فلو قلته لقطعتم هذا البلعوم)

فهذا الأمر ليس من حقائق الدين فهو من أمور الحرب والفتن وما سيكون من الأمم وبالتالي فإن هذا لا علاقة له بحقائق الدين وايضا فإن ابي هريره اسلم متأخرا ولم يشهد بيعه الرضوان ولا بدر فلم يكن مقربا من الرسول بقدر اغلب الصحابه فمن المؤكد أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك أمام العديد من الصحابة لكن لم يحفظوا ذلك وأن ابي هريره رزقه الله قوه الحفظ ولهذا قال حفظت من رسول الله... اشاره الي انه ذكره أمام الصحابه لكنهم لم يحفظوه واصابهم النسيان

ولهذا فإن مساله الكتاب الذي هم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتابته وهو في مرض الموت ثم أعرض عنه فإنه ليس من حقائق الدين والا لما ترجع الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابته ولهذا قالت عائشه لمسروق من حدثك بهذا فقد كذب علي رسول الله. الذي بلغ كل ما أنزل الله ف الله يقول (ياايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته)

المفهوم الرابع

أن الحق سبحانه وتعالى يعلم عباده المومنين كيف يكون اظهار حقائق الدين فبينت الايه أن البلاغ والبيان يحتاج الي قوه في إلقاء الحجه وهذا يعني تتزود بقدر من المعرفة بأحوال الناس وافاتهم وامراضهم عن تشخيص سليم ليكون البلاغ فيه العلاج المناسب ولهذا فإن الله امر نبيه أن يبلغ أهل الكتاب بفساد يعرفونه وواقع يعيشونه بعد أن كشف معاليهم فجاء الأمر بأن عليه أن يقذف بالحق علي الباطل الذي افسد عقيدة اهل الكتاب وان حقائق الدين لاتخضع للتسييس فلا ينبغي أن تدخل فيه الحسابات والاعتبارات التي تبعت علي المداينه في طلب الاستجابة كان تتعامل بنوع من المجامله خوفا من إظهار كلمه الحق فيكون سببا بنشوب العدواه وترصد الأعداء ف لا تهتم ولا تبالي بمشاعر أحد عند الدعوه للحق أو عندما تقول كلمه الحق فلا تحسب للاهواء حساب فكلمه الحق تستمد القوه من التوكل علي الله دون تهاون فإنها تجد أثرها في النفس السليمه القابله للهدايه لان الانتفاع بالهداية والاتعاظ والرحمه إنما تكون ممن يكون قابلا للكلام لايؤثر بمن لم يكن قابلا له وان كان من شأن هذا الكلام أن يهدي ويعظ ويرحم ولهذا فإن المومنون والمتقون هم المهتمون كما أخبرنا الله في الايات السابقه (ولو أن أهل الكتاب آمنوا و اتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم) ولهذا يستدل بعدم الاهتداء به علي عدم الإيمان والتقوي فاخبرنا الله أنه لا يهدي القوم الكافرين لانهم لاقابليه ولا استعداد لديهم للاهتداء فبين أن مهمه كل داعيه هو البلاغ ليهلك من هلك عن بينه وليحيا من حي عن بينه وهو ما يعطينا معني قوله (والله يعصمك من الناس) بأن الناس هم الكفار الذين يتطلب تبليغ الوحي كشف كفرهم وضلالهم وفساد عقائدهم وأعمالهم والنهي عليهم واقعههم ومفاسدهم وان كان ذلك سوف يودي الي المواجهه وتوقع رده فعل تودي الي الحروب فعليك أن تقف بقوه وشجاعه متوكلا علي الله توكل الوثاق بأنه سوف ينصرك ويحفظك ومويدك علي أعداء دينه ثقه بوعدده ومطمئن الي ظمانه تعالي أنه مظفرك علي اعداءك فالفطره السليمه تقبل الحق وترفض الباطل بطبيعته مافطرها الله عليه ولايزال الحق يعتبر ظاهرا علي الباطل ما تعلقت القلوب به وتثبت عليه

ثانيا

أن الصدع بالحق وإظهار حقائق الدين لايتعارض مع الأوامر الربانيه (وجادلهم بالتي هي أحسن) وقوله (فقل لهم قولا ميسورا) وقوله (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه... الخ

لان هذه الأمور متعلقه بالوسائل والأساليب التي يكون بها عرض الحقائق والتبليغ وهي غير ماده التبليغ التي هي الحقائق الدينيه التي ينبغي أن يكون الوصول إليها

لأنها ثابتة غير قابلة للتعديل أما الوسائل والأساليب فهي قابلة للتعديل والتحديث والتجديد وفقا لتقلب أحوال الناس وهذه الوسائل والأساليب أن كانت قابلة للتعديل والتحديث والتجديد فلا بد أن تنطلق من اصول المطلب الرباني بأن يكون لها تأصيل شرعي أما الحقائق فهي ثابتة ولا يجوز المداهنة لأن العقيدة غير قابلة للمداهنة قال تعالي في موضع آخر (ودوا لو تدهن فيدهنون) والمداهنة ماخوذة من الدهان وهو الذي يظهر علي الشي ويستتر باطنه ومن ذلك معاشره الفاسق وإظهار الرضاء بما هو فيه من غير إنكار عليه وهي محرمة منهي عنها وهي تختلف عن المداهنة لان المداهنة خفض الجناح بالجاهل بالتعليم وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الاغلاظ عليه حيث لا يظهر ماهو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج الي تالفه فالمداهنة بذل الدنيا لصالح الدنيا أو الدين أو صلاحهما معا بينما المداهنة بذل الدين لصالح الدنيا يقول ابن القيم أن الفرق بين المداهنة والمداهنة أن المداهنة التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل والمداهنة التلطف به لتقره علي باطله وتتركه علي هواه ولهذا تأتي النصوص بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوجه أهل الكتاب بهذه الحقيقة فلا يقرهم علي ما هم فيه من الاباطيل فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثير منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس علي القوم الكافرين أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فالنصوص تعالج عده قضايا من خلال الوقوف على مدلولاتها نجد أنها تعالج عده قضايا نذكر منها الآتي

الأمر الأول

ترسم الآيات العلاقات مع أهل الكتاب من اليهود والنصاري وتحدد طبيعه المعامله معهم فجسور الصداقه لا ينبغي أن تكون علي حساب العقيدة فينبغي الحذر من أن يودي التعامل معهم الي تقارب وجهات النظر مع الأعداء و التباعد بين المومنين فلا قواسم مشتركه بين المومنين وبين اليهود والنصاري ولهذا يحذر القران من مولاة اليهود والنصاري والقبول بصداقتهم علي حساب العقيدة فإن هذا يمثل خطرا لأن من أسبابه ما وصلت إليه الامه في الوقت الحاضر من امتلاك الكفار قرار الامه فكان من نتائج ذلك تقارب وجهات النظر والمصالح الدينيه بين اليهود والنصاري (مالك القرار) وبين (المسلمين) الذين صاروا رعايا للأعداء ونتج عن ذلك تباعد وجهات النظر بين الحكام والشعوب فالقران قد حذر المسلمين من مرحله تسلط القرار الكافر علي بعض مقدرات المسلمين الفكرية و السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية اذا حدث منهم التهاون في مساله العقيدة ومواجهه الأعداء بها ف المهادنة تمنح الأعداء جراه علي اختراق صفوف الامه والسيطره علي مركز القرار فيها ومن ثم تسخير مقدرات الامه لخدمه الأعداء فتامر بأمره وتنفذ سياسته باسم القواسم المشتركة فنحن نشاهد اليوم مايسمي حوار الأديان و العهد الابراهيمي في امه الاسلام صارت دينا وعقيدة يعتقد بها اغلب حكام المسلمين عندما ابتعدوا عن دينهم وتعاليم القران الكريم فلو كان منهم تدبر هذه الايه (قل يا اهل الكتاب لستم علي شي حتي تقيموا التوراه والإ نجيل وما انزل اليكم من ربكم)

لما حصل منهم مانراه اليوم من مولاة اليهود والنصاري متجاهلين أن الله تعالي يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم خلق الله ان يتخذ موقفا واضحا من أهل الكتاب بان يعلن المفاصله معهم فيقول الله (قل) فأراد بالقول اعلان البراءه والمفاصله والتجافي مع أهل الكتاب فلا قواسم مشتركه بينهم وبين المومنين (يا اهل الكتاب لستم علي شي)

وكلمه (شي) تعني اقل حاجه يطلق علي الشي يعني ادني

وأقل مرتبه في الوجود وهنا نجد أنه ينفي أن يكونوا علي شيء من العقيدة والدين فهم بلا منهج فهم لم يؤمنوا بموسي ولا عيسي ولم يؤمنوا بالتوراه والإنجيل فلا يوجد شيء يعتد به لديهم فجاء النفي (استم علي شيء) اي ما لديكم فاسد وباطل فأراد تحقير شأنهم بما يدعون من الانتماء الي الأديان السماوية فالمسلم لايقبل مخالطه عقيدته التوحيد بغيرها لأن العقائد الأخرى قد حصل لها تعديل وتغيير فعقيدته الاسلام ثابتة وهي واضحه

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الإسلام هو الدين المعتمد عند الله ولهذا فان الايمان بالتورواه والإنجيل لا يكون حقيقي الا إذا اقاموا المنهج الرباني في حياتهم ونشاطهم علي أحكامه وقيم ومبادئ التوحيد كامله دون اجتزاء وهذا لا يكون إلا إذا حصل منهم امتثال أمر الله بالنظر الي المنهج وما فيه من أوامر نظره تعظيم فلا يعرضوا مافيها للخطر بحيث تكون العقيدة ثابتة وراسخه فإن هذا لو حصل منهم لامنوا بالقران الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم لأن التوراه والإنجيل قد جاء فيهما ما يدعوهم الي الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ف الله يقول (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والإنجيل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر... الخ

ولهذا فإن أمر الله لنبيه بان يعلن لهؤلاء أنهم ليسوا علي شيء يندرج ضمن السمات والعلامات التي يجدونها عندهم في التوراه والإنجيل أنه لا يخاف في الله لومه لائم في قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا قال تعالي (حتي يقيموا التوراه والإنجيل وما انزل اليكم من ربكم)

فأقامه التوراه والإنجيل عند مجيء القران بالاعتراف بما فيه والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وأن القران ناسخا للتوراه والإنجيل ولذلك أوجبت تعاليمهما عليهم التحول في قراءه مراد الله الي القران والانطواء تحت رايه الاسلام فهذا هو الشرط ليكون هولاء اهل دين فلا يقبل اي دين الا الاسلام ولهذا يخبر الله نبيه أن لا يخشي المواجهه مع هولاء فهي سوف تودي الي تأزم الموقف واشتداد الصراع فالمطلوب منك أن تقف ثابتا وتواجه هولاء بحقيقة ما هم عليه بأن رفضهم الايمان بالإسلام يعني أنهم لم يبقي لهم من صفه الدين والتدين شيء فهم أهل كفر والحاد لانهم لو أقاموا التوراه والإنجيل لا لتحاقوا بالإسلام حسبما أمرهم الله فيهما

الأمر الثالث

تبين النصوص أن من أخطر ما يوجهه المجتمعات المتدينه هو خطر الانفتاح والمرونه في المبادئ واستبدالها بمبادئ النفعيه والماديه فإن هذا يودي الي اختلال منظومه القيم والخروج من دائره الايمان ولهذا يخبرنا الله أن اليهود والنصاري قد اوغلو في الابتعاد عن الدين لانهم عطلوا التوراه والإنجيل وانكروا نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ونعمه القران والكلام في الايه عائدا علي قوله تعالي (ولو أنهم أقاموا التوراه والإنجيل لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير منهم ساء ما يعملون) وقد ذكر لنا القران خبر من اليهود و النصاري في فشلهم الذريع في حمل الامانه التي كلفوا بها وانهم ادانوا أنفسهم في هذا الفشل فقال تعالي حاكيا عنهم (وقالت اليهود ليست النصاري علي شيء وقالت النصاري ليست اليهود علي شيء وهم يتلون الكتاب)

ولهذا فإن رفضهم اتباع الاسلام والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم يدل علي اخفاقهم في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح وانهم يعملون علي تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الابليسي لان اقامه التوراه والإنجيل تعني القبول بتوقف العمل الشرعي فيها وهذا يقتضي التحول الي القران لقراءه مراد الله لتتنوي حركتهم ضمن التحديد الرباني في هذه المرحله من حياه البشريه التي أوجب أن تكون قراءه المطلب الرباني بلغه القران ولهذا جاء النفي أن يكون هولاء علي شيء من التوراه والإنجيل لأن الكفر بالجزء يعني الكفر بالكل

الأمر الثالث

تبين النصوص أن اقامه منهج الله لا يعني أنه كتاب يقرأ في المعابد أو المساجد بل لابد أن يحكم الحياه فعلي

المسلم أن يعلم أنه لا يكون علي شيء يعتد به من أمر الدين حتي يقيم القرآن في حياته كاملا في جميع جوانب الحياة فلا يخالف أحكام القرآن بحيث تكون حركته ونشاطه في الحياه خاضعا لمنهج الله فالله ذم اليهود و النصراري لانهم لم ينصاعوا لاوامر الله الوراده في التوراه والإنجيل بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا يبين الحق البواعث التي تدفع الي مثل ذلك السلوك المذموم الذي ينبغي الحذر منه فقال تعالي (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا)

فتبين النصوص أن الكثير منهم لن يزيدهم القرآن الذي أكمل الله به الدين إلا غلوا في التكذيب والكفر لترسم الايه البواعث التي تمنع الانتفاع بالهداية والاتعاظ هو

الحسد علي مجئ الرسول الخاتم من امه العرب وان القرآن الكريم جاء ناسخا لدينهم قد ادي الي عمي ابصارهم فلم ينظروا اليه نظره انصاف بل نظروا اليه بعين العصبية والعذوان واما العوام فقد بنوا اعتقادهم علي الاماني و التقليد لما يأتي من الاحبار والرهبان ولهذا سمي القرآن رده فعلهم بزياده الطغيان وهو الغلو والظلم والمكابره مع عدم الاكتراث بقيام الحجه وسعيهم لستر الحقيقه

فدل هذا أنهم بنوا اعتقادهم وإيمانهم بكتبهم علي اساس النفعيه والمصالح الماديه فغياب المبدأ الثابت المستمد من عقيدته راسخه ينتج عنه اختلال منظومه القيم لأنها تنشأ في ظل المصالح الماديه والمنفعه المنظوره للفرد أو المجتمع وهي أمور متغيره تبعا لتغيير المنافع ولهذا فإن القيم تفقد ثباتها وتكون خاضعه للتغيير وفقا للمصلحه وعندها يكون من السهولة علي من كان يتوعد الكفار في المدينة بالقتل والنكال عندما يجي الرسول الخاتم المنقذ للبشريه من الظلمات أن يتخلي عن القيم الثابته التي كان يتوعد بها المشركون لأن الرسول الخاتم لم يكن من امه اليهود ولم يكتفي بذلك بل تخلي عن التوراه والإنجيل وتحول الي الكتب الشيطانية كما أخبرنا الله عن حال اليهود عندما جاء الرسول الخاتم من امه العرب وكذلك فان حال الكنسيه لا يختلف عن اليهود فالمتأمل لحالها يري كيف أن المؤسسه الدينيه الكنيسه المسيحية في الوقت المعاصر تخلت عن المبادئ والقيم بشأن الاسره و المتاجرة في أجساد النساء والرجال نتيجة الضغط عليها من المؤسسات الماليه التي تدعمها فقد تخلت عن قيم ادعت لقرون أنها تمثل منهج الانجيل مدهنه منها حتي لاتصطدام في وجه مصالح رجال الأعمال والمال فقد وجدت نفسها مضطره أن تقوم بتكييف هي وقيمها مع استثمار تهم واطماعهم

ولهذا جاء بيان عدم انتفاع هولاء بالقران وأنه يزيد الكثيرون منهم طغيانا وكفرا في إطار الحث علي إبلاغ الحق وعدم المهادنه وعدم التفريط بالقيم لأن مهمتها حمايه مقاصد الشريعة وضمان تحقيقها فالقيم ثابتة لاتتغير ولا تتبدل وانما التبديل هو الوسائل والأساليب بشرط أن يكون لها تأصيل شرعي فجاء التشديد بالنداء (يايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)

واختتم بقوله (فلا تأس علي القوم الكافرين) متناسبا مع الايه الكريمه التي عطفت عليها (ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراه والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم امه مقتصده وكثير أمنهم ساء ما يعملون) فلما بين الأعمال القبيحه للاغلبيه بعدم الانتفاع بالهداية والاتعاظ أخبر نبيه أن لا يحزن علي طغيان هولاء وكفرهم فقال تعالي (فلا تأس علي القوم الكافرين)

فلا تتأسف ولا تحزن علي زياده طغيانهم وكفرهم فالفاء في قوله (فلا تأس) فصيحته علي أنهم بالغوا في الحسد والعناد فهم لا يستحقون الاسف فكفرهم ليس عائدا لانك قصرت في البلاغ لا فليس الأمر كذلك بل لأن هولاء صار الكفر لهم سجييه ولم يقل فلا تأس علي الكافرين بل قال القوم الكافرين للاشاره أنهم راسخون في الكفر وهو قوميه اجتمعوا عليها لان حجم اي كيان يحدده حجم الفعاليه التي يتوقف عليها حجم التأثير النهائي فذكرت الآيات إن الاغلبيه فعالياتهم سلبيه فقد اختار الاغلبيه تعطيل العمل بالتوراه والإنجيل لأن مصلحتهم الماديه تطلبت ذلك فهذا الكيان يقوم علي المنفعه والمصلحه الماديه ولايقوم علي الإيمان فيقول للنبي لاتحزن لعدم استجابته هولاء لأن النظام الذي يحكم أحوالهم غير قابلا للتقدم ومعرضا عنه فهولاء يفتقدون لموهلات العضويه

لجماعه الايمان لأن موهلات العضويه تتطلب أن يكون للعضوا ارداه متحرره تريد الاشتراك مع جماعه الايمان لصناعه الاراده الجماعيه لجماعه الايمان وهذا لن يحصل إلا إذا كان متحررا من قيود الانطواء والانكماش في الذات من الانانيه والحسد متحررا من الشعارات الضيقه التي تحول الدين الي مجرد اقوال بدون أفعال ولهذا قال تعالي (أن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصاري من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

بذلك يشترك الاعضاء المحررون في تجسيد صوره الايمان وامنيه بناء الحضاره التي تجسد مراد الله والتعبير عنها بالاراده المومنه التي تسعى لخلق الكيان الذي يعمر الأرض وفق منهج الله حيث يكون اندماج الارادات تحت رايه ا لايمان المقرون بالعمل الصالح فابتدا بذكر (أن الذين آمنوا) وهم المسلمون ثم ذكر الذين هادوا عطفاً علي ما قبلها ا اشاره الي من امن امثال عبدالله بن سلام والصابئون والنصاري ثم جاء بصيغه التبعيض (من آمن بالله واليوم ا لآخر وعمل صالحاً)

والتبعيض هنا من جمله المذكورين (أن الذين آمنوا)

وهنا قد يقول قائل كيف يكون التبعيض بالنسبه للمومنين من المسلمين ؟

أن الإيمان هنا اريد به الإسلام وليس الايمان الورد بعد صيغه التبعيض لأن الابيه ورد في مقدمتها الحديث عن أهل النحل والملل من المسلمين واليهود والصابئون والنصاري...

أن انتساب هولاء للأديان لايعني أنهم آمنوا ونالوا السلامه والنجاه والفلاح التي وعد الله بها أوليائه الذين يهتدون بالكتب السماوية كما أخبر ادم حينما سلم مفتاح الأرض فقال تعالي (فأما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتينا اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ولهذا جاءت الابيه تبين أن السعاده لاتكون الا لمن أقام منهج الله في حياته فهذا يجد الامان من الخوف والسلامه والسعاده فلا يحزن ولهذا فإن الدين ليس شعارا يرفع ولا نسب ينتسب إليه وانما يكون بالتصديق والعمل الصالح (شرط الايمان) ولهذا فإن الذين أعلنوا الاسلام ونسبوا للإسلام وكذلك الذين اعتنقوا اليهودية قبل الاسلام و الصابئه والنصاري من هولاء من آمن بالله واليوم الآخر حقيقه وترجم ذلك بالعمل الصالح يكون لهم السلامه و السعاده فدل هذا أن البعض الآخر من رفع الدين شعارا ولم يؤمن قلبه هو البعض المحروم من الوعد لأن إيمانه لم يكن حقيقي فاخراج الحق المنافقون الذين اتخذوا من الإسلام هدفا لحمايه دماءهم وأموالهم ..وأخرج اليهود و النصاري والصابئون الذين رفضوا الانتقال الي الاسلام بعد مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القران فصار حكمهم حكم المنافقون وهذا يتفق مع ماسبق وأخبر الله سبحانه وتعالى رسوله فقال تعالي (ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون...الخ

ولهذا ورد شرط الايمان (العمل الصالح) بأنه لايقبل عمل اي شخص بعد نزول القران إلا أن يكون هذا العمل مواقفا لما جاء به القرآن

القسم الثاني

(ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون)

اولا

لما كانت الايات السابقه قد ذكرت أن العمل المقبول هو الذي يكون وفقا لما جاء به الإسلام فالدين المعتمد عند

الله هو الإسلام بعد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

فهذا هو العمل المقبول وعلي اتباع الديانات السماوية السابقة تجديد مدلول القراءه لمراد الله وما يرضيه وفقا لما جاء به الإسلام وأن يندمجوا في الصف المومن حقيقه لا إيمان المنافقون فقد توقف العمل بالكتب السماوية السابقه وان من يصير علي قراءه مراد الله من داخلها فان قراءتها تتحول إلي قراءه كافره ولهذا وصمتها الآيات القرآنية بالفساد و صفت اتباعها من اليهود والنصاري والصابئون بعد مجئ القران بالكفار والمبدلين والمحرفين و المغضوب عليهم وقرنهم بالمشركين فقال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتي تأتيهم البينه رسول من الله يتلوا صحفا مطهره...الخ

ولهذا يقول الحق هنا (ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وارسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) والميثاق هو العهد الموثق بالإيمان المغلظه ولا يكون التوثيق الا لاهميه الموضوع و القضيه التي يكون أخذ العهد عليها وأنه يتوجب الالتزام بها والاجتماع عليه وبالرجوع الي الميثاق المأخوذ من بني إسرائيل حسبما ذكره القران نجد أنها تتناول مسألتان (الايمان بالرسل...واتباع المنهج) كما يتضح من الوقوف علي ما ذكره القران الكريم عن الميثاق المأخوذ علي بني اسرائيل ففي سوره البقره ذكر الميثاق بقوله تعالى (أن الذين ءامنوا والذين هادوا والنصاري والصابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيناكم بقوه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتهم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) وقال تعالى في نفس السوره(ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ءاتيناكم بقوه واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقاموا الصلاه واتوا الزكاه ثم توليتهم...الخ وقال تعالى (وإذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ..) في سوره ال عمران (وإذ أخذ الله ميثاق النبي لما أتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرونه قال اقررتم واخذتم علي ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين...الخ وقال تعالى (وإذ اخذنا ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم..له

وقال تعالى في هذه السوره (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنا عشر نقيبا...الخ فهي تتحدث عن أخذ العهود والمواثيق المغلظه من بني إسرائيل بشأن (الايمان بالرسل ونصرتهم وطاعتهم ..الايمان بالكتب السماوية والعمل بالمنهج الرباني الذي يحمله إليهم الرسل فعندما يأتي المنهج فعليهم أن يجتمعوا عليه)

والآيات وردت بعد أن تناولت بيان أن الدين المعتمد هو الاسلام وأن العمل لايقبل ولا يكون عملا صالحا الا إذا وفق أحكام وقواعد القران بعد الايمان به ولما كانوا اليهود. قد قابلوا دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم بالالتحاق بالإسلام بالعناد والتمرد جاء الاخبار من الله عن جزء من ماضي اليهود وتاريخهم لبيان الآتي

الامر الاول

يكشف الحق سبحانه وتعالى لنا ماضي اليهود لتسجيل أنهم غير معذورن بخروجهم عن المنهج الرباني ورفضهم ا لايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ولهذا تأتي النصوص مبينه أن الله قد أخذ عليهم العهود والمواثيق الذي أوجب عليهم أتباع الرسل والايمان بهم ونصرتهم فقال تعالى (ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) لكنهم نقضوا العهود ولم يوفوا بما التزموا فنقض العهود وتكذيب الرسل أمر ليس جديد عليهم فقد مردوا علي العصيان والاعراض والنكول علي ميثاق الله اعتادوا على اتخاذ اهوام اصناما تعبد وتركوا منهج الهدايه الذي جاء به الرسل فالعناد والتمرد من طباع اليهود التي تجعلهم يبدون كأنهم مجبولون إليها كان هنالك قوه تشدهم الي هذه

أن الحق سبحانه وتعالى يكشف لنا عن ماضي هؤلاء لتحذيرنا من الوقوع فيما وقعت به بنو إسرائيل فأخبرنا الله أنه أخذ منهم العهود والمواثيق علي أتباع الرسل والايمان بهم ونصرتهم عندما يرسلهم ومنهم الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يحن موعد نبوته فما الذي حدث لقد نقضوا العهود وتمردوا عن المنهج وكنمو ما فيه عن الامارات الداله علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبرنا الله أن تكذيب هؤلاء للمنهج واذيه الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولة قتله من قبلهم ليس أمرا جديدا عليهم فهذه العاده القبيحة طبعت في نفوسهم في فتره حملهم امانه القيادة الدينيه حيث أنهم قابلوا المنهج بالتكذيب ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بمحاربه الرسل الذين كان الله يرسلهم إليهم حتي لا يصل المنهج الي الناس فهذه طبيعتهم الطغاه والظالمون والمنتفعين لأن وصول المنهج الرباني الي الناس يعني اقامه العدل والحق ولهذا فإن الله أرسل الرسل ليقرر اليهود علي مراعاة حقوق الميثاق فكلما حدث انحراف بعث الله إليهم رسولا لاعادتهم الي المسار الصحيح فالله اقتضت رحمته أن لا يترك عباده حيارى يتخبطون في متاهات الباطل فخصهم بالعديد من الرسل لكن كيف تعاملوا مع الرسل والمنهج الرباني الذي هو رحمه من الله ؟

اخبرنا الله أنهم كانوا يتعاملون مع الرسل بما يتناقض مع الميثاق فهم اردوا تحويل دور الرسول عن وظيفته وارادوا تحويل الهدف من المنهج عن حقيقته فقال تعالي (كلما جاءهم رسولا بما لا تهوي أنفسهم فريقا كذبا وفريقا يقتلون) جاء اقلاب الباء عند التنوين (رسولا بما لا تهوي أنفسهم) فهم انتقلوا من المنهج الي اهوائهم لان كل خبر يصل الي الإنسان فإن هذا الخبر يعرض علي النفس فإذا خامرها ميل الي الخير قبل به الإنسان فهذا الميل يعكس هوي النفس فإذا كان هذا هوي النفس سليما مستقيما كان اتجاه النفس الي الخير ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به) وميل النفس يكون إما ناتج بالثقه بمصدر الخبر او التفحص والبحث وفقا للمنهج الرباني الذي يحدد الخير أو الشر ولهذا فإن استقبال النفس للخبر له أثر فهو يتجه الي الخير أو الشر حسب طبيعه الهوي ولهذا ترسم لنا النصوص حيث نفوس هؤلاء أن هؤلاء لم ينظروا الي الرسل أنهم المصدر الوحيد الموثوق في الاتصال بالوحي وايضا أن هوي نفوسهم مجرد عن المنهج الذي يربي النفس ويزكيها لتكون تابعه للحق فذكر الله أنهم انقسموا الي فريقين بمواجهه المنهج الرباني والرسل الذين ارسلهم الله

الفريق الأول كذب بالمنهج ورفض القبول بما جاء به الرسول من عند الله اما الفريق الثاني فقد بلغت به الشده في الخصومه الي الاستعانه بكل ما لهم من قوه لاسكات صوت الحق الذي يريد الرسول إبلاغه للناس فكانوا يخشون من وصول البلاغ للناس يخافون من خطر المنهج

فيسعي هؤلاء الي القضاء علي الرسل بالقتل لمنع الناس من الإيمان به ولهذا استعمل في الاولي (كذبوا) بصيغه الماضي بينما استعمل في الثانيه (يقتلون) بصيغه المضارع فالاولي أنهم يظهرون التكذيب بالرسالة اما الثانيه فهو السعي لقتل شخص الرسول الذي كان يبعث لهم لانهم ينظرون إليه أنه مصدر خطر والقتل ابشع واذا نظرنا الي الفريق الذي يكتفي بالتكذيب نجد أنهم العوام الذين بنوا عقائدهم وأفكارهم علي التقليد فهؤلاء يدعون المنهج نتيجه تغليب اهوائهم الي ارائهم نتيجه التقليد دون دليل وانما حب ما الفوه عن الآباء والأجداد فالله يقول في موضع آخر (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) اما الفريق الثاني فهم القيادة الدينيه والقياده القدرية الرئاسه فهؤلاء ينظرون إلي المنهج أنه يهدد مصدر قوتهم وسلطانهم ولهذا يلجأون الي إسكات صوت الحق ولو بالقتل خوفا علي سلطانهم فهم يريدون تطويع المنهج لرغباتهم ولهذا يشعلون نار الحرب لانهم ينظرون للابنياء وما جاوا به مصدر خطر يهدد مصالحهم وسلطانهم وقوانينهم ولهذا جاء الاخفاء الكاف عند التنوين (فريقا كذبوا) بأن التقليد غطي وستر عنهم رويه الخير فكان حب العادات والتقاليد غطت عليهم الحقيقه وسترته فكان

ذلك سببا للاعراض وجاء في الثانيه إدغام التنوين مع الياء (وفريقا يقتلون) أن التكذيب دخل فيه القتل فهناك علاقه وتداخل بين التكذيب والقتل والهوي أي أنهم بلغوا في الفساد وقبائح الهوي اخسها واشدها ولهذا عبر بـ المضارع عن القتل لكي نستحضر شناعه أفعالهم فلا تتعاطف مع القتل وان مر زمان علي ذلك

ثانيا

تنتقل الآيات الي بيان أن هولاء فعلوا ما سولت لهم أنفسهم الاماره بالسوء وظنوا أنهم يحسنون صنعا فحسبوا أنهم لن يحاسبوا علي أفعالهم تلك فقال تعالي (وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون)

تحذر الايه من تقديم الهوي علي الشرع حيث أن البدع إنما تنشأ عن تقديم الهوي علي الشرع ولهذا سمي أهلها أهل الأهواء وكذلك فإن طاعه الأمراء فيما يخالف شرع الله ورسوله تصنع بها الوثنيه السياسيه وبذلك تعم البلوي لانه يكون صناعه أصنام بشريه تعبد من دون الله فقد ورد عن زياد بن جرير أن عمر قال له هل تعرف ما يهدم الاس لام قال قلت لا قال يهدمه زاله العالم وجدل المنافق بالقران وحكم الائمة المضلين)

وكذلك فإن المعاصي إنما تنشأ عن تقديم الهوي علي محبه الله ومحبه ما يحبه الله فخطر الاهواء أنه يصير الإ نسان عابدا لهواه فلا تتأثر القلوب بالموعظ ولاهديه الرسل بل أنه يشكل فجوه تدخل في نفق مظلم تغطي انوار الحق فتشوق الأهواء للنفوس طريقا معوجا سماها الله طريق الفجور فالميل للاهواء تصيب الإنسان بداء الجهل لغياب المنهج الرباني الذي يزود العبد بنور الرؤيه فتكون كالاعمى الذي لايري اين يسير والي اين ينتهي به المطاف ولهذا قال تعالي تعقيبا علي ماسبق (وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرا منهم والله بصير بما يعملون) وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

ابتدأت الآيات بقوله (وحسبوا الا تكون فتنه) أن هولاء بنوا اعتقادهم علي الظن والتخمين مع وجود اليقين في الحسابان هو أن الظن ترجح عندهم فهم ظنوا واعتقدوا في أنفسهم أنهم مهما ارتكبوا من أخطاء فإنهم لن يعاقبوا علي ذلك فقد أخبرنا الله في سوره البقره (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الي بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون اولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون وما يعلنون ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا امانى وان هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.....الي أن قال (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة.....الخ

فالآيات ترسم لنا كيف أن هولاء ظنوا أنهم إن لم يعترفوا بما ورد في التوراه بشأن نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم لن تقام عليهم الحجه عند الله اما إذا اعترفوا فإنهم سوف يحاسبون عند الله لماذا لم يؤمنوا به وينصرونه فقال (اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) واعتبروا الاعتراف به خروجا عن العقل فهم نظروا الي المنهج أنه تفضيل لهم علي سائر البشر ولم ينظروا إليه انزل لاقامه الحجه علي الناس بعد أن يعرفوا أمر الله ونهيه وأحكامه وهولاء فقدوا نور الايمان والهدايه قال تعالي (قل هو للذين آمنوا هدي وشفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقرا وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد)

فلا ينتفع هولاء بهديته فلم ينظروا الي انعام الله عليهم بإرسال الانبياء منهم أنها نعمه من الله فيها الابتلاء والا متحان فلم يقوموا بواجب النعم كما ورد عن سليمان (فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني الشكر ام أكفر) فاخبرنا الله أن هذه النعم وما حظوا به من العلم كانت سببا في عاقبتهم القبيحه لانهم لم ينظروا للعواقب ولم يحاسبوا أنفسهم فانشغالوا بنعمه الانتساب الي الانبياء أنها تمنع عنهم العقوبه مهما كانت الجرائم وان

وصلت إلي القتل فظنوا أنه لا يوجد بلاء وعذاب ظنا منهم أن انتسابهم الي الانبياء تدفع عنهم العقاب فاصابهم العمي عن رؤيه الحقيقه واصابهم الصمم

الأمر الثاني

تبين النصوص أن القراءه الشرعيه للحياه لها منهجين منهج الانبياء والرسل ومن تبعهم الي يوم الدين فهؤلاء يقرون الأمور وفقا لما في منهج وهناك القراءه الوضعيه القائمه علي مبدأ (انا خير منه) فهذه القراءه تستند الي مبدأ الاغواء والحسد والعصبيه والتقليد ورفض الأمور الغيبه وتسييس القضايا وهو ما يجعل اتباعها يعيشون في غفله تستر وتحجب عنهم رؤيه الحقيقه ويرفضون الاستماع إلي الموعدظ استماع قبول خاصه في فتره التحولات حيث هذه المرحله تضع كل انسان أمام مسؤولياته اختبارا وابتلاء لتمحيص الصفوف وإظهار تطابق النظريات مع الواقع العملي ولذلك فإن الموقف العمليه في ميادين التجارب تظهر حقيقه الايمان من عدمه حيث أن الله تعالى بعد أن جعل بني إسرائيل يشاهدون الآيات والمعجزات التي ايدهم الله بها علي يد موسي في مصر وبعد خروجهم منها فقد شاهدوا غرق الفراعنه وانجاهم الله فما أن وصلوا الي البر إذ هم يجدون قوما وثنينون يعبدون الأصنام فإذا هم يقولون لموسى (اجعل لنا الهه كما لهم الهه) فقد كانت الحياه التي عاشوها في مصر من الذل والهون لها أثر قوي في نفوسهم يصعب التخلص منها ولهذا فإنهم عندما ذهب موسي لمناجاه ربه عبدوا العجل وقال تعالى في سوره البقره (ولقد جاءكم موسي بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)

و قال تعالى أيضا (وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم .. الخ

ف الله منحهم فرصة للتوبه فكانت الفرصه سانحه لهم كي يهتدوا الي قانون التعامل مع الازمات أن يرجعوا أنفسهم ويعودوا الي الله ولا يتكبروا بتحويل الموقف السلبي الي ايجابي لكن ما الذي حدث أن هؤلاء لم ينظروا الي تلك التجارب نظره واعيه لمعرفة عواقب المخالفه لمنهج فقد تكرر منهم المخالفه فاجبرنا الله أن حبهم للعجل خالط قلوبهم كما يخالط الشراب فقال تعالى (وإذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين الي أن قال (ولتجدنهم احرص الناس علي حياه ومن الذين اشركوا يودوا أحدهم لو يعمر الف سنه وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)

فحب الحياه ادي الي إصابتهم بعمي البصيره ولا ينتفعون من الموعدظ فهذا سر الانحراف والجنوح بالوعي في قراءه التكاليف والانعام

الأمر الثالث

تبين النصوص أن سنه الله أنه يعاقب الأمم بذنوبها لو أكثرت من ذلك وشاعت فيهم الجريمه دون وجود من يصلح الناس إذ العبره بالغالب لا بالقليل الغير موثر في الحياه وإصلاح ما فيها ولهذا قال تعالى (وعموا وصموا كثيرا منهم) أي إن الاغلبيه منهم عملوا عمل من لا يبصر ولا يسمع ولهذا جاء التهديد بصيغه (والله بصير بما يعملون)

أنه تعالى مطلع علي أعمالهم فيجازيهم بما عملوا اي سوف يقلب حالهم من النعم الي النقم فالحق يبين أن الازمه تعصف بالجميع فهي تشكل تهديدا للموسسه كلها في الدنيا بان سلبها القياده وعرض امه اليهود للذل والهون ولهذا جاء الاقلاب التنوين مع الباء (بصير بما يعملون) وهو تعالى عليم بمن يستحق الهدايه ومن ليس أهلا لها فالايه فيها التطمئن لنبيه والصحابه من كيد اليهود من محاوله تأليب القبائل والشعوب ضد الإسلام فلن يضرُوا الإسلام شيئا لأن الله مطلع علي أعمالهم فالايات ترسم صورهِ قبيحه عن ماضي اليهود لتنفّر قلوب المومنين من مولاه اليهود وتبين نهايه من يترك المنهج متجها الي تغليب اهاوهم الي الرأي للتحذير من ذلك فمن استبان له الدليل

أخذ به وعليه ترك الاجتهاد فلا اجتهاد مع النص فقد ذكر عن ابن عباس أن بعض الناس عارضوه فيما يقول لهم واعظا وقالوا قال أبو بكر وعمر فقال والذي نفسي بيده يوشك أن ينزل عليكم حجاره من السماء اقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر والله يقول (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) فمن بلغه الدليل وجب عليه أن يأخذ به ويترك تقليد الاثمه ومن يرفض ترك التقليد وجب الإنكار عليه ؛ التغليظ لمخالفته الدليل فالتقليد إنما يكون في غياب الدليل ف الله يقول (أن يتبعون الا الظن وماتهوي الأنفس) اي ليس لهم مستند الاحسن الظن بابائهم الذين تلقوا منهم هذه الاباطيل والاحظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آباءهم لزم التقليد

القسم الثالث

بعد أن عدد الحق عيوب اليهود وماضيهم القبيح شرع النصوص تكشف فساد معتقدات النصاري وابطايل أقوالهم واراتهم فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم أفلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و امه صديقه كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)

اولا

لما ذكر الله قبائح اليهود والتي تعود إلي عقيدة التعطيل للصفات فهم لا ينكرون البعث والنشور لكن ينظرون أنهم لا يحاسبون ولهذا اختتمت الايه (والله بصير بما يعملون)

فهم لا ينكرون قدره الله علي اعاده للحياه ولهذا اكتفي بالاشاره الي احاطته بكل شي علما ذلك أن الجزء يقوم علي أمرين قدره والعلم ولما كان فساد النصاري يعود إلي الغلو في اطرا عيسي عليه السلام واعتقادهم أن عيسي عرض نفسه للصلب للتكفير عن الخطيئه التي ارتكبها البشر وبالتالي فلا حساب ولا عقاب اذا انت امنت بهذه العقيدة التي تقر بالواهييه عيسي والعياذ بالله ونتج عن ذلك أنهم انحرفوا عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسي عليه السلام حيث انقسموا بعده الي ثلاثة اقسام فريق قال باتحاد الذات الالهيه بعيسي عليه السلام فقال تعالي منكر ا عليهم ذلك (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) وفريق قال بعقيدة التثليث أن الإله هو الرب والابن والروح القدس فأنكر الله عليهم ذلك وقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وفريق قالوا بأن الله هو عيسي وأمه ولهذا قال تعالي (باعيسي ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين ... الخ

ولهذا ناسب بعد أن ختم الايه قبلها (والله بصير بما يعملون) ان يذكر قبح عقيدة النصاري الفاسده حيث بالوقوف علي مدلولات الايه الاولي (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من أنصار)

الأمر الأول

ابتداء ت النصوص بإعلان واحديه الله وان ذات الله غير ذات المخلوقات وهذا الأمر من ضمن البلاغ والبيان الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوم بتبليغه ولهذا نجد أن الايه الكريمه ابتدأت بقوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)اي اقسام أن من قال بهذه العقيدة المنحرفه (عقيدة الاتحاد) هو كافر بقوله هذه المقوله و كلمه (لقد) التي ابتدأ بها الاخبار قادره علي تحقيق المراد بهذا الاخبار من استقطاب الاهتمام لصرامه

الموقف وخطورته فالتركيب الصوتي الذي احتوت عليه حروف الكلمه التي احتوت علي قوه الصوت وشدته وحروفه مجهوره في النطق يقصد منها أن يصحح هولاء موقفهم يخبرهم أنهم قد كفروا وضلوا ضلالا بعيدا بهذه المقولة المنكره فهي كفر ومروق عن الدين بعد أن اختتمت الايه قبلها بعلم الله واطلاعه فلا يخفي عليه شي ولا يفلت شي من علمه أو يخرج عن حكمه أو يدركه النسيان كل شي مسجل في كتاب وكل شي بعلمه سبحانه وتعالى فذكر صفه العلم والحياه والقدرة والارده والسمع والبصر والكلام في الايات قبلها وكلها من صفات الله الواجبه الكمال فالله ليس كمثله شي ولهذا يخبر الله أن قولهم هذا منكر وهو شرك وكفر فهذه المقوله مروق عن الدين

الأمر الثاني

تبين النصوص خطوره الأهواء والغلو في حب الأشخاص وبالذات في مرحله التحول التي تحدث في حياه الأمم

و حيث تبين النصوص براءه عيسي عليه السلام من هذه المقوله الظالمه والفايده وانما تسربت إلي عقيدة النصاري من الأهواء الباطله والتاويلات المنحرفه التي نضجت بها المشاعر الفاسده بعد اشاعه اليهود قتل عيسي وصلبه ولأن الصلب والقتل في اعتقاد اهل التوراه يعني أن صاحبه ملعون فقد ادي المغالاة في حب عيسي ومحاوله هولاء ازاحه تلك الأقاويل فوصل بهم الحال الي ما وصلوا إليه من عقيدة الشرك ولهذا نسب الله القول المنكر لهم واخبرهم أن عيسي هو ابن مريم وأخبر أن هذه المقوله من اهوائهم واراتهم الباطله أما عيسي فإنه جاء مثل سائر الأنبياء والرسول يحمل دعوه التوحيد ولتصحيح ما في التوراه من تحريف جاء لاقتلاع شجره الشرك ومن ثم غرس شجره التوحيد فقال تعالي (وقال عيسي يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) فدعوه الا نبياء واحده من ادم الي النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالي في موضع آخر (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي إليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

هذه هي دعوه عيسي عليه السلام لقومه فقد حمل دعوه التوحيد فحاله مثل حال الرسل فقد تضمنت دعوته

الدعوه لتوحيد الله في الوهيته وربوبيته وأنه تعالي المعبود وحده لا شريك له فأول كلمه نطق بها عيسي بعد وده عندما حملته امه الي قومه في المهدي أنه قال كما حكى الله في موضع آخر (اني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبيا..... الي قوله (أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

وكذلك قال لهم حال كهولته ونبوته أخبرهم أنهم عبيد الله وان الله هو ربه وربهم الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا شريك له

٢

يخبرنا الله أن دعوه عيسي تضمنت الدعوه الي التوحيد وعباده الله وأنه أخبرهم أنه عبدا لله فقال (أن الله ربي وربكم فاعبدوه)

لم يدعو الناس الي عبادته ولم يقل لهم أنه مربوب وانما أخبرهم أنه مخلوق وأنه عبدا من عبيد الله ومن جمله المخلوقات التي خلقها الله تعالي وقد حذرهم من الشرك وتلك هي المهمه التي حملها جميع الرسل والأنبياء فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فالحكمه من أرسل الرسل هي دعوه الناس للتوحيد والي عباده الله وحده والنهي عن عباده ماسواه فهذا هو دين الانبياء والمرسلين وان اختلفت شرائعهم كما قال تعالي (ولكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا)

ولهذا يخبرنا أن عيسي حذرهم من الشرك أنه يودي الي الحرمان من الجنه ويوجب دخول النار (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار)

وهذا فيه أنه قام بالتبليغ والتبشير والانداز فقد دلت الايه أنه بشر المومنين بالجنه وإنذارهم من النار

فالايه فيها التحذير من الشرك بالله شيئاً من بشر أو كوكب أو نجم أو مال أو اي شي تجعله ندا لله أو تدعوه لجلب نفع أو دفع ضرر أو بزعم التقرب الي الله زلفي أو تتخذة شفيعاً ليوثر في أردته تعالي فإن الله قد حرم علي المشرك الجنه في سابق علمه وبمقتضي شرعه الذي اوحاه لرسله فالله يقول (أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالي (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنه أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرهما علي الكافرين)

٣

يخبرهم عيسي عليه السلام أن عليهم أن يتوكلوا علي الله ولاينخدعوا بالمظاهر الخادعه وان يخلصوا النوايا لله تعالي ويعتمدوا عليه ويحذروا من الشرك مهما كان فقال تعالي (وما للظالمين من أنصار)

لن يجدوا من يدفع عنهم عذاب الله ولا من ينصرهم وخص بهذا التعقيب قول عيسي لأن الايات قبلها تحدثت عن انحراف اليهود إذ تصوروا أن الانتساب للانبيا تدفع عنهم العذاب وأنهم لن يحاسبوا بسبب شفاعه الانبياء و النصاري كثيرا ما يتكلمون عن القديسين فهذه العقيدته فشت فيهم

نتيجه الاستبداد والفلسفات الخاطئة التي تسربت إلي النصرانية بعد اعتناق قسطنطين المسيحية حيث انتقلت إليهم افكار وعقائد وثنيه فيها استهانه بقدر الإنسان وقيمته ونتيجه العصبية التي طغت علي معتقداتهم فنظروا الي الانجيل أنه هو المنهج الرباني الذي الزموا به مع أن الانجيل جاء مكملًا للتوراه فهو فيه تعديل لها ولايمكن قراءه مراد الله في ذلك الزمان بدون الربط بينهما فكان سيطره التشاوم علي حياتهم والهروب الي الرهبانه التي ابتدعوها ونشأت ثقافه تقديس الأشخاص فيهم ولهذا يخبرهم الله أنه لا عذر لهم فقد أنذرهم عيسي من الشرك اين كان صورته بأسلوب فيه المبالغه في التحذير واختتم بأن المشرك هالك في العذاب لامحاله ولايجد من يشفع له أو يدفع عنه العذاب ولا من يقف محاميا عنهم

الأمر الثالث

أن تناول الايه تفنييد الأمور في اقامه الحجه علي كفر من قال بأن الله هو عيسي من خلال تناول حقيقه دعوه عيسي عليه السلام واثبات قاعده أن الشرك بالله يوجب الخلود في النار وممنوع عليه الجنه فيه التحذير لنا من الانحراف ومن أن نسير فيما سار فيه أهل الكتاب ولهذا ذكرت هذه التفاصيل وبأسلوب المبالغه في التحذير (أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه وماواه النار وما للظالمين من أنصار)

لأن الإنسان قد يقع في الشرك وهو لايدري فاللازم الإنتباه لذلك فعليك الإنتباه من الغفلة وان تكون متيقظا فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (دخل الجنه رجلا بذبابه ودخل النار رجلا بذبابه قالوا كيف ذلك يارسول الله

(انظر كيف تعجب المسلمون من الأمر فقالوا كيف ذلك لأن الذبابه أحقر شي فكأنهم قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ما خبر هذا الأمر الحقير حتي صار عظيما لدرجه أنه يستحق عليه دخول النار أو الجنه ؟

فجاء الجواب من الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (مر رجلا علي قوم لهم صنم لايجوازه احد حتي يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب له قال ليس عندي شي اقرب قالوا له قرب له ولو ذبابه فقرب ذبابه فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عزو جل فضربوا عنقه فدخل الجنه)

فاللازم عليك اخي المومن الإنتباه من الشرك فهو اعتداء صارخ فلا تحقرن الأمور في هذه المسائل فالنهايه الي جهنم

ثانيا

تستمر النصوص تأكيد كفر فرق النصاري ومقولتهم ومن شباههم فقال تعالي (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)

هذه هي الفرقه اليعقوبيه وغيرها من الفرق التي ذهبت الي القول بعقيده التثليث بأن الله مكون من ثلاثة أحدهما عيسي وأمه ومن قال الاب والابن والروح القدس أنهم اتحدوا فصارت الثلاثة الها فجاء الرد الإلهي

*

بقوله تعالي (وما من اله الا اله واحد) فالايه فيها نفي الالهيه عن كل ماسواء الله كائن من كان وإثبات الألوهية لله وحده لاشريك له ودون كل ماسواه وهو التوحيد الذي دعا إليه كل الرسل اقوامهم ولهذا فإن المقوله التي يقولها هؤلاء دليل علي قله عقولهم اذا كيف يقولون هذه المقوله المنكره عن الله تعالي فجاءت النصوص بالنفي فلا يوجد اله الا من اتصف بالواحدنيه فهو الإله الذي لاتركيب في ذاته ولافي صفاته فليس له تعدد زوات وأعيان ولا تعدد أجناس وانواع ولاتعدد جزئيات فهو تعالي الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فليس له لاولد ولاوالد بل هو خالق كل والد ومولود فهو تعالي منزه عما يقولون وهو الإله الذي تالاه القلوب محبه وإجلال وانا به وتعظيما وخضوعا وخوفا ورجا وتوكلا ولهذا حصر وصف الإله المعبود (وما من اله الا اله واحد)فهذا فيه ابطال لعقيده التثليث فإذا بطلت ثبت الواحدنيه وتعين أن هذا الإله الواحد هو الله تعالي وحده لا شريك له لانه متفق علي الوهيه الله تعالي فكان العطف علي جملة لقد كفر لبيان الحق في الاعتقاد بعد بيان الاعتقاد الباطل

*

توعد الذين يثبتون علي الكفر فقال تعالي (وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم) أنه إذا لم ينتهوا عن تلك العقائد الزائفه والاقاويل الباطله ويتركوها ويعودوا الي عقيدته التوحيد فسوف يلحق بهم عذاب لايطيقونه

والجملة جاءت معطوفه علي جملة (لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة) وعلي الذين قالوا إن الله هو المسيح..

وجاء بالمضارع لانه المناسب للانتهاء اذ الا انتهاء إنما يكون عن شي مستمر فناسب ذلك بعد ذكر مقوله الكفر لأن الكفر حصل بقولهم ابتداء من زمن الماضي حتي استقر في عقيدتهم فلا يمكن أن يصدر من اللسان دون أن يكون له أصل في اعتقاد القلب فاللسان إنما هي ترجمان لما في القلب والأمر هنا ليس مجرد الانتهاء من القول والكف عنه ولكن تخليص القلب من تلك المعتقدات الفاسده وخص القول لانه كما قلنا ترجمان العقيدته وعنوانها فلو أمسكوا عن القول وتحول هذا الامسك الي عقيدته فقد انتهوا اما اذا لم يصلحوا قلوبهم والستتهم فلا ينفع كف اللسان وقلوبهم متعلقه باصنام ولهذا جاء الوعيد (ليمسن) بلام القسم فيه بيان أنه لن ينفعهم انتسابهم الي الا نبياء والمرسلين فسوف يمسه العذاب أبطالا لاعتقادهم (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) والمس هنا بمعنى الا صابه ويدل علي مطلق الاصابه وخص بهذا الذين يتمسكون بعقيده الشرك فجاء التعبير بالاسم الموصول (ليمسن الذين كفروا منهم) فكان هذا في الاخبار عن سبب الحكم المخبر عنه وعلي هذا يكون قوله (منهم) بيان لمن العذاب بأنه للذين كفروا منهم العذاب الموجه أما الذين يتابون فليس مشمولين بهذا العذاب ولهذا نجد أنه يردف بالتهديد الترغيب فقال تعالي (افلا يتوبون الي الله ويستغفرونه والله غفور رحيم)

فلا جدر بهم أن يعودوا إلى الله تائبين خاضعين فباب التوبه مفتوح وعليهم الاستغفار ف الله كثير الرحمه بعباده واسع المغفره مهما كانت الذنوب

ثالثا

تمضي النصوص في بيان بطلان عقائد الاتحاد والتثليث بالاداله العقلية والمنطقيه يحاور هولاء ويطلب حضور عقولهم يقول لهم أن الله تعالى له كمال الصفات وهو منزه عن المثل والشبيهه فصفاة الله تبارك وتعالى هي كمال مطلق لايتناهي ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و امه صديقه كانا ياكلان الطعام)

أن عيسي عليه السلام رسول مثل بقيه الرسل فالميزه التي يتميز بها الرسل عن البشر أنهم يتصلون بالوحي الإلهي وهذا اختيار من الله أنه يصطفي من البشر رسلا وقد سبق عيسي عده رسل وكلهم بما فيهم عيسي لم يخرجوا عن ادميتهم وبشريتهم فلا مزيه لهم إلا أنهم مرسلون من الله أي مرتبه الرسول وكذلك فإن امه مريم هي من البشر ولم تكن لها مرتبه غير أنها من الصديقين الذين هم اعلي خلق الله بعد الرسل والأنبياء وهذه المنزله تكون بعباده الله والانتفاع من العلم النافع فهي صدقت بكلمات الله وكتبه وكانت من القانتين كما أخبرنا الله اما من حيث النوعيه والجنس فهي مساويه لبقية الناس وكذلك الرسل عموما فقد ورد في القرآن أن جميع الرسل يأكلون الطعام فقال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم لياكلون الطعام) وقال تعالى أيضا في موضع آخر (وماجعلناهم جسدا لياكلون الطعام) وقال تعالى أيضا في موضع آخر (وقالوا ما ل هذا الرسول يأكل الطعام)

وهنا يقول تعالى (كانا ياكلان الطعام) عن عيسي عليه السلام وأمه أنهم مخلوقات مما خلق الله وهما عبید محتاجان لله تعالى واتصفوا بصفات الضعف فهما ياكلان الطعام الذي يحتاجه الجسم للنمو ويحتاجان الي اخراج الفضلات وهذا إنما يكون من صفات الضعفاء فهم اذا لم ياكلوا فسوف يصيبهم الموت وهم في النهايه لابد أن يموتوا أما الإله فهو الغني الحميد وهو حي دائم لايموت

وبالتالي فمن غير المنطقي أن يقول البعض أن البشر الهه من دون الله وهم بتلك الصفات فهذا مخالف للعقل و المنطق وناتج عن انحراف العقول إذ كيف للإنسان أن يحتقر نفسه وجنسه ويرفع بعض المخلوقات المساويه له في الماهيه وان امتزت بميزات عرضيه فيجعل نفسه عبدا لها فعيسي وأمه من مخلوقات الله كما قال تعالى (أن هو الاعبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل....الخ

وقال تعالى عن أمه (وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

ولهذا الله تعالى متعجبا من حال المشركون (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون)

الأمر بالوقوف علي الادله المنطقيه والنظر الي الآيات الواضحه الداله علي وحدانيه الله تعالى وكماله في اسماءه وصفاته والقاطعه ببطلان دعاوي الشرك وكاشفه للحق ففي هذه الاداله بيان حقائق الأشياء واقامه الحجه علي المكذبين ولهذا تعجب من حال من ينصرف عن الحق بعد كل هذه الاداله فقال تعالى (ثم انظر اني يؤفكون)

علي سبيل التعجب من حالهم كيف ينصرفون عن الحق في القول بعقيده الشرك مع وضوح الاداله في الكون يشاهدونها تدل أنما الله اله واحد لا شريك له

تبيين النصوص للداعيه كيف يكون اقامه الحجه والحوار مع الآخرين بأن الأمر يقتضي الاستفاده من الادله المنطقيه لأن بدايه الطريق لدعوه الآخرين الي التوحيد إنما يكون من خلال العرض الذي يحصل به الاقناع وهذا يقع من قوه البرهان والحجه بأن تبين لهم جهلهم لانهم لا يدركون حقيقه الاشياء وهذا يحتاج الي توجيه الأنظار الي ما يقتضيه النظر الصحيح الي الحقائق المحيطه بالمخاطبين فالكون كله شاهد بوحدانيه الله وربوبيته و الواهيته وان تبين لهم ما حقيقه اصنامهم التي يعبدون من دون الله من الضعف والعجز مما لا يمكن إنكاره ثم علا ج الاعتقاد الخاطيء ولهذا نجد أن الايه بعدها تأتي بقوله تعالى (قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)

يامر الحق نبيه صلي الله عليه وسلم أن يواجهه المشركين بهذا السؤال (قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم

ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)

كيف تعبدون اصناما أو بشرا أو أي مخلوق لا يملك أن يلحق بكم الضرر فكيف تخافون ضرها وهي فاقده للضرر وكذلك فهي لاتملك لكم المنفعة فلا تعبدوها رجاء نفعها فإنها لاتنفع ولا تضر فالاستنكار من الشرك ومن وسائل الشرك بعد بيان أنهم مخلوقات والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها وبين لهم أنهم لا يستطيعون لهم نصرا ولا نفعا ولا ضرا فهذا دليل علي بطلان عبادتهم سواء عبدوا اصناما ام عبدوا عيسي ام امه فالتعبير ب(ما)وهي بمعنى(من) اشاره الي أن كل المخلوقات التي تعبد من دون الله بما فيها العقلاء من البشر اصناما عاجزه عن إلحاق الضرر بمن لم يعبدها وغير قادره علي إعطاء النفع لمن عبدها في حين أن الله يسمع ما يقولون ويسمع الدعاء ويعلم كل شي فهو القادر علي النفع والضرر فقال تعالي (والله هو السميع العليم)

كيف تتركون الدعاء والتضرع الي الله ليدفع عنكم الضرر ويرزقكم العطاء فهو يسمع ويعلم يضر وينفع فلم عدلتم الي عباده من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم

رابعا

بعد اقامه الحجة علي بطلان تمسك اليهود بالتوراه بعد مجي الاسلام وبطلان تمسك النصاري بعقيدتهم وارائهم ورفضهم القبول بالانطواء تحت الاسلام والتحول في قراءه مراد الله الي القران الكريم وبعد اقامه الحجة عليهم بمخالفتهم للتوراه والإنجيل وعرض صورته كامله لانحرافهم عن قيم ومبادئ وشريعه التوراه والإنجيل وانهم قد عطلوا الشريعه وخالفوا أوامر الله وخص بالذكر كفر من قال بالواهيه عيسي وأمه وعقيده التثليث من النصاري وفسق من قدح في نسب عيسي واتهم مريم بالبهتان من اليهود تأتي النصوص بأمر الله لنبيه صلي الله عليه وسلم أن يتوجه الي كلا الفريقين بهذا النداء (قل يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون)

ولهذا فإنه بالوقوف علي مدلولات النصوص نجد أنها تتناول عده اغراض تهدف إلي إنقاذ اليهود والنصاري من الانحرافات فذكرت فساد ما هم عليه من الغلو في العقيدة بتجاوز الحد الذي أمر الله به وتحذير للمسلمين من الطريق الذي اوصلوهم الي الضلال الذي لحق بالنصاري والغضب الإلهي الذي لحق باليهود كما يتضح من الآتي

الموضوع الاول

تحذر الآيات من الوسائل التي تؤدي الي الشرك وعدم قبول الحق فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوء السبيل)

والغلو هو الإفراط بالتعظيم بالقول والاعتقاد اي لاترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزله المنزله التي لا تنبغي الا الله والخطاب وان كان لاهل الكتاب اليهود والنصاري لأن النصاري غلوا في عيسي واليهود عادوه وسبوه وتنقصوا منه فكلا منهما إفراط الا أن الخطاب عام يتناول جميع الامه تحذيرا لهم أن يفعلوا مع النبي صلي الله عليه وسلم ما فعل النصاري واليهود فقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم كما ورد في صحيح البخاري (لا تطروني كما طرأت النصاري ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله) فكل من دعا نبيا أو وليا فقد اتخذها لها وضاهها النصاري في شركهم واليهود في تفريطهم

فأخبرهم الله أن يحذر طريق وسلوك الأمم السابقه أو أسلافهم فقال تعالي (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوء السبيل) فبين أنهم اتصفوا ١: انحرفوا تحت تأثير الأهواء ٢: أنهم خدعوا العوام ٣

انهم انحرفوا عن المعتقدات في مسيرتهم فسلكوا طريقا منحرفا معوجا

فيجوز أن يكون المراد بهؤلاء هم أسلافهم ويجوز أن يقصد به التحذير من وسائل الشرك عموما حيث لو امعنا النظر في انحراف الناس عن المنهج نجد أنه يبدأ من نقطة الاطراء وهو المدح والثناء بالباطل فاصنام قوم نوح التي أخبرنا الله بقوله (وقالوا لاتذرن ءالتهنم ولا تذرنا ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) هم اسماء رجال صالحين من قوم نوح حيث أنهم نصبوا لهم تماثيل حتي لاينسوهم بعد موتهم ولم تعبد حتي إذا هلك ذلك الجيل

عندهم الناس وعم الجهل وجاوا أناس من بعدهم وتعلقوا بهم تعظيما لما كان عليه آباءهم فالغلو من وسائل الشرك التي ينبغي الحذر منها وان كان حسنا فذكر الحق سبحانه وتعالى قوله (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) اشاره الي الزمن أي انبهوا أن تتخدعوا من هذه المدخل التي يجد الشيطان له منفذا ينفذ منها فاحذروا اتباع الهوي الذي قاد من قبلكم الي الهلاك فلا تتعصبوا الي اسلافكم فهم قد ضلوا من قبل وتسببوا باضلال غيرهم وانحرفوا عن الطريق المستقيم وهو ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (اياكم والغلو فإنما اهلك من كان قبلكم الغلو)

فالنص فيه النهي عن الغلو في القول والعمل والاعتقاد

الموضوع الثاني

يدعوا الاسلام اليهود والنصاري الي ترك الغلو اي التطرف في مزاعم التمسك بالتوراه والإنجيل برفضهم التحول في قراءه المطلب الرباني بعد مجئ الاسلام الي القران فوصف رفضهم بأنه غلوا لانهم كانوا يدعون أن إيمانهم بهذه الكتب يمنعهم من الالتحاق بالاسلام ولهذا وصف هذا الغلو بأنه (غير الحق) وغير الحق هو الباطل وعدل عن أن يقال باطلا الي غير الحق لما في وصف غير الحق من تشنيع الموصوف والمراد أنه مخالف للحق الذي أمروا به في التوراه والإنجيل فهذا الغلو مذموم لأن الحق محمود فغيره مذموم لان رفضهم القبول بالتحول الي الاسلام ليس عائدا الي الغلو الحق الذي يعني أنهم يفحصون اداله الاسلام ودعوه الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من حقائق فهم يعرفونه ومكتوب عندهم في التوراه والإنجيل لكن غلوهم باطل لانهم تجاوز الحق وتخطوه بعدما عرفوه فحصل منهم الأعراض لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن من بني إسرائيل فكانت الأهواء هي سبب الانحراف والمغالاه الباطله التي تخالف الصواب فقد تجاوز ما يقتضيه اقامه التوراه والإنجيل بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك فعلت النصاري بالمغالاه في القول بالواهييه عيسي وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا جاء العطف بعده (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل)

وهو عطف علي الغلو عطف عام علي خاص وعطف الخاص علي العام قصد به النهي عن التقليد لانهم كانوا يقلدون الاحبار والرهبان الذين صاغوا لهم شريعته مخالفه للحق شريعته الهوي بدون دليل ولهذا استعمل (من قبل) اي من قبلكم وقد كثر في كلام العرب حذف ما تضاف إليه قبل وبعد وغير وحسب ودون واسماء الجهات...ولهذا حذف الاضافه الكاف والميم

واريد بها أن ضلال الاحبار والرهبان حصل قبلهم لانهم من قاموا بالتحريف والتبديل والتغير للتوراه والإنجيل نتيجة الأهواء وهي الآراء التي تدعو إليها الشهوات والملذات فالله قال في موضع آخر (فويل لهم كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون) فقد اخضعوا الشرائع لرغباتهم واهوائهم فالتحذير الإلهي من التقليد لمن اتباع الهوي في مسائل العقيدة فيبين أن فساد هؤلاء يعود إلي اتباع الهوي وهذا فيه الذم لافعالهم التي أدت إلي الابتعاد عن روح المنهج الرباني وعن القيم والمبادئ التي جاءت بها الكتب السماوية فأشارت الايات الي الآتي

الأمر الأول

النهي عن التقليد الاعمي فيخبرنا الله أن ضلال اليهود فيما ذهب إليه من المغالاة سواء بشأن عيسى عندما طعنوا في نسبه وافتروا علي امه أو النصاري الذين بالغوا في تعظيمه واطراءه بما ليس له فقالوا إنه اله ..وغيرها من الأوصاف فإن هذا يعود إلي التقليد لابائهم واسلافهم الذين انحرفوا بسبب الأهواء نتيجة الصراعات بشأن مزاعم قتل عيسى وصلبه ووجد هولاء أنفسهم يبالغون في تعظيم عيسى لمواجهة افتراءات اليهود فوقعوا في المحذور خاصة مع دخول الوثنيون في النصرانية وتسرب افكار الوثنيون إليها فحصل التجاوز بالغوا لانهم لم يقيموا عقيدتهم علي اساس الدليل والفحص لما يصل إليهم وعرضه علي منهج الله فإن وافق المنهج الرباني كان الأخذ وما تعارض معه ترك وهذا هو الذي كان سبب ضلالهم لأن من قبلهم لم تكون عقيدتهم وفقا لقيم الكتب السماوية وانما ارائهم الخاضعه لمصالحهم وتسبب ثقته الناس بهم أنهم اضلوا غيرهم (واضلوا كثيرا) وانهم بذلك تركوا الاسلام الذي هو سبيل الهدايه لانه الوسطيه والاعتدال الذي هو طريق الفلاح

الامر الثاني

أن علي المومن أن يقيم عقيدته علي اساس من الدليل وان علي المومن تطويع هواه ليكون موافقا لمنهج الله فيكون هواه موافقا لمطلوب الله بلا إفراط ولا تفريط ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى ناهيا اتباع الاحبار و الرهبان الذين صنعوا منهج الغلو وجعلوه دينا أنهم اتبعوا أهوائهم فالاراء أساس البدع فقال تعالى (ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل)

فأشار الي انحرافهم عن المنهج الرباني وهم (الاحبار والرهبان) أو الحكام والعلماء الذين قاموا بالتحريف لتطويع المنهج لرغباتهم وغرائزهم في الرئاسه فالبدع إنما تأتي من العلماء والظلم إنما يكون من الحكام وبهم يكون فساد الرعيه أو صلاحهم ولهذا أشار الحق أن الأهواء كانت سببا في انحراف هولاء فالمخالفه في بدايه الامر للتوراه وا لإنجيل لم يكن عن سوء الفهم الي ما تشير إليه النصوص من معاني وما لديهم من قدرات متفاوتة في استنباط الأحكام الشرعية فالأمر ليس كذلك وانما الغرائز غلبت عليهم ودعتهم الي مخالفه الدين وتحريفها والعمل علي صرف شعوبهم عن اتباع الانبياء واخفوا نصوص كتبهم وحرفوها واختاروا لأنفسهم وأجيالهم اتباع الهوي و الشيطان بكذبهم علي ربهم وانبياءه فقدموا نموذجا فاسدا يقتدي به الناس وزجوا باتباع التوراه والإنجيل خارج ميدان الديانه والتدين فصار الكل بهذا الجنوح مذموما وغير مقبول فقال تعالى (وضلوا عن سؤء السبيل)

اي عن الإسلام اي انخلعوا عن الإيمان لأن كل من ينادي بتجاوز الاسلام وتطويعه وترويض اتباعه يكون خارجا عن ميدان الدين والتدين ويصبح تابعا للشيطان

القسم الخامس

تأتي النصوص بجملة مستأنفه استثناءفا بيانا عن ماضي اليهود وتاريخهم مع انبياءهم فقال تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دواد وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تشير الآيات إن هنالك حوار واسئله روبا مطرح بشأن اليهود عندما أمروا بإعلان المفاصله معهم والبراءه منهم فهم بنظر الاسلام كفارا لايجوز مولاتهم فلعل البعض تسال في نفسه كيف نعتبر اليهود كفارا وهم لم يشركوا كما اشركت العرب والنصاري فهم لم يعبدوا الأصنام ولم يفعلوا كما فعلت النصاري حينما عبت عيسى عليه السلام ف اليهود سموا (عزير) ابن الله ولكنهم لم يعبدوه كما عبت النصاري عيسى فجاء الرد

اولا

صحيح أنهم لم يشركوا في العبادة كما فعلت النصارى لكن اليهود مع هذا لم يعبدوا الله وهم يكفرون ببعض الانبياء وبما جاوا به من عند الله ويكفرون بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقتلوا طوائف من الانبياء ظلما وعدوانا فهم لم يعبدوا الله وفقا لما أمرهم به وانما يعبدون الأهواء والشهوات والطاغوت فإذا كان النصارى مشركون يعبدون الله ويشركون به فإن هؤلاء لا يعبدون الله بل هم معطلون لعبادة الله ومستكبرون عنها فكلماء جاءهم رسول بما لا تهوي أنفسهم كذبوه وحاربوه وقتلوه فهم عابدون لاهوائهم فهم وان وصفوا الله ببعض صفاته إلا أنه ليس في قلوبهم عبادة لله وحده لأن ذلك لا يكون إلا لمن عبد ربه بما أمر أن يعبد ولهذا يخبرنا الله أن التعطيل شر اكبر من شر النصارى لأن كل معطل لابد أن يكون مشركا فاليهود رغم معرفتها عن عبادة الله أكثر مما تعرفه النصارى الا انهم لا يعبدون الله فوصف الله النصارى الضالين أما اليهود فإن كفرهم أغلظ وأشد من كفر النصارى فإذا كان الله وصف النصارى بالضالين كما أخبرنا الله في الايه السابقه فإن الله قد وصف اليهود بأنهم مغضوب عليهم وعبر الله عن ذلك بقوله (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دوداوعيسي ابن مريم) لبيان ان التعطيل شر اكبر من شرك النصارى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معللا ذلك (لأن كل معطل لا بد أن يكون مشركا فالنصارى مع شركهم عبدوا الله واشركوا به لكن اليهود من اقل الأمم عبادة لله ويعرفون ما لا تعرفه النصارى لكن بلا عبادة بلا عمل بالعلم فهم المغضوب عليهم) فاللعن اشد ما يعبر الله عن مقتله وغضبه لأن الملعون هو المحروم من لطفه وعنايته والبعيد عن رحمته فهو طرد وإبعاد عن رحمه الله فكيف والحال أن هذا الطرد من رحمه الله ورد علي لسان دوداوعيسي عليهما السلام فقال تعالي (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دوداوعيسي ابن مريم)

فقد ذهب البعض للقول إن اللعنه علي لسان دودا حصلت لليهود عندما تجاوز الحد في الصيد يوم السبت حيث مسخهم الله الي قردة وخنازير كما قال تعالي في موضع آخر (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت)

وأما المثال الذين لعنوا علي لسان عيسي ابن مريم (فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذابه أحد من العالمين) والتبغيض (الذين كفروا) فاللعنه لم تعم الجميع بل لحقت بمن كفر منهم باعتبار أن من مسخهم الله في السبت فرقه منهم... وكذلك فإن من خالف بشأن المائدة هم البعض وهذا فيه

الأمر الأول

(موقف الانبياء من بني إسرائيل وموقفهم منهم) فاللعن فيها أنهم قد أقيمت الحجة عليهم بشهادته انبياءهم باقامه الحجة عليهم فالطغيان والاستكبار والعصيان والعدوان والتمالوا علي الفساد والافساد هو من خبت الطباع وخسه النفوس التي اتصفت بها اليهود واصاب الانبياء الإعياء في محاوله معالجه الداء الخبيث الذي كان سرطان منتشر فيهم فالتاريخ الطويل لبني إسرائيل ملئ وحافل بمحاوله الانبياء إنقاذهم وهدايتهم دون جدوي ولهذا ذكر دودا وهو آخر الانبياء والمرسلين وبينه وبين عيسي أكثر من الف سنه الا أن الايه أردت بهذا الاشاره الي استمرار عصيانهم الله واعتداءهم عجز عن مدواتها الانبياء ومن شده ما وجدوا من اليهود من عناد فقد لجأوا الي الله ب الدعاء علي اليهود فاستجاب الله لهم وكتب علي اليهود السخط والغضب

الأمر الثاني

تبين النصوص سبب استحقاق هؤلاء اللعن والطرد والأبعاد عن رحمه الله هو بسبب استمرارهم بالعصيان و العدوان فقال تعالي (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

اي بسبب الكفر والعصيان لأوامر الله والاعتداء علي أحكامه فأشارت النصوص الي مساله في غايه الخطوره وهي أن رفض الانصياع لأوامر الله وعدم اجتناب نواهيه سببا لسخط الله وغضبه فالمنهج الرياني هو الذي يحدد ما تفعل وما لاتفعل وعندما ترفض الامتثال لما جاء فيه فإن هذا يوجب الطرد من رحمه الله... فقولته تعالي (لعن الذين كفروا.....علي لسان دوداوعيسي ابن مريم) للاستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابس كما قال

تعالى (اولئك على هدى من ربهم) فقصدها بالمبالغة في الملابس انهم لعنوا بلسان دواى بكلامه الملابس للسانه اى فى الكتاب المنزل عليه وهو الزبور وكذلك لعنهم على لسان عيسى اى فى الانجيل والجملة مستأنفه استثناءفا بيانا فجاى بعدها الاشاره (ذلك) مافىها بيان ملابسات موجبات هذا اللعن فأجبت أنه كان بسبب عصيانهم وعدوانهم اى لم يكن ذلك بدون سبب فافاد اسم الاشاره مع باء السببيه (بما) ومع وقوعه مافيه جوابا للسائل فجاى مجموع ذلك فيه القصر اى ليس لعنهم الا بسبب العصيان والعدوان فأراد بهذا أن يبين لنا سنته تعالى فى اه لاء الأمم أن العصيان والعدوان لما فى منهج الله يوجب الطرد والأبعاد من رحمه الله وهذا اشد انواع العقوبات التى يجب الحذر منها

ثانيا

تكشف لنا الآيات قبائح اليهود فهم برغم معرفتهم إلا أنهم لم يعبدوا الله ولم يلتزموا بالمنهج الربانى الذى يحقق مراد الله وتنقل لنا الآيات صورته لحاله المقت والغضب الذى أصابهم بسبب رفضهم أن يكون المنهج الربانى هو الذى يحكم الحياه فقال تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

فاستعمل (ما) المصدريه والحقها بالجملة الفعليه التى تفيد الماضى و المضارع العصيان والعدوان فصيغه الماضى للاشاره أن ذلك أمر قديم فىهم وصيغه المضارع أنه متكرر الحدوث والعصيان هو مخالفه أوامر الله والا عتداء هو ارتكاب المنكر بمخالفه منهج الله وعبر عن العصيان بالماضى لانه تقرر عصيانهم نتيجه فقدان مقاييس العلم بالشريعه بتسييس المنهج وفقدان المنهج التربوى والدعوى منذ زمن بعيد وعبر عن الاعتداء بالمضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر ومتجدد الحدوث لان الاعتداء تبدأ بنقض قيم الحكم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم (لتنقض عرى الاسلام عروه عروه كلما نقضت عروه تمسك الناس بالتي تليها) حيث أن ذلك يكون فساد ناتج عن سوء اختيار الوسائل والبدائل فالله ذم اختيار اليهود فقال (اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير) ولهذا فإن هذا يعنى الهبوط والانحدار الى أسفل السافلين فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه ورب مصل لا امانه له) فدللت الايه أن هولاء فى انحدار بالقيم وأنهم فى انحدار مستمر ومتجدد مدمر للأخلاق والقيم حتى وصل بهم الأمر الى أنهم صاروا ينظرون الى المعروف منكر والى المنكر أنه معروف فاستعمل المضارع فى التعبير عن العدوان على منهج الله اشاره الى انه كلما تقدموا فى الحضاره الماديه يحصل لهم انحطاط القيم الروحانيه فىهم ولهذا يقول تعالى (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

الأمر الأول

تبين النصوص حالهم الذى اوصلهم الى هذه المنزله من الانحطاط فى القيم والمبادئ حيث أن الانحطاط قد دمر كل القيم الأخلاقية والإنسانية تدريجيا حتى وصلوا الى مرتبه من الدناءه فاستحقوا اللعن حيث أن العصيان و العدوان صار سلوك وأعمال يتصف به جميع اليهود أو أغلبهم فالأمر ليس عمل فردي بل صار صفة تميز بها هولاء ف المساله ليست لبعض من الشوذ بل صار المطيعون هم الذين ينظر إليهم أنهم حمقاء لقتلهم فقد صار الشر يجذب الناس إليه كان هنالك قوه قاهره تضطرمهم إليه رغما عنهم فاخبرنا الله أن هذا يعود الى السكوت عن إنكار المنكر فى المجتمع لايبالي بمن يرتكب القبائح ولايوجد من ينهي عن المنكر فقال تعالى (كانوا لايتنهون عن منكر فعلوه) جواب لمن قال لما سمع (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) كيف يكون لامه كلها أن تكون متماليه على العصيان و العدوان فقال تعالى (كانوا لايتناهون... الخ

وذلك لأن المباشر فى بدايه الامر إنما يبتدى بها واحد من الناس اى نفر القليل فإذا لم يجدوا من يقف مدافعا عن القيم وحارسا للمبادئ فإن هذا يغري الفاسدين على ارتكاب الجريمة حتى تصبح مالوفه فى الحياه وتتحول من أفعال شاذه الى ظاهره اجتماعيه ومع مرور الزمن ينظر إليها أنها أفعال حسنه وينظر الى الذين يتجنبوا هذه الأفعال أنهم حمقاء ومتخلفون ونحن نشاهد فى. واقع الامه الاسلاميه اليوم الكثير من العادات القبيحه التى أصبحت ظواهر اجتماعيه طبيعيه مع انها غريبه عنا وهي من المناكير التى تتعارض مع ديننا الحنيف وهو ما

يجب الإنتباه له حتي لا تصيبنا اللعنة التي أصابت اليهود ولهذا جاءت النصوص بالتعقيب الذي فيه التعجب من ح
الهم علي سبيل التقريع والتبكيث لهم (لبئس ما كانوا يفعلون) والتوبيخ بامرین ١ أنهم كانوا تاركين النهي عن
المنكر

٢ أنهم كانوا يفعلون المناكير

الأمر الثاني

أن الايات ترسم صورته قبيحه لمن يسكت عن المنكر لتجعل المومنين ينظرون إلي اليهود وأفعالهم بالبغض و
الكرهية فيحذرون الوقوع فيها فأخبرهم أن ما حصل لليهود إنما حصل لانهم (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه)
أطلق التناهي بصيغه المفاعله علي نهى بعضهم باعتبار مجموع الامه فاعله للمنكر مع أن الفاعل هم البعض وهذا
لأن الدعوه والأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى عنه هي أصل المنهج الرباني فهي تتناول (الأمر بـ
المعروف والنهي عن المنكر) وهي واجبه علي كل من بلغه أمر الله ونهيه وأحكامه ومجموع الامه مسؤوله عن الأ
مر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا تقاعست أو تهاونت في الأمر فإنها إن لم تنهي عن المنكر تكون مشاركته في
هذا المنكر وهي مشاركته في فعله وان لم تفعله لان ترك النهي عن المنكر لا يخلوا من الرضي به والاسلام يريد
استئصال البواعث والدوافع التي تبعث علي الشر ويجعل المسؤوليه جماعيه علي جميع أبناء المجتمع من خلال
محاصره جوانب الشر ودوافعه فيجب أن يكون المجتمع كله شاعرا بخطوره انتشار وتفشي المنكر علي الأجيال
ليكون محاصرته والقضاء عليه قبل أن تتسع دائرته وقبل إن تتحول الأفعال الشاذه الي ظواهر تعصف بالجميع فلا
يد أن يكون هنالك حساسيه في المجتمع من المنكر والشعور بالمسؤولية فلايقول اي مسلم انا ليس دخل وليس
لي شأن بالآخرين طالما أنني لا أفعله فما شاني بالآخرين ؟

انتبه من هذا السلوك فسوف يشملك العقاب الذي سوف يحل بهم ولن يكون العقاب محصورا بمن فعله ولن تكون
تاركا له مالم تنكر المنكر فانت في حكم الفاعل لانك ساهمت في تسهيل انتشار الفساد ولم تنظر لنفسك انك خليفه
مكلف من الله مباشره بمحاصره الفساد والقضاء عليه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لما وقعت
بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماءهم فلم ينتهوا فخالطوهم واكلوهم وشاربوهم فغضب الله بعضهم ببعض
فقال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متكاء فجلس فقال لا والذي نفسي بيده
لتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذون بيد الظالم حتي تاطرهم علي الحق اطرا .. الخ

فليس الأمر مجرد الأمر به فقط بل اللازم المقاطعه والكف بالقوه ودفع الشر أن كان ذلك باستطاعتك

وذكر أيضا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أول ما دخل النقص علي بني إسرائيل كان الرجل يلقي
الرجل فيقول له اتقي الله ودع ماتصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه في الغد فلا يمنعه ذلك أن يجالسسه ... الخ فالإسلام
يأمر المسلم أن لايقف من الأحداث موقفا سلبا وان عليه أن يكون عنصرا ذو فاعليه ومساهم في إصلاح المجتمع
فالكل مسؤول عن اختلال نظام المجتمع المسلم فلا يترافع عن تقديم النصيحه أو المشوره أو قبولهما وهذا ما
يجعل المجتمع المسلم متماسك ومحافظا علي القيم والمبادئ وحارسا لها من أي عدوان أو غزو يحاول طمس
هويه الامه ويمنع تراجع ثقافه الامه أمام الغزو الفكري الذي يسعى الي نشر المناكير وطمس هويه الامه وإخضاع
ثقافتها لتذوب شخصيتها في ثقافه الانحلال التي تهدف عزل الامه عن مصدر قوتها وسر بقاءها ولهذا يذم
القران من ينسحب من القيام بمسؤوليته العامه وواجباته تجاه منع انتشار المنكر فلا بد أن تصدع بالحق وتقاوم
الباطل وتصلح الفاسد بالقدر الذي تستطيع أن تقوم به وبهذه الأسس بني الإسلام الشخصيه المسلمه المسؤوله و
المبادئه

الأمر الثالث

تبين النصوص أن الإنسان لا يسلم من الوقوع في الخطأ فكل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابين ولهذا فإنه إذا كان المجتمع نابضا بالحياه وغيور علي محارم الله فإنه لا يقبل أن يري فرد من أفراد ه غارقا في المعاصي ملوثا بالخطيئه ولهذا فإن الحميه علي دين الله تدفع جميع أفراد

المجتمع للتصدي لأي منكر ف الله يقول (المؤمنون والمومنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاه ويؤتون الزكاه ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دواعي الوصول إلي رحمه الله وعطفه وإحسانه وعطاءه الامحدود وان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دواعي السخط الإلهي والطرده من رحمته سبحانه وتعالى

وان المعروف ليس ما تعارفت عليه المجتمعات ولا مارضيه الناس لحياتهم لان كثير من ما يختاره الناس يكون فيه ضررا فقد يري البعض أن الخمر لذه وينكرون خلوا المجالس منها ويرى البعض أن الزنا ليس عيبا مالم يكن علي فراش الزوجية ولهذا فإن المعروف هو كل ما أمر الله وان المنكر هو كل ما انكرته شريعته الله وهما لا يتعارضان مع الفطره المستقيمه والعقول السليمه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقابه ثم تدعون فلا يستجاب لكم)

وإذا نظرنا الي واقعنا نجد اننا ندعو الله أن يرفع عنا البلاء وان ينصر المسلمين ولايستجاب لنا فلماذا لانسال أنفسنا لماذا هذا لماذا لانقف عند مدلول الحديث ونبحث عن جوانب التقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لنصل الي الخلاص من العقاب والبلاء

الأمر الرابع

ماذا يحتاج من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ؟

اول أمر يحتاجه الأمر والنهي أن يكون فقهيا فيما يأمر به وما ينهي عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهي عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهي عنه (يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:-

فالفقه قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليعرف ماهو المعروف وليعرف ماهو المنكر _____والرفق عند الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر ليسلك أقرب الطرق التي يحصل بها المقصود _____"والحلم بعد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ليصبر علي اذي المأمور والمنهي فإن أكثر منم يحصل منهم الاذي عندما تأمره بالمعروف أو تنهي عن المنكر ولذلك يقول تعالي (وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر علي ما اصابك) وقال تعالي (واصبر علي ما يقولون) وقال تعالي (قم فانذر وربك فكبر وثيابك فكبر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر) وقال تعالي (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فاصبروا علي ما كذبوا واذوا حتي آتاهم نصرنا) وقال تعالي (وتلبون في أنفسكم واموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثير وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) وقال يوسف (انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا أنه من يتقي ويصبر أن الله لا يضيع اجر المحسنين) فالتقوي تتضمن طاعه الله وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر يتناول الصبر علي المصائب التي منها اذي المأمور المنهي للأمر والنهي

لكن للأمر الناهي أن يدفع عن نفسه ما يضره كما يدفع الإنسان نفسه الصائل الجائل أن كان في مقدوره فقد ورد عن عائشه رضي الله عنها أن الرسول صلي الله عليه وسلم ماضرب بيده خادما له ولا امراه ولادبه ولا شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نبيل منه فانتقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شي حتي ينتقم لله (فقد تضمن خلقه العظيم أنه لم يكن ينتقم لنفسه اذا نبيل منه لكن إذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شي حتي ينتقم لله ومعلوم أن اذي الرسول صلي الله عليه وسلم من أعظم المحرمات فإن من أذاه فقد اذي الله وقتل سابه واجب باتفاق الامه

ومع ذلك يبين أن الحديث أن حدود الحلم ليس مطلقا فإذا حصل التعدي علي محارم الله وجب علي المومن أن ينهض لمواجهه هذا التعدي لأن المتعدي لحدود الله مستحق العقوبه قال تعالي (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتي يأتي الله بأمره)

أما حق الادمي فله أن يعفوا اما حق الله فلا عفو فيه فشرع الله لايحوز العفو عن الذي يتعدي حدود الله والصبر مأمور به مطلقا أما العفو والصفح فقد جعل الي غايه (حتي يأتي الله بأمره) فلما اتي بأمره بتمكين الرسول صلى الله عليه وسلم ونصره وصار قادرا علي الزمهم بالأمر بالمعروف ومنعهم من المنكر فإن منعه يكون باليد فالجهاد لأجل كلمه الله واقامه دين الله وليس للعبد حضا شخصيا لانه باع نفسه لله وبالتالي فأنت اذا قمت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعرضت للاذي فاصبر علي ذلك أما إذا كان المأمور المنهي معتقدا أن اذي الأمر الناهي أنه جائرا له فهو من المتاولين وحق الأمر الناهي دخل في حق الله تعالي وبالتالي وجب عاقبه ولا يكون العفو فالففو عن حق الإنسان حقا للإنسان أما حق الله فيجب استغفاه بحسب الامكان قال تعالي (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفاوا (وهم ينتصرون) يمدحهم بأن فيهم هم الانتصار للحق والحميه له ليسوا بمنزله الذين يعفون عجزا وذلا بل هذا مما يذم به الرجل والممدوح العفو مع قدره والقيام لما يجب من نصر الحق لا مع إهمال حق الله وحق العباد وبذلك يزال المنكر والشور وبهذا يكون تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر

ثالثا

(تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون)

المبحث الأول

أن أول ما يشد الإنتباه أن الابه الكريمه ابتدأت بتوجيه الخطاب الإلهي لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا)

بعد أن تناولت الآيات قبلها تاريخ وماضي وسجل نشاط بني إسرائيل في القيادة الدينيه وكيف تعاملت مع الالبياء الذين هم قدوه الأمم ومع الكتب السماوية التي أنزلت عليهم باعتبارها مصدر الإلهام فآخبرنا الله أن الالبياء حدث التاريخيه التي مر بها بنو إسرائيل كلها وعلي مدي العصور الممتده من عصر القوه والعز والتمكين علي يد دواد العهد الجديد الي عيسي عليه السلام كونه اخر رسل بني إسرائيل لاتختلف عن العهد القديم السابق ذكره في بدايه السوره في عهد موسي عليه السلام فقد كانت الأجيال المتعاقبة تتناقل لعنه سوء الاختيار للبدائل التي اتصفت بها اليهود أن التاريخ يكشف خسه ولؤم اليهود وأنهم عديمي الاخلاق فلم يحترموا القدوه الحسنه فقد كذبوا الرسل والأنبياء وقتلوا البعض الآخر فامه لاتحترم قدوتها ويصل بها الطغيان الي التدخل في المنهج الرباني لتبديله وتحريفه وتطويعه لاهوائها جعلت الانبياء الذين أرسلوا إليهم يصلون الي درجه الياس من صلاح هكذا شعب فاستحقوا اللعن والطرده والأبعاد من رحمه الله تعالي لماذا لأن امه اليهود لها الرياده في عالم الكفر والفسق والجنوح عن الأديان من مخالفه قوانين الانبياء في شؤون الحياه ومعارضتهم الرسل والأنبياء ويرفضون القبول بالحق اذا خالف اهوائهم والتحريف المتعمد لكلام الله والافتراء علي الله ورفضهم لاختيار الله وجود انعام الله عليهم وجاءت النصوص متخصره ذلك في جملة أنهم لعنوا بلسان دواد وعيسي ابن مريم نتيجته ثقافه التمالوا علي انتهاك حدود الله ومحارمه لان هولاء اتخذوا الدين نسب ينتسبون إليه فابتعدوا عن جوهر الأديان وعن مبادئ وقيم الدين فهم لامبادي ولاقيم ولاعلاقه لهم بالاديان لان مثل تلك النظره للدين ولله قادتهم الي تصور محدود للإله فاعتبره خاص بهم وعندما يوصف بالرحمه فإنهم ينظرون أن رحمته قاصره بهم دون غيرهم فهو ينظرهم اله رحيم بهم فقط وقاس علي غيرهم من الأمم فانتحت هذه الثقافه صوره مشوه عن الدين والتدين

وعن الرب فنسبوا لانفسهم أنهم شعب الله المختار وانهم أبناء الله واحبائه وان لم يمتثلوا لأمره وان خالفوا نواهيهِ واصاب هذه الامه قساواه القلوب و حصل التمالوا علي المنكر وكان ثمرته الانحطاط وعدم المبالاه بموعظ الانبياء والمرسلين فاستحقوا اللعن ولهذا فهم راسخون في التمرد والعصيان علي أوامر الله و هنا يعطينا الحق سبحانه وتعالى الدليل الواقعي من خلال الانتقال الي الزمن الحاضر فقال تعالى (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا)

المساله الاولى

انك يامحمد تشاهد حسه ولؤم اليهود وقساواه قلوبهم وانهم لاقيم ولامبادي ولاعلاقه لهم بالاديان هو أنك تشاهد هولاء يتحالفون ويتعاونون مع المشركين الذين يعبدون الأصنام ضد الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم الذين هم موحدون ويؤمنون بالله وبالطوره والإنجيل وعيسي وموسي بالتالي فإن مولاة اليهود المشركين وتاليب الوثنيين ضد الإسلام كما حدث في غزوه الخندق يدل أن هولاء قد انحرفوا عن عقيدته التوحيد وهذا دليل علي دناءه وحسه نفوسهم

المساله الثانيه

تبين النصوص أن أفعال اليهود مقبته توجب اللعن فأنت تشاهد أنهم يبذلون جهودا كبيرة لظهار ولاءهم لحزب الشيطان (المشركون) ولهذا استعمل (يتولون) وهي تحتاج إلي جهد لأن الإنسان صاحب الفطره السليمه ومن يحمل القيم والمبادئ يجد صعوبه في تجاوز الحواجز التي تفصل بينه وبين حزب الشيطان فأشارت النصوص الي أن هولاء لايجدون صعوبه في ذلك لقساواه قلوبهم وانما الصعوبه تكمن في أنهم يبذلون قصارى جهدهم لا ظهار أن المشركين افضل من المسلمين فقد ذكر الله تعالى في موضع آخر أنهم قالوا (ويقولون للذين كفروا اهولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا)وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى (يتولون الذين كفروا)اي مجتهدون في ذلك مواظبين عليه ولاحد منهم بينهاهم عن ذلك مع أنهم يعلمون أن هولاء صالون والحال أنهم كانوا يستبشرون بقدم النبي الخاتم الذي كانوا ينتظرونه وكانوا يدعون الايمان به ثم خالفوه فهذا هو حاضرهم الذي هو امتداد لماضيهم فهذا دليل علي اتباعهم اهوائهم فقال تعالى (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم)

يذم الله أفعال اليهود فهي تدل أنهم بلا قيم ولامبادي ولاعلاقه لهم بالايمان لان التعاون إنما يكون علي الخير والإصلاح في الأرض ومع أهل الخير وليس علي الشر ومحاربه الخير ليس علي الافساد في الأرض فالنفس تميل الي ما يناسبها وما اعتادت عليه فهي نفوس دنئيه وجبلت علي استبدال الذي هو ادني بالذي هو خير وخص النفس لبيان ان هذا يعود إلي حسه النفوس وأنها خاليه من الهمة لأنها ضعيت القوه ويسخر منهم لأنهم يدعون أنهم أبناء واحبائه فمن يحب الله تكون همته عاليه يقدم من الأعمال ما فيه رضاء المحبوب وما يقربه منه يستعد للقاء الحبيب لكن هولاء يسلكون طريقا يوصلون الي سخط الله وغضبه

ولهذا فإن حصيله حركتهم ونشاطهم أنهم استحقوا غضب الله (أن سخط الله عليهم) اي وقع عليهم سخطه بجميع ما له من عظمه وقوله (عليهم) فيها أن مجرد وقوعه تنخلع له النفوس لانه جدير بكل هلاك فقال تعالى (وفي العذاب هم خالدون) اي العذاب الكامل في الدنيا والاخرة ففي الدنيا باعتبار أن تعلقهم بها عذاب بحد ذاته ولأن جهنم هي نار منبعها غضب الله ثم تشتعل بالمعصيه لتسيطر علي القلب فالحاسد يحترق قلبه بنيران الحسد لانه يصير عبدا الدنيا ومن خدمها وعبيدها فتذله وفي الاخره جاء الوعيد بالعذاب في نار جهنم التي تحيط بهم من كل مكان علي الدوام بلا انقطاع فالآيات فيها

1

أن الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المسلم أن تنظر إلي أفعال اليهود علي سبيل البغض والكراهية فتحذر

الوقوف فيما وقعوا فيه فالمولاه لاتكون لأعداء الله والمسلم يسعى الي الاستعداد للقاء الحبيب بالهمه العاليه والأعمال الصالحه التي تقربه الي الله وهذا إنما يقطع بالسير بالقلب والهمه والأعمال الصالحه

٢

أن الحق سبحانه وتعالى يريد تربيته المومنين علي اليقظه الدائمه لكل تصرف من قول أو عمل يقومون به ليكون موافقا لما أمر الله تعالى به فيكون المومن في حاله حذر من المخالفه لانه يخاف أن يدهمه الموت وهو علي المعصيه فماذا يقول لربه هل يلقاه وأعماله ورصيده معاصي وذنوب؟؟؟

فالشعور بالوقوف بين يدي الله وأنك مسافر الي الله والدار الآخرة يعني تبادر الي الأعمال الصالحه التي يكون فيها إرضاء الله فلا شفاعه للانتساب بصله الدم والنسب للصالحين وانت توالي الكفار وانما الذي يشفع لك هو العمل الصالح الخالص لله الذي يقربك الي الله ورحمته والطاقه وعفوه فتقوي الله هو سياج يحمي منظومه القيم الاسلاميه الممتده في حياه المسلم بكل أبعادها وجوانبها والقوه التي تحميها نابعه من داخل نفس الإنسان ولهذا فهي لها قوه في توجيه السلوك للفرد والمجتمع كله اقوي من كل القوانين لأنها تتبع من الشعور برقابه الله علي أفعاله ومن الرغبه في نيل رضا الله وحبه والقرب منه

المبحث الثاني

يخبرنا الله أن هولاء لا علاقته لهم بالاديان وانهم خارجون عن دائره الايمان والاديان فقال تعالى (ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثير منهم فاسقون)

أن هولاء لم يومنوا بالله حقيقه فهم وان اقرؤا بوجود الله إلا أنهم لا يرقبون الله ولا يشعرون بوجوده فالإيمان ب الله إنما يكون بالشعور برقابه الله وخشيته وهذا إنما يكون بالتقوي لتكون الفاعليه للحركه ايجابية وفق منهج الله تعالى وهولاء الاحساس لديهم متبلده وفاعليتهم سلبيه فلم يصل التوحيد الي أعماق النفس الداخليه وهم لا يومنون بموسي عليه السلام ولم يكونوا مومنين بالتوراه والإنجيل والكتب السماويه لأنها تنهاهم عن مولاه الكفار فهي وان اختلفت في الفروع الا انها كلها تتفق في الأصل التوحيد الذي حمله جميع الأنبياء والمرسلين الي اقوامهم وجاءت به الكتب السماويه ومن ذلك أن يكون الحب في الله والبغض في الله فالولاء والبراء من الأمور المرتبطه بالتوحيد التي دعت إليها جميع الكتب السماويه بلا استثناء ولهذا يستدرك ذلك بقوله (ولكن كثير منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعه الله فهم تابعون لمدرسه الشر الشيطانيه ايليس اللعين وقد خرجوا عن دائره الايمان عندما رفضوا القبول بالاتحاق بالإسلام وفضلوا التحالف مع الوثنيين والمشركين فلا علاقته لهم بالإيمان وبالتالي فلا قواسم مشتركه بينهم وبين المسلمين فلا تقول أن هولاء لديهم كتب سماويه وانهم يومنون بالله وبموسي والتوراه ونحن أيضا نؤمن بالله والأنبياء بما فيهم موسي ونؤمن بجميع الكتب السماويه بما فيها التوراه فالله يقول لك ان هولاء لم يومنوا بالله حقيقه ولم يومنوا بموسي ولا بالتوراه لانهم أثروا الدنيا واستحبوها ولهذا كان من الطبيعي أن يقول هولاء علي الله غير الحق فهولاء نظروا للدين من زوايه الرئاسه والسلطه والأهواء والشهوات فاصابهم العمي عن رويه الحق فضلا عن أن أحكام الشريعه غالبا مما تتعارض مع أغراضهم ولهذا لا بد لهم من انتهاك حدود الله فتلبيه رغباتهم لاتكون الا بدفع ما يضاذه من الحق فالآيات تبين لنا ا لاتي

١

ان الإيمان الحقيقي يمنع من التوالي لأعداء الله ولا يقبل المومن مولاه المشركون فالمومن يحب المومنين ويبغض الكفار لانه يعلم أن مولاه الكافر موجب لسخط الله لأن مولاه الأعداء موجب لمعاداه أولياء الله والمومن الكامل يتطلع الي مولاه المومنين الصادقين ويعتد عن الفجار الكاذبين

فإنسان الكامل الذي يصلح لأن يحظى بالظاف الله وتوفيقه هو الذي يكون قابلا للحق وان تعارض مع اهواءهم يزدون بالحق قوه وصلابه فحركتهم وفاعليتهم تدور مع الحق اينما وجد الحق وجدتهم

أن المومن لايقبل المداهنه في العقيدته لأن ذلك السلوك من أفعال الفجار الكفار ولهذا فالمومن يراقب الله في أقواله وأفعاله ولايقبل المداهنه في دين الله لانه يعرف نفسه بضعفه واختياره ويعرف ربه بعظمته وكبريائه وأنه الغني الحميد ولهذا كلما ازداد علما ازداد خشيه وخوف من الله فيكون حريصا علي طاعه الله وحريصا علي ما يرضاه الله فهو يري نفسه مسافرا الي الله والدار الآخرة ويريد أن يقدم لنفسه ما يحرزها في الآخرة فلا يرتكب المعاصي التي تسخط الله فهو يحرص علي إرضاء الله خوفا من العذاب وطمعا فيما عند الله

أن الشخصيه الايمانيه هي التي تهيمن عليها عقيدته التوحيد فيتجنب الوقوع في التناقض الذي يتعارض مع وحده التصور التي ينطلق منها المومن في الحياه وأنه يتلقي الاوامر والنواهي من الله فكل شئ مرتبط باصلها العقائدي التوحيد .. وهذه الشخصيه لديها النموذج الذي تلتزم الاقتداء به وهو النبي الذي أرسله الله إليهم فحب الله يوجب حب نبيه والاقتداء به فلا يتوالي الأعداء لان قلبه عامر بالإيمان ويستمد عزته من الحق وعبوديته لله التي حررتة من الطمع فيما عند غير الله كالذي يستمد عزته من مال وجاه والسلطان كما هو حال اليهود فإن هذا الانحراف يعني أنهم لاعلاقه لهم بالإيمان فالصله بالله وإحساسه بتلك الصله لو وجدت لادت الي قطع الصله بـ الكفار فما يريد من القرب من المشركين من كان مستند الي اقوي الأقوياء فهو لو أمن حقيقه لما عاش في حيره الطريق لانه سوف يدرك طريق الهدايه والتوفيق والسداد والرحمه فيكون مطمئن باختيار الله ولن يقف محاربا لدين الله من أمن حقيقه بل سوف يكون لبنه من لبنات هذا البناء الايماني الشامخ يدفعه الايمان الي الالتزام بأمر الله يستحضر دائما قول الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) لا يغفل عن مراقبه الله في السر والعلن فهذه هي صفات الشخصيه الايمانيه اذا لم يخالطها الظلم والفساد وحب الدنيا وشهواتها فإن ذلك إذا خالطها يصير تابعا للشيطان وتنقطع صلته بأهل الايمان ويكون من الفاسقين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السابع من سورة

المائدة

(لتجدن اشد الناس عدواه للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكذبنا مع الشاهدين وما لنا لانومن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك أصحاب الجحيم)

اولا

بعد أن تناولت النصوص أحوال اليهود وما يعرف عنهم من المكابره والعناد وشده العدواه للإسلام فقال تعالي (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) مرتين وقال تعالي (واذا جاءكم قالوا امنا وقد دخلوا بك الكفر وهم قد خرجوا به) وقال تعالي (تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) وكان الحق ذكر أيضا فساد عقيدته النصاري وانهم اشركوا بالله وعبدوا عيسي وقالوا إنه اله... وأمرنا بعدم اتخاذ اليهود والنصاري أولياء فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء)

وجمع الحق سبحانه هؤلاء جميعا في الكفر مع المشركون لان كلهم ارتضوا منهج الشيطان ورفضوا منهج الله ف النصوص تبين لنا أن الناس عندما بعث الله الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا علي اتجاهين

١

أهل الكتاب وهما صنفان صنف فسدت عقيدته وصار الي الشرك وهم النصاري وصنف لم يعبدوا الله وقاموا بتحريف الكتب السماوية وقتل الانبياء والدعاه الذين يأمرونهم بالخير وهؤلاء هم اليهود

٢

المشركون وهم عده أصناف حيث كانت هنالك امم وثنيه تعبد الشمس والنار كالمجوس ويعبدون النجوم وملحدون بلا دين يعبدون الهوي

وهناك مشركون العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام والازلام

وعندما جاء الإسلام دمج القران منهج الكفر في كل الوجوه بوجه واحد وهو الكفر فربط بين منهج الكفر و الشيطان فقال تعالي في الايه السابقه (ولكن كثيرا منهم فاسقون)

والفسق هو موقف ابليس المتمثل بموقف الشيطان عشبه رفضه السجود لادم فقال تعالي (فسق عن أمر ربه) وقد ذكر الحق في هذه السوره قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فهناك حزبان حزب الله وحزب الشيطان

ولهذا نجد أنه بعد كشف الله حقيقه اليهود وارتباطهم بالكفر ومولاه المشركون وتعاونهم مع أعداء الإسلام وتناول سجل نشاط أهل الكتاب وماضيهم التي كشف بها أن طبيعه اليهود راسخه في التمرد والعصيان فهي راضيه ومتمالاه علي ارتكاب المناكير وقد أعيت الانبياء وعجزوا عن مدواه داء وافات اليهود وخسه نفوسهم فهي مجتمعات متصلبه بطباعها وراضيه ومقتنعه بطبيعتها المتمردها وتقاليدها التي صنعتها أحوال الذل والهون التي

عاشتها تحت هيمنه الوثنيه الفرعونية فشكلت دناءه اختيارها الحقيق تلك الصفات التي اتسمت بها ثم جمعتها احكام طباعها وتورثت الأجيال هذه التقاليد بسهوله الإلتباع ومنطقية التقليد فكان تواصل التخلف من الطبيعه وفي الطباع ولهذا لم ينجح الرسل والأنبياء في تطوير طبيعه اليهود لانه لم توجد لدي اليهود استعداد لتطوير طباعها لأن طباعها المتخلفه اوجدتها ظروفها المتخلفه التي عاشتها تحت هيمنه الوثنيه الفرعونية فأصبحت بمرور الزمن سلوكا عاما متلائما مع الطبيعه المتخلفه فكانت دافعا خطيرا علي استمرارها ولهذا لعن هولاء القوم علي لسان دواد وعيسي ابن مريم فقد وجد الرسل والأنبياء جمودا فكريا وتمسك منهم بغلاظه الحس وقساواه القلوب وحب الدنيا فقد سيطرت عليهم ذهنيه الحياه التي اعتادوا عليه في زمن الفراعنه وشكلت عائقا أمام التقدم والتطور الذي حاول الانبياء الارتقاء ببني إسرائيل فهم غير قابلون للتطور ولا يتطلعون الي ما عند الله ومقتنعون بحياه الهون والنل لا يرغبون بحياه الكرامه لأن هولاء سيطر عليهم الارتباط بقيود الذكريات المرتبطه بحياه الاستعباد في مصر حيث ظلت تشدهم الي التخلف وهم يتشبثون بواقعهم الذي عاشوه ويرفضون الانطلاق وكذلك فإن حال المشركين كانوا غير راغبون بالتطور والتقدم وكانوا متمسكون بالعادات والتقاليد التي ورثوها عن أجدادهم واسلافهم فإن تلك الظروف شكلت العقبات التي اوجدتها عقيدته التقليد وصنعها الطباع في طريق التفكير

فكلاهما كان يعارض الاسلام من منطلق الحرص علي الدنيا والخوف من أن تسلب مصالحهم وسلطانهم وقوانينهم حيث أن اليهود كانوا قد اتخذوا الدين وسيله لكسب الامتيازات والاحترام بين الأمم وكذلك فإن المشركون كانوا يخافون من ضياع الامتيازات والاحترام التي حظوا بها بادعائهم الانتساب الي ابراهيم وان الكعبه فيهم فقال تعالي في موضع آخر (أن تتبع الهدي معك نتخطف من ارضا) واليهود كانوا يخافون من فقدان الرئاسه والقياده الدينيه وكلاهما كان قد اصابه داء الحسد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن من اليهود والمشركين حسدا الرسول لأن الله اختاره من بينهم ولهذا وصف كلاهما بالشده في العدواه بعد ذكر أحوال اليهود ونشاطهم المذموم من قتل الانبياء ومولاه المشركون وتعاونهم علي محاربه الاسلام وهذا فيه

الأمر الأول

تكشف النصوص أصناف الأعداء وطريقه تفكيرهم وماضيهم بعد أن أوجبت علي المومنين بعدم مولاه اليهود و النصراري والمشركون والكفار عموما فان الحق سبحانه وتعالى يريد بهذا تربيته المومنين وتزويدهم بالخبرات والمهارات لمواجهه الازمات التي قد يحدثها الأعداء ويبدلهم علي كيفيه تفتيت الازمه ومواجهه التحديات فأول خطوه أن عليك أن تتعرف علي القوي الصانعه للازمه من خلال جمع المعلومات المتوفره عن كل منها ومعرفة المصالح التي تربطها ببعضها ولهذا فإن عليك أن تفهم طريقه تفكير عدوك ونفسيته ولهذا أخبرنا الله بماضي اليهود البغيض وقد منحنا الله معلومات كافيه عن طبيعه هذا العدو وكيف يفكر وما هي وسائله وسلاحه التي تسعى لابطال منهج الله ومخالفته فهم اعتادوا علي التمرد والعصيان والتجرو علي الله دون خوف ونقض العهود والمواثيق وبالتالي فإن القران عندما يحكي تاريخ هولاء في هذا المقام فإنما يريد منك أن تدرك شده بغض اليهود للإسلام فلا تتق لهم ولا تغفل عن سد الثغور وتحصينها بالعهده المانع والدافعه حتي لا تظهر الثغرات أمام هولاء فهم يسعون الي النبيل من الإسلام فيجب أن تجعل هذه المعلومات التي اخبرك الله بها عنهم امام عينك وان تستعين بها في إعداد جداول الدراسات عن مخططات هذا العدو وان تستعد لمواجهه كل ما يمكن توقعه منه فأنت بحاجة الي تأمين المعلومات والبيانات والممتلكات ومنع اختراق العدولها من خلال تحصين الثغور وهذا إنما يكون من خلال معرفه نقاط الضعف في الموسسه أو الدوله وان تضع تصورا عن الازمات المتوقعه وهذا يتطلب منك معرفه العدو ومعرفة منشأ الازمه والبوعث التي تدفعه لاثاره الازمات فقد ينشأ بسبب فكري فاليهود لديهم خلل فكري حيث يعتقدون أنهم بقتل الآخرين يتقربون الي الله ويعتقدون أن خيانتهم للامانه في التعامل مع غيرهم من الأمم غير معاقب عليه وقد يكون ناتج عن خلل اقتصادي أو سياسي وبالتالي فلا بد من دراسه القيم الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمن نتعامل معهم ثم نتوقى عوامل الازمه لنكون قادرين علي تقدير الموقف لمواجهه الازمات ولهذا لابد من التعرف علي القوي الصانعه والمسببه الازمه وهذا إنما يكون

بتصنيف هذه القوى الي فاعله والقوي المؤيده والقوه الداعمه تدرس كيف يمكن اضعافها وأيهما تبدأ بمواجهته وماهي الأساليب التي تسلكها مع كل فريق منهم ولهذا نجد الايه ابتدأت بأسلوب القسم (لتجدن) يامحمد وهو خطاب لكل المومنين

واستعمل (تجد) من خلال النظر أن واقع اليهود أنهم يتصفون بشده العدواه والبغضاء للإسلام فهذا الحكم الذي أفصح عنه ليس حكما معلقا علي شرط بحيث أن وقوعه مرتبطه بالشرط ليس الأمر كذلك فأنت تجد أي تري اثاره ظاهره للعيان فهذا حكم مطلق لكل اليهود فاستعمل تجد تري تبصر ثم جاء بنون التوكيد فهذه هي طبيعه اليهود في كل زمن ومكان ولهذا قدم ذكر شده عدواه اليهود علي المشركين لان المشركون من صنع اليهود وافسادهم في الأرض ولأن اليهود سعوا الي اغراء المشركون لمخالفه منهج الله ولان اليهود أهل كتاب وكان يفترض بهم أن يبادروا الي الالتحاق بالإسلام فأراد الاسلام اظهار شده عدواتهم وأنها تفوق شده بغض المشركون للإسلام فلا تغتر بكونهم أهل كتاب فالتاريخ حافل بمكائد اليهود ومفاسدهم ومحاربتهم للإسلام فقد استخدموا شتي الوسائل والأساليب لصرف المومنون عن الإسلام وآثاره الشبهات وتحريض وتاليب الوثنيون ضد الإسلام وقالوا لهم (ويقولون للذين كفروا ا هولاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا) والتاريخ شاهد علي ذلك من بدايه نشاه دوله الاسلام في المدينه المنوره حتي لحظه كتابه هذه السطور فانه يؤكد خبث اليهود وحقدهم علي الاسلام والمسلمين فأنت تشاهد مذابح فلسطين العزل من قبل هذا الكيان البغيض ونحن نعلم أن معاناه العالم الإسلامي هو من صناعه اليهود والصهيونية العالمية التي سيطرت علي العالم وعلي مقدرات النصاري الذين فقدوا سلطانهم علي الكنيسة حيث سيطرت الصهيونية عليها واخضعتها لها

فالايه تبين شناعه صفات اليهود من الغلاظه وقساوه القلوب والكبر والعتو وفقدان العاطفه والمرواه والشهامه وهم اشر من المشركين لان المشركون كانوا ارق قلوبا من اليهود وأعظم شجاعه وأكثر حريه في الفكر والاستقلال ومن هنا ندرك خبث اليهود وحقدهم علي الاسلام

الأمر الثاني

أن النصوص ترسم للمومنين الخطه التي ينطلقون بها وتحدد لهم الخطوط والمحاذير في العلاقات الدولية مع اصناف الناس فتحدد لهم المواقف من الناس جميعا فالقران هو الذي كان تربيته المومنين به فوصلوا الي ما وصلوا إليه فإذا أردنا استرداد الامه لفاعليتها فعلينا أن نأخذ الدروس من القرآن ليكون هو القائد والمرشد والمحرك لنا في الحياه نخوض المعارك السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية بهذا المنهج فنسلك الطريق الذي ارشدنا الله أن نسلكها في القران الكريم ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد سرد ماضي اليهود وتاريخهم مع انبياءهم ثم جاء التعريف بأقسام واصناف أعدائهم يهدف إلي تربيته المومنين علي كيفية مواجهه الازمات فأخبرهم الله أن يكون التدخل العلمي لمواجهه الازمات وهذا يستوجب أن يكون لدينا مراكز دراسه وبحوث لدراسه القيم الفكرية لمن نتعامل معهم والحالة النفسية التي تشكل الغرائز المعبره عن طموحهم وتطلعاتهم هل هي ايجابية في مد جسور التواصل والصدقه ام أنها سلبية تهدف إلي استثمار طاقاتهم وملكاتهم وبذل أقصى قدراتهم للأضرار بنا أو بديننا أو بمعتقداتنا وهويتنا ليكون الإنتباه لاي علاقه تنشأ معهم وان كانت في مجالات الحياه العلميه البحتة أو العلاقات التجارية والاقتصادية والصناعية والزراعية فيجب مراجعه كل تلك العلاقات علي الدوام والتأكد من عدم الاضرار بايدلوجيتنا وقيم ومبادئ الشريعة فلا نعرض الأمن الثقافي والقيم للحظات ضعف تمكن العدو من النفوذ الي مركز القرار في النظام الإسلامي والامه لتبقي الامه في يقظه دائمه لان مداخل العدو غالبا ما تكون من ثغرات بسيطه تغفل الامه عن وضع حراسه تسد هذه الثغور وهي تستخدم وسائل انسانيه في ظاهرها تظهر الرقه والرافه بالشعوب وهي في الحقيقة تبغض الشعوب المسلمه ف الله يقول لنا لا نتخدعوا بالشعارات التي يظهرها اليهود من الانسانيه وحقوق الإنسان وغيرها من القيم والمبادئ التي يحاول هولاء استغلالها للتسلل الي كيان الامه لهدم ما فيها من قيم ومبادئ تحفظ كرامه الانسان المسلم يريدون القضاء علي مصدر العزه والكرامه للمسلمين وهو القرآن الكريم والسنة النبويه فكان تقديم ذكر شده بغض وكراهية اليهود للإس

لام والمسلمين بما يفوق بغض المشركين للإسلام لان الصراع معهم سوف يستمر إلى قيام الساعة ولأن المشركين هو المشروع الشيطان الذي يسوقه اليهود لتميع الشعوب المتدينه فهو من صناعه اليهود

ثانيا

(ولتجدون اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا انما فاكبتنا مع الشاهدين وما لنا الا نؤمن ب الله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآيتنا اولئك أصحاب الجحيم)

ماهو المراد بالنصاري هنا ؟ هل هم عموم النصاري ام طائفه منهم ؟ فنحن نشاهد اليوم وماضي الحروب الصليبية ما يفوق الوصف من حقد وعدواه من ينتسبون الي النصرانيه ضد الإسلام والمسلمين ؟

أنه بالوقوف علي مجموع الآيات نجد أنها تهدف الي الآتي

الأمر الأول

أن الايه ترشد المومنين الي اهميه إدراك الواقع ثم إدراك العلاج الذي يناسبه أثناء حمل المشروع الرباني وهذا يتطلب العلم بتشخيص الواقع لانه أساس العلاج وكل ذلك علم يحتاج الي درسه وخبره ولهذا فإن دراسه طبائع الشعوب من أهم الأمور التي يحتاجها الداعيه للقيام بأمر الدعوه ف الله سبحانه وتعالى عندما أمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يبلغ ما أنزل إليه فقال تعالي (ياايها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...الخ

أعطاه صورته كامله عن الناس في وقت بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ومعتقداتهم وشرع الحق سبحانه وتعالى يفصل لنبيه فساد المعتقدات اليهود والنصاري والانحلال الأخلاقي والعقائدي لكل فريق وما وصل إليه الناس من الزيغ والانحلال والرذيله والانحطاط فبينت النصوص واقع كل الملل والنحل والمجتمعات ثم شرع الحق سبحانه يبين لنبيه اثار ذلك علي واقع كل طائفه فأخبر الحق أن اليهود والمشركين قد بلغ زيغ قلوبهم مبلغاً فصاروا متمسكون فيما هم عليه ويتعصبون الي أقصى الحدود تعصبا شل حركه الفكر عن إدراك الحق ويعني عن رؤيه الحقيقه فهم مشددين للماضي غير مستفيدين من دروسه أو غير مبالين بدروسه فلم يستفيدوا من تاريخ آباءهم وكيف أن أعراضهم عن الإيمان برسل الله واتباع منهجه ومعاداتهم للحق اوقعتهم في السخط الإلهي و الطرد والأبعاد من رحمته سبحانه وتعالى لهؤلاء أصابهم الخوف علي امتيازاتهم الدينيه بالنسبة لليهود وبالنسبه للمشركين امتيازات موقعهم (مكه المكرمه والكعبه المشرفه) كانوا يخافون أن تذوب وتنصهر داخل التجمع الكبير الذي جاء به الإسلام ولهذا جاء الحق مبينا أن طبيعه هذه المجتمعات

(الانغلاق في الرأي) فقال تعالي (لتجدن اشد الناس عدواه للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) فالحوار الموضوعي معهم غير نافع مع الاغلبيه لان الانغلاق يودي الي مزيد من الاختلاف ولايعني هذا أنه يعفي الرسول صلى الله عليه وسلم عن التبليغ لما أنزل إليه من ربه فالأمر ليس كذلك وانما الآيات تبين للرسول صلى الله عليه وسلم واقع المجتمعات والعوائق التي تحول دون التحاق اغلبيه هولاء بالإسلام لأجل أن يبذل قصارى جهده وفق خطط قادره علي تحقيق الهدف وهو البلاغ واقامه الحججه ثم تأتي النصوص مبينه حال النصاري فقال تعالي (ولتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتناول مساله تشخيص واقع النصاري بأنه غير منغلق فهو منفتح ولايعني هذا أن جميع النصاري يودون المومنون وانما الايه تبين لنا أن الظروف الموضوعية للنصاري قابله للتجاوب فهناك امكانيه للانتقال الي الاسلام فالايه تبين أن علي القياده أن تكون واعيه لظروف وامكانيه المجتمع التي تجعله متهيئا للافعال يتقال بايجابيته من طوره القائم الي طوره القادم فاستعمل الحق (لتجدن) والوجدان وجدان قلبي وهو من أفعال

العلم وذكر بعدها كلمتان (عدواه _ وموده) والمراد بهذا الوعي بادراك الواقع لتكون احكامنا صحيحه ومنطقيه علي الواقع المتحرك الذي نريد أن نحكم تطويره لتكون كل خطوه مدروسه ولانقفز علي الواقع فتلك قفزه غير مدروسة ولا منصبظه ولهذا فإن المراد بهذا أن البئيه قابله للايمان والانتفاع بدعوه الاسلام لما في قلوبهم من رافه ورحمه وراقه فالله قد أخبرنا عن اتباع عيسي عليه السلام فقال (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافه ورحمه ورهبانيه

(

ففي النصاري التواضع للحق إذا عرفوه ومن الظروف الموضوعية التي يمكن الانتفاع بها هو أنهم تركوا الدنيا وملذاتها وتركوا طلب الرئاسة وان فيهم قسيسين وهم العلماء والرهبان المتعبدون ومعروفون عند العرب في وقت نزول الايه بالتسامح وحسن الاخلاق وقد كانوا منتشرون في جهات كثيره فكان ذلك من أسباب صلاح اخلاق النصاري.

فهم لا يتعاضمون عن الحق إذا عرفوه حيث والاستكبار بالسين والتاء تستعمل للمبالغه في التكبر والتعاضم ويطلق علي المكابره مع كراهيه الحق وهما متلازمان فالمراد بقوله لا يستكبرون أنهم متواضعون فجاء فيه إثبات التواضع لجميع أهل مله النصاري بما في ذلك العرب الذين كانوا يتحلون بمكارم الاخلاق باعتبار أن الوصف في قوله انا نصاري لمن عرف منهم باتباع دين النصرانية وتعاليم عيسي بالتسامح وترك الاحقاد وليس جميع النصاري لأن المتمردون قد ذكرت الايه الكريمة قبلها أنهم لعنوا علي لسان عيسي ابن مريم وهم الذين خالفوا منهج الله بعد نزول المائده

الأمر الثاني

أن الايه تعطينا فكره عن اختلاف مستويات التطور والتقدم في المجتمعات بأنه يعود إلي اختلاف كميه وكفيه وسرعه تطوير هذه المستويات فهناك مجتمعات منغلقة تماما بطئيه في تحصيل المعرفه وتطويرها فتختلف ولا تقبل التطور وهذا يعود إلي الظروف الموضوعية التي شكلت عقولهم وقلوبهم وتفكيرهم فالذهنيه جامده لتلوث لاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبية مثل اليهود والمشركون وهناك مجتمعات منقسمه حيث تجد فيها من يتقبل الحقيقه اذا عرفها لانه لديه استعداد لقبول الحق قابل للتطور والإبداع ومنفتح علي الحقيقه ولهذا يقول لنا الحق أن هنالك فرقه من النصاري لم تتبلد احساسها فإنها برغم الابتعاد عن روح الدين والتدين مازالت قابله لاثاره الاحساسيس فيها فآخبرنا الله عن فئه من النصاري قابله للحوار الموضوعي المفضي الي قبول الحق إذا اتضح لها فقال تعالي (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) أسند إليهم قول الحوريون الذين قال لهم عيسي عليه السلام (من انصاري الي الله) فذكرها الله هنا تنبيهها علي أنهم لم يكافحوا الأمر بالرد والاعراض مكافحه اليهود وقد ذكر هذا القول منهم في قوله (ومن الذين قالوا انا نصاري اخذنا ميثقهم)

لبيان أنهم لم يثبتوا علي العهد الذي قطعه أما هنا فذكرها علي سبيل المثال لمن حافظ منهم علي العهد ولم ينحرف فقال تعالي (لتجدن اقربهم موده للذين آمنوا الذين قالوا انا نصاري) والمراد بهم فرقه خاصه عندما جاء لإسلام كانوا مازالوا محافظين علي النصرانيه ولم ينحرفوا انحراف بقيه الفرق فقد ذكرت بعض الروايات أن إبرام صلح الحديبية كان من ضمن دوافعه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد إنقاذ فرقه من النصاري علي تخوم الشام من بطش الرومان لانها لم تنجر الي الانحراف الذي وصلت إليه المسيحيه وقيل إن الايه نزلت بالرهبان و القساوسه الذين جاوا مع جعفر من الحبشه واسلموا والايات بمجموعها تدل أنهم فرقه تعرف حقيقه دين النصرانية وليس جميع النصاري وهو ما يجب الإنتباه له حتي لا يكون التميع والانخداع بأعداء الامه الصليبيين بأن تستخدم الايه في غير محلها ولهذا نجد أن الحق يوصف لنا هذا الفرقة الوصف الأول : أنهم قالوا (انا نصاري) فدل هذا على معرفتهم حقيقه النصرانيه بأنها تعني الايمان والنصره للنبي صلى الله عليه وسلم لأن هذه الكلمه قالها الحوريون كانت بمناسبه قول عيسي(من انصاري الي الله)

الوصف الثاني :

أن فيهم علماء متزهدين وعباد في الصوامع متعبدين فقال تعالي (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان)

فذكر العله بعد اسم الاشاره فالباء (بأن) سببه اي بسبب وجود القس وهو العالم المتفرغ للعلم الرباني والزهاد المتفرغون العباده والعلم مطلوب والتطبيق العملي لهذا العلم مطلوب ايضا فاخبرنا الله مادحا للعلماء والرهبان بأنهم يحافظون علي كتاب الله وينفذونه وهذا إنما يكون صادرا من علماء ورهبان مازالوا علي التوحيد ولم ينحرفوا انحراف البقيه او أن الايه تشير الي حاله نقاء الاوعيه الذهنيه والنفسيه والعقليه والقلبيه من ركام الفكر المنغلق الذي يتطلع الي الرئاسه والقياده والسلطه فدل هذا علي قيمه الخشيه مع العلم لأنها تولد الإذعان والانقياد للحق وكذلك فإن العباده والاتصال بالله تولد طاقه روحيه ورقه ولبين القلب ويزيل عنه الجفاء والغلظه

وهناك فرق بين العالم الذي لا يعمل بعلمه وبين العالم العامل بعلمه فأنت تحترم من يعمل بعلمه أما الذي لا يعمل به فأنت قد تأخذ من علمه لكنك لاتحترمه

الأمر الثالث

تبيين النصوص اهميه العلم النافع ودور اماكن العباده في تربيته المجتمع وتهذيبه لتغرس فيهم القيم والمبادئ النبيله واهميه الثقافه في توجيه المجتمعات ولهذا نجد أن النصوص تبين أن قبول الحق يعود إلي انهدم ركن الكبر يسهل علي العبد الانقياد لزوال المانع الذي يمنعه من قبول الحق وقد أخبرنا الله أنهم تفرغوا للعلم والعباده فدل هذا زوال ركن الحسد وبالتالي فمن السهل علي هؤلاء قبول النصيحه وهم متوضعون فدل هذا أنهم قابلون إلا نصاب فدل هذا علي انهدام ركن الغضب وانهم ملازمون العباده وبالتالي فدل هذا علي العفاف وأنهدام ركن الشهوه

وبالتالي فإن اركان الكفر الاربعه الكبر والحسد والغضب والشهوه ليست ملكات راسخه فيهم ولا هي صفات ثابتة فيهم فهي لم تستحكم علي قلوبهم كما هو حال اغلب اليهود والمشركون ولهذا تأتي النصوص مبينه سلامه الإ دراك والوجدان والنزوع لديهم من جنوحات الشر فقال تعالي (واذا سمعوا ما أنزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع)

الايه ترسم مشهد ساخن لرده فعل هؤلاء عندما يسمعون كلام الله لبيان سلامه الملكات لديهم وحسن استخدامها فهم يسمعون القرآن بحاسه الاذن فإن تأثرهم بما يسمعون تصل الي وجدانهم فما الذي سمعوه فاحث هذا التأثير البليغ الذي وصل إلي انك تشاهد الدموع تسيل بعد أن امتلت وفاضت من غزاره الدموع ؟

يخبرنا الله بقوله (مما عرفوا من الحق) أنها الامارات والبشارات الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كتبهم فدل هذا علي سلامه قلوبهم بدليل رقتها وعلي رغبتهم في الحق ونقاء الأذهان فهم أدركوا الحق ووجد الوجدان وجاء بعده النزوع الي المسارعه لقبول الحق فقال تعالي (يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين)

لم يكتفوا بالبكاء ولم يقفوا موقفا سلبيًا من الحق فما ذكر من البكاء ماهو الا بيان أن ظروف حالهم وطبيعتهم فيها تهنيه لقبول الحق ويدل علي اخلاصهم وان المعرفه والبكاء مؤذنان بحقيقه الاخلاص فتدفق الدموع نتيجة معرفتهم الحق فلم يوجد في اوعيتهم ما يمنعه من اتباع الحق فالشعور بالحق والاحساس بسلطان الله حملهم علي تحديد موقفهم وإعلان ذلك بعد الاهتداء للحق فذكر قولهم إنهم قالوا ربنا صدقنا بك ونبيك وكتابك (يقولون ربنا امنا)

وطلبوا من الله أن يضمهم الي امه الاسلام الامه الشاهده علي غيرها من الأمم فالله يقول (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس)

ومن هنا نفهم أنها فرقة من النصاري وليس كلهم لأنها تحمل سمات وصفات الحوريوان فنفس القول هنا هو ما قاله الحوريون بالدعاء الي الله كما ورد في سورة ال عمران (ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)

فمن قالوا لعيسي (نحن أنصار الله) كانوا يعلمون بشرف امه الاسلام وفضل النبي الخاتم فهم قد طلبوا من الله أن يرضهم الي امه الشاهدين عندما أعلنوا الايمان بعيسي فهذا العلم الذي تناقلته النصرانية الحق أن الدين الا خير به تكمل الأديان وتتم الشرائع فهذا هو النزوع الخير الذي ينبغي تنميته في النفوس لتكون قابله للتزكيه

الأمر الثالث

تمضي سياق النصوص في تعيين هذه الجماعه تعبنا واضحا لبيان كيف أن سلامه النفوس من الكبر والحسد و الغضب والشهوه يسهل قبول الحق والثبات عليه إذا عرفه فيقول الله تعالي (وما لنا الا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)

فالايه تشير الي عده امور؛

١

أن هولاء يغلبون شهوتهم بقوه الايمان حيث وان الايه ترسم حاله التردد التي يتعرض لها المتدين وهو يقف أمام مثل هذا التحول في حياته بالانتقال من المسيحيه الي الاسلام فالنفس تجد وهن وضعف وتردد فتقول له كيف لك أن ترجع عن معتقدك ولهذا فإنهم قالوا ذلك في أنفسهم ما الذي يمنعنا من الإيمان بالله ورسوله والقرآن بعد أن عرفنا أنه الحق فدل هذا أن دواء الشهوه هو صحه العلم والمعرفة بأن إعطاؤها شهوتها من أسباب حرمانها إياها فيخبر نفسه أن عليها أن تطمع بمنزله ومرتبته درجات الصالحين يوم القيامة وهذه المنزله لا تكون الا بالسير بطريق الله المستقيم

٢

أن هذا يدل علي الثبات في المواقف علي الحق وعدم التحرج من إعلان حقيقه الايمان فالايه تبين أن هذه الفئه ثابتة علي الحق لاتتأثر بلوم أحد فتعرض لنا الايه حوار رويما أنه يدور بينهم وبين قومهم وهم يحاولون أن يثنونهم عن الإيمان ويحذرونهم من عواقب ذلك فيأتي الرد من الفئه المومنه بأنه لا يوجد ما يمنعهم من الإيمان ولا يوجد ما يقطع عليهم المضي قدما في الالتحاق بالإسلام ويطلبون من الله قبولهم في جماعه الصالحين لاظهار شرف جماعه الاسلام لانه رويما تم من الفريق الكافر الذي يلومهم تحقير شأن المسلمين فرد هولاء نحن لنا الشرف في الالتحاق بهذه الجماعه ونرجوا من الله أن يقبل طلبنا هذا بالانتماء بجماعه الصالحين والمراد بهذا الاخبار أن القرابه والأهل والنسب هو العمل الصالح كما قال تعالي لنوح عندما قال إن ابني من اهلي فقال تعالي (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح)

فدل هذا علي إعلانهم البراءه والمفاصله والتجافي مع الكفار وانهم قطعوا علاقه بمن رفض الايمان من أقاربهم

ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى بعدها (فاتابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين)

فاعطاءهم الله وجازهم بما قالوا اي من اعتقاد هم بديل قولهم فدل هذا علي صدق الاخلاص لله وتطابق القول ب العمل فلم يكن مجرد قولاً باللسان بل صادرا من القلب وترجمه العمل فكان هذا الثواب ثمره الاخلاص والاجتهاد منهم في تحصيل اليقين فكانت الاجابه من الله العظيم الذي له صفات الكمال من الحق الكريم فأعطاهم أكثر مما طلبوا بالأجر والثواب الذي أعده للمتقين فهذا هو جزاء المحسنين الذين يتقنون الأعمال في الأداء ولذلك أشار

إليه بقوله (ذلك جزاء المحسنين)

الأمر الرابع

أن الحق سبحانه وتعالى يعطينا نماذج حيه قابله للحق وهو بهذا يريد التشجيع علي مسانده الحق يوكد لنا أن كل حركه ايمانيه حتي ولو كانت قولا فهي لها قيمه عظيمه ولهذا يذكر الله الثواب الذي يجزئ به لكل من يساند الحق

ولو بكلمه فهو سبحانه الشكور يعطي علي القليل الثواب الكثير فسامهم المحسنين وهو الذي يضاعف الجزء للمحسن فالقول له اهميه لما يرتب من بعد ذلك من سلوك وقد ذكرت سيره النبيه قصه مخبريق اليهودي الذي اسلم وكان في غايه الثراء فجاء ساده يهود لصدده عن ذلك فقال أنا ومالي لمحمد وساخرج لاحارب مع محمد وخرج للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقتل شهيدا وهو

ولم يكن قد صلي في حياته كلها ركعه واحده

الأمر الخامس

يطلع الحق علي مصير بقيه النصاري الذين رفضوا الالتحاق بالإسلام بأن هولاء مثلهم مثل اليهود والمشركون فقال تعالي عطا علي ماسبق (والذين كفروا وكذبوا بآيتنا اولئك أصحاب الجحيم)

أشار إلي سببين في العقاب أولهما الكفر بالوقوف ضد الحق والثاني التكذيب مع أن التكذيب من ضروب الكفر لان القصد الي ما كان من المكذبين من النصاري في مقابله المصدقين الذين ذكرتهم الايات قبلها فأراد بهذا أن يطلع الناس علي مصير المكذبين لترهيب الكفار وايضا لتشجيع المومنين بأن عليهم أن ينظروا الي نهايه المكذبين فقال (اولئك أصحاب الجحيم) اي ملازمون للنار الشديده فالجحيم هي أصل النار العظيمه اللهب واستعمل قبلها اسم الا شاره اولئك لبيان أنهم بعداء عن رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثامن من

سوره المائده

القسم الاول

(يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مومنون لا يؤخذكم الله باللغو في إيمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته اطعام عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفاره إيمانكم اذا حلفتهم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)

اولا

أن أول ما يشد الإنتباه هو تكرار النداء للمومنين بهذه الصفه التي تربطهم بالله وهم الطليعه لثوره الاسلام التي حملت الدعوه الاسلاميه الي العالم تدعوهم الي عباده الله وحده لاشريك له وهو ما شكل عاصفه هبت علي اردء الناس لتقضي علي الظلم والفساد والتخلف ولذلك كان تصنيف أحوال الناس من هذه الدعوه ومن أهدافها وهذا النداء دليل استمرار الثوره الاسلاميه وهذا لا يكون إلا في حالة أن الثوره لم تنجح في تحقيق أهدافها أو أن فسادا جديدا قد وقع أو ظلما اخر قد ضرب جذور اعماق الامه باسم الدين والتدين

ويخشي أن يمثل ذلك وسيله لمحاصره الثوره من أن تنمو . و تحقق أهدافها ولذلك فإن مهمه الطليعه تتداخل بين الفرد والمجتمع فالسمو الروحي لا يمكن تحقيقه الا من خلال التعاون بين الفرد والمجتمع بالقيام به ولهذا نجد أن الايات تبين الآتي

الموضوع الاول

أن علي جماعه الايمان أن تسعى إلي جعل الهدف الذي حملته رساله الاسلام (التوحيد) سلوكا عاما يلتزم به الحكام والمحكومين وتحويل النظريات الي واقع عملي بالممارسه من خلال احترام سياده القانون الإلهي و الدستور الرباني وعدم الخروج عنه فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن مساله التحليل والتحرير والتشريع عموما سلطه اختص الله بها ذاته سبحانه وتعالى فقال تعالي (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم)

فالتشريع بجملتها مرتبطه بقضيه الالوهيه فالايات تصور ذلك بأنه من خصائص الالوهيه التي انفراد الله بها فقد جعل لها حمي لا يجوز تعديها أو تجاوزها فقال تعالي (ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين)

وهي جمله اعتراض بمناسبه أن تحريم الطيبات اعتداء علي شرع الله اعتداء علي سلطه الله الذي لم يأذن لأحد أن يتدخل في وضع القوانين التي تنظم حياه البشر في كل شأن من شؤون الحياه سواء في الماكل أو المناكح أو السياسيه والاقتصاد وفي أي أمر من الأمور فالتوحيد لم ينزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم ليملاء به القلوب والعقول وانما نزل ليعمل أثره في الحياه وينظم المجتمع ويعيد خلقه من جديد علي الصوره التي يرضاها الله رب العالمين لعباده فهو خالق البشر ومالكهم ورازقهم ومن كان مالكا الشئ كان له حق التصرف فيه وبالتالي فإن الله تعالي هو من يختار للإنسان ما يفعل وما لا يفعل وبالتالي فإن الذي يتجاوز شرعه تعالي إلي غيره فهو معتدي علي سلطه الله وهذا الاعتداء تجاوز وظلم لأن المتجاوز وضع شئ في غير محله لانه جعل نفسه في مقام الإله وبالتالي فإن هذا العبد قد تجاوز ما ليس له ولهذا جاء التعميم (ولا تعتدوا) النهي عن العدوان كله فالواجب أن يكون الإنسان محكوم بما جاء بشرع الله ومعلوم أن الذي لا يحبه الله أنه تعالي يبغضه ويمقتة ومن كان يريد إرضاء الله لا يعتدي علي سلطانه لانه أن فعل ذلك فهو لا يسعى الي إرضاء الله

الموضوع الثاني

(الحث علي الوسيطيه والاعتدال)

أن الايه وردت بمناسبة ذكر اصناف الناس عند بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ولما مدحت القسيسين والرهبان وذلك كان داعيا الي الرهب والرهبانيه وهذا فساد جديد طرأ علي المجتمع لأن الرهبانه بالذات قبيحه بالعرض شريفه من حيث المبدأ دنئيه في الحال لأنها مبينه علي الشده والاجتهاد والتورع عن الكثير من الملذات والإنسان مبني علي الضعف مطبوع علي النقائص فيدعوه طبعه وضعفه الي عدم الوفاء ولما له من صفه العجله للوقوع في الخيانه فكان الأمر الإلهي بمناسبة مدح القسيسين والرهبان أن جاء التحذير من البدع فقال تعالي (يايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) للتحذير من المغالاة والتشدد في الدين والدعوة الي الاحتياط من محذور تلك التجربه فلا يسمح بانتقال فساد الرهبانه الي اجهزه الكيان المسلم وبنائها لمنع انتقال عدوي امراض النصاري فمدحها لا يقتضي اطراء الثناء علي جميع اعمال الرهبانه وصادف ذلك أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تعلقت أنفسهم بالزهد المبالغ فيه حيث ذكر أن عثمان بن مظعون وبعض الصحابه اردوا أن يترهبوا فاقسموا علي اعتزال النساء والاطعمه والملابس فقام الرسول صلى الله عليه وسلم فقال إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شدوا علي أنفسهم فشد الله عليهم اولئك بقايا الديار والصوامع لكن اعدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وفي رؤيه أنه قال (لا امركم أن تكونوا قسيسين ورهبان) وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

ان الإسلام حريص علي بناء الشخصية الإيمانية التي تمتلك الرؤيه لحقائق الاشياء وأن تلتزم الوسيطيه والاعتدال ولهذا فإن اول خطوه لإنجاح هذا المبدأ هو التخلص من ركام الفكر الجاهلي الذي كان ينظر للتدين أنه يعني التفرغ للعباده في المسجد والانقطاع عن الحياه فأراد الحق بهذا أن يبين لهم أن هذا مخالف العقيده الاسلاميه التي تعني أن الإسلام دين ودنيا

عباده وعمل روح وسياسه ايمان واقتصاد يتدخل الاسلام في علاقات الرجل وزوجته وأبيه وخادمه يتدخل في البنوك والاقتصاد والحكم والعمران يضع دستوراً لهذا كله وبالتالي فإن من التدين المغشوش ومن ثقافه العجز والتخلف أن ينظر إلي التدين بالانقطاع عن الصناعات والعلوم والعمران وعماره الأرض للتفرغ لعباده الله في زوايا المساجد فهذا ليس تدين وانما هو ابتعاد عن روح الاسلام فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (خير الناس انفعهم للناس)

المفهوم الثاني

يحذر الحق من التشدد في الدين أو في أي أمر لانه يعجز صاحبه عن الاستمرار ولو كان الناس كلهم رهبان فمن سوف يقوم بالعمران كما اوضحنا سابقاً فالله يقول عن عدم وفاء النصاري بما قطعوا علي أنفسهم من الرهبانه (فما رعوها حق رعايتها)

وشريعته الاسلام جاءت بالوسيطيه والاعتدال في كل شي رحمه منه تعالي بأمه الاسلام ولطفا بهم بلا إفراط ولا تفريط

فالإسلام لا يربك الانسان بالطقوس الدينيه التي لاتدع وقتاً لشيء فهي خفيفه خمس صلوات لكن ما تسكبه في الضمير من آثار تنهي عن المنكر هي التي تهذب الإنسان والاسلام يفسح المجال للعامل والتاجر والعالم أن يذكر الله كلا في مجاله يتعبد الله في المصنع والمتجر ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ موقفاً حاسماً من الصحابة الذين اردوا أن يترهبوا حيث ذكر أنه لما سمع المسلمون العقاب في الاخره وأحاديث يوم القيامه اردوا أن يزهوا عن الدنيا ويتركوها فاقسموا علي ترك الطعام وان يصموا الدهر كله وأن يقوموا الليل وان يعتزلوا

النساء وذكر أن ثلاثه قال أحدهم أما أنا فصلي ولا انام الليل وقال الآخر أما أنا فاصوم الدهر كله وقال الثالث أما أنا فلا اتزوج النساء فلما سمع الرسول بذلك استدعاء من قال ذلك ثم قال لهم أما أنا فاخشاكم لله واتقاكم لله ولكني اصلي وارقد واصوم وافطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)

فالنهي عن التحريم هو عن المبالغة في الزهد بتحريم الملذات عن النفس أما من ترك ذلك في بعض الأوقات من غير اعتقاد حرمة وإنما بقصد تربيته النفس علي الصبر فلا يباس به بالقدر الذي تحتاجه ترويض النفس وكذلك فإن الأعراض عن الكثير من الطيبات للتطلع الي ما هو عند الله اعلي مستوي منه أمر لا يدخل في نطاق التشدد المذموم

المفهوم الثالث

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه حينما ربط الناس ب الله لم يحتقر دوافع الحياه النفسيه ولم يعلن معركه بين الايمان والواقع الحيوي فالمال والبنون والزينه والطعام والشراب مطالب ضروريه والسعي في طلب الرزق حج مبرر ولهذا يقول لنا الحق محذرا من التبتل عن الطيبات التي انعم الله بها علي الإنسان فقال تعالي (لاتحرموت طيبات ما أحل الله لكم)

سماها طيبات وهي التي تشتهيها النفوس من اللذائذ في المطاعم والمناحك والمشارب وقد احلها الله فهذه نعمه يجب أن يحمد الله عليها وان تشكروه علي انعامه التي تفضل بها عليكم

فعليك أن تعلم أن الله إذا أحل شيئا فإن هذا الشيء يكون طيبا أي ليس خبيث وفيه صلاح الإنسان وبناءه ونموه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول إلا أن لأنفسكم حقا وان لاهلكم حقا) ولهذا فلا يجوز لك أن تحرم ما أحل الله لك فالحاجه الجنسيه فطره الله إذ خلق للناس من أنفسهم أزوجا ليسكنوا إليها وجعل بينهم موده ورحمه وهي حاجه إنسانية ونعمه الهيه لا ينبغي أن تتعارض مع قداسه الواجبات الدينيه والاسلام يدعو إلي العلم والعمل ويمجد الحركه والنشاط لكن بشرط عدم تجاوز حدود الله فيقول الحق (ولاتعتدوا أن الله لا يحب المعتدين)

ومن الاعتداء المنهي عنه التضيق علي النفس بتحريم المباحات

ولهذا جاء الأمر (وكلوا مما رزقكم الله) تأكيد النهي عن تحريم الطيبات وهي معطوفه علي جملة (لا تحرموا طيبات)

ف الله يمتن علي عباده أن وسع لهم الحلال فجاء التحذير من كفر النعم بتحريم ما أحل الله لأن هذا أن حصل فإنكم تعرضون أنفسكم للنقمه ف الله يحب أن يري اثار نعمته علي عبده ولهذا نجد أنه تعالي وصفه بالايه

١

أخبرنا أنه رزق وعطاء من الله تعالي فأنت عليك أن تسعى إلي كسب رزقك وتطلبه من من يملكه وهو الله وايضا هذا فيه انه هديه من الله ولايسوغ من المومن أن يرفض هديه الله فإذا رزقك الله ثوبا جميلا فاعلم انه هديه الله اهدا اليك فكيف ترفضه وتلبس ثوبا خشنا لانك أن فعلت ذلك تكون قد رفضت هديه الله وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحدث عن الكبر وذكر أنه لا يدخل الجنة فقال بعض أصحابه يارسول الله أن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا فهل هذا من الكبر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس

٢

أنه حلال ولا يكون كذلك الا اذا أحله الله تعالي فما احله هو الطيب وما حرمه فهو الخبيث وبالتالي فليس للإنسان

الخيار لنفسه غير ما اختار الله له لان التحليل والتحرير من خصائص الالوهيه التي انفراد الله الرزاق بها والا
عتداء عليه يكون له اتجاهين أما اعتداء بالاسراف وهذا محرم لقوله تعالى (فكلوا واشربوا ولا تسرفوا) والثاني
المغالاه بتحريم ما أحل الله ولهذا نجد أنه استعمل صيغه (لاتعتدوا) افتعال لأن الفطره السليمه مبينه علي العدل
ولهذا فإن الخروج عن منهج الله لا يكون الابتكاف ثم وصفه بأنه طيبا وهذا يعني أنه طيب من حيث المكسب فلا
يكون مسروق ولا يكون منهوب ولاغصب ولافيه ظلم وطيب من حيث أنه يفيد الجسم وينمو به فما أحله الله
فيه صلاح الإنسان والحياه وهذا الدين هو دين الحياه فكيف للإنسان أن يحرم نفسه مما فيه صلاحه فالطيبات
من عوامل بناء الحياه وتجديدها بينما الرهبانه تعطل الطاقات وتصطدام مع منهج الله للحياه فعليك أن تراقب
الله في ذلك إن كنت مومنا بالله وتشعر بوجوده

٣

أمر الله بالتقوي وربطها بالإيمان واستعمل لفظ الجلاله لتربيته النهايه بالقلوب لان الايمان يقتضي تقوي الله في كل
أمر ولهذا جاء بالاسم الموصول (الذي انتم) أن التوحيد والإيمان بالله يقتضي أن تكملوه بالتقوي وامتنال
اومره في كل وقت

واجتناب نواهيته

ثانيا

بعد أن اختتمت الايه بوجود استحضار وجود الله ومراقبته في كل أمر وربطت ذلك بحقيقه الإيمان بوجود الله
اشاره الي أن الفاعليه للحركه إنما تكون ايجابيه بتحويل العقيده الي سلوك فلا فائده لادعاء الايمان بالله اذا لم
تتحول إلي محرك باعثا علي الحركه الايجابيه موجها للطاقات والقدرات والنشاط باتجاه هذه الغايه فتكون
خاضعا لمنهج الله فالتقوي تدل علي مراعاة حق الله وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان نفسه وضعفه وافتقاره الي
ربه الغني الحميد فيكون ساعيا في طلب إرضاء الله طالبا معونه الله في كل أمر ومحبا لله تعالى حب تعظيم واج
لال ولهذا نجد استئناف الحديث تعليق الايمان بالله بالشعور بوجوده واطلاعه علي تنفيذ أوامره وبمناسبة قوله
(لاتحرموا طيبات) ولأن التحريم يقع في غالب الأحوال بإيمان معروفه أو بإيمان تجري علي اللسان مجري الكلام
بدون قصد الحلف فقال تعالى (لايؤخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام
عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفاره
ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم

فالايات تعالج عدّه مسائل متعلقه بمعضله الحلف اليمين فقد ذكر أن النفر الذين اردوا الترهين قالوا بعد أن نهاهم
الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك وبعد أن نزلت الايه السابقه قالوا كيف ونحن قد اقسنا بالله فما هو الحال
فأنزل الله الايه فتضمنت الايه الاولي إيضاح منهج الاسلام أنه يقوم علي الوسيطيه والاعتدال وان التحليل و
التحرير أمر اختص الله به نفسه وان عليهم الابتعاد عن الإفراط أو التفريط في دين الله

تناولت الايه هنا معالجه الحلف الذي فيه امتناع عن خير والاقدام علي الشر بأن عليهم الكفاره التي تمحو الذنوب
لانهم حرموا علي أنفسهم مالم يحرمه الله وتناولت الايه الكريمه المسائل المتعلقة وتفاصيل ذلك كما يتضح من خ
لال الآتي

الأمر الأول

تناولت الايه حكم اليمين الساقط الذي لايتعلق به حكم واسمته لغوا وهو الصادر من اللسان من غير نيه الحلف
بأنه لاكفاره عليه فقال تعالى (لايؤخذكم الله باللغو في ايمانكم)

ثم بينت حكم اليمين المعقود أي الصحيح الذي قصد به الحلف فقال تعالى ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان)و
القصد أمر يعود إلي القلب فدل هذا أنه يعقد لها القلب بالنيه والقصد فهذا الذي يجب فيه الكفاره

والإيمان التي يحلفها الرجل اثنان يجب الكفاره فيهما بلا خلاف واثنان مختلف فيهما وواحد متفق عليه أنه لا
كفاره عليه وهو لغوا اليمين كما ورد في الحديث أن يقول الرجل كلا والله بل والله فهذا لا كفاره عليه

أما اللذان يلزم الكفاره باتفاق العلماء قيل هو اليمين التي يحلف الرجل بالله فيقول والله لا أفعل كذا وكذا ثم
يفعل والثاني أن يحلف بالله فيقول والله لأفعلن كذا فلا يفعل

فهذان مما يلزم الكفاره بلا خلاف إلا أن يعلق ذلك علي استثناء بمشيئه الله تعالى فيقول لن افعل كذا انشاء الله ف
لا كفاره ولا إثم عليه

أما اللذان فيهما خلاف بشأن الكفاره فليل هو أن يحلف الرجل علي أمر وقع في الماضي ظنا منه بوقوعه أو عدم
وقوعه وتكون الحقيقه مخالفه لظنه وله صورتان الأولى يحلف انه لم يفعل شيئا وهو قد فعله والثاني أن يحلف
فعل شيئا وهو لم يفعله ظنا منه أنه فعله فهناك من يري انه لا إثم عليه ولا كفاره قول للامام مالك ويرى احمد و
الشافعي أنه لا إثم عليه وانما عليه كفاره

أما اليمين التي يتعمد صاحبها الكذب أو يمين الغموس فلا يجزئ عنها الكفاره فالكفاره هنا في حق الله اما في
حق العباد فلا يكون التوبه الا برد المظالم

الأمر الثاني

كما أن الايه الكريمه فيها بيان أن اليمين منقسمه أيضا من حيث انعقادها أما علي بر وأما منعقد علي حنت

وبالتالي فما كان ممكن حصول بر اليمين والوفاء بها فإنه يجب الوفاء طالما أنه في مقدور الإنسان وليس فيها
اعتداء علي شرع الله اما ما انعقدت علي ما فيه حنت كان يحلف علي عدم الإصلاح بين الناس وعدم القيام بـ
المعروف أو من يحلف لتحريم أمر أحله الله فإن هذا اليمين قد انعقد علي حنت فليحث وليكفر عن يمينه ولهذا
ذكر الله الكفاره فقال تعالى (فكفارته اطعام عشره مساكين من أوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم

أو تحرير رقبه فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام)وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن الحق يريد من العباد أن يشعروا بحقيقه ان مخالفه المنهج يعني انكشاف عوراه هذا الإنسان وافتضاح امره
فيكون بحاجة الي الستر والتغطيه ولهذا استعمل لفظ (فكفارته) والكفاره الفعله التي من شأنها أن تكفر الخطيئه
أي تسترها والمراد بهذا بيان أن الخروج عن منهج الله يعني فقدان الشرف ويلزم لاستعادته هذا الشرف وستر
ومحو الذنب أن تقوم بأمور تستعيد فيها شرفك ونحن نعلم أن الله أخبرنا عن ادم وحواء أنهما لما أكلا من الشجره
المحرمة انكشفت عورتها فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنه ولهذا فإن مخالفة منهج الله تعني الفضيحه
فكيف الحال إذا كانت هذه المخالفه موثوقه بالقسم بيمين الحالف بالله فإنها تضاعف فضيحه الحالف ولهذا جعل
الله كفاره تمحوها وتمنع من الإثم وهي اطعام عشره مساكين من أوسط الطعام الذي يقوم باطعامه الحالف أهل
بيته أو كسوتهم أو تحرير رقبه من العبودية ومن لم يستطع فعليه صيام ثلاثه ايام متتابعات أو غير متتابعه مبينا
أن الكفاره رد اعتبار للعقد المنقوص الذي يظهر صاحبه بالنقص وينكشف امره فيكون بحاجة الي ما يستر عورته
ولهذا قال تعالى بعدها (ذلك كفاره إيمانكم اذا حلفتم)

المفهوم الثاني

أن علي المسلم أن لا يخرج عن الاعتدال في كل شيء فإذا كان الله قد أمرهم بعد الإفراط ولا التفريط فلا رهبانيه و
لاتميع في الإسلام تأتي النصوص هنا مؤكده علي هذا المبدأ فأمر الحق بإطعام عشره مساكين..وقيد ذلك أن يكون
عشره وان يكونوا مساكين بمعنى أن الحاضرين الي هذا المقام هم الضعفاء المحتاجين للطعام والملبس وهنا تبرز
مميزه الاسلام فهو بالاضافه الي كونه قيمه روحيه فإنه ضروره اخلاقيه ضروره نفسيه تسد الثغرات التي لاتصل
إليها القوانين الوضعيه فالايه تبين لاولئك المتشددين في الدين أن عليكم أن تقنعوا أنفسكم اولاً انكم تبون
مستقبلاً أكثر رخاء وأكثر اتساعاً يشبع متطلبات الروح والجسد ليكون اهتمامك متركزاً في ازاله الالم من المجتمع
والمساهمه والمشاركه في محو المعاناه فعليكم اقتحام هذه الميدان كي يستر الله ويغطي الفضيحه التي حصلت
منك فمخالطه الناس والاهتمام بمعاناتهم فيها تكفير الخطايا وهي عبادته افضل وأعظم من العكوف علي عبادته بـ
المفهوم الضيق الصلاه والصوم والعزوف عن الزواج وبنفس الوقت أن ذلك إنما يكون بالوسيطيه والاعتدال فقال
تعالى (من أوسط ما تطعمون اهليكم)

حيث الناس في إطعام أهله نوعان أما من يسرف في الطعام ونوع يقتر اي بخيل في إنفاقه علي أهله ولهذا فإن
الوسيطيه هنا بين هذان الأمران فلا إسراف ولا قتر وبخل بل الاعتدال بين ذلك في الطعام والكسوه

المفهوم الثالث

تبين النصوص أن الخروج عن المنهج وعدم الوفاء بالعهد أما أنه حلف علي مخالفه منهج الله كان يحلف علي ترك
البر وعدم الأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس وأما أن يكون حنت ناتج عن عجز الحالف عن الوفاء بالعهد فدل
هذا علي ضعف الهمة وقوه العزم وهذا في الأصل اعتدا علي حق الله ولهذا جاء إطلاق تحرير الرقبه فقال تعالى
(أو تحرير رقبه) بينما في القتل للمومن قال تعالى (تحرير رقبه مومنه) وجدنا أن القيد للرقبه أن تكون مومنه لان
إزهاق الروح المومنه تتطلب أن يدخل بدلا عنها للحياه نفس مومنه والتحرير من الرق بمنزله الحياه أما هنا
فجاءت مطلقه اي تحرير رقبه وقد ذهب الاحناف الي أنه يجزي الرقبه ولو كانت كافره أما الجمهور فقد اوجبوا
قيد الرقبه المومنه واذا اخذنا بقول من قال إنها مطلقه تجزي وان كانت كافره فإن هذا مرتبط بحال هولاء الذين
اردوا الترهين والتشدد لأن التشدد إنما يكون ناتجا عن تعصب ديني مقبت في الغالب ولأنهم الزموا فكان العلاج
بتحرير رقبه بإدخالها في مجتمع الاحرار وفك أسرها لتكون لها ممارسه حريه الاختيار فيكون لها الكمال لأن الرق
نقص وهذا المتشدد والحالف الناكث أما بالضروره للحنث لانه حلف علي أمر يخالف منهج الله أو لانه عجز عن
الوفاء بما اقسم أن كان علي أمر خير وهو بذلك ناقص و بحاجه الي ما يحصل له الكمال ويمحو نقصه وهذا مثل
نقص الرقيق فكان لابد من ازاله القيود التي تكبل رقبه انسان كي تزال القيود التي تكبل ذمته أمام ربه ولهذا
اضاف التحرير الي الرقبه والله اعلم

المفهوم الرابع

ان الإسلام دين يسر فلم يعسر علي العباد ولهذا فإن الفقير الذي ليس لديه مال كي يطعم المساكين أو كسوتهم ولا
عتق رقبة فقد جعل الله له أن يصوم ثلاثه ايام

المفهوم الخامس

يبين الحق سبحانه وتعالى لعباده أن تعظيم الله يوجب عدم ابتذال الايمان بالاكثر من الحلف واللغة فاللازم عليك
أن تكون شاعرا بعظمه الله فلا تكثر من الحلف فعليكم بتوخي الحذر بعدم الحلف فقال تعالى (واحفظوا ايمانكم)
فأراد بهذا الآتي

عدم التهاون في القسم بعد ذكر عدم الموحذه علي اللغو باليمين فتعظيم الله يوجب علي المسلم عدم ابتذال الا

يامرهم ويزجرهم من العاده السخيفه بالحلف فيقول إن هذا الأمر ينبغي تركه بالاقبال من الحلف فلا تلزموا أنفسكم بما يوجب الوفاء أو الكفاره بالكفاره ماهي الالرفع الحرج والاثم فالله قد لا يوب (وخذ بيدك ضعفا فاضرب ولا تحنث) فنزه عن الحنث بفتوي خصه بها ولهذا فإن الواجب عليكم الوفاء بالحلف وعدم الحنث

المفهوم السادس

يختم الحق سبحانه وتعالى الايه بقوله تعالي (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)

أن الايه توحى أن الذين اقسما بالله أن ينقطعوا عن الحياه ويتفرغوا للعباده والرهانه عندما أدركوا أنهم وقعوا في المحذور واعتدوا علي ما ليس من خصائص العبد عندما قاموا بالتحليل والتحريم فهم كانوا يبتغون بذلك أن يصلوا الي الفلاح بعدما عرفوا عن عباده الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يقوم الليل وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فتصورا أن التشدد هو الامل الذي يحصل لهم به النجاه والسلامه فعندما ذمهم الرسول صلى الله عليه وسلم علي ذلك وجدوا أنفسهم في كارته صنتعها ايدهم فالأمل الذي تطلعوا إليه وشاركوا في صنعه تدرج من فوق الجبل وسقط علي رؤوسهم وكانوا اول ضحاياه فقد اردوا تطهير العقبات التي تقف أمام سعادتهم الابديه فتصوروا أن التزهذ عن الطعام والمناجح ومباهج الحياه هي العقبات التي تقف أمام امل النجاه والسلامه والسعاده والفوز والظفر بالجنه ولم ينظروا أنهم بذلك يلقون عقبات جديده وسط الطريق الوعر فزادوه وعوره فما لبثوا أن وجدوا أقدمهم زلت في طريق اغلقوه عندما اقسما بالله علي تحريم ما أحل الله تعالي فعندما نهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك واخبرهم أن ذلك خروج عن سنته وانزال الله الايه الكريمه التي تعتبر ذلك اعتداء علي حق الله وخروجاً عن مبدأ الايمان والتقوي وجدوا أنفسهم في مأزق حقيقي صنعه بايدهم فكيف وهم قد اقسما بالله علي القيام بذلك فإنزل الله هذه الايه التي جاء فيها التوضيح والتفسير الحلال والحرام وكيف يكون محو الإثم وكفاره اليمين فقال تعالي متتنا علي عباده (كذلك يبين الله لكم آياته)

يظهر لكم اعلام شريعته وأحكامه التي تحدد لكم المعالم علي جانبي الطريق لتسيروا في خط مستقيم لا اعوجاج فيه فلا إفراط ولا تفريط

ف الله علمكم ما لم تكونوا تعلمون وأظهر لكم بدايه امل جديد في عمل جديد لتخرجوا من المازق الذي وقعتم فيه فلم يغلق عليكم الامل فالكفاره اعطكم الله بها الامل في تطهير عقبات الماضي كي يكون استئناف المسيره نحو السعاده والسلامه والنجاه والفلاح وفق معالم تدلكم علي الطريق المستقيم وسهل لكم المخرج للسير نحو رجاء المستقبل

وهذا البيان من انعام الله التي توجب الشكر لله وعبادته في كل حال فهو تعالي لم يترك عباده يتخبطون في دائره الاضطراب

القسم الثاني

(ياايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوه والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا

والله يحب المحسنين)

اولا

لما اختتمت الآيات بقوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) حيث أنه تعالى امتن علي عباده بإرسال الرسل وحاملين المنهج الرباني الذي يرشدهم الي ما يحقق الكمال للإنسان التي يعجز العقل البشري عن إدراكها في البعثة للرسل والرسالات من أعظم النعم التي انعم الله بها علي الإنسان كونها حازه ضرويه يحتاج إليها الإنسان في العقل البشري وان كان يميز الخير والشر إلا أنه تتنازعه قوه الشهوه والغضب ولهذا فإن من الخطاء تقديس العقل فلا يمكن له أن يشرع القوانين التي يتخذها الإنسان دستوراً للحياه لان المشاهد في حياه الانسان وسلوكه أن العقل عندما تغيب عنه هدايه السماء يضل في تفكيره وتطفي عليه الشهوات وتميل به الأهواء عن سنن العدل لأن مقاييسه في التميز بين الفضيله والرذيله والحق والباطل تقوم علي معايير غير موحد فالاستحسان والاستقباح متفاوت فقد يكون شي ينظر البعض جميلاً وطيب في حين يراه البعض الآخر قبيحاً لأن العقل قاصر عن التوصل إلي جميع المعارف فهو قاصر عن معرفه ما يسعده وما يشقيه ولهذا ارسل الله الرسل يحملون المنهج الرباني الذي يحقق الكمال للإنسان ويعرفونه ما يسعده وما يشقيه فالبعثه من الطاف الله ورحمته لعباده لما فيها من منافع كثيره وتوجب الشكر من العباد ولهذا لما ذكر الله الخبائث التي حرمها تعالى واوجب علي المومنين شكر الله علي هذا الوضوح والبيان تأتي النصوص باستئناف الخطاب للمومنين علي الخطاب الذي قبله في إطار بيان القواعد والقوانين التي تنظم أحوال الناس وتربيتهم علي الانضباط وترك المحظورات في سياق تربيته الامه وتهذيبهم وإعدادهم ليكون اهلاً لحمل امانه قياده العالم حيث أن من انعم الله هو هذا المنهج الذي فصل لهم ما يجب أن يفعلوا وما يجب عليهم أن يتجنبوا ليحول الامه عن الاباطيل التي نشأت عليها فالظروف الاجتماعيه التي أحاطت بالناس في ذلك العصر كانت قد أحاطت الحياه بالظلام الدامس ملبداً بغيوم كثيفه من الفتن والفوضى والا ضطرابات والعدوات والأحقاد والضغائن وحياتهم كلها كانت معتمده علي وسائل الشر وبعيده عن الخير وعن وسائلها فكانت الاطعمه من الخبائث والمفاسد حتي أفسدت الوثنيه الفطره وصارت جزء من نسيجهم العقلي ولهذا نجد أن الآيات بعد النهي عن استحلال المحرمات والنهي عن تحريم المباح وأخبر الله عباده ان ما أحله الله فهو طيب ومأخذه فهو من الخبائث تأتي النصوص مبينه أن من ضمن الخبائث التي حرمها الله ويجب اجتنابها كونها خبائث ونجاسات من عمل الشيطان مانعه من الوصول إلي النجاح والفوز هي الأمور الاتيه فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وبالوقوف علي الايه ومدلولاتها نجد أنها تحتوي علي الآتي

الأمر الأول

أن الحق سبحانه وتعالى يحترم العقل البشري ولهذا جاء بالتشريعات التي تضمن حفظ العقل البشري كونه هو مناط التكليف وهو الذي يميز الإنسان عن بقية المخلوقات ذلك أن الغرائز أمر يشترك بها الإنسان مع الحيوانات بل حتي النباتات ولهذا نجد أن الأمر الإلهي جاء فيه تقرير أن هذه الامور من أعمال الشيطان علي سبيل الحصر و القصر فقال تعالى (إنما)

فذكر الخمر وهذه الكلمه معناها التغطيه والستر فهي تشمل كل ما يخمر العقل اي يغطيه ويستتره سوء كان سائلاً او جامداً وسوءاً كان يوكل او يشرب او يشم أو ابره أو غيره وتشمل الخمور المعروفه النبيذ والحشيش والافيون و البيره فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) وقد ذكر أن عمر بن الخطاب خطب يوماً فقال (أنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمس اشياء العنب والتمر والحنطه والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل)

فذكر الخمسه المعروفه لسامعيه ثم ذكر ضابطاً دقيقاً للخمر وهو (الخمر ما خامر العقل) لانه يضيع العقل وعقوبته ورد أن النبي جلد السكران أربعين جلده ٢/الميسر الذي يضيع المال وهو القمار واكل اللحم ويورث الاحقاد ١٣

انصاب /الذي يحتقر كرامه الانسان فيجعله يعبد حجر يذبح الذبائح عند أقدامها وهو شرك ونجاسه ٤/الازلالم وهو ضرب الاقداح لمعرفه الغيب وهو شرك والسؤال لماذا جمع هذه الأمور الاربعه ؟؟؟؟

الجواب يعود للاتي

المساله الاولى

حرص الإسلام علي صيانه الطاقة الانسانيه (القوي العقليه)

فجميع هذه الأمور تذهب العقل وتصيب الإنسان بفقدان قوي العقل الذي ميز الله بها الانسان ولهذا ينهي عن كل ما يذهب قوه العقل فالاسلام لا يحارب مباحج الحياه والتلذذ بالطيبات لكن مع الحفاظ علي قوه العقل فالاسلام قد صان الطاقه الانسانيه حين حررها من الانقياد للالهه الباطله والأهواء المتبعه قد صان الطاقه الانسانيه حين وجهها لعباده ترضي اشواقها الخفيه دون أن تبغ بذلك كرامه العقل أو مصالح الدنيا لان الهنا المعبود يخاطب عقولنا بالبرهان وهو غني كريم ولا يقهرنا بالباطل ولا يستخف بنا وهذه الاعماق البعيده في التحرير النفسي من الداخل لا يصل إليها إلا الدين أنه يقتلع الجرائم التي يستنبتها الطغاه والظالمون ويسلم زمام الأمور لرب العالمين الذي لا يستغل هذه الطاعه لصالح طبقه أو جنس

فالإسلام حرص علي حفظ طاقه الإنسان حتي لاتزول وتبدد في جحيم القلق دون قرار ويحقق له استماعه بانسانيته وديناه دون أن تستهلكه الدوار في أفق ضيق لايشغل فيه بغير ذاته ومصالحه وحده لهذا يخرج من سجن الخرافات والتقاليد والاستبداد فالإسلام لم يلغي كيان الإنسان باسم الدين ولم يقم الاخره لتصرف النظر عن دنيا يتفاقم فيها الحرمان والعجز والفساد لكن يريد من هذا الإنسان أن يكون في يقظه دائمه وجاد ومتحررا من الأوهام والخرافات والاسلام يريد الإنسان أن ينطلق في الحياه من الإيمان بالله التي تقنع العقل لما غاب عنه فلا يلجأ إلي ضرب الاقدح لأن ذلك سخافات تنتقص من العقل البشري

المساله الثانيه

أن هذه الامور من معالم الجاهليه ولهذا يأتي التوجيه للاهميه نظرا لان اول خطوه لإنجاح مشروع الوسيطيه وا لاعتدال هو التخلص من رواسب الفكر الجاهلي والتقاليد التي تغللت في المجتمع الذي تشكل منه المجتمع المسلم الاول ولهذا جاء الاشاره اليها في إطار عرض قضيه التشريع الذي ذكر انها من خصائص الالوهيه وبمناسبة اعاده تشكيل العقول وصياغه حياه الامه لتكون وفق شرع الله أن الآيات نزلت في مرحله حساسه من حياه الامه حيث كان فيها اكتمال التشريع وإتمام النعمه فكان لا بد من تنظيم التوره لتحقيق الأهداف من خلال قواعد ترسم الدستور والقوانين التي تنظم الحياه وغرس القيم والمبادئ في الامه باحترام سياده القانون والحفاظ عليه وازاله العقبات التي تمنع تطور الامه وتقف في طريق التقدم والتطور

ولهذا نجد أن الآيات السابقه جاءت توجه الأنظار الي الإطار الذي تتحرك امه الاسلام في نطاقه وهو أنها تقييم نظام حياتها وفق منهج الله الذي فيه الإنصاف والمنفعه لكل الناس فما أحله الله فهو من الطيبات وما حرمه الله فهو من الخبائث وأن هنالك قوانين ربانيه ينبغي للإنسان أن يتحرك في إطارها ولا يتجاوزها

لان الخروج عنها يعني العدوان والتجاوز من الطيبات الي الخبائث والمفاسد ولهذا فانه يستوجب تنقيه الاوعيه الذهنيه والنفسية والعقلية والقلبيه والجسديه من القذورات والنجاسات

المساله الثالثه

يزود الحق سبحانه وتعالى الناس بالمهارات والمعارف اللازمه لمعالجه التخلف ليحصل التقدم والتطور في الحياه حيث

وبالنظر الي هذه الأمور نجد أنها من معالم الجاهليه ومن التقاليد والظروف المتشابهة والمتداخله مع بعضها (الخمير والميسر والانصاب والازلام) ولهذا فإنه برغم أن الإسلام قد حسم مساله الشرك في بدايه الامر ولم يحصل التدرج في هذه المساله بل إن الإسلام اعتمد القطع الحاسم في كل عاده تتصل بأصل التصور والعقيده والارتباط المباشر بالله فقد قطعها قطعاً حاسماً من اول لحظه فهي كالاورام الخبيثه ينبغي أن تستأصل من جذورها والا ف لا حياه والشرك بكل عاداته وتصورته من عباده الأوثان والذبح عند أقدام الأصنام (الانصاب /والازلام) من الأمور التي حسم أمرها من اول لحظه وبضره حاسمه لانه لايمكن أن يستقيم ايمان وشرك بعكس الخمير والميسر فقد اعتمد فيه التدرج ولهذا فإن ذكرهما مع الخمير والميسر ليس أنه كان تحريمه في هذا الوقت بل كان التحريم سابقاً وانما اجتماعهما مع الخمير والميسر لانهم من معالم الجاهليه حيث أن مجالس الخمير تكون مصحوبه بالقمار وضرب القدح والذبائح عند أقدام الأصنام وهذه الظاهره ثابتة حتي في الزمن المعاصر

ولهذا نجد أنهما لم يذكر أن في الايه بعدها (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواه والبغضاء في الخمير و الميسر ويصدكم عن ذكر) فلم يذكر الانصاب والازلام...

ومن هنا ندرك عظمه الاسلام وكيف أن هذا المنهج التربوي وضع المنهج الكفيل بمعالجه امراض المجتمعات دون إحداث اثار جانبية فنظر قبل العلاج الي الظروف التي شكلت هذا التخلف بمجموعه الظروف التي أنتجته وصار من عوائق التقدم ولما كان التقدم حركه الي الامام وهو مرتبط بظروف موضوعيه

بمستويات سياسيه واقتصادية واجتماعية وثقافية وهو ضد التخلف ولهذا فإنه للقضاء علي عوامل التخلف وخلق ظروف جديده بديله لها ينبغي أن لا تستهدف بعضها بمعزل عن بقية الظروف التي تتداخل معها وبالذات العوامل الأساسية والرئيسيه لها فلا بد أن يكون العلاج لها كلها لأن عزل الظروف عن بعضها تؤدي الي مضاعفات احيانا تخلق مزيداً من التخلف الذي كان سائداً فهي كانت كلها حزمه واحده فقد كانوا يتسامرون ويذبحون ويتقلمرون ولهذا فإن العلاج يتطلب أن يكون عميقاً فلم يقيم الاسلام بالعلاج السطحي الذي من شأنه أن يحدث تحريك الظروف الموضوعية ولو بحسن نيه الي اثار عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون تحقيقه فلا يمكن علاج الخمير والميسر دون مراعاة علاقه الارتباط العضويه التي تربطها بالوثنيه وعباده الأصنام ودون النظر للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تربطهم ببعض فآخبرنا الله أن هذا من سياسه وبرامج الشيطان لإفساد حياه الناس له ارتباط اقتصادي وانديه ترتبط براس المال وله ابعاد ثقافيه واجتماعية من مخلفات ركام الفكر الجاهلي الذي شكل ثقافه بصوره عادات اجتماعيه انزلت منزله الالتزام الاجتماعي وهذا الا رتباط يعود إلي عدم إدراك الإنسان لمنزلته ومكانته في هذا الكون أنه خليفه الله وقد أكرمه الله بالعقل الذي حسده عليه الشيطان فالذي يذبح الذبائح عند أقدام الأصنام لا يكون عاقلاً فالعقل لا يقبل أن يهين نفسه أمام حجر وكذلك فإن شارب الخمير لا يحترم عقله الذي ميزه الله به فمن كان لديه شي مميز فان معرفته له تجعله يلا زمه ويتمسك به خوفاً من الظهور بمظهره الذي يميزه وكذلك فإن الذي يعرف دوره ومركزه في الكون وأنه مسخراً له وان عليه أن يكون منتجا بالآخذ بالاسباب والسنن فإنه سوف يكافح وينضال ولن يخاف لانه سوف يتوكل علي الله ويقبل باختيار الله وبالتالي فإن الذي يلجاء الي طلب الغني بدون تعب ويهرب من الواقع ويعيش في الخيال والأوهام فإن هذا مثل من يضرب بالآقداح فهناك اثار من ركام ومخلفات الفكر الجاهلي مازال هنالك ارتباط عضوي يربط اوعيته القلبيه والذهنية والعقلية والنفسية بمخالفات وثقافات الفكر الجاهلي ولهذا كان الا هتمام بمعالجه هذا التداخل والتشابك بينها ..لأن إهمال ذلك التداخل والارتباط يؤدي الي مزيداً من التخلف في المراد تنقيه الاوعيه الذهنية والنفسية والعقلية والقلبيه من مخلفات ركام الفكر الجاهلي وليس معالجه حالات الإ دمان باعتبارها عاده اجتماعيه

بمعزل عن بقية الظروف بل جاء فيه مراعاة العلاقه الثقافيه والاقتصادية نظراً لارتباطها بالاقتصاد والحاله النفسية التي أنتجت نظره مغايره لحقيقه هذه الظروف فأراد الحق ذكر ابعاد الارتباط التي أنشأت هذه العادات ليكون العلاج سهل فقال تعالي (رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ربطها بالظروف الموضوعية أنها

ترتبط بما ألفت الجاهلية من عقبات في وسط الطريق الوعر لتزيده وعوره تمنع من الفلاح والنجاه ولهذا فإن تطهير الطريق من العقبات تتوقف علي تنقيه الاوعية الذهنية والنفسية والعقلية والقلبية من مخلفات ركام الفكر الجاهلي فجاء الاقتران بعباده الأصنام لتأكيد أظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك موجب اجتنابه فأنت مكلف بازاله هذه النجاسات فكان الاقتران لأجل الشعور بالمسؤولية وبخطوره الداء والرغبة في الدواء ف التشخيص لأسباب الداء من الامور المهمة للعلاج ولهذا فاللازم علي كل من يقوم بعلاج أمراض تخلف ما في مجتمع أن ينظر إلي علاقه الارتباط العضويه بين الظروف التي شكلت الظاهره ليحدث خلق الظروف الجديده التي تحقق التقدم والتطور

الأمر الثاني

أن الايات تريد أن تغرس في النفوس النفور من هذه الأفعال القبيحه يريد الحق أن يشاهد المومن هذه الأعمال بـ البغض والكراهية ليعتد عن تعاطيها فيخبرنا الله أن هذه الأعمال كلها من أعمال الشيطان المتمرد عن أوامره فهل تقبل أن تعمل أنت عمل الشيطان فهو شيطان وذلك مما تاباه النفوس السليمه

وأنها (رجس) وهو الخبيث المستقذر والمكروه من الأمور الظاهره ويطلق أيضا علي المذمومات الباطنه كما قال تعالي في موضع آخر (وأما الذين في قلوبهم مرض فزدانهم رجسا الي رجسهم) وقال تعالي أيضا في موضع آخر (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) والمراد به الخبيث في النفوس واعتبار الشريعة وهو اسم جنس فالعبره بالمنافع والمضار في الأشياء وفقا لاعتبار الشريعة الاسلاميه فالموصوف بالرجس هو من أعمال الشيطان وهذا فيه الذم المبالغ فيه يولد فيه الاشتمزاز من اقتراف مثل هذه الأمور فالإسلام يقتلع هذه الجراثيم من اعماق النفس وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

اهميه انتقاء الألفاظ التي تتفق مع الخطاب فالحصر والقصر بأن هذه الأعمال من الخبائث والمفاسد التي يتعاطها الشيطان وأنها رجس قادره علي تحقيق الهدف وهو البغض والكراهية لهذه العادات القبيحه فهي من وسائل الشيطان فأراد الحق بهذا استحضار العدواه بين الإنسان والشيطان أنها تعود إلي عدم اعتراف الشيطان بفضل آدم بالعلم والعقل والتسويه بيد الخالق سبحانه وتعالى وبالتالي كيف لك أن تفرط بالعقل بالخمير وكيف تنزل عن كرامتك بأن تشرك بالله وكيف تلجأ الي الأوهام والخرافات في طلب معرفه الغيب بالأقداح ثم كيف لك أن تتخ في عدوك الشيطان والله قد اخبرك أنه عدو وامرك أن تتخذة عدوا فقال تعالي (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)

فيكفي أن يعلم المومن أن هذه الامور من عمل الشيطان لينفر ويشتمز منها ويبعد عنها

المفهوم الثاني

أن الفلاح لا يتم الا بترك ما حرم الله وخصوصا هذه الفواحش وهي مما ينبغي اجتنابها لأنها من أسباب التخلف والهلاك والضياع فقال تعالي (فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

وهو اجتناب التلبس بها فيما يقصد له من المفاسد بحسب اختلاف أحوالها فاجتناب الخمر يعني اقتنائها وشربها وبيعها واجتناب الميسر هو ترك القمار وكذلك اجتناب الذبح لغير الله وهي نجاسات معنويه وذهب البعض الي القول إن الخمر نجاسه ماديه حسيه والمسألة متعلقه بالفوز والسعاده في الدنيا والآخرة لأنها مرتبطه بالصراع بين الخير والشر بين الحق والباطل معركه بين النجاح والفوز والظفر وبين الإخفاق والخبية والخذلان ولهذا يتوقف الفوز علي تغليب المصلحه العامه علي المصلحه الشخصيه لان الخمر كان يشكل رأس مال وتجاره الكثيرون وتوقف مزواله هذه التجاره من الموكد أنها سوف تلحق بهم خساره ماليه ولهذا نجد أن الايات تربط بين

اجتناب هذه الأشياء وبين النجاح والفوز فهي تهدف إلي خلق بوعث تدفع الي الاحساس بسمو الهدف الذي من أجله يكون اجتناب هذه الأشياء وتجعل من هذه الأهداف مصالح عليا مشتركة يجتمع حولها الناس لأجل تغليب المصلحة العامه علي المصلحة الشخصية فتربط ذلك بالمعركة المصيرية مع العدو المشترك أنه خطر يهدد كرامه الانسان وخلافته علي الارض فالعدو هو الشيطان فلا بد من مواجهه العدو المشترك ومخططاته لانه يسعى الي مافيه تعاسه الإنسان وشقاءه من خلال تزيين الشهوات والملذات التي تكون نهايته الخذلان والشقاء ولهذا فإن النجاح والفوز والظفر مصالح مشتركة تستحق الدفاع عنها بجهود المومنين مجتمعين لتحقيق الرفاهيه والرخاء وازدهار والسعادة للمجتمع المسلم انطلاقا من واقع شرعي ثابت وليس من واقع متردد فالأمل الجديد الذي رسمه الاسلام للمومنين يتطلب اعاده تشكيل العقول وصياغه حياه الامه وفقا للصوره التي يرضاها الله لتنال العز و التمكين فكان لابد من الإنتباه للعدو وأهدافه وتطهير الطريق من عقبات الماضي البغيض فالصراع مع الباطل و الشر الذي أسس مدرسته الشيطان هو الذي أحدث الاختلاف والتمزق والحروب فالشيطان واعاونه قاموا بتحديث وسائلهم لاحداث الفوضى والسعي لابطال المشروع الرباني ومخالفه منهج الله فكان الخمر والقمار والانصاب والازلام وغيرها من الوسائل التي قام خبراء فيهم بإعدادها لتكون عوامل ابطال الشريعة وهدم القيم والمبادئ والأخلاق من روح الامه لتكون امه بلا روح بلا هويه امه متناحره لا هدف ولا غايه لها كل فرد له اهتمامات

لاتتجاوز رغباته ونزوته وبالتالي فإنه من الطبيعي ظهور الصراع وفقدان الامه قوتها وعزتها وهذا مانحن عليه اليوم

ثانيا

في سياق بيان أن اجتناب الخمر والميسر والانصاب والازلام فيه الفلاح والنجاه والسعادة تكشف النصوص عن خطه الشيطان وأهدافه وغايته التي يريدها من وراء هذا الرجس الذي سخر له كل إمكانياته هو وأعوانه فقال تعالي

(إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوه والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل أنتم منتهون)

تبين النصوص أن عدوك الشيطان يسعى من خلال هذه الأشياء (الوسائل) الطرق المفسده للأخلاق أن يستعمل هذا السلاح لتحويل المجتمع الي وحوش يسعون وراء اطماعهم أو بهائم تلهث وراء الملذات والأهواء يريد أن يقتل فيكم روح الانسانيه والأخلاق يقتل فيكم روح الاخوه والتعاون علي البر ويقتل فيكم كل معاني الإنسانية و لإخاء والحب ويولد التباغض والجريمه والفوضى يقتل الضمير فلا يكون هنالك احترام للقانون فقال تعالي(أن يوقع بينكم العداوه والبغضاء) والثاني الابتعاد عن ذكر الله والانشغال عن الصلاه فجاء التعقيب (فهل أنتم منتهون) عن هذه القبائح بعد أن اخبرتم بكل هذا وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن القرآن يريد أن يفرس في نفس المومن النفور من مخالفه أوامر الله ولهذا يكشف له هدف عدواه وغاياته ووسائله ليري السامع ذلك الواقع كأنه ماثلا أمامه فيشاهد حاله الفوضى والاضطراب ليشاهد ذلك بالبغض والنفور والكراهية ليبتعد عن تعاطيها ولهذا جاءت النصوص بأسلوب حوار وترغيب وترهيب فالله سبحانه وتعالى يقول لك ايها المومن أنك في معركة بين الفلاح والخذلان معركة الحق والباطل معركة الخير والشر معركة الصلاح و الفساد وهذه المعركة تحتاج منك الي الوعي واليقظه الدائمه لابد أن تسد الثغرات التي ينفذ منها العدو تحتاج إلي الوعي الكامل بينما الخمر من الأمور التي تذهب العقل ويهيج نوزاع الشر في الإنسان ولهذا فإن من مصلحة الإ انسان أن يكون عقله حاضرا لا يغييب عنه فهو ما ميز الله به الإنسان والله قد كرم الإنسان بالعقل عن غيره من المخلوقات ولهذا لا يريد للإنسان أن يذهب عقله لانه أن حدث ذلك استحوذ عليه الشيطان وكذلك فإن الميسر

يفسد التصور لدي الإنسان في حركته في الأرض لانه يزرع الاحقاد بين الأصدقاء والاصحاب وهو أيضا يجعل الإ
نسان عابدا للمال دون النظر لمصدره ويولد مجتمع متخلف يلهث وراء المال دون بذل جهد مجتمع يبحث عن
الترف المادي مع انحطاط القيم الروحانيه فيكون اللص فيهم ذكي والأمين احمق يولد الحقد والكراهية فينتج
مجتمع لايمت للحق بصله مجتمع يعيش لرغباته واهواه مجتمع يعيش في غفله فهي من اضداد العلم والغفله اصل
الشرف الله يقول في موضع آخر (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا) ولهذا فإن
التحريم من الشارع فيه منفعة الامه ولهذا أخبرهم أنه من عمل الشيطان ورجاء لهم الفلاح باجتنابها وآثار ما في
الطباع من بغض الشيطان بقوله تعالى (إنما يريد الشيطان) لان الهوي لايستقل وحده بفعل المحظورات الا مع
الغفله لأن الإنسان لو استحضار مراقبه الله واطلاعه علي أعماله ولو كان موجود في ذكره قوه الله وعظمته وجلا
له وكماله وقدرته وبطشه وعقابه وعده ووعيده لوجب ذلك له الخشيه القاطعه للاهواء لكن غفلته توجب نقص
إدراكه فيكون منه الأعراض الناتج عن الغفله فالانشغال عن ذكر الله تعالى تجعله ينظر الى الاشياء من زوايه
الرغبات والملذات ولهذا ناسب ذم الذين أضعوا الصلوات واتبعوا الشهوات والذين يميلون وراء الشهوات والملذات
والذين اتبعوا ما اترفوا فيها وربطها بالخمير لأن شرب الخمر والقمار من أفعال الفجور المترفون الذين اوقعوهم
الفجور في اللهث وراء الملذات والايات وردت بعد ذكر أصحاب البدع والمترهبون الذي اوقعهم التشدد في
التطرف لان كلا منهما يستحوذ عليهم الشيطان والهوي فينسههم الله الدار الاخره ويفسد حالهم فالله يقول في
موضع آخر (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ولهذا تختم الايه
الكريمه بهذا التعقيب (فهل أنتم منتهون) وهذا فيه

المسالة الاولى

اهميه استخدام الأسلوب الأمثل لتحقيق الأهداف والاغراض والقضايا التي تسعى إلي معالجتها ولهذا نجد أن الا
ستفهام (فهل أنتم منتهون) أنه حوار مع العقل يقول لهم الحق ايه المومنون انكم المعبرون عن اراده الامه التي
كلفها الله بقياده العالم في هذه المرحلة لحمل المشروع الرباني الذي فيه التطور والخير والتقدم والعدالة والا
ستقرار للعالم أجمع فأراد بهذا التحذير من انتفاء وقوع المستفهم عنه أراد أن يعلمنا اهميه مشاركته المستهدفين
في صياغه الاجابه ولذلك روي عن عمر لما سمع الايه قال (انتهينا انتهينا)

المسالة الثانيه

أن علي من يقوم بالدعوه أن لايفصل بين المنهج الرباني وأحكامه وبين دوره التربوي وان يغزو التوحيد أعماق
النفس الداخليه ليحب المومن ما يحب الله ويرضاه ويغض ما يسخط الله فذكر أن الشيطان إنما يريد والارده
تعني المحبه أنه يحب اضلالكم وان يمزق اجتماعكم يريد أن يفسد اجتماعكم يسعى لازاله نعمه الاخوه التي انعم
الله بها عليكم ولايستقيم امر امه وفيها تباغض والبعد عن ذكر الله لأن القلب لايجتمع فيه الايمان والكفر
استحاله اجتماع الشمس والقمر ولهذا بعد ظهور المفسد جاء الاستفهام هل انتم منتهون وفي هذا اشاره الي انه
سبقه مراحل كان فيها التدرج في تحريم الخمر والميسر حيث ابتدأت بايه سوره النحل (ومن ثمراتتتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا) ثم ماورد في سوره البقره (ويسلونك عن الخمر والميسر قل فيهما منافع ...الخ ثم ايه
النساء وقد تناولنا شرح ذلك في سوره البقره منعا للتكرار ...فالمسالة فيها التدرج لأن هذه العادات لها ارتباط
بأحوال اجتماعية واقتصادية متشابهه ولهذا كان التدرج مع استمرار الوعظ والتوجيه واستحياء القلوب فلم يكن
من السهل علي كل نفس أن تحسم موقفها منها في لحظه فلا يعاودها الحنين إليها ولاتعود فكان التدرج في إطار
بناء الخلق الفاضل وتربيته المومنين ولهذا كان جاء الاستفهام للنهي عن تعاطيها بهل التي أصل معناها قد وكثر
وقوعها في خبر الهمزه الاستفهام فاستغنوا بها عن ذكر الهمزه فلم يقل انتهوا لافاده تحقيق حصول المستفهم عنه
بترك واجتناب ذلك ولهذا قالوا انتهينا انتهينا

المسالة الثالثه

تبين النصوص أن علي المعلم تقويم مدي استيعاب التلاميذ للدرس وحصول صورته له في الذهن والقلب والنفس فلا يكفي بالقاء الدرس دون معرفته الاستيعاب لدي المخاطبين ولهذا جاء بالاستفهام (فهل أنتم منتهون) لتمثيل حال المخاطبين بحال من بين له المتكلم حقيقته الشيء ثم اختبر مقدار تأثير ذلك البيان في نفسه فصيغه هل انت فاعل كذا تستعمل للحث علي فعل في مقام الاستبطاء وهذا يتناسب مع التدرج في تحريم الخمر والميسر ولأن البعض لما قال تعالي في سوره البقره (قل فيهما منافع) روبا أن الأمر التيسر علي البعض فظن أن مجرد وجود منافع وان كانت أضرارها أكثر يجعلها غير واقعه في دائره التحريم ولهذا جاء النهي بهذه الصيغه عطفًا علي ما قبلها من بيان أضرارها التي هي تظهر أنها مفسد عظيمه لقطع الأعذار بعد الأمر بالاجتناب للتأكيد علي قطع هذه العاده وتحريمها فهي من الفواحش

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه إطفاء نار الصرعات وتضميد جراح الخصومات فاخبرنا الله أن علينا الوفايه من كل بواعث ا لاختلاف والصرعات اين كانت الأسباب التي تنتج عنها ثم أوضح الهدف بأنه لصالح الإنسان اجتناب ما نهى الله وان يستحضر المرء أن الله مطلع عليه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول لا يزني الزاني وهو مومن ولا يسرق السارق وهو مومن ولا يشرب الخمر من كان مستحضرا اطلاع الله عليه لانه لو استحضر ذلك لحصل منه الخوف من عقاب الله وسوف يهرب عن كل ما يغضب الله وسوف يحرص علي ما فيه القرب من الله وحب الله ولهذا يأتي الأمر بعدها بقوله تعالي (واطيعوا

الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين)

الأمر بطاعه الله هو بامثال امره واجتناب نواهيه في كل ما جاء بالقران الكريم كتاب الله وطاعه الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته والتحذير من المخالفه والوقوع فيما نهى الله عنه فالمجتمع المسلم لا يوجد صراع علي السلطه السياسيه لأن الجميع مطيعون لله والرسول صلى الله عليه وسلم فكل خلاف يرجع فيه الي كتاب الله وسنة رسوله ولهذا فإن المومن يستحضر وجود الله واطلاعه في كل حركه وقبل أن يتحرك ينظر إلي الحكم الشرعي للفعل وهو في يقظه دائمه ينهض بالتكاليف ويسيطر علي نزواته ورغباته ولهذا فإن هذا المنهج فيه الخير والصالح للناس لانه يحقق كرامه الانسان ولهذا فإن انتصاركم علي العدو إنما يكون بهذا المنهج وانتم بهذا المنهج تنتصرون علي الأعداء ويكون القضاء علي العدو وحساباته التي يسعى من خلالها الي تمزيق كيان الامه وتمنع تمزيق الصف فالعدو يريد الانفراد بكم من خلال الخمر والميسر عندما يجعلكم جماعات ممزقه فعندما تفقد الامه وعيها بالخطر المشترك ويسقط من حسابها المصالح المشتركة فإنها تقع في دائره الشرور وتعجز عن حمايه الحق ومقاصده لأن اردتها تكون منشغله بتفاهات وبعيده عن مصدر قوتها وعزتها ونحن نشاهد اليوم كيف هو حال الا مه عندما ابتعدت عن منهج الله كيف صار العالم العربي والإسلامي في حاله تمزق وضعف وهوان وهو ما أخبرنا الله عنه (واحذروا) اي من مخالفه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فالتهديد هنا فيه بيان أنه لو حصل الأعراض لا يضررون الا بأنفسهم فقال تعالي (فإن توليتم فاعلموا)

جواب الشرط معناه أن الضرر يعود علي أنفسكم ولن يلحق الرسول ضرر فهمته هو البلاغ وهو اداء الامانه وقام ب البلاغ فقال تعالي (فإنما علي رسولنا البلاغ المبين) و اضافه الرسول الي الله تشريفا له مبينا أن رسول الله قد بلغ الرساله ولهذا فقد قامت عليكم الحجه وبالتالي عليكم الشعور بالمسؤولية وان تنهضوا للحق وتنتصرون للحق ف العاقل اذا نظر إلي المفسد فإنها تكفي لتزجره وتكف نفسه ولم يحتج الي موعظ ولا خوراق ولا زجر بليغ

رابعاً

(واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله

يحب المحسنين)

بالوقوف علي الآيات الواردة سابقه نجد انها تناولت اضرار التشدد في الدين وأنه لا يحارب مباحج الحياه والتلذذ بالطيبات لكن في إطار الوسيطيه والاعتدال وذكر اضرار شهوه البطن في الاسراف بتناول المباحات مثلما ذكر اضرار الحرمان وتعذيب النفس من الطيبات ثم تناولت الآيات شهوه البطن بتناول المحرمات من الخمر واللحم الذي يذبح في هذه المناسبات وقرنت ذلك بعباده الأصنام وايضا ذكرت شهوه حب المال فذكرت تحريم الميسر و الذي يدخل فيه القمار واخبرنا الله أن هذه الامور ثغرات ينفذ منها الشيطان الي النفوس فيكون الإنسان خاضعا للشيطان وبالتالي كيف لعبد يطلب الفلاح أن يقبل بولايه الشيطان فسلطانه كما أخبرنا الله (أنه ليس له سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون إنما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

ولهذا جمع الحق سبحانه وتعالى الخمر والميسر والانصاب والازلام في النهي لأن حب المال يولد الحرص الشديد و الشح والطمع والحسد والحقد والفجور والظلم وسفك الدماء واتباع الهوى وذلك يطفئ جذوه الايمان ويفتر الهمة عن الطاعات ويحصل التقاعس ويخرج من القلب حب الله ورسوله ويحل محله الشهوات والملذات وحب المال ولهذا تأتي الآيات مبينه وسائل العلاج من هذا الداء

الامر الاول

الوسيله الاولى من وسائل العلاج هي الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم بالقيام بالمأمورات واجتناب نواهيها والاكتثار من النوافل لان الإيمان يزيد وينقص بالاطاعات وينقص بالمعاصي ولهذا جاءت النصوص معطوفه علي ما قبلها (واطيعوا الله واطيعوا الرسول)

فالطاعة فيها تقويه الايمان وتودي الي ارتباط العبد بربه والتقرب منه بالأعمال الصالحة

و هذا يتطلب الحذر من التهاون بالطاعات والمحاذير فالإيمان ينقص بتسلط الشهوات من حب المال فالطمع يجعل المرء لايشبع كلما زاد المال زاد طمعه وحرصه دون اهتمام بمصدره واضراره علي الآخرين وطغيانه وجحوده انعام الله ولهذا يقول الله تعالى لعباده (واحذروا) فعليكم تذكر عاقبه المخالفه والعقاب فالعذاب في الاخره اشد وابقى فإن هذا الحذر يجعلك في يقظه دائمه وذاكرا لله فمن الخطاء التصور أن السعاده تكمن في جمع المال وتلبيه الرغبات فإن العاقل لايمكن أن يضر بنفسه الي المستوي الذي يجعله يغفل عن آخرته وبالتالي فإن مصلحتك الحقيقيه توجب عليك طاعه الله ورسوله فلا تتحول شهوه البطن أو شهوه حب المال من وسيله لتقوي الله الي غايه وهدف للحياه فإن هذا يشكل خطرا فيه الهلاك ولهذا فاللازم علي المومن أن يجاهد نفسه وان يكون شاعرا ب المسؤولية فالتكاليف تحتاج إلي اليقظه وان عليك أن تذكر نفسك بعيوبها وافتقارها الي ربه ف الله سبحانه وتعالى قد أرشدكم الي مافيه صلاح احوالكم ومافيه سعادتكم وحذركم من اتباع الشهوات وبين لكم أضرارها فلا تمكن الهوى والشيطان من التسلط عليك فأنت الخسران أما الرسول فإنما مهمته البلاغ المبين لاقامه الحجج عليكم ف الله لم يحرم شيئا إلا كان ضارا علي الإنسان ولم يبيح الا مافيه النفع للإنسان فإذا أدركت النفس ذلك فإنها سوف تترك الخبائث والمفاسد لأن ذلك فيه صلاحها أما إذا لم تترك الهوى والخبائث فإنها إنما تضر بنفسها ولهذا قال تعالى (فإن توليتم فاعلموا إنما علي رسولنا البلاغ المبين)

الامر الثاني

اهميه الالتجاء الي الله والتقرب منه لأن الشيطان لا يتسلط علي العبد الا عند غفلته ولهذا يبصر الله عباده بمكائد الشيطان حتي يحذروا منها فالذكر يودي الي التذكير وطرد الغفله ف الله يقول في موضع آخر (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) فالعاقل اذا تنبه من غفلته وتذكر عقاب الله لا بد أن يكون حذرا من اي طائف شيطاني يطوف حوله لأن ذكر الله يطرد الشيطان فذكر الله يحول دون الوقوع في شبكه

ومصيده الشيطان ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يبين للمومنين الذين بعد نزول آيات تحريم الخمر والميسر
بدوا يتسالون عن اخوانهم من المومنين الذين ماتوا قبل التحريم وقد شربوا الخمر وتعاملوا بالميسر فنزلت الآية
(ليس علي الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا
ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

فالايه فيها عده مدلولات

المساله الاولى

تقرر قاعده التحريم وعقوبتها أنها لاتسري بأثر رجعي وانما يبدأ سريان العمل بها من تاريخ نزول النص المجرم
للفعل وبالتالي فلا جريمه ولاعقوبه إلا بقانون فالنص القانوني هو الذي ينشي الحكم ولهذا جاء فيه رفع الجناح
وهواللؤم والمؤخذ ممن شرب الخمر وذاقه قبل التحريم ؟

مبيننا العله (اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات)

فهم عندما يتركون فعل أمر فإن هذا يعود إلي خوف الله وانهم يعرضون أعمالهم علي شرع الله وبالتالي فإن هولاء
ء لم يتناولوا ذلك علي انها محرقات ولم يرتكبوا معصيه...

وبالتالي فإن التحريم للشي يوجب الالتزام به طالما أنه صادر من الله تعالي الأمر باجتنابه ولهذا فإن ذلك يعني
أنك تومن أنه من الخبائث. وتبادر الي تركه سواء عرفت العله ام لم تعرف فطالما أن الله يقول لك أنه محرم فإن ال
لازم امتثال أمر الله خضوعا واستسلاما لأمر الله وبعد ذلك يكون للعقل أن يبحث عن الحكمة ان كان يمتلك
ادوات معرفتها فإن لم يعرفها فعليه الامتثال لأمر الله

المساله الثانيه

يخبرنا الله أن العبادات القلبيه هي التي يقطع بها العبد المسافه بينه وبين الله فالقلب هو الذي يسير به العبد الي
الله فطالما انهم يومنون بالله ويرقبونه ويعملون الأعمال الصالحه فإنه بهذا يتصل بالله ولهذا يجب محاسبه
النفس ومراقبتها علي الدوام لمنع تسرب افات البعد عن التقرب والاتصال بالله فقد تتسرب افات العجب الي
نفوس الصالحين والغرور ولهذا فإن القرب من الله يتطلب مراقبه الله في كل لحظه بالاتقاء والثبات علي الإيمان
في كل وقت ولهذا يقول لنا الله (وامنوا واتقوا) فأراد بهذا الثبات والاستمرار علي التقوي والإيمان ومن الطبيعي
أن العمل الصالح هو المعبر عن ذلك والمومن محتاج الي تجديد إيمانه وطلب زياده الايمان فالرسول صلي الله
عليه وسلم يقول لايزني الزاني وهو مومن... الخ فإنه لو كان مستحضرا لاطلاع الله عليه لما ارتكب الجريمة

المساله الثالثه

ان آثار الأعمال هي التي يكون فيها الانتقال من الهمجيه الي الإنسان ثم يرتقي ليكون انسان أخلاقي ثم يرتقي
ليكون انسان رباني فمظاهر تأثره وأتباعه الشريعة تجعله يعرف حق ربه وحقوق بني جنسه حسب مراتبهم
فيستعمل ملكاته في محلها

في أداء ما الزمه الله به وهو يشعر بالراحه والاطمئنان لانه بذلك يتقرب إلي الله وهو يتخلص من مشاعر وبواعث
الشر حتي يطرا علي الميول النفسانيه موت لكل دواعي الشهوه لانه ينظر إلي الطاعات أنه غذاء روحاني فاعلي
درجات الروحانيه هو أن يطمئن الي ربه وان يجد كل السرور واللذه في الله فيجد في القرب من الله الغذاء
الروحاني الذي تقوم عليه حياته الروحانيه فتأخذ الشهوات النفسانية في الخمود من تلقاء نفسها ويطرا عليه انقلا
ب عظيم في تغير عاداته فيبتعد عن الشر فتعزل عنه المحرمات فقد ورد في الحديث القدسي ما يزل العبد يتقرب
إلي حتي احبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها... الخ

هنا يجد القوه الربانيه التي تجعله يشعر براحه الاستقامه الصادقه فقال تعالى (واتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوب ومقام المحبوبيه فوق جميع المراتب وقد عرفها الرسول صلى الله عليه وسلم يقوله بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

وهو يقول في موضع آخر (أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

القسم الثالث

بعد الحث علي مراقبه الله وطاعته وامتنال اومره واجتناب نواهيه وان اعلي مراتب ذلك هو الاستقامه الصادقه التي تجعلك تتصل بالله وتطمئن الي الله وتجد السلون في طاعته بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما أخبرنا الله في الايه الكريمه قبلها (واتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين

(تأتي النصوص مبينه أن الإيمان ليس مجرد قول باللسان فلا بد أن تخضع للامتحان فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا ليلبونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم ياايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فحزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذو عدل منكم هدايا بالغ الكعبه

اولا

بعد ذكر منزله الاحسان التي هي اعلي درجات الروحانيه لأنها تصل العبد بالله يخبرنا الله تعالى انه لإنشاء علاقه روحانيه معه تعالى لابد أن يطرأ موت علي ميولنا النفسانية لتكون هذه الميول تابعه لمراد الله عن ارداه حره راغبه بحب في الطاعه وتجد اللذه والسرور في تحمل أعباء التكليف ولهذا قال سبحانه وتعالى (ياايها الذين آمنوا ليلبونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم)

وقد ذكر أن الايه نزلت في الحديدية حيث كان المسلمون في إحرام وابتلاهم الله بالطيور والحيوانات التي كانت في متناول أيديهم مثل الصغار الفراخ والبيض والكبار التي في متناول الرماح

فالاختبار هنا هو للغرائز هل تكون قوه تستعمل في التعبير عن حب الله وخوفه ام أنها تمثل نقطه ضعف للإنسان تجعله تابعا للشهوات ذلك أن الذي يحب الله تعالى سوف يبادر الي التقرب لله لما يحب ويرضاه وكذلك فإن الذي يستحضر صوره الخوف من الله فإنه لابد أن يهرب من كل ما يغضب الله

فالايه فيها الآتي

الأمر الأول

أن اللازم تدريب المومنين علي الثبات من خلال وضعهم في امتحانات لمعرفة استعدادهم للدروس النظرية فلا بد من الاختبار الميداني الذي يكون معرفه القدره علي ترجمه النظريات الي أفعال ولهذا فإن من عناية الله تربيته المومنين بهذا المنهج الرباني ف الله يخبرهم أنهم مقدمون علي امتحان وبلاء في أمر الصيد الذي نهو عنه وهم محرمون ليكون الانتقال الي التطبيق العملي لمعرفة صدق إيمانهم ولهذا فإن الحق يخبرنا أنه تولى سبحانه وتعالى تربيته المومنين ليكونوا اهلا لحمل الامانه وقياده العالم أعدادهم من خلال التجارب التي وضعهم فيها

فوضعهم الله في اختبار فيه اغراء مرتبط بعادات وغرائز العربي الذي كان يعشق الصيد فهو قوام حياته وهو اذا

رأي الصيد فإن يدها تمتد الي الرمح لتتجه الي ما تراه عيناه من صيد سلوك غير اردي فأراد الحق تربيته المومنين علي الانضباط وعلي حسن استخدام الفرائز لتكون قوه دافعه علي طاعه وقوه ردع عن مخالفه أمر الله ولهذا يكشف الله عن الغرض من هذا الامتحان فقال تعالي (ليعلم الله من يخافه بالغيب)

فمن يخاف الله ويستحضر وجود الله واطلاعه علي أحواله فإنه سوف يهرب من أن يراه الله في موقف يرتكب معصيه الله

فالذي يدعي أنه يعرف الله بقوته وجبروته وعظمته وجلاله وكبريائه ثم لا يهرب من مخالفه أمر الله فإن هذا لم يعرف ربه أو أنه عرفه ولكن قلبه منشغل بأمور أخرى

فمن لم يخشي الله فليس بعالم فالعلم يوجب خوف الله ويوجب استحضر عذابه وعقابه وبالتالي فإن المومن الحقيقي بالله واليوم الآخر باليقين الحازم لن يرتكب ما يغضب الله فمن إدراك أنه إن ارتكب الجريمة فإن العقاب الإلهي سوف يحل به لامحاله لن يرتكب ما يغضب الله

الأمر الثاني

أن الاختبار هنا لمعرفة القوه الخفيه التابعه من نفس الإنسان التي توضح له الطريق الموصل الي الله والدار الآخرة فهو مسافر الي الله والدار الآخرة وتدفعه الي السلوك وتبين له سبيل الخير وتحذره من طريق الشر والعصيان فالإسلام يدعو الي بناء الإنسان بالتقوي ويجعل منها قوه فعاله تحول بين الإنسان وبين الشر فاختبار الرقابه عنصر مهم في بناء الشخصية المتقيه وهي تغرس في النفس الشعور بالمسؤولية والحساب عن كل فعل أو قول أو حركه والمطيع من داخله لابد أن تدلك أعماله وسلوكه علي مافي باطنه فمن يخاف الله يظهر حقيقه خوفه عندما تكون الجريمة سهله وهناك اغراء يجذب إليه الفرائز أما إذا كانت صعبه الوصول إليها فإن الامتناع لامعني له لأنه ليس بالضرورة أنه امتثال لأمر الله ولهذا نجد أنه ربط الاغراء بالعادات التي يجد العربي نفسه مندفعاً إليها دون تفكير وهو الصيد فأراد الحق تهذيب النفوس والتمرين علي قمع الأهواء وكسر العادات رغبه في طاعه الله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فكان الامتحان وسيله تربيته لتحويل امتثال أمر الله الي عاده تقوم بها النفس حتي لو تعارض مع رغباتها وربط ذلك بالهدف المقصود من العاده الجديده من خلال ربط الامتثال بالوصول الي الله وقطع المسافه بين العمل والقلب وقطع المسافه بين القلب وبين الله

الأمر الثالث

أن استقرار حقيقه الايمان بوجود الله والشعور بوجوده واطلاعه في النفس تودي الي محاسبه النفس ومراقبتها علي الدوام والحرص علي تاديبها والاضطلاع بمسئوليتها والحذر من المخالفه فيكون الإنسان في يقظه دائمه وبهذا يكون للامه الامتياز فقد وصف امه الاسلام عندما كانت عند مستوي المسؤولية فقال تعالي (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... الخ

فقد اجتازت الامه الاختبار بنجاح بعكس فإن اليهود في ايله تعرضوا للاختبار بصيد السمك يوم السبت فلجاوا الي الاحتيال علي شرع الله ولهذا يخبرنا الله اننا في الحياه معرضون للاختبار ف الله يقول (إنما تنذر من يخشاها) وقال تعالي (إنما يخشي الله من عباده العلماء) وقال تعالي أيضا (فأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي الماوي) وقال تعالي (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وقال تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطان فهو له قرين وانهم ليصدون عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون)

ولهذا يأتي التعقيب (فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم)

بعد هذا الإعلام والانذار فمن خالف فله عذاب موجه لا يقدر علي وصفه الا الله لانه أعذر لذلك المعتدي من الا

اعتدي فالاعتدي إنما هو مكابره صريحه وعدم مبالاه بنذير الله وخروج عن طاعته فالخوف من الله هو الخوف من عقابه ووجود هذا الإحساس في قلب الإنسان وضميره يعني حمايه التشريعات من داخل الانسان وهذا ما يتوفر في القوانين الوضعية فالفرد يلجاء الي كسرهما اذا تقين أنه سوف يفلت من عقاب القانون أما المسلم فهو يشعر أن الله مطلع علي أفعاله وسوف يحاسبه علي أعماله ولهذا فإنه يجتنب المخالفه

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تربيته المومنين وتنميته وتزكيه النفوس والارتقاء بها فذكرت عقوبات رادعة لحمايه شريعته الله من ان تنتهك فتاتي الآيات مبينه احكام من يرتكب مخالفه قتل الصيد المنهي عنه في فتره الإحرام فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبه أو كفاره طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليدوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)

وبالوقوف علي الايه نجد أنها تتناول الآتي

الأمر الأول

ماهو المقصود باليهي عن قتل الصيد أثناء الاحرام وهل له ارتباط بما ورد بالايه قبلها ؟

ظاهر الايه تحريم الصيد في حاله الإحرام وهذا تكليف وهو ابتلاء من الله وله ارتباط بما قبله وانما الاختلاف بينهما يعود إلي التفاضل في القله والكثره وفي الضعف والشده ولذلك كان التكليف الاول تمهيد لهذا الحكم وابتداء بالتنبيه والاشاره إليه أنه ابتلاء للاشاره أنه من لم يثبت في مثل هذه المواقف كيف يثبت عندما تشتد المحن ؟

ولما كان الابتلاء والامتحان يراد منه تحصيل طاعتهم كما ذكر في شأن الأمر بالامتناع عن الشرب من الماء في قصه طالوت فينبغي أن يكون مقصود العبد اتباع شرع الله ليكون مطيعا لان الابتلاء يجازي به والله يحب الايمان والعمل الصالح ويرضاه ويبغض الفسق والكفر والعصيان ولهذا فإن الحق يبتلي عباده بأمر يوجب عليهم التنفيذ وان كان اخفاء الحكمه عنهم ولهذا نجد أن الايه وردت بعد الايه التي تحدثت عن ابتلاء بسهولة الصيد في فتره ا لإحرام ولأن الطبيعه العربيه أنها تندفع للصيد وربما كان هذا ناتج عن نسيان أنه محرم او يكون متعمدا ولهذا نجد أن الايه جاءت بصيغه النهي عن الصيد أثناء الاحرام ثم أوضحت حكم من يقتل الصيد أثناء الاحرام عمدا فقال تعالي (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم)

اي القاصد وقد ذهب البعض الي القول إن الحكم هو علي الناسي أما المتعمد فيبطل إحرامه بينما ذهب الجمهور الي أنه جزء علي العامد والناسي وهذا هو الأرجح لان إتلاف الموجود يضمنها من إتلافها سواء كان عامدا أو مخطئ هذا في الدنيا إما في الاخره فإن الانتقام يكون للمتعمد أما المخطئ فالعقوبه بالدنيا كافيه

الأمر الثاني

أن الايه الكريمه تهدف بهذا الي خلق ظروف جديده بديله عن الظروف التي شكلت العقليه الجاهليه والتي كانت تتلاعب بالاشهر الحرام فتقوم بتأخيرها وتقديمها وفقا لاهوائهم ولهذا جاء التنبيه بالابتلاء لتربيته المومنين علي التثبت واستحضار اطلاع الله علي أفعالهم فكان تخصيص تحريم بعض المباحات في منطقه الإحرام وعندما تكون محرما والنهي يشمل مقدمات القتل والمشاركه في القتل أو الاعانه عليه لأن ذلك من تمام الأمر ويربط هذا بتعظيم القلوب لهذا النسك فقال تعالي (ومن قتله منكم متعمدا) من اسم شرط وقتله فعل الشرط منكم صفه لا سم المشروط اي من المومنين

والمراد بإيراد منكم التنبيه علي ابطال فعل الجاهليه لانهم كانوا يعاقبون من أصاب صيد بالضرب ويسلبونه ثيابه ولهذا يقطع الاسلام علاقه بأفعال الجاهليه وتنص الايه علي الجزاء والعقاب في الشريعه الاسلاميه (فجزاء مثل ما قتل من النعم)

فقد سماه الله جزاء والفرق بين الجزاء في الإسلام وبين أفعال الجاهليه ان العقاب في الإسلام يهدف إلي التأديب وحمايه الاخلاق بالعقوبه الكفاره التي يكون ستر الذنب وذلك بإصلاح القلب بحيث يشعر بعظمه الجريمه لان الذي يصل الي الله هو تقوي القلوب لقوله تعالي (لن ينال الله دماوها ولا لحومها ولكن يناله التقوي منكم)

ولهذا سماه جزء مع أنه شرع علي صفه الكفاره كونها تأديب وعقوبه كما قلنا وليس القصد منه أن يغرم اي مجرد الغرامه بان يذبح بهيمه من الانعام بمايمثل الحيوان المقتول وانما يراد بهذا أن يشعر أنه ارتكاب جرما أوجب عليه الجزاء بالمثل اي من مستوي الصيد الذي قتله فنفسه بحاجه الي تربيته وتطهيرها لان قتله لما حرم الله عليه يعني أن النفس لم تتصل بربها بالقدر المطلوب وبالتالي فليس المراد به الاهانة والإذلال كما كانت عادات الجاهليه بضربه وتجريده من ملابسه ولهذا لم يترك الأمر لكل واحد فجاء بذكر الحاكم (يحكم بها ذو عدل منكم)

فالمساله تحتاج إلي خبره وتقدير صفه وقيمه المقتول وما يمثله في المستوي والقيمه فقد ذكر أن الغزال يقابلها عنز والبقره الوحشي يقابلها بقره أو ابل والقط والارانب البري يقابله ارنب وقوله (ذو عدل منكم) يعني أنهم من المسلمين وهذا فيه أن علي الصائد أن يبحث عن عدلين من المسلمين من ذوي الخبره وان علي العدلين أن يقوموا بالتقدير للمثل لانه لايستطيع كل واحد معرفه صفه المماثله وبالتالي فإن قيامه بالبحث عن العدلين وخضوعه لما يحكمان يعني أنه قد شعر بخطوره فعله وفي ذلك علاج لقلبه وتربيته ليكون معظما لمناسك الله فالمراد بهذا تحويل مفهوم العقاب من اهانه في عرف الجاهليه الي عقوبه تبعث علي تعظيم العبد لمناسك الحج ولهذا قال تعالي بعدها (هديا بالغ الكعبه) حيث نجد الاقلاب التنوين مع الباء في (هديا بالغ) لان قاتل الصيد قد قام بـ التحول عن وجهه الإحرام الكعبه بفعله الي الاحوال العاديه في غير الحج والعمره فكانت الكفاره تحويل الجراء الي تعظيم لمناسك الحج فكان هذا علامه علي عوده الأمور الي نصابها لان قيامه بسوق الهدى الي الكعبه يعني أنه أصبح يحترم المحرمات فالهدى عندما يساق الي الكعبه لايجوز التعرض له فكان الجزاء من جنس العمل و الخيار الثاني اطعام مساكين أو صيام بما يعادل ذلك

الأمر الثالث

لمن يكون التخيير بالحكم (هدايا بالغ الكعبه أو إطعام مسكين أو عدل ذلك صياما)

هل التخيير لمن اصطاد ام المحكمين ؟

أن الصيد ملك الله اباحه في الحل ولم يبيحه للناس في الإحرام ولهذا فإن من تعدي عليه يكون قد حوله عن وجهه ففرض الله عليه جزء وجعل جزاءه ينتفع به ضعاف عباده

ولهذا فإن التخيير يكون للمحكمين لاختيار مافيه المصلحه الا في حاله عدم وجود النقود معه فيكون عليه صيام بما يعادل ذلك لان الله تعالي قال بعدها (ليذوق وبال امره)

حيث نجد إدغام التنوين مع اللام في قوله (صياما ليذوق)

فدل هذا أن الكفاره داخل فيه معني العقوبه لان الذنب هنا مخل بحرمة يشدد عليها الاسلام تشديدا ولهذا سمي

جزاء ولم يسمي كفاره لانه روعي فيه المماثله فهو مقدر بمثل العمل فسمي الجزء مأخوذ من المماثله الموافقه
جزاء وفاقا ولهذا فإن تقدير الموقف ونوع الحكم الذي يحقق شرط المماثله إنما يتحقق بتقدير المحكمين فدلنا
هذا أن العقوبه ليتجرع عقوبه فعله فواجب عليه كفاره مثل ما قتل من النعم والذوق متعلق بقوله (فجزاء) واللام
للتعليل ذلك أن الذوق يستعار للاحساس والكدر يذوق طعم الكربه ليكون اعاده اثاره الاحساس من خلال اتصاله بـ
الآلم عن فعله بالادرك كما قال تعالي (ذق انك انت العزيز الكريم) وقال تعالي (فاذقها الله لابس الجوع والخوف)

والوبال السوء وما يكره ف الله يقول في موضع آخر (فاخذناه أخذاً وبيلاً)

وطعام وبيبل يعني سي الهضم.... والامر الشأن والفعل أي أمر ما قتل من الصيد متعمدا والمعني ليجد سوء عاقبه
فعله بما كلفه من خساره أو من تعب وهذا يدل أن المحكمين هما اللذان يختاران الحكم المناسب الذي يحقق
الغرض ولهذا يأتي التعقيب بقوله تعالي (عفا الله عما سلف)

العفو عن المخالفه في الجاهليه وعن المخالفه قبل نزول الايه فدل هذا علي التشديد علي هذه المساله بدليل أنه
ذكر العفو وان الذي يعود إلي الفعل ف الله متكفل بانزل العقوبه عليه فهو عزيز لا يقهر وهو يعلم ما يصلح لعباده

الأمر الرابع

تبين النصوص أن اللازم علي المسلم تعظيم شعائر الله والتي منها حرمة المكان والزمن وعدم جواز قتل اي حيوان
عدا الفواسق العقرب_والحيه_والغراب_والفاره_والكلب العقور

وتبين النصوص أن الذي يعود إلي القتل مره اخري ف الله متكفل بانزال العقوبه عليه فقال تعالي (ومن عاد فينتقم
الله منه والله عزيز ذو انتقام)

واصل الانتقام الانتصار والانتصار فأراد تهويل العقوبه للمبالغه في شدة ما يناله من عقاب ف الله اذا اراد أمرا
قضائه فهو شديد البطش فكيف يكون تخلص المجرمون من قهره وانتقامه فليحذر العاقل من المخالفه والعصيان
بقدر الإمكان والاستطاعه فلانسان يحصد ما يزرع فناسب التهديد حاله النفسيه التي تسيطر علي الصياد لانه
يغتر بقدرته ومهارته ويحاول إظهاره ما يفخر به من القدره والقوه علي هذا الصيد الذي أراد الله له الامان
وبالتالي فإن هذا الصياد لم يستحضر قدره الله وقوته وقهره وأنه قادر علي تحقيق وعيده بالانتقام لمن دخل في
الامان ومنطقه الامان التي منحه الله إياها ولو كان حيوان فجاء التهديد ليغرس خوف الله واهميه استحضر
قوته وقدرته وسلطانه وقهره سبحانه وتعالى وان تستحضر ضعفك ايه الإنسان فكيف تقف ضد أوامر القوي
العزيز الذي لا يغلب

ثالثا

لما ذكرت النصوص مساله تحريم الصيد وعقوبه قاتل الصيد لحيوانات البر تأتي النصوص مبينه احكام صيد البحر
كالسماك وغيرها فقال تعالي (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسياره وحرمة عليكم صيد البر ما دمتم
حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون)

أن صيد البحر من الأسماك وغيرها من الاطعمه البحريه أنه جائز صيدها وأكلها حلال للحاج والمعتمر او المقيم و
المسافر فذلك مباح فهو متاعا أي منفعتة لكم تنتفعون بها ليكون قوه لكم في طاعه الله وان صيد البر محرم
عليكم حتي يكون التحلل من الحج والعمره وعقب بالدعوه الي تقوي الله فلا تغفلوا عن حقيقه انكم في الدنيا
مسافرون الي الله والدار الآخرة مثلما انكم في رحله الحج والعمرة مسافرون وتجتمعون من اوطان متعدده
فعليكم إن تتقوا الله وأنكم سوف تحشرون وسوف يقسم الناس إلي قسمين أما الي الجنه وأما الي السعير فعليكم
استحضر هذا الموقف ليكون الاشفاق من عذاب الله سببا لكف النفس عن المحرمات واستحضر الجنه وما عند

اللَّهُ ليكون الزهد عن الدنيا بالاشتياق لما عند الله وترقب الموت يجعلك تبادر الي الأعمال الصالحة

رابعاً

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ماعلي الرسول لا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الأبواب لعلكم تفلحون)

المبحث الأول

يخبر الله عباده ان كل أمر أو نهي صادر من الله لا بد أن يكون فيه مصلحة للعبد فالله لم يخلق ولم يأمر الا لحكمه وهو تعالي لم يأمر إلا لسبب فاللازم الايمان بالاسباب والحكم لأن الإنكار يعني القول إنه يأمر بما لا منفعه للعباد إليه فما أمر الله به فهو لحكمه وما نهي عنه فهو لحكمه حتي التعبد المحض فإن له حكمه لانعلمها والحكمه قد تكون في المأمور به وقد تكون في الأمر ولهذا تأتي الايه باستئناف بياني يحصل بها جواب عما يخطر في نفس السامع من سؤال عن حكمه تحريم الصيد في الحرام أو اثنا فتره الإحرام فقال تعالي

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم)

فيها الجواب بأن ذلك من تعظيم شان الكعبة التي حرمت ارض الحرام لأجل تعظيمها والجعل يطلق علي اليجاد فتعدي الي مفعول واحد كما قال تعالي (جعل الظلمات والنور) ويطلق بمعني التصير فتعدي الي مفعولين وكلا الأ مريين صالح حيث اذا اخذنا معني اليجاد فيكون معني ذلك انه تعالي يخاطب من سال عن الحكمه في تحريم الصيد في الحرام فيقول انظروا الي ما ابتلي الله به عباده من ادم الي اليوم بهذه الاحجار الصماء التي لاتسمع ولا تبصر اي الكعبة ثم جعلها قياماً للناس يهرعون إليها من كل مكان تهوي اليه أنفسهم برغم انها في مكان خالي من مظاهر الحياة فلا زرع فيها ولا اماكن جذابه فهي في منطق قاحله ورمالها كئيبه المنظر والقري متباعده عنها وجبالها متفحمه ومع ذلك جعلها الله محط اهتمام الناس مع انقطاعها في صحراء قاحله ومع ذلك جعل الله افنده الناس تسرع إليها وتسوق الهدي إليها فلو شاء الله لجعلها في منطقه ملئيه بالاشجار الكثيفه والوديان الخلابة تحيط بها الأنهار والثمار والأنهار والأزهار ولجعلها في منطقه تتصل بها القري ولجعل لها احجار كريمه وياقوت ومرجان لكن لو حصل ذلك فإن هذا فيه تصغير قدر الجزء لأن ضعف البلاء يعني ضعف الجزء لأن المسافر سوف يكون حاله إليها من زوايه السياحه ولن يجد مشقه ولا تعب وعندها لن يكون هناك مجاهده الشيطان والنفس لكن الله يختبر عباده بالمكاره والشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهدات ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا التكبر من قلوبهم واسكاتا للتذلل في نفوسهم ليجعل ذلك أبواباً مفتوحه و اسعه لنيل فضله وطرقاً واسباباً ذللاً لعفوه ولهذا قال تعالي ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات ما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم)

والايه أيضا فيها امتنان الله علي عباده بأن جعل الكعبة بيت الله فأمر ابراهيم ببناءها وجعل افنده الناس تهوي إليها وغرس في قلوب الناس حتي في الجاهليه حرمة البيت الحرام بدون تشريع حيث وجد الناس أنفسهم يعظمون الكعبة والأشهر الحرام فلا يطلبون النار وان وجد العربي قاتل أبيه فهو يضع السلاح فقد جعلت معالم لدينهم ومصالح أمورهم في دنياهم وصاروا ينعمون بالأمن والاستقرار في حين كانت المدن والقري المجاورة يسود فيها القتل والسلب والنهب فالله يقول لنا في موضع آخر شارحا تلك النعم التي انعمها علي اهل مكة ونسلمهم حتي وهم في الجاهليه (قالوا أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا الم نمكن لهم حراما امنا يجبي إليهم ثمرات كل شيء رزقا من لدنا)

صار الناس يأتون إليها والتجاره في الشتاء والصيف ولا يتعرض لها أحد فمن الذي وفر لها ذلك الامان ومنع عنها الجبابره حتي أهل الدين امثال ابراهه فإن هذه الحرمة من الله فالناظر الي اهل مكة والعرب في ذلك الزمان يجد أنهم أضعف الأمم فلا يمتلكون اي مصادر القوي فلا جيش لهم فالذي حمي الكعبه وجعل لها الحرمة هو الله تعالى استجابة لدعوة ابراهيم فاطمعهم الله من جوع وأمنهم من خوف فجعل الله هذه الأسباب كلها التي شكلت مصادر النهضه لاهل مكة من العدم لما فيه مصالح أمورهم كلها فقال تعالى (قيامًا للناس)

واستعمل قيام مصدرها قام وتستعمل لما قام علي رجليه للتعبير عن النهوض والصلاح فالله يقول في موضع آخر (ولاتوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما)

فيقول الله لولا حرمة البيت الحرام وما غرس في افنده الناس من حب الكعبه ولولا حرمة الأشهر الحرام وهم رجب والقعدة والحجة ومحرم لساد الخوف فالله أراد بذلك تهئية المكان وتجهيزه لأجل الرساله الاخيره التي هي للناس جميعا فالله قد جعل كل شي يسير وفق سنن وأسباب مثلما أن الكون يتحرك وفق سنن وأسباب فقال تعالى (ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم)

فحصول هذا العلم غايه من الغايات التي جعل الله الكعبه قياما لأجلها فكل شئ له سنن وأسباب وقوانين جعلها الله واوجدها الله تعالى فالكون والإنسان والحياه يخضعون لسنن ونواميس وقوانين فهذا الكون له قوانين تحكمه والله هو المسؤول عن تدبيره فهو الخالق له والمتصرف فيه فهو ملكه تعالى وكل شي يتحرك وفق علمه وسننه التي سننها وكذلك فإن الانسان خلقه الله تعالى ولهذا فإن الله يعلم ما يصلح لحياه الإنسان وما يجلب له المنفعه فيأمر بها ويعلم ما يضر الإنسان فيأمر بتركها فالله تعالى له العلم الشامل المحيط

المبحث الثاني

يقول الحق أن علي المسلم أن يدرك أن كل شي يتحرك وفق سنن وأسباب وقوانين جعلها الله تحكم الحياه والأحداث لحكمه يعلمها الله فهو تعالى قد جعل الكون والحياة والإنسان خاضعون لسنن ونواميس وقوانين فهو يعلم ما يصلح احوال عبادته ولأن الإنسان له اراده حره أما الكون مجبور فقد رتب الله علي ذلك المسؤوليه علي أفعال ا لإنسان فالله لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يأمر بشي عبثاً فكل شئ لحكمه ولهذا انزل الله للانسان المنهج الرباني الذي فيه سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم فكل شئ خلق لحكمه يعلمها الله فالله يقول (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدي) ولهذا يقول لنا أنه جعل الكعبه في هذا المكان لحكمه وجعل حرمة الكعبه في النفوس وتعظيمها والأشهر الحرام والهدي والقلائد من قبل الاسلام لحكمه وهو تجهيز المكان لآخر الرسالات ولتعلموا أن كل شي يتم هو وفق علم الله فلم يأتي شيئاً بطريق المصادقه فكل شئ مخطط له ومقصود فقد كان التحريم قبل الاسلام كوني ولم يكن شرعي

أما بعد مجئ الاسلام فكان ذلك التحريم شرعي وكل هذا ليكون الإنسان علي بينه من أمره ليكون مسولا عن اختياره ولهذا يقول لنا الله بعدها (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما علي الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

بان الإنسان مسولا عن أفعاله ومخالفته لمنهج الله وسوف يحاسبه الله عن كل شي وهو حساب من هو قادر علي الجزء ومن يعلم بأفعال العبد ما ظهر وما اخفي فكل شئ مكشوف لله تعالى

المبحث الثالث

ان الايه فيها بيان أن الانعام التي ينعم الله بها علي عبادته هي ابتلاء وامتحان فالدين مبني علي الذكر والشكر ولهذا قال تعالى (ذلك لتعلموا أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض وأن الله بكل شي عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم.. الخ

يخبرنا أن رؤيه انعام وإحسانه اول خطوه نحو العرفان الصحيح ب الله فأنت عندما تشاهد ذلك تري خالقك وجماله وجلاله وكبرياه فتعرفه بكماله وعظمته وجلاله فتكون ذاكرا له وشاعرا انك في قبضته فتذكر امره ونهيه ويعيطك الله مثلا حي علي انعامه التي انعم به علي هذه الامه وهو أنه جعل الكعبه محرما علي الجبابره ... كما ذكرنا والأشهر الحرام وجعل هنالك حرمة للزمان والمكان لأن النفس بحاجه الي الراحة والسلام فالعرب كانوا في حروب وقتال لأتفه الأسباب ومع ذلك كان العربي اذا وجد قاتل أبيه في منطقه الامان مكه المكرمه أو في الأشهر الحرام الاربعه القعده والحجه ومحرم ورجب لايتعرض له بل إنه لم يكن يتعرض للحيوانات فذلك كله مرتب وفق قوانين وسنن ربانيه لغايه وهدف أوجدت ولهذا أخبرنا (لتعلموا) ان الله هو الذي وضع معالم ذلك وهو من حدد حدودها لتكون منصوبه للمومنين امتحان لايمانهم وابتلاء لما في قلوبهم من تعظيم الله واحترام لحرمانه فهي تفتح في قلوب المومن طريقا الي الله يشهد فيه سعه علم الله وسلطانه فذكره تعالي يستلزم معرفه الله وعبادته وشكره يستلزم طاعته والتقرب له سبحانه وتعالى وهذه الغايه التي خلق لها الانس والجن والسموات والأرض ولا جلها وضع الثواب والعقاب فقال تعالي (اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم) وأنه لاجل هذه الغايه انزل الكتب وأرسل الرسل وهي الحق الذي قامت عليه السموات والأرض وما بينهما فقال تعالي (وما علي الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) فهو سبحانه وتعالى له الخلق والأمر ولهذا ارسل الرسول لاقامه الحجه وليس إيجاب الناس علي الإيمان وان الله يعلم كل ما يصدر عن الناس بالسر والعلن وهو سوف يعاقب عليها فمن فعل خيرا فخير ومن عمل شرا فشر

المبحث الرابع

بعد أن اخبرنا تعالي أنه يعلم ما في النفوس والقلوب من الأقوال والافعال فلا يخفي عليه شي فهو يجزي كلا بعمله أن خيرا فخييرا وان شرا فشر فذكر اعمال القلب التي تخفي عن الناس وأعمال الجوراج الظاهره للناس أنه يعلم كلاهما لأنهما سبب الهدايه والضلال فيقوم بالقلب والجوراج اعمال تقتضي الهدى أو الضلال وهو تعالي يحب اعمال البر ويجازي عليها بالهدى والفلاح ويبغض الفجور ويجازي عليه بالضلال والشقاء بمناسبة ذكر تفاصيل الحلال والحرام في الاطعمه والصيد ووجوب امتثال أمر الله وذكر أن الطيب متناع كلها أما الخبيث وان كان فيه لذه فإن العاقبه تكون مولمه فما أمر الله به فهو طيب وان لم تعلم الحكمه منه وإن ما نهى الله عنه فهو خبيث ومستقدر وان لم تعرف منفعتة

ولهذا يرغب الله بأعمال البر وينهي عن أعمال الفجور فيقول مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالي (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

الأمر الأول

ألايه توصف لنا ما أمر الله في كتابه وسنه رسوله من الأوامر والنواهي والقيم والمبادئ والأخلاق بوصف الطيب لترسم له صورته تدفع الي التسابق عليه وان كان قليلا وترسم ما يخالف ذلك بالقبيح المستقدر والمكروه وان كان كثيرا لتغرس في النفوس عشق التكليف الرباني ليكون هنالك شوق الي طاعه الله وهذا مرتبط بما في نفس الإنسان من محبه الأمور وهذا إنما يكون إلا إذا تصوره لتتحرك المحبه والطلب لذلك المحبوب الذي يصير هو المطلوب وهذا يحتاج الي وصفه أو الي مشاهدته فكلاهما يجعل في النفس قوه طلب وهمه وعزيمه ولهذا نجد أن الايه عطفت علي ذلك معالجه مساله المشاهده للتحذير من الاغترار بمظاهر الاشياء التي تدفع الي اخفاء الصورة الحقيقيه لها لأن العين قد تغتر اذا جعلت المعايير لقيمه الاشياء الكثره والقله ولم تنظر إلي الوصف والكيف فغيب النظره الي الكيفيه والوصف يعني انك تري اشياء فاسده جميله وهذا يفسد قوي العقل وقوه الحب حيث أنها سوف تتحرك دوعي المحبه لأشياء مذمومه

ولهذا يأمر الله بمجاهده النفس لتصبر النفس علي الطاعه لقهري الهوي الذي أن تسلم قياده النفس فإنه يوردها موارد الهلاك وقد أخبرنا الله أن المتشددين اوقعهم الغلو بالبدع والابتعاد عن منهج الله فصاروا في منطقه

الخبائث ومن فرط بالاسراف قد وقعوا في المحرمات ولهذا فإن الطيب هو الذي يكون مطابقا لما أمر الله به فهو تعالي يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

الأمر الثاني

يبين الله أن سلاح التمييز والتفريق بين الحق والباطل بين الهدى والضلال الشر والخير بين الطيب والخبث هو التقوي فالله يقول في موضع آخر (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فالتقوي تولد قوه عظيمه وهمه عاليه وصبر علي الطاعه فمن اتقي مساخط الله يهديه الله فيبتعد عن كل ما يغضب الله وهو بذلك يترك الخبائث و المفاسد فيهديه الله الي ما يحب الله ويرضاه فقال تعالي (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

حيث يكون خوف نور ينير له الطريق ويفرق بين الطيب والخبث وبين الحق والباطل فلا ينخدع بالمظاهر الخادعه فالله يقول في موضع آخر (ياايها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

ولهذا جاء الخطاب الي أصحاب العقول والآراء الكامله فهم الذين يوبه لهم وفيهم الخير لأن الذين استحوذ عليهم الشيطان والهوي فهؤلاء اتخذهم الشيطان مطايا ضلال وهم جند له ينطقون بلسانه فهم قد تخلوا عن عقولهم وعطلوها ولم يستخدموها في معرفه الحق وأن عرفوه لم يقبلوا عليه لانهم تابعون لاهوائهم ولهذا كان التعويل في النداء علي أصحاب العقول السليمه المستنيره القابله للانتفاع بالهدايه

فأصحاب العقول السليمه المستنيره هي التي تطرح التفسيرات الصحيحه المعبره عن المفاهيم وفق ميزان سليم قادر علي وضع كل شي في محله بعيدا عن المزيادات والتفريط فالمزيادات والشعارات الزائفه عندما تصير ميزان الاشياء تودي الي تفسيرات منفعيه للأشياء ولهذا فإنه سرعان ما يتخلي هؤلاء عن الشعارات للهروب من الواقع الذي يعجزون عن مواجهه تحدياته لأنها لاتزكي النفس بل تمحوها وتقضي عليها وبالتالي فهذا يخرج عن المسار مثله مثل الذي يكون منه التفريط بالقيم

ولهذا يأتي التعقيب (فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

فالذين فيهم غلوا عليهم الاعتدال فالتطرف يجب أن يعتدل والتخلف يجب أن يتطور فالحل التوازن الذي يقف به الوسط نحن بحاجة الي أصحاب الآراء والأفكار المستنيره البناءه التي تبتغي الفلاح وتطلبه بعيدا عن المهاترات والمزيادات التي شكلت عقول الكثيرون من دعاه التدين اليوم وصارت أفكارهم اداه تعطيل محاولات استعادته الا مه فاعليتها للخروج من دائره العجز والتخلف الذي أصاب الامه اليوم في إدارتها للحياه ونظرتها الي الخير والشر حيث صار كل فريق يدعي أنه يحتكر الحقيقه ويصف غيره أنهم شر محض وخبث تام وهو ما اوصل الامه الي التمزق والانقسام والضعف والهون

الأمر الثالث

مما سبق يتضح أن الحق سبحانه وتعالى يريد من عباده أن يتخلصوا من الهوي في قياده الإنسان وان عليهم أن يخضعوا لقياده المنهج الرباني فهو فيه الكمال للإنسان والعقل البشري الذي هو قاصر ويعجز عن إدراك الكثير مما غاب عنه ولهذا فإن ميزان الطيب والخبث هو منهج الله لأنه منزل من الله الذي يعلم ما فيه منافع الناس وما يضرهم ولهذا جاء الأمر من الله لنبيه أن يخبر الناس بنفي المساواه والمماثله بين الطيب والخبث فأراد بهذا فتح بصائر الغافلين لئلا يقعوا مصاد الشيطان واعاونه الذين يقومون بتزين الشر وإظهاره أنه خير فيقول الحق أن هنالك ثمه خبث سوف يلبس ثياب جميله ليظهر بملايس الصالحين فلا تغتر بذلك فعليك أن تعرض كل أمر علي منهج الله فما كان موافقا لمنهج الله فهو طيب وما كان محرما فهو خبيث ولهذا قال تعالي (فاتقوا الله) يريد منا اعمال النظر في تمييز الخبيث المستقذر والمكروه والطيب المحبوب من خلال البحث عن الحقائق وعدم الاغترار بالمظاهر الخادعه وهذا يعني الاجتهاد بقدر الاستطاعة وهذا هو طريق الفلاح لان أهل الطاعه هم المفلحون

الفائزون

الأمر الرابع

ان الايه فيها الدعوه للقناعه بما اختار الله لك فذلك يعيطك الحياه الطيبه فلا تطمع بما ليس لك لأن ذلك خبيث ومستقدر فالرزق القليل الحلال مثلا افضل من الكثره الحرام لأن الحرام مستقدر وان وجدت فيه لذه فما يلحقه من عاقبه مولمه لا يقبلها عاقل وان من ينظر إلي الكثره دون النظر إلي العواقب هو واقع في أعظم وأشر انواع الجهل لأن الذنوب تولد له الهموم والألم وضيق الصدر والنكد وظلمه القلب وينتهي به الحال الي الشقاء والعذاب ويفوت علي نفسه حلاوه الطاعات ونور الايمان وسرور القلب والسعاده التي يجده المطيع ولهذا فإن العاقل هو الذي يراقب الله في كل أفعاله ويحاسب نفسه ويزن أعماله وأقواله وفق ميزان منهج الله الذي يحدد الحلال و الحرام والطيب والخبيث الحق والباطل لان كل ما شرعه الله فيه الخير والصلاح للناس وما حرمه عليهم فهو فيه ضرر بهم ف الله يقول في موضع آخر (الخبيثات للخبيين والخبيثون للخبيثات الخ

فالجنه لا يدخلها الخبيث لأن السئيه من الخبائث والمفاسد ولهذا يكون الابتلاء فليس العبره بكثره الأضرار والاتباع فلو كان الأمر بمقاييس ان الكثره دليل علي الحق لحشر الله مع الانبياء الوحوش والطيور لكن كان اتباعهم قليلون مقارنة مع أعدائهم من حيث العدد والمنزله في المجتمع لاجل أن يمتحن الله الناس ويمحص الصفوف ف الله قادر علي ان يجعل أوليائه اولوا قوه وسلطان لكنه لم يمنح أنبيائه ذلك إلا بعد الكفاح والنضال والبلاء لانه لو فعل ذلك لبطل الجزاء لأن خضوع الناس سيكون بحكم الاضطرار ولسقط البلاء اي ما به يتميز الخبيث من الطيب ولم يبقي محل للجزء علي خير أو شر لأن الفعل اضطراري وبذلك تضحل اخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجه ولا يكون للقابلين دعوه الحق أجور المبتلين المتحنيين بالشدائد الصابرين علي المكاره لاستهوانهم مع من قبل بالسطوه فالخضوع بالرهبه إنما يكون موصوفا بالتقوي الا في حاله صدوره عن اراده حره برضا وقناعه ليكون مومنا بالتصديق والاذعان والاستسلام لطاعته تعالي من غير شائبه تخالطه وكلما كانت البلوي أعظم كانت المثوبه والجزاء أجزل يقول الامام علي رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى جعل رسله اولي قوه في عزائمهم وضعفه فيما تري الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ القلوب والعيون غني وخصاصه اي فقر وحاجه تملأ الأبصار و لاسماع اذي

وقد أخبرنا الله أيضا أن من الجهل بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغني والافتقار أن ينظر البعض الي مساله الرضا والسخط بالمال والولد فقال تعالي في ذم أولئك الذين اغتروا بالكثره ولم ينظروا الي حقيقه الاختبار الذي اختبرهم الله به فقال تعالي (ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)

فلا ينبغي أن يكون الكثره مقابيس الحق وانما ذلك يكون بالكيف وليس الكم

القسم الرابع

(ياايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبدوا لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبدأ لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم قد سأله قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيره ولاسائبه ولاوصيله ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون علي الكذب واكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ما وجدونا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)

اولا

بالوقوف علي الايه وما قبلها نجد أنها وردت في إطار بيان أن الله تعالي قد نصب المعالم للمومنين ليعرفوا ربهم وانزل الوحي الذي وضح لهم طريق النجاه وان الحلال بين والحرام بين وان وقوع الناس في الشبهات يعود أما الي الغفله أو الهوي وشرع في بيان أسباب الغفله فذكر أن البطر والمرح وطول الأمل يولد نسيان الحق وتختلط

عليهم الاشياء وانه يخفي عليهم الادله فيكون منهم اعتقاد تحريم اشياء كثيره لخفاء الادله دون أن يحرم الله ورسوله ذلك وانما هذا عقوبه لهم علي الذنوب أنهم يسلبون الهدى والعلم النافع فيعاقب بأن يخفي عليهم الكثير من الاطعمه والاشربه وغيرها وذلك عقوبه لهم ف الله يقول (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

فالمقصر في طاعه الله يعاقب بخفاء العلم والنسيان لعدم علمهم بما جاء به الرسول من عند الله وكذلك يعاقبون بفتاوي من علماء بدون دليل فالجهل من أسباب عقوبتهم فتجد الكثيرون يحرمون علي أنفسهم امور كثيره وان لم يحرمها الله ورسوله لكن ظنوا أنها محرمة بحرمان العلم الذي يعلمون به الحل فصارت محرمة عليهم تحريما كونيا لاشرعيا ولهذا يقول الحق هنا (فاتقوا الله لعلكم تفلحون)

لان الذنوب والغفله وطول الأمل مايكون منها سببا لخفاء العلم النافع بل تكون سببا لنسيان ما علم ولاشتباه الحق بالباطل فالفتن تقع بسبب ذلك ف الله يقول في موضع آخر (أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

فالفلاح يكون بتعلق القلب بحبه الله وطاعته فهو يكون معلقا بالمحل الاعلي أما إذا هبط الي الدنيا وملذاتها فإن هذا هبوط الي أسفل السافلين ف الله قال لادم لما اكل من الشجره (اهبطوا منها)

وعلمه كيف يتوب ليعود الي منزلته فأمره بالتوبه وأستقامه القلب ف الله أخبرنا في موضع آخر عن ذلك فقال (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوي منكم... الخ

فتقوي القلوب هي التي تناله وهو يقول في موضع آخر (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا نجد أن الابه هنا تأتي مبينه الآتي

الأمر الأول

انه مثلما أن خفاء العلم بما يوجب الشده عقوبه كما سبق وأن أوضحت الآيات وكذلك ماورد بشأن تحديد ليله القدر عندما حصل الاختلاف بين رجلين من المسلمين فأخبرهم الرسول أنه بسبب الاختلاف بينهما نسي اليوم الذي كان يريد اخبارهم انها تنزل فيه عقوبه لهم علي الاختلاف فإذا كان خفاء العلم بما يوجب الشده عقوبه فإن خفاء العلم قد يكون رحمه من الله بالعباد فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤمكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم قد سألتها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين)

فالسباق يتجه الي تربيته الجماعه المومنه وتاديبها للتعامل مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي استقبال الوحي الذي كان هو ماده التحول في حياه الامه حيث أن الابه تشير الي أن الكثيرون شرعوا الي طرح الأسئلة رغبه في معرفه الخبيث والطيب فطرحوا اسئله لم يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم فأرادوا معرفه تفاصيل أمور وردت مجمله فقد جعل الناس في سعه منها فاردوا البحث والتنقيب ليعرفوا أمور لم تقع بعد وطرحوا افتراضات لأمر غير واقعيه واستعجلوا الحكم بما لم يفرض عليهم فقد ورد انها نزلت بمناسبه ايه الحج حيث سال رجل سؤ لا فقال في كل عام يارسول الله فكرهه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فالسؤال تكلف بما لم يفرضه الله تعالي فالنهي هنا عن الأسئلة التي تطرح فيما فيه سعه وأمور غير واقعيه فهي غير متعلقه بالارشاد وانما هي من قبل التضييق

الأمر الثاني

ان الإسلام دين يسر وهو منهج واقعي جاء بأحكام تنظم الحياه بقواعد كلييه وبالتالي فعلي المسلم أن يقدر الحوادث بحجمها ف الله قد اجمل الاحكام وترك التفاصيل من باب الرحمه بالعباد فجعل للناس الاجتهاد في

الجزئيات والتفاصيل بما يناسب أحوالهم وبما يتفق مع القواعد الكليه ولهذا ينهي الحق المومنين عن طرح الأسئلة لأن ذلك فيه تشديد علي أنفسهم فأمرهم بالآخذ بالأمر الظاهر فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدود فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمه بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها)

فقال تعالي (أن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدأ لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم)

وهو ما فيه التوجيه والارشاد بأنه لا ينبغي للمومن أن يكثر من الأسئلة التي تكون سببا للتضييق وكثره التكاليف وبما يشق علي الامه فما سكت عنه فهو عفو من الله فلماذا تكلف نفسك ما لاتطبق فالسكوت رحمه من الله فمثلا لو أن شخصا يشتري ماكولات ومشروبات وملابس أو أي شي من السوق وهو لايعلم أنها مسروقة فإن خفاء علمه رحمه به لانه لا يكون قد ارتكب معصية أما إذا كان عالما أنها مسروقه ومغصوبه فإن شراءه له يجعله اثاما

الأمر الثالث

أن الابه الكريمه فيها اشاره الي أن النهي لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءه بل إنها في نفسها معصيه توجب الموخذة وقد عفا الله عنها فقال تعالي (عفا الله عنها والله غفور حلیم)

فيقول إنه تعالي عفا عنهم ولم يفرض عليهم الحج كل عام وتجاوز عن العقوبه بسبب مسالتكم خاصه وأنه قد روي أن الابه نزلت من جراء اقواما كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ويدفعون الصحابه الي طرح الأ سئله فذكر أن اغراض بعض المنافقين كان بقصد الاستهزاء وأن البعض كان يسأل بحسن نيه عن أمور غيبيه ومسائل افتراضية فنهاهم الله فالإسلام اراد تربيته المومنين علي الواقعيه فنحن نري اليوم افات الأمور الا فتراضية التي انشغل بها العديد من الفقهاء لما ليس له وجود فصار الأمر إلي التشدد في الدين

ثانيا

تمضي سياق النصوص في تربيته المومنين علي الاداب في طرح الأسئلة وان النقاش يجب أن يكون بعيدا عن المزايدات البعيده عن المنطق فاللازم امتثال أمر الله تعالي دون الحاجه الي طرح الأسئلة التي ليس لها داعي ولهذا يضع الحق بين أيدينا تجربته واقعيه عن عواقب ذلك التكلف والمزيدة في طرح الأسئلة من الأمم السابقه فقال تعالي (قد سألتها قوم من قبلكم فأصبحوا بها كافرين)

احتمال أن الابه تشير الي سوال بني إسرائيل أن يكون لهم يوما يتفرغون فيه لعباده الله واختاروا السبت ولكنهم لم ياتلزموا بحرمه السبت وقاموا بالصيد فيه فكان عاقبتهم أن صاروا قردة وخنازير ويحتمل أنها تشير الي الرهبانه التي ابتدعها النصاري فما رعوها حق رعايتها

وقد ذهب العلماء الي حصرها علي قصه البقره التي أمر بني إسرائيل بذبحها ولكنهم تلكو وذهبوا الي طرح الأ سئله عن تفاصيل لم يلزموا بها فما الذي حدث لقد كلفوا بأمور عجزوا عن القيام بها وجدوا الأمر الإلهي لتربيته المومنين فيحذرهم من الاسئله الافتراضية فتناجها الهلاك

ومن هنا نفهم كم نحن بحاجة اليوم للخروج من حاله الاختلاف والتمزق والانقسام الناتج عن التفسيرات الا فتراضية والفتاوي التي لا واقع لها ؟ كم نحن بحاجة الي صياغه مفاهيم صحيحه ومنطقيه نستنبطها من كتاب الله ورسوله تتناسب مع واقع المرحله والتحويلات في الواقع والحياه

فالمناقشه للمفاهيم يجب أن تكون بعيده عن المزيادات لأن من يلجأ إلي البحث عن مدلولاتها بواسطه مناهج بعيده عن الواقع وخارجه عن النصوص ويقوم بالخلط والدمج لأمور وظواهر من هذه الخلطه والعجينه ليستخلص مفهوما معينا فإن هذا لا يضع إصبعه علي الداء الحقيقي ومن ثم يحدث الارتباك في واقعه فيصنع

واقعا معقدا في حياته فإذا واجهه مشكله اسريه مثلا فإنه يقوم بتحليل اسباب الاختلاف بينه وبين زوجته ويربطها بالمومره الدوليه أو الاستخبارات المحليه ضده كونه داعيه لله ويحمل أعباء الدعوه مع أن المساله بسيطه فكان عليه أن ينظر هل التزم ماورد في القران في تعامله مع أهله ام لا؟ ينظر ماهي الاسباب هل هي اخلاقه ام اقتصاديه بحجمها الطبيعي ليضع العلاج المناسب اي ينظر إلي الابعاد الحقيقيه الواقعيه التي تتناسب مع حجم القضيه

ثالثا

لما كانت الايات قد بينت أن اخفاء العلم عن الناس رحمه من الله بالعباد في بعض الأحوال اردفت ذلك بزم التقليد لبيان ان ما تناولته الايه من أحوال الرحمه في إخفاء العلم عن الناس ليس عاما وانما هو في الحالات التي سكت عنها الشرع فقال تعالي (ماجعل الله من بحيره ولاسائبه ولاوصيله ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون علي الله الكذب

حيث نجد أن الايات ترسم لنا الآيات خطوره التقليد في التحريم والتحليل كما يتضح من الآتي

الأمر الأول

يخبرنا أنه تعالي لم يحرم البحيره وهي الناقه التي تشق أذنها وهي التي تنتج خمسه ابطن يكون اخرها ذكر حيث كانوا يشقون أذنها شقا واسعا ولهذا سميت بحيرا وكانوا يحرمون اكلها ويحجزنها لاصنامهم وكذلك لم يحرم السائبه يسبونها والوصيله الناقه تبكر بانثي ثم تشني بالانثي فسيمونها بالوصيله والحامي الفحل الذي يضرب الضراب المعدود بتليقح عدد من النواق فيقولون حمي ظهره فسمي الحامي فهذه الأشياء كلها لم يحرمها الله تعالي وانما حرماها المشركون وجعلوها حراما بارائهم الفاسده بلا برهان ولا دليل وانهم افتروا علي الله الكذب وصادره عن جهلهم وكذب منهم

الأمر الثاني

ابتدأت الآيات بنفي أن تكون هذه الطقوس التي يعتقد المشركون أن الله هو من أمرهم بها... فيقول الحق أنها ليست شريعته ولاهي عنده قربه ولكن المشركين افتروا علي الله الكذب وجعلوها شرعا لهم وقربه يتقربون بها إليه بدون علم فهي طقوس نابعه من الأوهام والخرافات فعندما ينحرف القلب عن الفطره السليمه وبغيب المنهج عن الناس فإن استلام الأهواء قياده الإنسان تجعله يبتعد عن الطريق المستقيم فعندما تغيب الفكره يبرز الصنم وهي تصنع طقوسا ورموزا وافكار وسياسيات تنسب الي الله كذبا وبهتانا فغيب المنهج يعني أن العقل يفقد قدرته علي قياده الإنسان فيكون تسليم القياده للهوي وعندها يكون الانحراف وصناعه الأصنام فقد ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمر بن لحي يجر قصبه في النار وهو أول من سن سب السوائب) وغيرها من الأحاديث التي بينت أن عمرو بن لحي هو أول من احضر الأصنام الي الكعبه فكان أول من غير دين إبراهيم وبعدها اعتادت عليه قريش واعتبرت ذلك تقربا الي الله وقالت إن ذلك شريعه من الله فقد كان اختلاق هذه العقيدته الفاسده من قبل عمرو بن لحي وهي اكاذيب باطله نسبوها افتراء الي الله يقول في موضع آخر (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون)

الأمر الثالث

تكشف لنا الآيات سوء عقيدته التقليد وتأثير البئيه في تشويه الفطره فالاسره والمجتمع هم الذين يتلقي الإنسان علومه وأفكاره وثقافته ومعتقداته ومعلوماته الاولييه منها ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من مولود الا يولد علي الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه.... الخ

فكل ما يعتري الفطره من تشويه بسبب البئيه الفاسده ولهذا يقول لنا الحق مستنكرا التقليد الأعمى الذي عليه أهل الجاهليه (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ما وجدونا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون)

فليس لهم حجه الا اتباع ما وجدوا عليه آباءهم من قبلهم وما نشاوا عليه من عقائد وتصورات فاسده طمست نور الفطره وحجرت القلوب عن الهدايه

فأراد الحق بهذا التحذير من التقليد الأعمى فاللازم علي المومن أن يكون عالماً بالاحكام وان يسأل أهل الذكر عن الحكم الشرعي في المسائل المتعلقة بأمور دينه ودنياه واللازم علي المجتهد أن يقول ما ادي الي اجتهاده فإذا لم يود اجتهاده الا الي التحريم الطيبات بعجزه عن معرفه الدليل علي الحل كان تقليده خطأ لانه قد يحرم حلالاً بدون وجه حق والعكس فاللازم بناء العقيدة علي العلم بعيداً عن التقليد فالافتداء لا يكون إلا عن من صح عنه علمه وأنه عالم مهتدي وذلك لا يعرف الا بالحجه فلا يكفي التقليد من غير أن يعلم أن لمن نقتدي به حجه صحيحه علي ما نقلده

وايضا بناء الاسره علي اساس التقوي وتقويه الايمان لأن الاسره هي اللبنة الاولي للبئيه التي يحيا فيها النش ويتلقي من خلالها معارفه فالاسره لابد أن تعد تحصينات مقاومه تمنع انتقال الأمراض المعديه لمكوناتها فاحذر من اساءه اختيار شريكه العمر التي تساعدك في القيام بوضع هذه التحصينات ثم اهتم بالاصدقاء والاصحاب بأن يكونوا من الاخيار الذين يتوصون بالحق ويتوصون بالصبر وليكون الاهتمام بإصلاح المجتمع الذي انتشرت فيه المفاسد

القسم الخامس

(يايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الي الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون)

بالوقوف علي الايه نجد أنها تعالج مواضيع عديده متعلقه بحياه المسلمين وليس كما تصور البعض أن الإسلام يدعو إلي العزله المطلقه عندما ينتشر الفساد في مجتمع ما وزعم هؤلاء أن الايه تعني أن يتوقف المسلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن هذا القول غير صحيح وهذا الفهم الخاطئ للايه ليس جديداً بل هو قديم ما اضطر ابو بكر الصديق الي تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة فقال من علي منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ايها الناس انكم تقرؤن هذه الايه وتضعونها في غير موضعها واني سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)

وبالتالي فإن الايه تحتاج إلي الوقوف علي مدلولات بدقه متناهيه لمنع سوء الفهم لمدلولاته فهي تعالج عده مواضيع نذكر منها ما يلي

الموضوع الاوول

أن الحق سبحانه وتعالى يريد من المومنين أن يحافظوا علي طاقاتهم من الحسرات لأجل عدم استجابة أقاربهم لدعوه الايمان ورفضهم القبول بالمعروف وعدم التجاوب مع النهي عن المنكر فالله سبحانه وتعالى قد أخبرنا في الايه قبلها (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول...الخ

فاستخدم لفظ (تعالوا) فلم يقل اتبعوا ما أنزل الله ولهذا فكلمه تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول.. دعوه الي الارتفاع الي ما فيه الارتقاء والتطور فدل هذا حرص المومنين علي الارتقاء بمستوى التفكير والتطهير الي ما يرفعهم الي مافيه الهدايه وكمال العقل والنفوس باتباع منهج الله والافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم فقال (والي الرسول)

لكن القوم رفضوا القبول بالدعوة فقد أقيمت عليهم الحجة وهم فضلوا الهبوط والانحدار الي أسفل السافلين فصاروا في ضلال كالانعام بل هم اضل فأراد بهذا تطمئن المومنين أن قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايعني اجبار الناس كي يومنوا وبالتالي فعليهم أن لا يخافوا من تبعيه عناد وإصرار هؤلاء علي الضلال فيكون معني الايه إذا التزمت بطاعه الله فإنه لا يضركم ضلال من ضل ما دتمت قد ادبتم ما الزمكم الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالايه تبين أن علي المسلم أن لا يرهق نفسه إذا لم يستجب هؤلاء للدعوة كما قال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقي الا تذكره لمن يخشي) وكما قال تعالى في سوره الشعراء (طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مومنين أن نشاء نزل عليهم من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزون)

فالايه تبين أن لا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم فإن معاصيهم لاتضره اذا اهتدي والحزن علي ما لا يضر عبث كما قال تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون)

فعليه البلاغ والبيان وبالتالي فإن إصرارهم علي الضلال لن يضركم وسوف يرجع الناس الي الله وسوف يحاسبهم علي أفعالهم

الموضوع الثاني

مما تتناوله الايه أيضا مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحق يقول لعباده أن يفعلوا الخير ويجتهدوا فيه بقدر طاقاتهم فمن صلح امره لا يضره فساد

فالإسلام يربي المومنين علي الفاعليه الإيجابية فالمسلم لابد أن يكون له موقف اذا شاهد تقصير الناس عن اعمال الخير أو رأي ارتكابهم للأخطاء فهو لايسكت عن ذلك بحجه أنه هو نفسه ليس مقصرا وأنه لم يقترف إثما ؟

فالإسلام لايقبل من المومن ذلك بل يرتقي في تحميلة المسؤوليه بأن يتدخل لكن بشرط أن يكون باستطاعته التغيير بما يودي الي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ومقاومته ولهذا فإن الإسلام لم يكتفي بتحميل المسلم مسؤوليه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل رسم له حدود ذلك وبين له أساليب وطرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتي لاتنعكس العمليه فيكون سببا في الإخلال بالاستقرار الاجتماعي بدلا من أن يكون عاملا إيجابيا في إصلاحها ولهذا قسم الرسول صلى الله عليه وسلم الناس بالنسبه لطرق مشاركتهم في هذه المساله ومستوي تدخلهم لاحداث التغييرات في المجتمع فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (من رأي منكم منكر فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)

ولهذا فإن التغيير بالفعل (باليد) إنما يقدر عليه إلا من كان في موقع السلطه ومن يمتلك القرار الذي يلزم من هم تحت سلطته بمعني أن الأب اذا رأي ابنه في منكر فهو ملزم بتغيير ذلك ولو بيده وكذلك رب الاسره وكذا المسؤول علي مرووسيه علي جميع المستويات وفقا لحديث (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبمعني أوسع فإن السلطات التنفيذيه والتشريعيه والقضاءيه عليها مسؤوليه تغيير المنكر من مواقعها بالفعل كلا من موقعه واحداث التغيير المطلوب عن طريق ممارسه ماتحت يده من صلاحيات وسلطات وكذلك فإن التغيير بالقول يقع علي أهل البيان والعلماء وكل من يستطيع توجيه غيره لفعل الخير والكف عن الشر والسوء

ولكن في حاله أن المسلمين لايملكون السلطه التي يكون فيها التغيير بالفعل ولا يملكون الموهلات التي تمكنهم من الوصول إلي القول المسموع فيكون عليهم مسؤوليه التغيير بالقلب الدفاع السلبي بإنكار المنكروها قد يقول قائل كيف ذلك؟؟؟

أن الامه احيانا تصاب بالضعف ويتسلط علي السلطه أهل الفجور عندها يكون من الخطاء أن يقوم البعض بالتغيير باليد لانه لو حصل ذلك فإن المجتمع يعيش في فوضى كما شاهدنا في بعض الدول الإسلامية التي تحكم بغير شريعته الله أن بعض من يدعون الالتزام دينينا أنهم ينصبون ادوات تغيير المنكر باليد فيقومون بجلد السكران وتكسير محلات الخمر ومراكز واوكار القمار أو تفجيرها بعمليات انتحارية أو غيرها وهذا أمر غير مقبول في الإسلام فيقول الله لعباده عليك أن تحفظ نفسك في مثل هذه الأحوال وتلزمها الطاعة وعليك تربيته أبناءك واسرتك فليس ما تقوم به موافقا لما امرك الله به لانك بهذا تودي الي زياده المنكر وايضا تحصر أهل الخير والدعاه في زاويه تمنعهم من التغيير باللسان فيجب علي المسلم أن يعرف مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحدوده فالرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (إذا رأيت شحا مطاع وهوي متبع واعجاب كل ذي رأي برية فعليك بخوبيه نفسك) وهذا يتناول حاله ما يقوي أهل الفجور بحيث تصل الي مرحله لايبقي لأهل الإيمان اصغاء الي البربل يوزن الناهي لغبه الشح والهوي والعجب فانه يسقط التغيير باللسان في هذه الحال فما الذي يبقي ؟

التغيير بالقلب حيث أن الناس في مثل هذه الأحوال يتصفون بمنع الخير ويكرهونه لأن الشح يعني شده الحرص التي توجب البخل والظلم ومايزيد من قوه هذا الشر هو اردتهم الشر ومحبتهم له نتيجة اتباع الهوى حيث أنه بهاتان تفسد قوي الحب والبغض وتتظافر بعد ذلك فساد قوي العلم والعقل نتيجة الاعجاب بالرأي وهذه الأمور سماها الرسول صلى الله عليه وسلم مهلكات فانت في هذه الأحوال تكون في فتره صعبه تحتاج الي الدفاع السليبي إزاء هذه المواقف تحتاج الي حمايه نفسك حتي لايصبح المنكر مألوفاً وتفقد المناعه والمقاومه فتصاب بـ الداء الذي أصاب القوم ولهذا يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بالثلاث المنجيات مقابل المهلكات (خشيه الله في السر والعلن والقصد في الفقر والغني وكلمه الحق في الغضب والرضا) وهي التي سألها في الحديث الآخر (اللهم م اني اسالك خشيتك في السر والعلانيه وأسالك كلمه الحق في الغضب والرضا وأسالك القصد في الفقر والغني) نقلا من كتاب فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية

فخشيه الله بإزاء اتباع الهوى فإن الخشيه تمنع ذلك ف الله يقول (وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى) والقصد في الفقر والغني بإزاء الشح المطاع وكلمه الحق في الغضب والرضا بإزاء اعجاب المرء بنفسه ولهذا فإن المراد بهذا أنه في مثل هذه الأحوال الزموا أنفسكم واقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر والنهي ولايضركم من ضل اذا اهتديتم...والاهتداء لا يكون إلا بطاعته تعالي

فالايه تدعو المومنين الي سلوك طريق الهدايه وأنه إذا عمل بطاعه الله والتزام امره لم يضره من ضل فلا يخاف المومن من الكفار فهم لن يضره أن كان مهتديا وكذلك فإن علي المومن أن لايركن الي الكفار ولا يمدن عينه الي ماوتوه من سلطان ومال شهوات كقوله تعالي (لاتمدن عينيك الي ما متعنا به ازوجا منهم ولا تحزن عليهم)

وان لا يكون اعراض الكفار عن الاستجابة للدعوه سببا دافعا للعدوان عليهم بدون وجه حق فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أن عليكم القيام بالأمر والنهي عن المنكر علي الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد وسلوك السبيل القصد فإن ذلك داخل في قوله (عليكم أنفسكم) وفي قوله (اذا اهتديتم)

الموضوع الثالث

أن الايه الكريمة تدعو المومنين الي المفاصله والتمييز بينهم وبين غيرهم من الأمم فأخبرهم الله أنهم امه واحده كالجسد الواحد فقال تعالي (عليكم أنفسكم) الزموا أنفسكم التعبير عن ضروره شيوع الرتابه الايمانيه ف جاء تصوير نفوس المومنين وحده واحده فما دامتم تتحركون لمحاربه الفساد وتسعون لتنميته جوانب الخير فعليكم إن تتعاونوا علي الخير والإصلاح والتقوي وتتحركون كأنكم جسد واحد فعليكم التزام الوعظ لبعضكم بعضا و الترغيب في الخيرات والتنفير من الشرور فلا عليكم أن ضلت الأمم الأخرى فالالوويه اصلاح أنفسكم وليس معني هذا التخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوه الناس والأمم للإيمان والهديه فالامه مسؤوله عن البلاغ والبيان والكفاح لرفع الظلم عن الإنسان ولكن لايعني هذا إجبار الناس علي الإيمان فالايه وردت بعد أن

تناولت النصوص طرح ما يعتري الفطره من افات تفسد وتشوه الفطره فذكر الحق أن أهل الجاهليه افتروا علي الله الكذب وما ساعد علي الاستجابة لذلك هو اجتماع الهوى بالميل الي العادات مع الجهل فقال تعالي (واكثرهم لا يعقلون) فأشار الي أن اصل الشر هو الغفلة والشهوه (الجهل والهوى) أي داء الشهوه وداء الشبهه لماذا لأن صاحب الهوى لو علم قطعا أن ذلك ضرار راجح فإن النفس تكره الشر وتبغضه فلن تفعل ما يضرها فكان الجهل هو السبب لارتكاب الجريمة فذكر أن الحق هدي الناس هدايه عامه بأن جعل فيهم بالفطره من المعرفه وأسباب العلم اذا تركت ما تعرف الحق وأرسل الرسل وانزل الكتب فالفطره والرسل والكتب اصل سعادته الإنسان ولهذا ذكر بعدها حرص المومنين علي البلاغ وأنهم قاموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اردوا اصلاح أهل الجاهليه فقال تعالي (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول)

فمن المؤكد أن المومنون هم الذين قالوا لهم تعالوا اي ارتفعوا الي مافيه سعادتكم بالهدايه التي توافق الفطره والي الرسول للاقتداء به فذكر الحق أنه بسبب جاهليه هولاء وغفلتهم واتباع الهوى لم يقبلوا العلم الذي فيه المنفعه و الهدايه فذكر ردهم علي دعوه المومنين لهم فقال تعالي (قالوا حسينا ما وجدونا عليه آباءنا) ثم جاء استنكار الحق من رفض هولاء الاستجابة لما يدعوهم إليه المومنون فهم يرفضون ما فيه النفع لهم وياخذون ما يلحق بأنفسهم الضرر فهذا لا يصدر عن عاقل فقال تعالي (أولوا كان أبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)

فأراد بهذا أن يبين للمومنين بهذه القضية التي تحكي قصة المشركون الذين رفضوا القبول بما ينفعهم لأجل أن يدرك المومنون أن في المخلوقات نعم من جهة حصول الهدايه والايمان والاعتبار والموعظه بها فأفضل النعم الايمان والهدايه فأخبرهم الله أن في قصص هولاء عبره وعظه واعتبار يحصل بها نعمه الايمان بالحذر من الغفلة و الشهوه اي الحذر من الجهل واتباع الهوى فالله يقول في موضع آخر (لقد كان في قصصهم عبره لأولي الألباب) ويقول ايضا (تبصره وذكرى لكل عبد منيب) ولهذا يخبر الله عباده ان اخبارهم بقصه انحراف هولاء عن دين إبراهيم ليكون هذا درسا لكم فلا تقفوا فيما وقعوا فيه فالشيطان يترصده للإنسان من أمرين الغلو أو التقصير ولا يبالي ايهما يحظي به حيث يجعل هولاء أما معتد ظالم أو سفيه عايب فيقول الحق أن الدرس من طرح هذا الموضوع لتحرصوا علي أن تكونوا قدوه صالحه كما قال تعالي (واجعلنا للمتقين إماما) في وصف عباد الرحمن ولا تكونوا فتنه للظالمين كما قال تعالي في موضع آخر (ولا تجعلنا فتنه للذين كفروا)

وبالتالي لا تركنوا الي أنفسكم ولا تسكنوا إليها فإن الشر إنما يأتي منها وبالتالي انشغلوا بمحاسبة أنفسكم ولا تنشغلوا بلام الناس وتتبع عوراتهم فعلي المرء أن يقبل علي مصلحه نفسه علما وعملا واعراضه عما لا يعينه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)

فالعبد محتاج الي ربه أن يعلمه ما يفعل لكثيره تفاصيل احواله وما يطرأ عليه من مستجدات في كل يوم ولهذا فهو بحاجة الي معونه الله وكذلك لا يكفي أن يكون عالما اذا لم يجعله مريدا للعمل والا كان العلم حجه عليه ولم يكن مهتديا للتخلص من الجهل الذي ذم الحق سبحانه أهل الجاهليه (أولو كان أبائهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون)

وبالتالي فإن العبد يحتاج أن يجعله الله قادرا علي العمل بما علم ليكون مهتديا ليهتدي الي الصراط المستقيم فهو محتاج الي الثبات علي الهدايه ومزيدها منها وهي الهدايه الخاصه فيقول لهم الحق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه الهدايه العامه هدايه البيان وهي عامه لكل الناس أما الهدايه الخاصه فهي لأولياء الله الذين يرتبطون به تعالي فهي من افضل النعم ولا تنال الا بالتقرب الي الله وتزكيه النفس فقال تعالي (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم.... الخ)

عليكم تزكيه أنفسكم والحرص علي تاديبها ومحاسبتها طالما انكم اديتم واجيكم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الاستطاعه كما اوضحنا سابقا وكما قال تعالي (فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره)

فعندما يكون المسلمون في ضعف والغلبه والقوه لاهل الكفر فاللازم اعتزال مجالس الشرك التي يكون فيها

منكرات أو سب لدين الله فهذا احسن وسيله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مثل هذه المواقف

الموضوع الثالث

أن الايه وردت بعد أن ذكر تأثير البيئه والمجتمع علي الفرد والجماعات حيث أنه ينشأ في بيئه ذات عادات وتقاليد وذات شرائح اجتماعيه متنوعه وهو ينشأ في هذه البيئه ويتلقي معلوماته الاولييه منها وتصير تلك المعلومات هي التي تحدد وجهات النظر له وبها يفسر الظواهر والأحداث وتجده منقادا لها بالحب والبغض لأنها مالوفه لديه

واما كان المسلمون قد انتقلوا من عصابه الي دوله تضم في كيانها شرائح متنوعه لهم عادات وتقاليد وثقافات مختلفه وينشأ عنها التناقض بين مكوناته نظرا لأن هنالك رعايا نصاري ويهود وغيرهم صاروا جزء من مكونات المجتمع المسلم وهو ما يتسع فيه الاشكال نتيجه اختلاط الشرائح الاجتماعيه المختلفه ..وهو ألتنوع البوم موجود في فئات المسلمين أنفسهم نتيجه تعدد المذاهب والتكتلات الفئويه والحزبيه وبالتالي فإن هذا التنوع قد يحدث انتقال الفرد من حال الي حال أو من طور الي طور ويولد أيضا أما تميم وتفريط بالقيم والمبادئ وأما غلو وافراط وتشدد ويسود المجتمع الصراع وقد شاهدنا في الوقت المعاصر كيف ادي الصراع الدائر بين الجماعات التي تدعي حمل رايه الاسلام نتيجه التقليد الأعمى لمدراس المذاهب المتعدده حيث قام البعض باستغلال هذا التنوع لأجل الوصول إلي السلطه ولأجل أن يستمد الشرعيه لسلطته في حين تجاوز بعض العلماء الحد في الآداب الي اعلان تكفير الآخرين وكلا يدعي أنه علي الوسيطيه والاعتدال فصارت الامه في حيره من أمرها من هو الذي يعبر عن الدين الإسلامي بالوسيطيه والاعتدال وكيف تكون الخيرييه لهذه الامه ونحن في هذا الحال من التناحر و التمزق والفتاوي التكفيريه تملأ الكتب والمجلات والصحف وكل المنابر ووسائل الإعلام وكلا يدعي أن الآخر علي الباطل وهو علي الحق وهذا كله يعود إلي التقليد الأعمى وفساد حمله قرار العلم والحكم وعدم النظر في مرقومات الشريعه الاسلاميه الغراء لاستنباط المعاني التي فيها المخرج من الازمه ومعالجه الانحرافات الطارئه ب النظر الي موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون الاقتداء بها ...وذلك بالابتعاد عن كل ما يودي الي التناحر فا لاقتداء في هذه المساله لايعني قبول الرأي الآخر والانطواء فيه وانما تجاوز مسببات التصادم في بناء العلاقات بين أبناء المجتمع الواحد باختلاف شرائحه لخدمه مبدأ الاجتماع في الإسلام

فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يهادن المنافقين ويقبل وجودهم في المسجد ويشاركهم أفراحهم واحزانهم ويقبل مخالطتهم مع علمه بمعارضتهم ولهذا لما أراد عمر أن يقتل ابن أبي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول الناس محمد يقتل أصحابه ...فسامهم أصحابه لأجل الحفاظ علي متانه الجبهه الداخليه فجعل بينه وبين المنافقين قاسما مشتركا سماه الصحبه مع أنهم لم يستوفوا شروطها إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتبرها قاسما مشتركا لأجل أن تستمر المعاييشه والمخالطه بالاخلاق الاسلاميه فالقواسم المشتركه مبدأ نهجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به منذ أن بعثه الله لإصلاح العالم وقد كان يعامل كافة أجناس الناس فالإسلام يأمر المومنين أن يجعلوا بينهم وبين كل قوم من الأقوام التي تمثل عنصرا من مكونات المجتمع المسلم معني خاص ب القواسم المشتركه فهذه هي مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم التي ينطق من خلالها وألزم أصحابه قبوال مواقفه والاقتداء به لينالوا نصيبا من الأخلاق الشرعيه ويطوعوا أنفسهم قبوال الآخر ضمن اطر معينه وضوابط محده لإبراز عالميه الاسلام وشمول نظرتة للآخرين فقال تعالي هنا (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

فأراد بهذا أن المومن عليه ترك التعصب والانانيه وان يتعامل مع فئات المجتمع وفق العامل المشترك بينهم لكن مع الحذر من أن تكون جسور الصداقه مع غيرهم من المخالفين سببا لتفريط بالقيم والمبادئ أو تسلط القرار الكافر علي مقدرات الامه الاقتصادية والاجتماعيه والثقافيه والعسكريه والأمنيه والسياسيه والتعليميه فيتحول هذا المبدأ الي خطر علي الامه ويمكن الأعداء علي مركز القرار فهذا ما يجب الحذر منه وانما شرع ذلك لاجتماع كلمه ا لاسلام ومنع الغلو والتعصب المذموم فالله يقول (فإذا الذي بينك وبينه عدواه كانه ولي حميم وما يلقاها الا

الذين صبروا... الخ

ولهذا يختم الايه بأن الجميع سوف يعود إلي الله ويحاسبهم علي أعمالهم فأنتم ليس مكلف بمحاسبه الناس فإذا كان الجدل سوف يودي الي منكر أشد منه فاجتنبوا مثل هذه الأمور ولهذا تأتي الايه بعدها مبينه صورته من المعاملات مع رعايا الدوله وان كانوا من غير المسلمين فهم يسافرون مع بعض لأجل تجاره أو غيره فكان للمسلم أن يوصي بما له وما عليه عبر هؤلاء الآخراين الذين ليسوا بمسلمين

القسم السادس

لما أمر الله بحفظ النفس فقال تعالي (عليكم أنفسكم) وختم أن الجميع سوف يعود إلي الله لامفر من ذلك فقال تعالي (الي الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)

تأتي النصوص بأمر حفظ المال وان علي المرء أن يحرص علي مقابله الله ودمته غير منشغله بحق لأحد فلا يتساهل في الحقوق التي له أو عليه ولهذا تأتي النصوص مبينه احكام الوصيه واجراءتها وتنظيم أحكامها من حيث الاجراءات والاثبات والأحكام الشرعية المتعلقة بها والمعاملات المالية وحمايه الاخلاق في الاسلام فقال تعالي

(ياايها الذين آمنوا شهداء بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم أو اخران من غيركم أن انتم ضربتم في الأرض فاصابتكم مصيبه الموت تحبسونهما من بعد الصلاه فيقسمان بالله أن ارتبتم لانشئري به تمنا ولو كان ذا قربي ولانكنتم شهداء الله أنا إذا لمن الاثمين فإن عثر علي أنهما استحقا إثما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهدتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادني أن ياتوا بالشهادة علي وجهها أو يخافوا أن ترد ايمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

اولا:

ابتدأت الايه بالخطاب للمومنين (ياايها الذين آمنوا) للاشاره أن من مقتضيات الايمان أن يحرص المومن علي تنظيم أعماله ومعاملاته بحيث تكون مرتبه ومنضبطه محدد فيها ما له وما عليه وأن يسجل كل ذلك فإذا توفي لم يلحق أهله ضرر من ضياع أمواله وضمن براءه ذمته اذا كان لأحد في ذمته ديناً أو حقا وأنه إذا لم يسجل ذلك فإن اللازم علي المومن اذا أحس بدنو اجله أن يوصي بما له أو عليه فيكتب وصيته فقد جعل الله العنايه بالوصيه من مقتضيات الايمان وايضا نجد أنها في ايه الميراث مقدمه علي الدين بالذكر ف الله يقول (من بعد وصيه يوصي بها أودين)

فتقديم أمر الوصيه علي الدين لأن للدين دائن يتابع حقه ويطالب به وهو يعلم به أما الوصيه فقد تكون بحق يوصي به الميت لشخص ما لا يعلم به ولأن الورثه في الغالب يكرهونها ولهذا حرص الإسلام علي الاهتمام بأمر الوصيه فأمر الحق المومنون بالآتي

١

أن لايتساهلوا بالوصيه اذا شاهدوا مقدمات الموت وعلاماته فعلي المسلم أن يحرر وصيه بما له وبما عليه في مسائل الحقوق وايضا فإن الموصي قد يكون صاحب تجارب وعلوم وخبرات فلا بد أن يوصي بها الي تلاميذه وأبناءه حتي لا يكون انقطاع الفائده منها بموته

٢

أن اللازم علي من حضر الوصيه الالتزام بنقل الوصيه دون زياده ولا نقصان والحفاظ علي الامانه ويحرص علي اداءها

٣

أن علي الورثه التنفيذ للوصيه بما يتفق مع قواعد الشريعه الغراء

ثانيا

أن الايه تتناول احكام المعاملات في المجتمع المسلم فتضع قواعد الوصيه في الحضر والسفر وتضع الضمانات ليصل الحق لأهله فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا شهداء بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم أو اكران من غيركم أن انتم ضربتم في الأرض)

الأمر الأول

ابتدأت الايه بأن كل من احس بدنوا اجله أن يوصي أهله بما له أو عليه وبما يريد أن يوصيهم وأنه يجب عليه أن يكتب ذلك ويشهد علي وصيته شاهدين عدول من المسلمين (ذوا عدل منكم) لأن الخطاب عم المومنين ولهذا فهو يحمل علي العموم وليس كما ذهب البعض للقول إن هذا محمول علي قبيله الموصي وان الغير (أو اكران من غيركم) يعني من القبائل الأخرى فهذا القول غير صائب وانما هنا أجاز شهاده غير المسلمين في حاله للضروره في السفر اذا لم يوجد المسلمين لأن المقام اضطراري لمنع ضياع الحقوق والأمر يقتضي الجواز في مثل هذه الأحوال ولهذا فإن المراد بالعدل

الاشتهار الصدق والأمانة فهي مقيدته في حاله السفر ولم يوجد رجلين من المسلمين وقيدتها بحال السفر وعدم وجود من يشهد من المسلمين

ولهذا أشارت إلي الآتي

١

أن انتم ضربتم في الأرض... أي في حاله السفر يجوز الاستعانه بشاهدين من غير المسلمين اذا لم يوجد رجلين من المسلمين وهذا أمر لم يباح في غيرها مما يدل علي اهميه الوصيه والتشديد عليها خاصة وأنه جمع بين الشهاده والوصيه

٢

ذكر أن ذلك في حاله ظهور علامات الموت ومقدماته (فاصابتكم مصيبه الموت) أي نزل وحل بكم مايدل علي مقدمات الموت وسماه مصيبه لانه مولم ويصاحبه الالم فالقيد بمقدمات الموت لبيان الضروره التي تتطلب الا ستعانه بشاهدين من غير المسلمين

وفي هذا تبين الايه أنه يشترط لقبول شهاده الشاهد أن يكون حاضرا لحظه وقوع المشهود عليه وأن يكون مشهورا بامانه النقل والصدق فإذا اشتهر أنه كثير النسيان فان شهادته تكون ناقصه ولهذا نجد أن الإسلام جعل شهاده الامرتان برجل وأن تظل أحدهما فتذكر الأخرى

٣

أنه حين ذكر الأشهاد من غير المسلمين لم يذكر العدالة وهذا لأن هذا لا يكون الا للضروره في السفر مرعاه لحالات

الضروره ولهذا يفهم أن العدالة هنا أن الشاهد العدل هو المخبر عن الواقع الناطق بالصدق الذي يشهد علي مثل الشمس

الأمر الثاني

حرص الإسلام علي صيانه الحقوق نجد أنه جاء بإجراءات مشدده فاختار وقت لأداء الشهاده أن حصل الشك من أهل الميت أو شكو بأمر ما يبلغه الشاهد أو شكو في امانتهما أن لا يودوا ما استحفظوا عليه فإن ذلك يمنح أولياء الميت أن يطلبوا حجز الشاهدان الي ما بعد ادائهما صلاتهم حسب معتقداتهم ثم يكون بعد ذلك الحلف وقد ذهب بعض العلماء الي أن يكون ذلك بعد صلاه العصر وهذا الوقت يكون فيه استجمام النفس واستحضار عظمه الله حيث تكون النفوس مطمئنة فالحبس هنا حكم خاص لشهاده خاصه في محل خاص اذا قامت الربيه ثم يحلف الشاهدين بحضور الناس بعد الصلاه ولا بد أن مثل هذه الظروف تولد مهابه اليمين وعدم الجراءه علي الكذب ثم يكون منهما القسم بالله أنهما لا يتوخيان مصلحه بالحلف لهما أو لأحد ولو كان قريب وان لا يكتموا شيئاً فقال تعالي

(فيقسمان بالله أن ارتبتم لانشترتي به ثمنا ولو ذا قربي ولانكنتم شهاده الله وأنا إذا لمن الائمين)

فأراد بالحبس ثم الصلاه ثم اداء اليمين بالله أن لا يقصد بتلك الشهاده اي شي من أطماع الدنيا واموالها... هو تهئيه الأجواء التي تمنع الكذب وتمنع التأثر بالماده بعد الصلاه... وابتداء بقوله (لانشترتي به ثمنا) لان العاده أن الشهاده المزوره أن يعتاض عليها والا فلماذا يشهد الناس زور لان الفطره تكره الزور والكذب فلا يقبل الشاهد الزور أن يشهد زورا بلا عوض ولو مدح

ولما كانت افه الشهاده أما اللي واما الأعراض بالكذب أو الكتمان فيحلفان لانشترتي بقولنا ثمنا ولو كانوا أقارب اي لانكذب ولانكنتم شهاده الله وإضافتها الي الله لأن الوصيه عهد من العهود لأنهما كانا موتمنين فعليهما بتسليم المال أو اي شي الي مستحقه فالمراد بهذا الاشاره أنهما لن ينقضا من العهد شي فالتعامل مع الله ولهذا جاء التعبير بعدها بالجملة الاسميه (انا اذا لمن الائمين) التوكيد (انا) أنهم يحكمون علي أنفسهم اذا خالفوا الشهاده بالاثم فهو نتيجته وحيثه منطقيه لأعمالهم ولاخفاءهم الحق فهم يحكمون علي أنفسهم بالخروج من دائره الابرار الاخيار ويدخلون في دائره الاشرار إذا حصل منهم كذب

ثالثا

تمضي سياق النصوص في تناول اجراءات تنظيم المعاملات وقواعد الاثبات المتعلقة بذلك فقال تعالي (فإن عثر على أنها استحقا إنما فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهدتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين)

الأمر الأول

أن ابتداء الايه بقوله تعالي (فإن عثر على أنها استحقا إنما)

فإن اصل العثور الوقوع علي الشي... وهذا الشي لم يكن معلوما لديه قبل ذلك فيقول الحق انه في حاله وجدت معلومه عثر عليها أهل الميت لم يكونوا يعلموا بها عندما حلف الشاهدان اليمين لأن حاله الميت تكون مجهوله في حال سفره ولا طريق لمعرفة ذلك إلا عن طريق الشاهدين ولهذا فإن العثور علي المعلومه قد يكون بالمصادفه فإن مثل هذه الظروف فإن للمدعي ان يشهد لنفسه

والاثم ما يتضمن ضياع حقوق أهل الميت من خلال القرائن التي اكتشفوها ولم تكن معلومه لهم

فأجاز ان يحلفا اثنان من أهل الميت فقال تعالي (من الذين استحق عليهم)

يحتمل أن يكون معناها من الذين بغي عليهم كما يقال في الغصب غصبت عليا مالي ولهذا قيل (لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا)

اي أن قولنا أنهما خانا حقا واضح وحصل منهم البغي والاختفاء والكتمان وما اعتدينا كما اعتدوا وحكموا علي أنفسهم بالظلم اذا اعتدوا باتهام الشاهدان كذبا وأخرجوا أنفسهم من دائره أهل الحق ودخلوا في زمرة الظالمين أن هم تجاوز الحق فالاعتداء تعني المجاوزة حد الشيء

الأمر الثاني

أن الايه (فإن عثر أنهما استحقا إثما...الخ

أعم من أن نكون في الشهاده والامانه وان كان سبب النزول يقتضي أنه كان في الامانه فإنهما استشهدا واثمنا... لكن ائتمانها ليس خارجا عن القياس بل حكمه ظاهر (كما ورد عن شيخ الإسلام) بأن هذا لم يحتج فيه الي تنزيل

بخلاف استشهادهما والعثور علي استحقاق الإثم ظهور بعض الوصيه عند من اشتراها منهما بعد أن وجد ذكرها في الوصيه وسئلا عنها فانكراها فقد ورد في الحديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بمعني مافي القران فرد اليمين علي المدعيين بعد أن استحلف المدعي عليهم لما عثر أنهما استحقا إثما...وهو اخبار المشتريين أنهم اشتروا اللجام منهما بعد قولها ما رأيناها.. فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم اليمين من المدعيين اوليان وأخذ اللجام من المشتري وسلم الي المدعي وأبطل البيع

وهذا فيه الآتي

١

أن المتهم بجريمه خيانه الامانه اذا ظهر كذبه وخبائته كان ذلك لوثا يوجب

رجحان جانب المدعي فيحلف ويأخذ

٢

أن الرجوع بعد التحليف الي أولياء الميت فيحلفا مثلما يحلف أولياء المقتول اذا ظهر لوث من جانب القاتل فيكون قبول شهاده القاتل علي أحد الناس أنه قتله وذلك في رمقه الاخير ويكون معه شاهد أو شاهدان علي ذلك فيقسم المستحقون علي القاتل

ولهذا نجد أن اللوث من جانب المدعي عليه يرجح جانب المدعي في الدماء والأموال والحكمه فيهما واحده لأن القتل لا يكون إلا بالخفاء فيتعذر اقامه البيئه ولا يمكن أن يؤخذ بقول المدعي مطلقا فمع عدم اللوث فإن الراجح يكون في جانب المنكر أما إذا ظهر اللوث من جانب القاتل فإن هذا يقوي جانب المدعي

وكذلك فإن السرقة والخبائه يتعذر اقامه البيئه لانه لا يكون هنالك مصدر المعلومات الا بما يدلي به الشاهدان فالأصل براءه الزمه لكن إذا ظهر اللوث فإن من يسرق لا يتورع علي الكذب فإذا ظهر عند من اشتراه بعض المسروق فإن هذا لوث فيه تغليب الظن اقوي

ولكن في القتل قد يتقين القتل ويشك في عين القاتل والدعوي إنما تكون هي بالتعيين ولهذا كان تخصيص ذلك بأحكام القسامه

أما في الأموال فتاره يتقين ذهاب المال وقدره فيكون معلوم في مكان معروف وناره ينفين ذهاب المال لا قدره بأن يعلم أن هنالك مال وذهب ولا يعلم قدره وتاره يتقين هتك الحرز كان يوجد مايدل علي هتك الخزنه ولكن لا يدري هل كان بداخلها مال ام لا هذا في السرقة

أما الخيانه فلا تعلم الخيانه فإذا ظهر بعض المال المتهم به عند المدعي عليه أو من قبضه منه ظهر اللوث بترجيح جانب المدعي

(نقلا من فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله)

ويمضي شيخ الإسلام في ايضاح الفكره فيقول أما قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لويعطي الناس بدعواهم لا دعي قوم دماء قوم وأموالهم ولكن اليمين علي المدعي عليه)

فإن جمع الدماء والأموال فكما أن الدماء اذا مع المدعي لوث حلف فكذلك الأموال كما حلفناه مع شاهده فكما يغلب علي الظن صدقه فهو بمنزله شاهده كما جعلنا في الدماء الشهاده المزوره لنقص نصابها أو صفاتها لوثا

فاللازم النظر في حال المدعي والمدعي عليه في الصدق والكذب لأن السرقة والخيانه لا يرتكب ايان منهما الا فاسق وهذا لا يكون عدلا وكذلك المدعي قد يكذب فاعتبار الفسق والعداله يدل عليه قول الانصاري كيف نرضي بإيمان قوم كفارا فعلم أن المتهم اذا كان فاجرا فالمدعي لا يرضي بيمينه لانه من يستحل أن يسرق يستحل أن يحلف

رابعا

(ذلك ادني أن ياتوا بالشهادة علي وجهها أو يخافوا أن ترد ايمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

تشير الايه الي الضمانات التي وضعها الإسلام فقال تعالي (ذلك ادني)

اي أن هذه الضمانات هي اقرب شي تكفل أن تودي الشهاده علي الوجه الذي اوصي به الميث دون زياده او نقصان بأن يكون الحامل لذلك تعظيم الخلف بالله ومرعاه عقوبه الفاجر أو الخوف من الفضيحه من الناس عندما ينكشف أمره

فالايه تبين كيف كان القرآن يربي المومنين وينظم أحوالهم وينقلهم من عصابه الي دوله يرسم لها مكانتها ويحدد لها الاجراءت التي تنظم أمورها وتعاملاتها والضمانات التي تحفظ الحقوق وتمنع الأطماع فإذا نظرنا الي الواقع الا جتماعي للامه في ذلك التاريخ نجد أن الاميه هي الصفه السائده لامه العرب فالإسلام جاء للارتقاء بهم وتأهيل الا مه لتكون قادره علي قياده العالم فقام بإعدادها وتزويدها بالخبرات والمهارات وصياغه قواعد الاثبات ووضع الا مه في تجارب واقعيه ليكون التمرن والتدريب فالايه متعلقه بواقعه حصلت في وقت نزولها حيث كان أخذ اليمين بعد الصلاه من الشاهدان ثم عثر علي قرينه أن الشاهد أن اخفاء اللحام كما اوضحنا... ثم ذكرت الايه أن هذه الإجراءات المشدده من الأشهاد والحرص أن يكونا عدلان ثم التشديد بالحلف بالله بعد الصلاه لاستجاشه الوجدان والتخرج من الفضيحه عند ظهور الكذب والخيانه تشي أن المجتمع المسلم لديه قيم ومبادئ تشكل مقاومه ومناعه تصد كل من يفكر فالحائن والكاذب منبوذ ولهذا فإن الذي لا يخاف الله من ضعف الإيمان يخاف من الفضيحه والعزل الاجتماعي

ولهذا فالايه تبين اهميه الثقافه الاسلاميه ودورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمجتمع الذي يتحسس من الخيانه والكذب وينظر الي الخائن نظره احتقار وازدراء فإن هذا من أهم وسائل احترام القيم والمبادئ والا بتعداد عن الأخلاق القبيحه بعكس اذا انتشر الانحطاط في القيم والمبادئ لدي المجتمع فإن هذا يودي الي الفوضى حيث يصبح المجتمع ينظر إلي الفاسد أنه صالح والي الخائن أنه ذكي وبالتالي تختل المقاييس والمعايير ولهذا يأمر الحق المومنين بتقوي الله ليكون اتقاء غضبه ليكون الضمير الإنساني حي يشعر يراقبه الله والثاني أن يكون الاستماع لأوامر الله استماع قبول وامتنال وطاعه فالله لا يوفق الذي يخرج عن طاعه الله ويتمرد علي أوامره سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع التاسع من سورة

المائدة

بعد أن تناولت الآيات السابقة أن الإسلام هو الدين الذي جمع الله فيه الأديان كلها حيث نسخت الكتب السماوية السابقة وجمعت جميع صور الأديان والتدين في الإسلام ولما كانت النصوص قد حذرت المسلمين من الغلو و التقصير والافراط والتفريط في الدين فالإسلام هو الوسيطية والاعتدال وأمر الله عباده بان يختاروا الحق ويدعو الباطل يأخذ الطيب ويتركوا الخبائث ولايفتروا بالمظاهر الخادعه وان الاغلبيه تقف مع الباطل

وأخبر الله عباده ان الشريعة الاسلاميه جاءت بقواعد كلييه ولم تتعرض للتفاصيل والجزئيات فهني الله طرح الأ سئله عن التفاصيل التي لم يذكرها القرآن وهذا فيه بيان أن الفلسفه الاسلاميه قائمه علي مرونيه في التفاصيل و الجزئيات فترك تقديرها للظروف والاحوال في المستقبل فهني قابله للحذف والاضافه بحسب النتائج المتبثقه عن التجارب في المجتمعات وهذه التفاصيل وسائل لتحقيق الغايه وهي تتطلب التحديث والتجديد والتطور يعني أن تكون الوسائل فيها مرونيه ولهذا يقول الحق لعباده لاتسالوا عن التفاصيل والجزئيات التي لم تتضمنها النظريات التي حملتها الشريعة بقواعدها الكليه لأن ذلك يعني جمود الوسائل والأساليب لتحقيق الهدف لان الاجابه لمثل تلك الاسئله تعني صياغه نظريات تفصيليه غير قادره على مواجهه التطور المستمر لنوعيه المشاكل والاحوال ومناقضه العلميه التي تقتضي البحث والدراسة المستمره لجوانبها المختلفه وتفاسيلها المتطوره

ولهذا يقول الحق لعباده أن اللازم عليكم أن تقوموا بتحديث الوسائل والأساليب لكن عليكم اختيار بدائل مناسبه وان يكون لها تأصيل شرعي فذكرت النصوص كيف أن اساءه اختيار الوسائل والبدايل تؤدي الي الانحراف وطمس الفطره والعقل فذكر كيف أن المشركون انحرفوا عن دين إبراهيم عندما عبدوا الأصنام معتبرين ذلك وسائل تحقيق الهدف وهو عباده الله فذكرت النصوص أن الاقليه الظالمه والفايده هي صنعت الوثنيه وقامت بتحريم بعض الحيوانات البحييره والسائبه.... وهم الكهنه وبالتالي فإن هذه الاقليه تعرقل التطور بينما الاغلبيه عقولهم غائبه وهو ما تستغله هذه الاقليه المتسلطه علي المجتمع فلا تسمح له بالتطور الفكري فقال تعالي (وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والي الرسول قالوا حسبنا ما وجدونا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون)

فهذا الوضع يحتم وجود قوه لكسر الجمود الذي يحيط بالحياه في هذا المجتمع وهذا يتطلب أن تنصهر اردات القوه المظلومه في ارده واحده حتي تستطيع أن تقهر السلطه الظالمه لأن قوه الوثنيه السياسييه تستمد غالباً من العناصر المظلومه لأنها تكون مفككه وغير متحده علي رأي ولامتفقه علي عمل ولهذا يدعوهم الاسلام الي الاتحاد باقامه نظام سياسي واقتصادي واجتماعي يسوده العدل والمساواة والاخوه وان يحذروا من اقامه نظام ديكتاتوري يستغل الدين لاقامه نظام ظالم ولهذا يأمر المومنين أن يحذروا من أن يكون نجاح الثوره واستئثارها ب الدولة أن تكون مجرد ميلاد لثوره مضاده بأن تعامل الكفار بغير العدل فتعامل المخالف لها في الدين بالظلم فهذا أمر غير مقبول فلا بد من دمج هولاء في المجتمع المسلم طالما أنهم صاروا من رعايا الدوله وان احتفظوا بمعتقداتهم ولايضركم بقاء هولاء علي ماهم فيه من الأفكار الضاله فالمرحله الجديده تختلف عن مرحله ما قبل الثوره فلا يكون الوصول إلي التمكين هدف وصول بل هو بدايه انطلاق فلا بد أن تذوب الفواصل التقليديه الجامده وضروره احتواء المواطنين والرعايا في النظام الإسلامي فلا يكون محاصره القوي التي لم تتلحق في الإسلام من أن تكون عناصر فعالة في المجتمع المسلم طالما أنها تحترم النظام الإسلامي وقيم ومبادئ الشريعة وتخضع لها ولهذا ذكر الحق الشهاده في الوصيه وخص بالذكر الوصيه حال السفر الذي لا يكون فيه شخص واحد مسلم يرفقك بمعني أن الرفاق في الرحله كلهم من غير المسلمين فقال تعالي (أو اخران من غيركم) فاعطي المسلم أن ياتمن هذا الكافر علي ماله وان يحمل وصيته وهذا فيه الحث علي عدم العزله التامه المطلقه بين

المسلم وغيره وانما العزله في الأمور المتعلقة بأمور العقيدة أما في المعاملات والتجاره فلا مانع من ذلك بالذات مع رعايا الدوله من غير المسلمين ثم بين الحق أن المسلمين أن يتقوا الله ويسمعوا لما يأمرهم الله فالله لا يهدي الفاسقين فقال تعالي

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لأعلم لنا انك انت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهنيه الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبرى الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتى بأذني وإذ كفتت بني إسرائيل عنك إذ جتتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا إلا سحر مبين وإذ اوحيت الي الحورين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنوا واشهد باننا مسلمون

فإنه بالوقوف علي آيات هذا القسم نجد أنه فيه

اولا

أن النصوص مازالت تتحدث عن المعركه الفكرية بين القيم الروحانية الإيمانية وبين القيم المادية فالله يخبرنا أنه يقف في صف أهل القيم والمبادئ الإيمانية الذين يخضعون لمنهج الله ويمتثلون أوامر الله ونواهيه فهؤلاء المومنون الذين يضبطون حياتهم علي التوحيد العبودية لله وحده لاشريك له وفي الطرف الآخر يقف من يعبد الماده وهم في صف الطاغوت والمعركه بين أولياء الله وبين أولياء الطاغوت... وهذه المعركه والتقسيم للناس منذ فجر البشريه منذ اللحظة التي رفض فيها ابليس السجود لادم تنفيذيا لأمر الله فقد كان تمرد الشيطان عن أمر الله فقال تعالي (فسق عن أمر ربه) ولهذا فإن الذي يرفض امتثال أمر الله يكون تابعا لإبليس ومدرسه الفسق والعصيان التي أسسها ابليس فكل خارج عن طاعه الله ويرفض منهج الله فإن هذا يكون تابعا للشيطان فالنتسل للمومنين يخضع لآبواه المنهج فالآبواه هي أبواه المنهج واقامه العهد وليس الانتساب للانبيا والرسل لأن الذي يرفض التحول الي الاسلام من أتباع الرسل يعني أنه انقطع صلته بالرسل ويكون تابعا للشيطان وهذا محروم من اعانه الله والهدايه الخاصه ولا ينتفع بهدايه البيان الورد في القران الكريم الذي هو هدايه للمتقين فاخبرنا الله أنه لا يهدي الفاسقين فقال تعالي (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالهدايه للصراط المستقيم وهو صراط الذين أنعم الله عليهم وهم الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذي نسأل الله إياه في كل صلاه فنقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

إنما يوافق الله له من اتقي الله وأخذ بما في القران الكريم فالله يقول (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين) وهنا يقول لنا (واتقوا واسمعوا) إذا أردتم هدايه الله الخاصه التوفيق والنجاح والانتفاع بهدايه القران ولهذا تأتي النصوص بعدها ببيان أن الانتساب للانبيا والرسل لاتنفع صاحبها الذي رفض الالتحاق بالإسلام وايضا لبيان ان الشرك والانحراف الذي صار عليه أهل الأديان هو انحراف طرا عليهم بعد وفاه الانبياء والمرسلين ولم يأمرهم الا نبياء بذلك فجميع الرسل حملوا دعوه التوحيد الي الناس ولهذا يقول الحق (يوم يجمع الله الرسل) وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

اذكر يوم يجمع الله الرسل أنه يوم القيامة والايه ترسم لنا مشهد احوال يوم القيامة وما فيها من مظاهر متحركه قادره علي الغوص في أعماق النفس وهي تري مشهد اجتماع الرسل الذين تباعدت ازمانهم وامكانهم واجناسهم فقد جمعهم وحده الدين والدعوه الي عبادته الله والتوحيد فناسب بعد ذكر الاستشهاد علي وصايا المخلوقين الا نتقال الي وصايا الخالق الي خلقه لانه تعالي يقول في موضع آخر (شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا... الخ

وقد سماهم الله شهداء فقال تعالي في موضع آخر (فكيف إذا جئنا من كل امه شهيد وجئنا بك علي هولاء

اء شهيدا)

وهو تعالي يقول (فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين)

وهنا يقول الحق (يوم يجمع) ظرف والاظهر أنه معمول لعامل محذوف مقدر اذكر يوم يجمع الله الرسل..وتقدر له عامل يكون بمنزله الجواب للظرف لأن الظرف إذا تقدم يعامل معاملة الشرط في اعطائه جواب وقد حذف هذا العامل لتذهب نفس السامع كل مذهب لتصور ما فيها من التهويل فتقدير الكلام يوم يجمع الله الرسل يكون فيه هول عظيم لا يبلغه أحد فأراد بهذا التحذير من هذا الموقف بالاستعداد بالالتزام بالتكاليف الربانيه فالله سوف يسأل الرسل كيف كان استقبال من دعاهم لمنهج الله فالسؤال للرسل والمراد به تقريع وتبكيه المخالفين للرسل و الرسائل ولم يذكر القوم تحقيرا لشان الذين جهلوا مع قيام أسباب العلم والذين كفروا مع قيام الحجه فهو لا تنقطع الصله بينهم وبين الرسل يوم القيامة فلا ينالون شرف الاتصال بهم فأراد بهذا قطع دعاوي الشفاعه من العذاب لاتصالهم بالانبياء والرسل بصله النسب فيدعوهم إلي الوقوف علي مشهد جمع الرسل يوم القيامة

الأمر الثاني

يخبر الله عباده أنه يسأل الرسل (ما اجبتم)

فالسؤال والاستفهام للرسل هنا إنما هو توبيخ للذين كذبوا بالرسل في حياتهم وما أحدثوا بعدهم وما غيروا وما بدلوا

فجاء الجواب (قالوا لأعلم لنا انك انت علام الغيوب)

وهذا الجواب :-

ليس إنكار الرسل عالمين بما عملت امهم لأن الرسل من الموكد أنهم علموا بما عملت اقومهم عندما حملوا إليهم دعوه التوحيد..فالله قد أخبرنا في موضع عديده أن الرسل سوف تشهد علي اقوامهم ومن ذلك قوله تعالي (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)

وانما الجواب فهذا له عدّه معاني :-

قال البعض أن هذا ناتج عن احوال يوم القيامة حيث أصابهم الذهول وبعد أن عادت إليهم العقول شهدوا علي اقوامهم وقال آخرون أن هذا القول غير صائب لأن الله يقول إن المومنون (لايحزنهم الفزع الاكبر) فكيف يصح ذهول العقل للانبياء فالذهول وصف به الكفار فالله يقول (إنما يوخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤؤسهم لايرتد إليهم طرفهم وافئدتهم هواء)

وذهب البعض الي القول إن الاجابه متعلقه بنفي علمهم بما اضمروه من أعلن ايمانه لأن الرسل بشر ولايعلم السر و العلى الا الله تعالي

ومنهم من قال إن هذا تأدب من الرسل مع الله والواقع أن الايه تتحدث عن مساله ما أحدثه أصحاب النحل و الملل بعد الرسل من التغيير والتبديل بالافراط والتفريط بأنه لم يأمرهم به الرسل ويويد هذا قول عيسي (فلما توفتني كنت انت...الخ

وفيها أيضا شهاده الرسل علي الكافرين من اقوامهم بأن ما علمه الله فهو الحق

وتسفيه اولئك الكفار في انكارهم الذي لايجدي .. وإظهار الادب في حضره الله تعالي والاشاره الي أن العلم المحيط هو علم الله وان علم الرسل إنما هو مما علمهم الله تعالي فهم لاينسبون شيئا الي أنفسهم

الأمر الثالث

أن الايه فيها التوجيه بالحفاظ علي العهد والوفاء به والمراد به عهد الايمان والمنهج الذي قال الله (واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالحق يامر عباده بالتقوي والاستماع لأوامر الله ونواهييه استماع قبول وامتنال وطاعه تشعر انك مخاطب بـ الوحي و فالتقوي والسمع يعني التمسك بالقران وان تكون حريصا علي تنفيذه في نفسك وفي غيرك وهذا لا يكون إلا اذا عاش القلب مع القران وتخلق وتادب بأداب القران فإذا حصل ذلك فإن القلب يحب القران ويشتاق له ولهذا عندما يسمع الايه يقشعر جلده ويامر جوراحه بالتخلق والعمل بأخلاق القران يتعظ بمواعظه وياتمر بأمره وينتهي بنهيه فيكون الهدف الأسمى من سماع القران أن يعيش الانسان ويحي بما في القران وتعاليمه يدرك أن هذا المنهج فيه الوصول إلي الله والي دار كرامته وهذا ما يوجب عليك زياده التمسك به والاهتداء بهديته اذا علمت أنه حق وعدل وصدق وتجسد ذلك بالطاعه ولهذا يقول الحق محذرا من مخالفته (والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فالناس كلهم قد أخذ الله عليهم العهود والمواثيق بالوفاء بالتزاماتهم التي حملها الرسل إليهم في المناهج الربانيه فمن اوفي بما عهد الله عليه نال الكرامه والسعاده ولما كانت السوره قد افتتحت بالحث علي الوفاء بالعهود فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) تختتم السوره بمراجعته العقود يوم القيامه لتأكيد اهميه الوفاء بالعقود فقال تعالي (يوم يجمع الله الرسل)

وهذا الجمع ليقدّم كل رسول تقريراً عن دعوته وما كان من قومه والسؤال هنا عن ما أحدث الأقسام بعدهم من التبديل والتغيير لدين الله بالمغالاه والافراط والتفريط فأراد بهذا التوجيه أن الوفاء بالعهد هو الذي يوصلك الي دار الكرامه ولاينفع الانتساب للانبيا مع الفسق والعصيان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال و الذي نفسي بيده لاؤدون رجالا عن حوضي كما تذاذ الغريبه من الإبل عن الحوض)

ف الله اكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بالحوض في عرصات يوم القيامه يسقي منه المومنون من العناء في هذا اليوم العصيب وهنا يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم (لاؤدون) اي لا طردن رجالا عن حوضي يوم القيامه وهم المنافقون والمبتدعون لانهم أحدثوا وغيروا في الدين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كما يطرد الساقى الناقه الغريبه من الإبل عن الحوض اذا اردت الشرب مع ابله ومن هذا نفهم معني قولهم لأعلم لنا ... الخ بأن الانبياء يتبرون من المخالفين الذين نقضوا العهود ولم يلتزموا بالمنهج بعد الرسل فلا مطمع في شفاعه

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي محاوره الله مع عيسي بعد سؤال الرسل والأنبياء وهذا لأن عيسي عليه السلام اتخذه البعض الها ومنهم من قال أنه ابن الله ولهذا تأتي النصوص بهذه التفاصيل لمحاوره عيسي لابطال تلك الشبهات وإظهار فساد وبطالان عقائد وتصورات النصاري بشأن عيسي فقال تعالي

(إذ قال الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم في المهد وكهلا وإذ علمت الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهنيه الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبري الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتى بأذني

الأمر الاول

ابتدأت الايه بظرف تذكير عيسي بانعام الله والاءه عليه وعلي ولدته وقد نداهه الله (يا عيسي ابن مريم)

وهذا فيه ابطال لدعوي أن عيسي هو الله ومن زعم أنه ابن الله وغيرها من الشبهات التي أفسدت دين الله وانحرفت عن دعوه عيسي لقومه

فيذكره الله بانعامه التي من بها علي عيسي لتكون شهاده بأن اتباعه قد انحرفوا وصنعوا الاباطيل فهو سبحانه وتعالى يخاطب بذلك عيسي ليسمع بها قومه ويكون لهم الخزي والفضيحة

فالله يذكر عيسي عليه السلام بأنه خلقه بلا أب ليكون ايه قاطعه علي كمال قدرته تعالي فهو سبحانه وقد أنعم علي امه بأن جعل عيسي معجزه لتبراهه امه من افتراء اليهود فالحق يخبر عيسي أنه مخلوق من فضل الله وما اعطي من خوراق العاده هو من فضل الله عليه ومادام الله هو المعطي والمانح فلا فضل لعيسي علي ما تميز به لأن الفضل هو لله تعالي وبالتالي فلا يمكن أن يكون له تعالي ولد وأنه سبحانه وتعالى قد جعل ولاده عيسي خارقه ليكون ذلك دافعا للماده التي قدسها اليهود الذين كانوا لا يؤمنون الابالماده ولهذا يذكر نعمته تعالي علي مريم لانه طهرها من افتراءات اليهود وقد أنعم علي امه أيضا كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال (واذ قالت الملائكة يامريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العالمين)

الأمر الثاني

أن التذكير بالنعم تعني أن يكون شكر الله والقيام بواجبها وليس المراد بالتذكير لعيسي بالنعم أنه يكلفه بالشكر في هذا الموقف لانه دار جزاء لادار تكليف ولكن أراد بهذا لتكون حجه علي من كفر بها حيث أظهر الله علي يده معجزات كثيره ولهذا فإن انحراف قومه بشأن تلك المعجزات بين مكذب لها قائلًا إن عيسي ساحر وبين مفتون نتيجته المفالاه فنسب لعيسي ما لم يأمرهم به وفي ذلك جحود النعم ولهذا فإذا كنت في نعمه فاحذر أن تكون نعمه الله عليك سببا لتمردك عن نعمه الله فالله سوف يحاسبك علي انعامه فانظر كيف أنه تعالي يسأل عيسي عليه السلام عن كل نعمه وهو النبي الشاكر المعترف لله بانعامه وعطاءه فاحذر انت ايه العبد أن تتسي نعمه الله

عليك فسوف تقف بين يدي الله. ويسالك عن انعامه والذكر النعم بالقلب واللسان والقيام بواجبها من الشك ولهذا تمضي سياق النصوص في تذكير عيسي بانعامه وعطاءه تعالي في هذا الموقف فيقول له (وإذ ايدتك بروح القدس)

والتايد تعني قويتك بروح القدس قيل إن الروح هو جبريل والوحي الذي طهر الله به عبده ونبيه عيسي عليه السلام فصار له قوه علي القيام بأمر الله والدعوة الي سبيله فذكر نعمه فيها دليل موكد نعمه التايد فقال تعالي (تكلم الناس في المهد وكهلا) اي نطقت بكلام العقلاء اي تكلم بكلام غير معهود أن يتكلم به طفل في المهد فقد تكلم بما ينفع الناس وكان في حديثه براهه امه ودعوته لهم الي عباده الله وهو طفل في المهد فقال تعالي عن ذلك (اني عبد الله اتينا الكتاب وجعلنا نبيا... الخ

وتستمر النصوص في سرد عطاء الله علي عيسي فقال تعالي (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل) وهذا فيه الاتي

يمتن الله علي عيسي أنه علمه الكتاب والحكمة وبالتالي فما هو الكتاب والحكمة التي يمتن الله علي عيسي بتعليمه ذلك ؟

ذهب البعض الي القول إن الكتاب يقصد به الخط والحكمه هو الفهم

والحقيقه ان عيسي لم يكن ولادته في قوم اميون فهم متعلمون وبالتالي فلا يمكن أن يكون هذا هو معني التعليم هنا وانما يمكن القول إنه علمه الكتب السابقه مثل الزبور أو الهمه معاني الكتابه وعلوم من سبقوه والحكمه تعني وضع الأمور في نصابها الصحيح بمعني الفهم لحقائق الاشياء فيكون فيه المنفعه وكلامه يكون محكم دقيق منضبط ويدخل في الحكمه التعليمات الراشده الهاديه الي مكارم الاخلاق وكذلك يمتن الله عليه أن علمه احكام التوراه فكان اعلم الناس بها وعلمه الانجيل

وفي إطار امتنان الله علي عيسي بانعامه يقول الحق (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بأذني وتبرى الاكمه والابرص باذاني وإذ تخرج الموتى بأذني)

بالوقوف على الآيات نجد الآتي

١

أن الحق يعبر عن تأيد عيسي عليه السلام بمعجزه خلق الطير بقوله (إذ تخلق) ولم يقل يخلق الطير وانما ذكر ما يمكن القول إنه يصنع من الطين مايشبه هيئه الطير فذكر المواد الاوليئه التي كان خلق الطير منها وهو الطين لأن الخلق إنما يكون لله وحده فهو الخالق للطير ولكل شي أما البشر فليس لهم خلق شي لان معني الخلق المتصف به الله هو إيجاد الشي من العدم أما البشر فيمكن لواحد أن يشكل تمثال من الطين أو يخترع اي اختراع لكن لهذا الا اختراع مواد اوليه وهذا الاختراع لاينمو ولايتناسل

٢

ذكر تأيد الله عيسي في معالجه الاكمه والابرص وقد سبق تناول ذلك في سورة ال عمران

٣

ذكر تأيده لعيسي بأحياء الموتى فقال تعالي (وإذ تخرج الموتى بأذني)

واستعمل صيغه تخرج اي تخرجهم من قبورهم احياء فأطلق الاخراج واريد بها لازمه وهو الاحياء لأن الميت إنما وضع في القبر لأجل كونه ميتا فكان إخراجهم من القبر ملزوما الانعكاس وهو الاحياء كما قال تعالي (واحييننا به بلده ميته كذلك الخروج) وقال تعالي أيضا (واذا متم وكنتم ترابا وعظما انكم لمخرجون)

٤

نجد أنه تعالي كرر (باذاني) مع كل نعمه ومعجزه للرد علي من نسب الربويه لعيسي فأراد بهذا بيان أن كل شي تم باذان الله الاذن الكوني لأن هذه الأشياء خارقه للعاده والسنن فلا يقدر عليها إلا الله تعالي فهو لايعجزه شي

الأمر الثالث

تستمر النصوص في نقل سرد المولي سبحانه وتعالى العامه علي عيسي في ساحه الحشر فقال تعالي (وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم أن هذا الا سحر مبين)

أن من أعظم النعم هي نعمه العصمه من الاهانه والإذلال فالله يقول لعيسي اذكر نعمتي عليك اذ كفت يد بني إسرائيل أن تمتد اليك بعدما شاهدوا البراهين والحجج الباهره التي تثبت صدف نبوتك ولم يكتفوا بتكذيب عيسي في كل معجزه كان يأتي بها فقد استمر التكذيب منهم لعيسي من بدايه حديثه لهم وهو في المهده عندما جاءت امه تحمله إليهم وفي النهايه اجمعوا علي قتل عيسي وصلبه فعصمه الله منهم وقد دل علي جمع المده قوله (إذ جئتهم بالبينات) فان مشاهدتهم لتلك المعجزات كانت خلال مده ظهورها كامله وقوله تعالي (فقال الذين كفروا منهم أن هذا الاسحر مبين)

فخص بالذكر المكذبين واقتصر علي دعاوي تكذبيهم إبان علي قولهم إن هذا الاسحر مبين لأن ذلك الادعاء قصدوا به استخدامه كوسيله تبرير قتلهم عيسى لأن حكم الساحر في شريعه اليهود يقتل اي أن ذلك من قبيل الدعايه الا علاميه لتضليل الجماهير وتبرير جرائمهم الشنيعه

القسم الثاني

تستمر النصوص بنقل امتنان الله علي عيسي في مواقف الحشر فقال تعالى

(وإذ أوحيت الي الحورين أن ءامنوا بي وبرسولي قالوا ءامنا واشهد بأننا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسي ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسي ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وءاخرنا وابه منك وارزقنا وانت خير الرزاقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه أحد ا من العالمين)

اولا

آيات هذا القسم امتداد لما قبلها وتهئيه لما سوف يأتي بعدها من الخطاب الإلهي لعيسي (انت قلت للناس اتخذوني وامى الهين..الخ

ولهذا نجد أن الإيه ابتدأت بذكر أن الله تعالى أوحى الي الحورين أن يؤمنوا به وينصروا عيسي ويتبعوه فايده الله بالاتباع والوحي هنا يعني الإلهام كما قال تعالى (واحيننا الي ام موسى أن ارضعيه) اي أن الله الهمهم ذلك فامتثلوا ما الهموا وقيل قذف في قلوبهم الايمان فلما سمعوا دعوه عيسي بادروا الي الاستجابة بتصديقه وقدم ذكر الايمان علي الاسلام لأن الايمان من اعمال القلب والاسلام هو الانقياد بالجوراح فدل هذا أنهم آمنوا ظاهرا وباطنا فقد وقفوا علي معاني ما دعاهم إليه وتدبروا وفهموا دعوته وصدقوا بالإيمان في الباطن ثم اشهدوا الله علي إعلانهم الخضوع والانقياد لما يدعوههم إليه والحوري يطلق علي الدقيق الخالص الصافي واطلقت هذه الكلمه علي كل شي نقي نظيف خالص والمراد به المخلص المحب لمنهج الخير واعلاء كلمه الله لأن القلب اذا كان نقياً نظيفاً من التعلق بغير الله فإنه يشترق الي طاعه الله والي سماع كتابه ويزداد بسماعه إيمانا ويفرح ويستبشر بالجنه ويتلذذ بالطاعه وهذه نعمه يمتن الله بها علي عيسي إذ لو لم يؤمنوا لما وجد من يتبع دينه فلا يحصل له الثواب المتجدد بتجدد اهتداء الأجيال الي أن نسخه الاسلام

ثانيا

تذكر الآيات معجزه أخرى ايد الله بها عيسي عليه السلام ان هذه المعجزه نزلت بمناسبة سوال الحواريوان عيسي هل يستطيع لك ربك اذا سألته أن ينزل عليك مائدة طعام من السماء فقال تعالى (وإذ قال الحواريون يا عيسي ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

أن هذه الإيه مما استشكل علي المفسرون تفسيرها فقد ذهب البعض للقول إن الحواريون كانوا غير صادقين الايمان ولهذا طلبوا انزال المائدة علي سبيل الاعجاز... وهذا الكلام غير منطقي ويتعارض مع ما أخبرنا الله أنه تعالى الهمهم الايمان فكيف يكونون فيهم نقص فلا يمكن أن يكون موقفهم كالتشكك من قدره الله علي ما يشاء وكيف يشاء لأن الله قد مدحهم وأمر المومنين بالتاسي بهم فقال تعالى في سوره الصف (يايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسي ابن مريم للحوربين من انصاري الي الله قال الحواريون نحن أنصار الله... الخ

وبالتالي فمن غير الصواب القول أنهم السوال يعني التشكك منهم بقدره الله

والا لما أمرنا الله أن نتاسي بهم

ولهذا فإن الاستطاعه هنا يراد بها هل يستطيع لك ربك هذا الطلب لأن هذا الأمر خارج عن المألوف ولم يقع في حياه الناس وهو يدل علي التلطف والتادب في السوال علي طريقه العرض بالقول للمستطيع التام هل تستطيع كذا مثل أن تطلب يمسه بيده كتابا فتقول له هل تستطيع أن تعطينا هذا الكتاب فمن المؤكد أنه يستطيع اعطاك

لأن من يمسك بالشيء يكون قادرا علي اعطائه وان يجيبك الي مطلوبك ولهذا فإن السائل إنما يقول ذلك من باب التادب فلا يحب أن يقترح علي من يسأل ما لايرضاه لانه يري نفسه مستصغرا أمام من يسأل منه الطلب فدل قولهم علي أنهم كانوا في استصغار شان أنفسهم واحتقار لذاتهم وهم يطلبون هذا الطلب فسألوا عيسى لما يرون أن له من مكرمه عند الله فاضافوا (ربك) الي عيسى ولم يصيفوها لأنفسهم استصغارا لمكانتهم في هذا المقام

ولهذا فإن قول عيسى (اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

قال لهم خافوا الله فلا تسألوا مثل هذه المقترحات فلا تنقصوا من ايمانكم بمثل هذا المقترحات فحسبكم ما امنتم به وما التزمتم به من الخضوع والاستسلام لله وأمره يقول لهم لما ذا تطلبون مائده من السماء وقد أنعم الله عليكم بموائد الأرض فما عليكم الا أن تبتذلوا جهدا وتسعون في الأرض لتاكلوا من موائد الرحمن فما الحاجه الي هذا المقترح ؟؟؟ كما قال تعالي لابراهيم عندما قال لربه (ارني كيف تحي الموتى) فقال له المولى سبحانه وتعالى (أولم تؤمن) وهنا قال عيسى (اتقوا الله أن كنتم مؤمنين)

فجاء الجواب أنهم لم يقصدوا والشك بقدره الله وانما اردوا الانتقال من علم اليقين المسموع الي عين اليقين فقال تعالي (قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين)

فيها الاتي

١

(نريد أن نأكل منها)اي نريد أن نأكل منها أما يقصدون التبرك بها أو أنهم يقصدون أنهم محتاجون للاكل كان يكون حالهم في قحط ومجاعة

٢

أنهم اردوا الانتقال من علم اليقين الي عين اليقين (وتطمئن قلوبنا)

كما ورد في قول إبراهيم عندما سأل الله كيف يحيى الموتى فقال (أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي)

اي تسكن وتستقر قلوبنا علي وحدانيه الله وقدرته بانضمام علم المشاهده الي علم الاستدلال

٣

ونعلم أن قد صدقتنا)

اي علم اليقين في ما أخبرتنا انك نبي الله

٤

ونكون عليها من الشاهدين)

اي نكون شهود علي المائده عند بني إسرائيل ليؤمنوا ويصدقوا

ثالثا

فلم تأكد لعيسى ان أغراضهم صحيحا ولم يقصدوا التعجيز فيما سألوا استجاب لطلبهم فقال تعالي عن ذلك (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائده من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وءاخرنا وايه منك وارزقنا وانت خير

ابتدأ بمناجاة الله بقوله (اللهم) الاسم الدال على الالوهيه والقدرة والحكمه الي نحو ذلك من صفات الكمال وهو ما فيه توجيه لك ايه المومن اذا دعوت الله فإن عليك أن تحسن اختيار من اسماء الله الحسنی وصفاته ما تتفق مع سوالك

ثم نجد أنه بعد ذلك اتبع النداء باسم الرب الجامع لمعني التدبير والتربية والانعام اي يامتولي تربيتنا انزل علينا مائده من السماء يرها هولاء المقترحون بابصارهم وتتغذي بها أجساد هم

طلب أن تكون بمناسبة يوم نزولها أن يكون هذا اليوم يوم عيد فنزلت يوم الاحد وفعلا كان هذا اليوم يوم عيد فيه تعظيم لاهل زمان عيسي ومن جاء من بعده من الأجيال والأزمان يوم بهجه وسرور

طلب من الله أن تكون علامه ترشد اتباعه الي صحه دعوته ونبوته

اختتم كل هذا بقوله (وارزقنا وانت خير الرزاقين)

طلب من الله العطاء فهو المعطي والمانح والرزق انواع فالاكل رزق والشرب رزق والعلم رزق والحلم رزق وكل شي ينتفع به هو رزق ولهذا جاء بالكلمه العامه التي تدخل فيها الاكل فكل شئ هو من رزق الله

ومن محاسن الدعاء تأخير الفائده الماديه فبعيسي ابتدا بالفوائد الروحانيه ثم ذكر الفائده الماديه بعكس الحوريون ابتدوا بالفايده الماديه

ولهذا فعليك أن تطلب الرزق من الله وتقبل باختياره فكل ما يعيظك الله هو رزق

رابعا

يأتي الجواب من الله تعالى لما سال القوم فقال تعالي (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه أحد ا من العالمين)

استخدام الحق نون الافراد في قوله (اني) وهذا إنما يكون في حاله الحديث عن التوحيد لأن الله عندما يتحدث عن قدره فإنه يستخدم نون التعظيم كما قال (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

فالحق سبحانه وتعالى يريد هنا أن يعيظنا معني التوحيد فقال (اني منزلها عليكم) فانتبهوا أن تكون هذه النعمه سببا الخروج عن التوحيد فأراد بهذا حراسه النعمه العظيمه من أن يعيث بها العابثون أو يجحدها الجاحدون فمن عمي ولم يهتدي بعد ذلك أو ينحرف فإن هذا عليه استحضر الوعيد الذي أخبره الله به من العذاب الذي يفوق الوصف بأنه عذاب لا يعذبه أحد من العالمين ف الله يقول في موضع آخر (وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ولقد تمود الناقيه مبصره فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويها)

ولهذا فاحذر ايه المومن أن تعاهد الله عهدا ثم يعيظك ماتريد فتنقض عهدك فإن ذلك مظنه العذاب الشديد

القسم الثالث

(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم آتت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب

ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دامت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علي كل شيء شهيد أن تعذبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

أولا

ابتدأت الايه بذكر محاوره الله لعيسي عليه السلام فقال تعالي (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم آتت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله)

الأمر الأول

والسؤال هنا متي قال الله ذلك ؟

ذهب السدي والطبري للقول إن الله قال ذلك لعيسي حين رفعه إليه وهذا القول لا يستقيم بالوقوف علي الايه نجد أنها وردت بعد الحديث عن يوم جمع الرسل في ساحه الحشر مع اقوامهم بشكل عام والاستفهام هنا (آتت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين) مثل الاستفهام في قوله للرسل (ماذا اجبتهم)والجمله عطف علي قوله تعالي (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك) فهو مايقوله الله يوم يجمع الرسل وليس ما قاله في الدنيا لماذا؟

لأن عباده عيسي من قبل النصاري حدثت بعد رفعه ولانه تعالي يقول في ختام الآيات (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فقد أجمع المفسرون ان المراد بها يوم القيامة

واما ما تعلق به من قال إنها في الدنيا من القول إن عيسي والأنبياء لم يشكوا بأن الله لا يغفر للمشرك اذا مات علي شركه فقالوا كيف يقول عيسي (أن تغفر لهم) فالنص لم يقل فيه انك تغفر لهم فقد بني الكلام علي أن غفرت فقال إن عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم فهذا من رحمتك وهذا فيه تبرأ عيسي من قومه ولم يطلب الشفاعة لهم فهو مثل ما قال إبراهيم (واغفر لابي أنه كان من الضالين) وأما قولهم ان الخبر خبر عن ماضي لعليين الاولي أن إذ إنما تصاحب في الأغلب كلام العرب المستعمل فيها الماضي من الفعل فإن هذا القول غير دقيق لانه لا أحد من العلماء ينكر أن ما قبلها (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي و الدتك..الخ وهي متعلقه بالحوار مع عيسي في ساحه الحشر مع أنها وردت بصيغه الماضي ومع (إذ) وبالتالي فإنها تدخل في موضع الخبر عما يحدث في المستقبل إذ عرف السامعون معناها والسامع قد إدراك من قوله تعالي (يوم يجمع الله الرسل) أن الحديث يدور عن محاوره الرسل واقوامهم في ساحه الحشر

الأمر الثاني

الجواب لمن يطرح سؤال مفاده كيف يكون مجيء الحوار بصيغه الماضي مع أن زمن حدوث هذا الحوار هو يوم القيامة ومكانه ساحه الحشر ؟

الجواب :-

أن من بلاغه القران الكريم أن يجعل السامع يعيش احوال الموقف كانه حاصل مع أن الحديث عما سيحدث مستقبلا فهي تعطينا صوره تقريبيه لما سوف توول إليه مسيره الحياه والاحياء في نهايه المطاف لتضع بين أيدينا رؤؤي مستقبليه تطرح علينا السؤال الكبير دائما ما ذا أعدنا لها ؟وكيف نتعامل معها وتدلنا علي سبيل الخروج

وهو الصدق في الدنيا في القول والنفس والعمل فقال تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) لتكون صادقا في القول فلا تنطق الا بالحق ولا تماري ولا تدهن ولا تترف وان تصدق نفسك فلا تغشها ولا تخدعها وان تدوام علي معرفه عيوبها وإصلاحها وان تصدق في الإنصاف فلا تغمط ولا تحسد ولا تتكبر وان تكون عبدا لله تعالى فمن كانت هذه حاله نفعه صدقه في دار الجزء

٢

كما أن اللازم عليك أن تعلم أن الازمته خالقها الله تعالى وهو سبحانه وتعالى له أن يتحدث عن ما سوف يحدث بأي زمن وصيغه لانه الأول بلا بدايه والاخير بلا نهايه وهو سبحانه وتعالى الذي يملك أن يقرر ما سوف يحدث في المستقبل أما نحن البشر فلا نملك أن نقرر ما سوف يحدث لأننا لا نملك أي عنصر من عناصر الحدث ولهذا أمرنا الله أن نقول (ولا تقولن لشيء اني عامل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)

أما الله عندما يقول ان أمر سوف يحدث فلا بد أن يحدث ولهذا فإن اللازم علينا أن نفرق بين الحديث المنسوب الي الله الذي يملك كل شيء وبين الحديث المنسوب للبشر فأنت لاتملك تحقيق أي شيء في المستقبل الا بمشيئه الله تعالى

الأمر الثالث

السؤال :-

لماذا خص عيسي في هذا المقام بهذا الحوار دون سائر الأنبياء الذين اكتفي بسؤال واحد (ماذا اجبتم) ؟

الجواب :-

لانه عليه السلام الرسول الذي كان من أتباعه الافتراء عليه بأن اتخذه اله وقالوا إن هذه العقيدة الفاسده دعاهم إليها عيسي

وقد أخبرنا الله في سوره الانبياء أن المشركون وما يعبدون من أصنام يكونون في جهنم فقال تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها وردون لو كان هولاء الهه ماوردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) ثم جاء استثناء من ذلك من سبق لهم المنزله وهم الذين لم يدعوا الناس الي الشرك واتخاذهم الهه امثال عيسي عليه السلام فقال تعالى (أن الذين سبقتم لهم منا الحسني اولئك عنها مبعدون)

ولهذا كان هذا الاستجواب مع عيسي في هذا اليوم الرهيب

١

ليعلم الناس حقيقه افتراء هولاء علي عيسي ولتقرير حقيقه الالوهيه والربوبيه والعبودية بأنها لله وحده لا شريك له ولهذا ابتداء بالنداء (يا عيسي ابن مريم) فأراد بهذا نفي أن يكون عيسي الهه أو ابن اله وأنه مخلوق من مخلوقات الله

٢

إعلامه بما أحدثه قومه من بعده بأنهم خالفوا العهد وبدلوا دينهم

٣

تقريع للنصاري إنكار لما فعلوه ولهذا نجد أنه كان تقديم المسند إليه علي الخبر في قوله (أأنت قلت للناس) يدل علي أن الاستفهام موجه لتقرير براءة عيسي من ذلك القول فليس هو من قال هذا القول والناس هم الذين ارسل إليهم من بني إسرائيل فأراد بهذا زياده التوبيخ تعريضا بالإرهاب والوعيد بتوجيه العقوبه لمن قال هذا القول إن تنصل منه عيسي فيعلم اخبارهم أنهم اخترعوا هذا القول والمعني إن لم يكن عيسي هو القائل ذلك فلا عذر لمن قاله لانهم زعموا أنهم يتبعون اقوال عيسي ومناهجه فلو كان هو القائل (اتخذوني) اي كلفوا أنفسكم مايعتقدونه لصار معهم في العذاب كما ذكر الحق في سوره الانبياء(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم..الخ

والله يعلم أنه لم يقل ذلك ولهذا قال في سوره الانبياء (أن الذين سبقت لهم منا الحسني اولئك عنها مبعدون)

ولهذا استخدام (اتخذوني) بمعني اجعلوني والتعبير بهذا الكلمه يدل علي أنه ليس له حقيقه بل هو شي لا أصل له فلم يصدر منه القول علي الواقع وانما السؤال في هذا المشهد العظيم ليتنصل عن اباطليهم وأكاذيبهم

الأمر الرابع

ما المقصود بقوله

(من دون الله)

أن من أهم ما يجب الإنتباه له أن المراد بها المغايره ولادخل لها بالمشاركة

فقوله (من دون) متعلق بقوله (اتخذوني) وحرف (من) صله توكيد وكلمه (دون) اسم للمكان المجاوز ويكثر استعمالها في أن يكون مكان مجازيا يراد به المغايره فتكون بمعني (سوي) كما قال تعالي (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله...الخ

وقال تعالي (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم)

وقال تعالي (قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)

فالمراد بها (سوي الله)

وقد خوطب بها المشركون مع أنهم اشركوا مع الله غيره فلم يكونوا ينكرون الهيه الله وذكر هذا المتعلق لتشنيع عباده غير الله لأن النصاري لما انحرفوا قالوا بحلول الله في ذات عيسي ثم كان بعد ذلك القول بغيرها من الا فتراءات

ثانيا

تأتي النصوص بجواب عيسي عليه السلام علي السؤال فقال تعالي

(قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادامت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب وانت علي كل شي شهيد أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

بالوقوف علي الايه نجد أنها تضمنت الاتي

الوجه الاول

ابتدأت بتنزيه عيسى عليه السلام ربه بالتسبيح (سبحانك) فدل هذا علي الخشوع والخضوع وأنه ارتجف من حـ
ال قومه وما بدلوا بعده أنها كبيره لا يطيق أن يقذف بها كيف له أن يدعي أنه إله وهو يعلم أنه عبد من عبيد الله

لقد تفاجأ عيسى عليه السلام بما صدر عن قومه ولهذا كان منه المبادرة الي تنزيه الله قيل أن يبرء نفسه فالايه
تصور الموقف بكل تفاصيله ومنها صورته الفزع الذي أصاب عيسى من شرك قومه ولهذا يأتي بعدها بما فيه مبالغه
في التنزيه فقال (مايكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)

اي كيف لي انا العبد المخلوق انا وامي أن اتناول فادعي الربوبيه فهو ينزه الله عن ذلك القول واللام في قوله
(ما يكون لي)

لنفي الاستحقاق اي ما يوجد لي حق أن اقوال هذا ولايليق بالعيد أن يقول ذلك وهذا ابلغ من قوله لم اقله لانه
نفي أن يوجد استحقاقه ذلك القول

فهو ينفي أن يصدر عنه احتمال أن يقول ذلك وليس مجرد القول فقط بل نفي احتمال القول ونفي الاحتمال
اقوي في الدلالة من نفي المقوله ثم إنه جاء بالباء في قوله (بحق) لتأكيد النفي مؤكدا أن حق الألوهية و
الربوبيه والعبودية هي لله وحده لاشريك له فقدم المتعلق علي متعلقه لأن (ليس) متعلقه (بحق) لنفي أن يكون
ذلك حق له ولا لغيره اي نفي أن يباح له أو لغيره أن يقول ما لا يحق له فعلم أن ذلك ليس حقا له وإن لم يقله لأ
جل كونه كذلك وهذه الكلمات فيها من الدلاله علي خطوره البدع والخروج عن المنهج الذي جاء به الرسل من ربهم

الوجه الثاني

بعد هذه المقدمه التي يظهر التنزيه لله تعالى تأتي بعدها الارتقاء في التبرو من اقوال المكذبين فقال تعالى عن
ذلك (أن كنت قلته فقد علمته)

وهذا القول فيه إثبات استحاله قوله لانه لو حصل ذلك لعلمه الله فهو لم يقع ف الله لا يخفي عليه شيء فهو يستدل
بعلم الله كما يقال في حديث الناس بينهم يعلم الله اني لم افعل كذا

ولهذا قال بعدها (تعلم ما في نفسي)

فهذه الجملة بيان لجملة الشرط (أن كنت قلته فقد علمته)

والنفس تطلق علي العقل وعلي روح الإنسان وعلي ذات الإنسان والمعني تعلم ما اعتقده فأنت تعلم ما أعلمه لأن
النفس مقر العلوم والمعارف

فهو يستشهد بذات الله علي براءته مع التصاغر أمام الله وبيان خصائص الالوهيه والعبوديه لله ... ولمزيد من
التنزيه لله تعالى يقول (ولا أعلم ما في نفسك) فالواو هنا اعتراضيه واطافه النفس الي ذات الجلاله بمعني العلم
الشامل المحيط الذي لا يعلمه أحد إلا الله فأراد بهذا بيان أن علم الانسان قاصر ومحدود بما يريد الله أن يعلم
عنده كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول)

فعيسى عليه السلام يقول ان علمي لايساوي شيئا أمام علمك فما أعلمه هو ما علمتنا إياه ولهذا يحصر ويقصر
العلم ب الله فقال (انك انت علام الغيوب)

استعمل أن الموكده...واكده بالضمير انت واستعمل علام وهي صيغه مبالغه فعلم الله فوق كل علم وهو لاحدود
له ولهذا جمع الغيوب كلها بأنها مقصوره علي الله تعالى وحده لا شريك له

والايه فيها الاتي

المفهوم الاول

أن علي الإنسان أن يستحضر وجود الله وعلمه بما يدور في نفسه ولهذا يجب تفتيش النفس وان تستحي من الله أن يراك في معصيه

فعليك أن تدرك أنك مكشوف لله ظاهره وباطنه

المفهوم الثاني

اللازم عليك التادب مع الله والانتباه من الخواطر التي تسي الادب مع الله فعليك أن تفهم وتدرك أن الله مطلع علي كل ما يجول في خاطرك

المفهوم الثالث

أناليه فيها درس لكل من يمارس مهنة المحاماه والدفاع بأن عليك التدرج في طرح أسباب البراءه فتبدأ بمقدمه تخاطب فيها القاضي الذي تترافع أمامه ثم توضح بشاعه الجريمه وتتناول اداله نفي القصد الجنائي قبل عرض اداله نفي الجريمه من خلال طرح نبذه عن شخصيه المتهم التي تستبعد صدور الفعل منه وازاله الملابس التي يمكن أن تشكل خيوطا لأركان الجريمه وتنفي الدوافع ثم تنتقل الي طرح الحقيقه المتعلقة بالقضيه ليكون بعد ذلك نفي صلتك بالجريمه وتطلب براءتك من التهم فالابه تطرح لنا نموذجا للترافع الصادق

الوجه الثالث

بعد التنزيه وبعد تلك المقدمه والتسبيحه الطويله يجبت أنه لم يقل لهم ما اختلقه النصاري بعده ونسبوه إليه كذبا فيثبت أنه قام بالبلاغ الذي كلفه الله به بالدعوه الي التوحيد وإثبات الألوهية والربوبية والعبودية الله وحده لا شريك له وأنه لم يدعي لنفسه بشي مما افتراه هولاء وأنه بلغ قومه أنه رسول الله وأنه عبد الله وان امه هي امه الله فقد بلغ ما أمره الله فقال تعالي مخبرا عن جواب عيسي (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم)

اي لم اتجاوز في ما قلت حد التبليغ لما أمرتني به والأمر فيه معني القول اي ما قلت إن أقول لهم وابلغهم فجاء بتفسير الأمر الذي أمر الله (أن اعبدوا الله ربي وربكم) تفسيريه لقوله أمرتني به... فالقول الذي أمره الله أن يبلغه هو قل لهم أعبدوا الله ربي وربكم

وهذا فيه التوبيخ واقامه الحجه عليهم وعلي كفرهم وافتراءهم علي الله وعلي عيسي عليه السلام

وفيه أيضا بيان أنه رسول ينفذ أمر الله ويبلغ ما امره الله وأنه قد بلغ ما أمر به أن يبلغه دون أن ينقص شي وقد بلغ الرساله علي وجهها

وقد أقام الدليل علي توحيد الله وانفراده بالالوهيه والربوبيه والعبودية وحده لاشريك له

فيقول كيف لي أن ادعي انني الها وانا مخلوقا وانا مقر له بالالهييه والربوبيه والعبودية

الوجه الرابع

يبين أن شهادته عليهم وهو حي علي ما قيامه بالبلاغ وأداء رسالته علي وجهها ويذكر انتهاء مهمته بوفاته (وكنتم عليهم شهيدا ما دامت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وانت علي كل شي شهيد)

اي قمت بمنعهم من الشرك ما بقيت في الدنيا فلما قبضتني اليك بالوفاه بالموت أو الرفع فلم اعلم ما فعلوا بعدي لا نه لم يبقي بيني وبين الدنيا اتصال وكنت الرقيب عليهم تعلم أمرهم وترسل إليهم الرسل وقد أرسلت إليهم محمد صلي الله عليه وسلم مبينا لهم وجوه الاهتداء وابلاغهم بما سيكون في شأنهم يوم القيامة

الوجه الخامس

يفوض ربه في الحكم عليهم قائلا إنهم عبادك مستسلمون لك عاجزون عن دفع عن أنفسهم ضرا فأنت العزيز في انتقامه ولا يقدر أحد علي رد عذابك وانت حكيم فيما تفعل فإن تعذبهم فإنهم احقاء لذلك وان تغفر لهم مع كفرهم فهذا من رحمتك وله حكمه (أن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)

وقال عزيز حكيم ولم يقل الغفور الرحيم... فإن هذا فيه اظهار الادب مع الله فإنه قال ذلك في وقت غضب الرب عليهم والأمر بهم الي النار فليس هو مقام استعطاف ولاشفاعه بل مقام براهه منهم والمعني إن غفرت لهم فمغفرتك من كمال قدره والعلم وليست من عجز الانتقام منهم ولاعن خفاء عليك بمقدار جرائمهم فأنت العزيز الحكيم

القسم الرابع

(قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو علي كل شي قدير)

ابتدأت النصوص في هذه الايه بقوله تعالى (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)

وبالوقوف علي الايه نجد أن فيها توجيهات حيث انها ابتدأت بذكر فائده الصدق في جواب الله علي قول عيسي عليه السلام (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق...الي قوله فإنك أنت العزيز الحكيم)

فجاء الجواب من الله سبحانه وتعالى بقوله (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) بالنصب علي الوقت و الصفه فمعني الكلام أن الله قال لعيسي ان هذا القول أو الأمر أو الشأن هو النافع فهذا الصدق القول الذي ينفع يوم القيامة في يوم ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم ذلك في الاخره عند الله وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

يحث الحق عباده علي التحلي بالصدق ويربط فائده الصدق ومنفعته بالآخره لأن جملة ينفع الصادق مضافه الي هذا اليوم ومن المؤكد أنه لا يقصد أن الصدق هو في الاخره بل منشأ الصدق في الدنيا لأن الاخره دار جزاء لا دار عمل ولايملك أحد أن يكذب في هذا الموقف وهذا ابليس يخطب في ساحه الحشر فيقول (أن الله وعدكم وعد الحق.... الخ

فصدق في هذا ولكن لم ينفعه هذا الصدق أما عيسي فكان صادقا في الدنيا حتي توفاه الله كما ذكر في رده...ولهذا فالله يقول إن العبد الذي يتخذ الصدق شعارا له في قوله واعتقاده وأعماله فلا يخالف قوله عمله ولايشرك بالله ويكون مخلصا في عمله لله وحده لاشريك له حتي يتوفاه الله يحصل لصاحبه الانتفاع بصدقه في هذا اليوم اي يوم الخطاب لأن الصدق حسن ولايكون له من الحق الا الأثر الحسن فالله يقول في موضع آخر (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بخلاف الحال في عالم الدنيا فقد يحصل خلط الحق والباطل و الصحه بالمرض لأن الحق قد يجز لصاحبه بتحريف الناس الحقائق بحيث يجنب نفسه الماخذ ولهذا فإن النفع يكون يوم القيامة فالصدق سلوك حسن وقوله يعني أنه يخبر عن أمر حسن لانه لاينطق الا بالخير كما فعل عيسي (سبحانك.. الخ

بينما الكذب قبيح والاخبار به قبح أيضا ويستحق صاحبه العقاب ولهذا أخبرنا الحق بما اعد للصادقين الذي كان منهم الوفاء بما عهدوا الله عليه قولاً واعتقاداً وعملاً (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) الاقامه في النعيم الدائم دون انقطاع فقد قبل الله أعمالهم ونالوا رضي الله وهم رضوا بالجنه والنعيم فيها فقد ناولوا وأدركوا ما طلبوا فقال تعالي (ذلك الفوز العظيم)

المفهوم الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المسلم أن تهتم بقوه التصور والعلم فلا تسمح لافات الكذب أن تفسد قوه تصورك وعلمك فيكون نقلك ونظرتك للأشياء مخالف الحقيقه

فتذكر الآيات إن مصدر إفساد شأن الإنسان وقواه هو الكذب الذي يصور المعدوم موجودا والعكس فيفسد صورته وعلمه فالكذب هو رأس الفجور فالمروق والبدع والكبر والرياء والحسد والحقد كلها من الكذب في أقواله وأفعاله وأحواله فهو عندما يستحکم علي الإنسان الكذب فإنه يودي به الي هلاكه اي أن معول النقص الذي يكسر ويحطم كمال الإنسان هو الكذب فالصادق اذا كذب انكسر صدقه وافسدت قوه تصوره وتلوثت أخلاقه وتلونت لسانه وهو يبدأ من النفس ثم اللسان لأنها تعبر عما في القلب ثم تسري الي الجوراح والأعمال فالكذب اذا استحکم بأحوال الإنسان وأقواله وأفعاله أفسده وادي به الي الهلاك وهو أساس الرياء والشرك والكبر والبطر والفجور والباطل ولهذا لا علاج له إلا الصدق ومجالسه الصادقين ف الله يقول

ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

المفهوم الثالث

يقول الحق أن الصدق هو الذي يحقق للإنسان الانتفاع بنعمه العلم والايمان فهو أصل كل حال ومنه يتشعب الصبر والزهدي والرضا والقناعه والإخلاص والاجلال والمحبه والخوف والتعظيم فيكون الانتفاع بالعلم والايمان لان الصادق يعرف نفسه بضعفها وافتقارها الي ربه ونقصها وجهلها فما فيها من الخير تابع لوجودها الذي ليس إليها ولا بها فهو يعرف ربه وبره وغناؤه وجوده وإحسانه وان الخير كله في يده وهوملكه يوتي من يشاء ويمنع من يشاء ولهذا فإن علمه بنفسه يجعله يقف عند قدرها ولايتجاوزها الي ما ليس له فهو يدرك أن كل شي لله ولهذا يحمده ويثني عليه فنجد أن عيسي قال (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)

وبالتالي فإن الصادق لا يغش نفسه ولايخدعها بل يحاول معالجه أمراضها وهو يكون منصف فلا يحسد ولايحقده ولايبيغي ولايكون للنعمه ضدا ولاينطق الا بالحق ولهذا كان مناسباً هذا الجواب بعد رد عيسي الذي أظهر التذلل والا نكسار لله قبل ذكر براءته من الافتراءات لماذا لأنه صار علمه بربه وكماله وبره وغناؤه وملكه وقدرته وعلمه بنفسه ووقوفه عند حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها قد صبغ نفسه صبغه في كيانه لا صبغه علي لسانه فقط بل في قلبه ولسانه وجوراحه فعلم أن الحمد والثناء كله لله والأمر كله لله والخير كله في يديه فهو المستحق الحمد والثناء فرائي نفسه أنها أولي بالذم واللوم يقول ابن القيم ان من فاته التحقق بهذين العلمين تلونت أقواله وأعماله وأحواله وتخبطت عليه ولم يهتد الي الصراط المستقيم الموصل الي الله فايصال العبد يتحقق بها تين المعرفتين علما وكالات وانقطاعه بفواتهما

وبهذه المناسبه يختتم الحق السوره بقوله (لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو علي كل شي قدير) لبيان اهميه معرفه الإنسان بربه ومعرفته لنفسه وضعفه فاخبرنا تعالي أن له الملك والسلطان والتصرف والتدبير لما في الكون كله لله وحده فجاء بصيغه القصر (لله) فالموجوات كلها ملك الله فأراد بهذا أن يبين لك العلم ب الله وبره وغناؤه وملكه وقدرته فاللازم التسليم لله وأنه فعال لما يريد فهو سبحانه الجدير بالالوهيه والربوبيه والعبودية وان كل من في السموات والأرض مخلوقاته وفي قبضته وسلطانه وهو تعالي قادر علي كل شي فلا يعجزه شي

المراجع

- ١/ تفسير ابن كثير
- ٢/ تفسير السعدي
- ٣/ التفسير الميسر للقراني
- ٤/ تفسير المراغي
- ٥/ تفسير الطبري
- ٦/ تفسير القرطبي
- ٧/ البيضاوي
- ٨/ الكشاف
- ٩/ في ظلال القرآن للسيد قطب
- ١٠/ تفسير روح البيان
- ١١/ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا
- ١٢/ تفسير القرآن بالقران
- ١٣/ تفسير الخازن
- ١٤/ تفسير سعيد حوي
- ١٥/ تفسير ابو السعود
- ١٦/ تفسير الشعراوي
- ١٧/ أوضح التفاسير
- ١٨/ زهره التفاسير
- ١٩/ الالوسي
- ٢٠/ التحرير والتنوير لابن عاشور
- ٢١/ در النظم في تناسب السور
- ٢٢/ الزجاج
- ٢٣/ الشنقيطي
- ٢٤/ تفسير الجلالين

- ٢٥/كتاب ماهيه العقل للمحاسبي
- ٢٦/كتاب الازمه الدستورية للشنقيطي
- ٢٧/بحوثات لحسن عبيد في مجله الامه
- ٢٨/رساله المسترشدين للمحاسبي
- ٢٩/التحولات وفقه الواقع لابي بكر العدني
- ٣٠/التفسير الموضوعي للقرآن ١
- ٣١/التفسير الموضوعي للقرآن ٢
- ٣٢/ابن عطيه
- ٣٣/فتح القدير
- ٣٤/التيسير في التفسير
- ٣٥/كتاب الملل والنحل
- ٣٦/كتاب تزكيه النفوس ٢+١
- ٣٧/ كتاب الفةائد لابن القيم
- ٣٨/ابن تيمه
- ٣٩/فتح الباري في شرح صحيح البخاري
- ٤٠/كتاب الدفاع عن الاسلام
- ٤١/احياء لغه القران ابي بكر العدني
- ٤٢/الاعجاز العلمي للسيد قطب
- ٤٣/كتاب التوحيد
- ٤٤/مجالس الذكر لعبد الحميد بن باديس
- ٤٥/تفسير العز بن عبدالسلام
- ٤٦/كتاب اعرف الله
- ومراجع اخري في اللغة والتفسير والحديث
- اعداد المحامي/احمد عبد الرزاق مريوش العامري